

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

المراقات الثقافية لدولة بني نصر مع

دول المشرق والمغرب

[636-898هـ / 1238-1492م]

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إشراف:

أ.د. مبخوت بودواية

من إعداد الطالب:

عمر سي عبد القادر

لجنة المناقشة:

أ.د. عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. بوشقيف محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. الزين محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. ميسوم ميلود	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
د. نبيلة عبد الشكور	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1435 - 1436هـ / 2014 - 2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي هذا العمل وهو ثمرة جهدي الى روح والدي

رحمة الله عليهما .

والى الزوجة الفاضلة و أبنائي الاعزاء

شكر و تقدير

اذا كان ولا بد من الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم وانطلاقاً من " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " فإنه لا يسعني وقد وفقني الله عز وجل لإنجاز هذا العمل أن اتقدم بجزيل الشكر و التقدير والامتنان الى الاستاذ المشرف الدكتور مبخوت بودواية على ما قدمه من دعم ونصائح و اسأل الله أن يديم عليه نعمة الصحة و العافية .

كما أتوجه بالشكر الى لجنة المناقشة الموقرة كل باسمه، و الى كل اساتذة قسم التاريخ ، و الى كل من أعانني من قريب أو من بعيد على اتمام انجاز هذا العمل .

والله ولي التوفيق

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري قيام دولة بني الأحمر في الجزء الجنوبي كنتيجة لانقسام المغرب الإسلامي الى دويلات مستقلة بعد سقوط الدولة الموحدية. وقد عاشت هذه الدولة ظروفًا سياسية صعبة باعتبارها تقع في منطقة يحيط بها النصارى من كل الجوانب، مما حتم عليها تبني الجهاد للحفاظ على ما بقي للمسلمين من وجود في شبه الجزيرة الإيبيرية.

هذا الوضع دفعها للبحث عن الدعم المادي والعسكري والموجود حتمًا في الدول الإسلامية سواء في المغرب أو في المشرق، ولهذا ارتبطت بهذه الدول بعلاقات سياسية واقتصادية وثقافية ونظرًا لشمولية هذه العلاقات ارتأيت البحث في جانب من هذه الجوانب فقط ألا وهو الجانب الثقافي .

وفي هذا الإطار يندرج موضوع هذا البحث الموسوم بـ " العلاقات الثقافية لدولة بني نصر مع دول المشرق والمغرب (636 - 898 هـ / 1238 - 1492 م) .

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يتناول الجانب الثقافي في مرحلة هامة من تاريخ المشرق والمغرب الإسلاميين، والتي تميزت بالازدهار العلمي والفكري رغم الظروف الصعبة التي عاشتها هذه الدول، كما يعد الجانب الثقافي من العوامل الأساسية في التقريب بين الشعوب الإسلامية .

الأسباب التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع فهي عديدة، منها الرغبة في توضيح دور العلاقات الثقافية وانعكاساتها على العلاقات السياسية وقدرتها في توثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية إضافة الى محاولة إبراز مدى تأثير الأندلسيين فكريًا وثقافيًا على دويلات المغرب وبلاد المشرق الإسلاميين في هذه المرحلة، خاصة وأن معظم الدراسات السابقة قد ركزت على الجوانب السياسية والاقتصادية واغفلت نوعًا ما دور العلاقات الثقافية خاصة بين الأندلس وبلاد المشرق هذا من جهة ومن جهة أخرى فإني أرغب في إثراء المكتبة بدراسة أكاديمية عن العلاقات الثقافية بين بني نصر و دول المغرب و المشرق .

أما فيما يخص الاطار الزمني لهذه الدراسة يبدأ من منتصف القرن السابع الهجري الى نهاية القرن التاسع و سقوط غرناطة 636 - 898 هـ / 1238 - 1492 م .

والاطار الجغرافي يشمل الجزء الجنوبي من الأندلس و دول بلاد المغرب الاسلامي، الدولة المرينية والزيرية والحفصية وبلاد المشرق في عهد دولة المماليك .

لقد تمكنت مملكة بني نصر بالأندلس من ربط علاقات ثقافية متميزة مع الدول الإسلامية سواء في المغرب أو المشرق ، وقد كان للعلماء الدور البارز في رسم معالم هذه العلاقات وما ترتب عنها من تأثيرات أندلسية مختلفة على تلك البلدان، وللبحث في هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن التساؤلات التالية.

ما طبيعة هذه العلاقات ؟ وماهي العوامل المؤثرة فيها ؟ وما أبرز المظاهر التي ترتبت عن هذه العلاقات ؟ .

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي، وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول الى استنتاج العوامل المؤثرة في هذه العلاقات والمظاهر المترتبة عنها .

أما خطة البحث فقسمتها الى فصل تمهيدي و بابين ، ينقسم كل باب الى ثلاثة فصول . تناولت في الفصل التمهيدي الأوضاع السياسية التي عاشها المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية و قيام دويلات مستقلة، هي الدولة النصرية في الأندلس و الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الزيرية في المغرب الأوسط ثم الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، هذه الدول تشابهت في طريقة التأسيس ومرحلة القوة التي مثلتها فترة حكم المؤسس كما تشابهت في عوامل الضعف وأسباب السقوط والتي كان أبرزها الصراعات الداخلية و الخارجية، أما في بلاد المشرق فقد قامت الدولة المملوكية على أنقاض الدولة الأيوبية والتي تمكنت من فرض سيطرتها على منطقة الشام والحجاز، ومرت بمرحلتين المماليك البحرية، والمماليك البرجية، وكان سقوطها على يد العثمانيين.

في الباب الأول تناولت الحياة الثقافية لدول المغرب و المشرق و قسمت هذا الباب الى ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تناولنا الخصائص الثقافية للأندلس في عهد بني الأحمر مركزا على التعريف بالمؤسسات الثقافية والعلمية و مراحل التعليم ومشاهير العلماء في معظم الأصناف العلمية.

أما الفصل الثاني فتطرت فيه للحياة الثقافية في باقي دول بلاد المغرب و أعني بذلك الدولة المرينية والزيرية والحفصية، حيث اشرت الى مساهمة الحكام في الحركة العلمية من خلال اهتمامهم بالعلم و تشجيعهم للعلماء، و ابراز دور حواضر بلاد المغرب من خلال ما توفرت عليه من مؤسسات علمية و استقطابها للعديد من العلماء في شتى العلوم .

وتناولت في الفصل الثالث الازدهار الثقافي الذي شهدته دولة المماليك في معظم النواحي العلمية حيث تحولت القاهرة ودمشق الى مراكز علمية تعج بالطلاب و العلماء بفضل العديد من المؤسسات العلمية ذات السمعة الطيبة لدى طلاب العلم، خاصة مع الاهتمام و العناية الكبيرة التي كان يوليها حكام المماليك لهذه المؤسسات مما شجع على تنوع الإنتاج الفكري .

أما الباب الثاني فخصصته لعوامل ومظاهر العلاقات الثقافية، وقسمته بدوره الى ثلاثة فصول:

في الفصل الأول تطرقت الى دور العلاقات السياسية و التجارية باعتبارها إحدى العوامل الأساسية لتسهيل التواصل الثقافي ، حيث ارتبطت دولة بني نصر مع الدول الإسلامية بعلاقات سياسية متميزة و لو أنها كانت تقوم في معظم الأوقات على تقديم الدعم و المساعدة لنجدة أهل الأندلس ، ورغم أن هذه المساعدات لم تحقق الأهداف المرجوة منها الا أنها ساهمت في التقريب بين الشعوب الإسلامية .

أما الفصل الثاني فتناولت فيه الرحلة العلمية بين الأندلس و دول المغرب و المشرق باعتبارها عاملا اساسيا في تدعيم التواصل الثقافي ، خاصة وان الأندلس شهدت رحلة العديد من العلماء و الطلاب لأسباب عديدة كان أهمها الظروف السياسية التي كانت تمر بها هذه المنطقة ، وهي

الظروف نفسها التي شجعت على الهجرة بعد اشتداد الضغط النصراني، مع الإشارة أيضا الى رحلة الحج و دورها في التقريب بين أهل الأندلس و أهل المشرق .

وفي الفصل الثالث تطرقت الى التأثيرات الأندلسية في المجالات المختلفة منها التأثيرات الإدارية و السياسية من خلال تولي الأندلسيين لبعض الوظائف السياسية، والتأثير العلمي الذي كان من ابرز مظاهر العلاقات الثقافية نظرا للعدد الهائل من علماء الأندلس الذين رحلوا الى بلاد المغرب والمشرق وساهموا في ازدهار العديد من العلوم سواء الدينية كالفقه و التفسير أو علوم اللغة كالنحو والأدب أو العلوم العقلية كالطب و الفلك، إضافة الى التأثير الواضح في المجال الفني و العمراني في المناطق التي استقروا بها .

وانهيت هذه الدراسة بخاتمة هي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات حول الموضوع ثم مجموعة من الملاحق وفهرس للأعلام والاماكن .

وقد واجهتني بعض الصعاب أثناء إنجاز هذه الدراسة ومن ابرزها نقص المصادر و المراجع المتخصصة في مجال العلاقات الثقافية ، خاصة المرحلة التي أعقبت وفاة أكبر المؤرخين اللذين تناولوا تاريخ المغرب الإسلامي و اعني بهما لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ و عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808 هـ، إضافة الى أن المادة العلمية في هذه المرحلة متوفرة باللغة الإسبانية فكان لا بد من بذل جهد كبير لاستغلال هذه المراجع .

نقد المصادر:

لقد اعتمدت على مجموعة من المصادر المتنوعة أندلسية ومشرقية إضافة إلى كتب التراجم والطبقات وكتب الرحالة والجغرافيين وكذلك مجموعة من المراجع المختلفة العامة.

كتب التاريخ العام :

- كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقرئ المتوفى سنة 1041هـ/1631م وهو كتاب يتضمن تاريخ الأندلس إلى غاية سقوط غرناطة حيث أفادني فيما يتعلق بالرحلة إلى المشرق اذ أنه يتضمن تراجم مجموعة من العلماء رحلوا إلى المشرق كما يتضمن رسائل لسان الدين بن الخطيب .

- كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة 766هـ/1374م يحتوي على تراجم العديد من علماء غرناطة وجميع الذين وفدوا إليها من المغرب والمشرق , كما ذكر بعض مظاهر العلاقات السياسية و الاقتصادية و العلمية ، بالإضافة إلى كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، وفيه قسم خاص بتاريخ إسبانيا وهو تاريخ عام للأندلس منذ الفتح حتى القرن الثامن الهجري، ومؤلف آخر لا يقل أهمية فيما يتعلق بهذا المجال وهو كتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية والذي يتضمن تاريخ غرناطة وملوكها و ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية وعاداتهم باعتباره عاصر تلك الأحداث . أما كتاب ريحانة الكتاب و نجمة المنتاب ، و كناسة الدكان بعد انتقال السكان فقد استفدت منهما ما يخص المراسلات بين ملوك بني نصر والدول الاسلامية .

- كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين ، لإسماعيل بن الأحمر المتوفى سنة 807 هـ 1404 م تناول فيه التعريف بملوك بني مرين و ملوك بني عبد الواد بتلمسان ..

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م، وهو كتاب تكمن أهميته في كونه عاصر هذه الأحداث في المغرب و الشرق وشارك فيها ، كما تناول العلاقات الخارجية لهذه الدول مع ذكر بعض المراسلات التي دارت بين السلاطين ، إضافة إلى كتاب المقدمة الذي تناول الجانب الثقافي وأصناف العلوم و المناهج التعليمية وتطورها في العالم الإسلامي وخاصة في الأندلس ، دون أن

ننسى كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا حيث يصف المناطق التي زارها ويتحدث عن بعض العلماء الذي التقى بهم والأعمال التي قام بها في المشرق .

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد ابن عذارى المراكشي المتوفى أواخر القرن السابع الهجري ويقع في عدة أجزاء يتحدث عن تاريخ المغرب والأندلس ولا سيما الجزء الثاني والثالث الخاصين بتاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي ،وقسم الموحدين الذي يتناول معلومات قيمة عن مملكة غرناطة عند قيامها

- كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،ليحي بن خلدون المتوفى سنة 780 هـ 1378 و الذي يتناول تاريخ المغرب الأوسط ،و بعض سلاطين الدولة الزيانية خاصة أبي حمو موسى الثاني كما ترجم لبعض العلماء .

- كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد ابن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899هـ 1494 م الذي تناول المراحل التاريخية للدولة الزيانية و ذكر ملوك هذه الدوارة و بعض منجزاتهم العمرانية و الثقافية .

- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و مدينة فاس لابن أبي زرع ابي الحسن المتوفى سنة 741 هـ 1340 م وقد تعرض فيه لتاريخ مدينة فاس ولبعض الأحداث السياسية منذ بداية تأسيسها و حتى عصر السعديين .

- كتاب زهرة الآس في بناء مدينة فاس للجزنائي أبي الحسن ،يرجع الكتاب الى القرن الثامن الهجري ،يتناول تاريخ مدينة فاس و مكانتها العلمية و تأسيس جامع القرويين والعلماء الذين نزلوا فاس للتدريس .

- كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد السلاوي ،الذي يتوفر على مادة علمية هامة حول بني مرين ولو أن المؤلف لا يبتعد كثيرا عن ابن خلدون في كتابه العبر كما أنه نقل عن العديد من المؤرخين أمثال المقرئ و ابن أبي زرع و بعض الاسبان .

- كتاب المسند الصحيح في محاسن و مآثر مولانا ابي الحسن ، لابن مرزوق الخطيب المتوفى سنة 781 هـ 1379 م تناول هذا الكتاب الجانب الثقافي خاصة المؤسسات الدينية و الثقافية التي انشأها ابو الحسن ودوره الجهادي في الأندلس .

- كتاب المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب ،تناول فيه تراجم بعض علماء اسرة المرازقة كما ترجم لشيخو واصحاب ابن مرزوق الوالد و الجد .

- كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله بن الشماع من أهل القرن الثامن الهجري ، و هو كتاب يتناول تاريخ بني حفص السياسي و الثقافي .

- كتاب تاريخ الدولتين الموحدتين والحفصية لأبي عبد الله الزركشي ، كان حيا سنة 894 هـ 1490 م و ترجع أهميته الى أن المؤلف عاصر الدولة الحفصية تناول تاريخ دولة الموحدين ثم تاريخ الدولة الحفصية الى عصره الا انه كان يتعد عن الحوادث المؤلمة لهذه الدولة .

- كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة 810 هـ 1407 م و الذي تناول التاريخ السياسي للدولة الحفصية مع التركيز على ابراز مناقب الحكام الحفصيين .

- كتاب المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس لابن أبي دينار الذي يحتوي على معلومات هامة حول تاريخ الدولة الحفصية من الجانب السياسي والحضاري كما تناول العلاقات بين الدولة الحفصية و باقي دول المغرب الإسلامي .

- كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ/ 1505 م يتناول هذا الكتاب تاريخ مصر بصفة عامة وتراجم لبعض العلماء والأمراء والفقهاء بمصر بالإضافة إلى إبراز بعض المؤسسات الثقافية والدينية .

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أبي العباس المقرئ المتوفى سنة 845هـ / 1442م وهو من أهم مصادر التاريخ المملوكي حيث رتب على السنين إلى غاية سنة 844هـ كما ترجم لبعض العلماء، إضافة إلى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية وهو من أهم المصادر الخاصة بتعريف المنشآت العمرانية والمؤسسات الثقافية والعلمية في عصر المماليك .

- كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد القلقشندى المتوفى سنة 821هـ / 1418م وهو من الموسوعات العلمية والأدبية الهامة في التاريخ الإسلامي حيث تناول فيه التعريف بالمؤسسات العلمية والثقافية خاصة في مصر وبعض الرسائل التي بعث بها السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن نصر إلى السلطان الملك الأشرف شعبان سلطان المماليك .

- كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لركن الدين بيبرس الدوادار المتوفى سنة 725هـ / 1324م يعتبر من أهم المصادر لتاريخ المماليك لأنه شارك في الأحداث السياسية لهذه المرحلة حيث تناولها على طريقة السنين مبرزاً أهم الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية

- كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، لأبي المحاسن بن ثغري بردي ، تناول فيه تاريخ مصر و القاهرة منذ الفتح الإسلامي ، وخصص الجزء الأكبر منه لتاريخ دولة المماليك وأخبار السلاطين وعوامل نجاحهم و فشلهم مع الإشارة الى اهم ما وقع من حوادث ، كما ترجم لبعض العلماء .

- كتاب وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة 818هـ / 1415م تناول هذا الكتاب تاريخ الإسلام بصفة عامة كما تناول تاريخ المماليك سياسياً وإدارياً وثقافياً وهو كتاب هام جداً خاصة وأن المؤلف قد عاصر دولة المماليك .

كتب الطبقات والتراجم

- كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن الحجر العسقلاني(المتوفى 852 هـ /1449م)تضمن تراجم لعلماء القرن الثامن الهجري وقد رتبه على حروف المعجم
- كتاب سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة 748هـ/1347م ،الجزءان السادس عشر والسابع عشر حيث تضمننا تراجم لعلماء وأدباء وشعراء وملوك وأمراء من المشرق والأندلس
- كتاب المقفى الكبير ،لتقي الدين المقرئزي ،وهو كتاب تراجم و وفيات للأعيان من العلماء و الأدباء والملوك والشعراء من الذين عاشوا في مصر أو و ردوا عليها ،و رتبه على حروف المعجم .
- كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،لأبي العباس أحمد الغريبي المتوفى سنة 704هـ 1307 م وفيه تراجم لعدد من العلماء خاصة من الأندلسيين الذين رحلوا الى بجاية ،كما يعطي صورة شاملة عن الحياة العلمية في بجاية .
- كتاب الضوء الامع لأهل القرن التاسع ،لشمس الدين السخاوي ،المتوفى سنة 902هـ 1498م،وترجم فيه مشاهير القرن التاسع من العلماء و القضاة و الأدباء و الشعراء والملوك من المشرق و المغرب ورتبه على حروف المعجم .
- كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،لابن مريم المديوني ،كان حيا 1025 هـ 1611م اشتمل على تراجم أولياء و علماء تلمسان وبعض علماء المغرب و المشرق و ما خلفوه من آثار فكرية و علمية .
- كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني(المتوفى 1250هـ/1834م)وتضمن كذلك تراجم لعلماء المشرق والمغرب منذ القرن التاسع الهجري

- كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بن أحمد المعروف بابا التنبكتي المتوفى 1032هـ/1624م ترجم فيه لعلماء المشرق والمغرب
- كتاب المنهل الصافي والمتوفى بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن ثغري بردي الأتابيكي المتوفى 874هـ/1469م ويتضمن تراجم لعدد كبير من العلماء والقضاة والأدباء في مصر والشام .
- كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقي الدين احمد بن علي المقريري المتوفى 845هـ/1442م) تضمن هذا الكتاب تراجم للعلماء و الفقهاء خاصة المشاركة .
- كتاب فوات الوفيات لمحمد شاکر التکتبي (ت 764هـ/1363م) وهو ذيل على وفيات ابن خلکان وهو تراجم للخلفاء والعلماء مرتبا على حروف المعجم
- كتاب الوافي بالوفيات ،لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة 764 هـ 1362 م وهو من اهم كتب التراجم ،حيث ترجم للخلفاء و التابعين و الملوك و الوزراء والقضاة و الفقهاء و العلماء والأدباء و الأطباء و غيرهم ورتب على حروف المعجم في 29 مجلدا
- كتاب وفيات لونشريسي لأحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ 1510 م تناول فيه تراجم رجال الفقه و الحديث والتصوف من بلاد المغرب و الأندلس منذ 701 هـ حتى 912 هـ
- كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة المتوفى 668 هـ 1269 م والذي تناول فيه تراجم للأطباء منذ زمن الإغريق ثم خص أطباء مصر وبلاد المغرب و الأندلس مع ذكر اعمالهم و مؤلفاتهم .
- كتاب جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس لابن القاضي ،المتوفى سنة 1012هـ يحتوي الكتاب عددا من تراجم الوزراء و الكتاب الذين عملوا في بلاط الدولة المرينية ، و بعض العلماء الذين حلوا بفاس .

كتب الرحالة و الجغرافيين :

- كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا لعبد الرحمن بن خلدون تعرض فيه إلى أحوال الدول التي مر بها والشيوخ الذين أخذ عنهم وكذلك الوظائف التي تقلدها أثناء هذه الرحلة .

- كتاب الرحلة المغربية لمحمد بن أبي عبد الله الحاجي المشهور بالعبدري الذي قام برحلة سنة 688هـ/1289م زار فيها عدة بلدان وقد سجل في رحلته كل ما رآه في ذهابه وإيابه إضافة إلى التعريف ببعض العلماء الذين أخذ عنهم .

- كتاب رحلة القلصادي لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالقلصادي المتوفى سنة 891هـ/1486م تناول تراجم للعلماء الذين أخذ عنهم في المشرق والمغرب و علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق .

- كتاب تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت776هـ/1373م) والذي زار معظم بلدان العالم الإسلامي واهتم بوصف الحياة الفكرية و العلمية و المظاهر الاقتصادية والاجتماعية التي زارها وخاصة بلاد مصر .

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق لأبي عبد الله محمد الحمودي المعروف بالإدرسي يحتوي الكتاب معلومات جيدة في تحديد مواقع بعض المدن في المغرب الإسلامي .

- كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي المتوفى سنة 957هـ/1552م وتضمن وصفا للمدن والأقاليم التي مر بها في المغرب والمشرق .

- كتاب رحلة ابن جبير لأبي الحسن بن جبير (المتوفى 614هـ/1217م) وتضمن وصفا لما شاهده في المناطق التي زارها خاصة في الرحلة الأولى نحو المشرق حيث يحتوي الكتاب على معلومات متنوعة طبيعية واجتماعية واقتصادية .

- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة 866هـ/1461م والذي تناول تاريخ الأندلس من خلال التعريف ببعض المدن وذكر بعض المؤسسات الدينية والعلمية كونه معجماً جغرافياً تضمن أسماء الحصون والقلاع والأماكن بالأندلس .
كما اعتمدت على بعض كتب الفهارس و منها كتاب برنامج المجاري لأبي عبد الله المجاري المتوفى سنة 862 هـ 1459 م وكتاب فهرست الرصاع لأبي عبد الله محمد الأنصاري المتوفى سنة 894 هـ 1491 م ، وفهرس ابن غازي 919 هـ 1510 م ، وثبت أبي جعفر البلوي المتوفى 938 هـ 1532 م ، و برنامج ابن جابر الوادي آشي المتوفى سنة 749 هـ 1347 م وقد تناول اصحابها تراجم شيوخهم .

أما المراجع فهي متنوعة منها العامة و المتخصصة ، ابرزها المدارس المغربية في العصر المريني لابي رحاب محمد وجوانب من الحياة الاجتماعية و الدينية والعلمية في المغرب الاسلامي لكمال السيد ابو مصطفى ، وكتاب المراكز الفكرية والعلمية في تونس الحفصية لعلي الادريسي ، وكتاب صورة من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك ، لحياة ناصر حاجي ، كتاب التربية الاسلامية في المغرب وكتاب هجرة علماء الاندلس لدى سقوط غرناطة لعبد الرحمان علي حجي ، ومراجع أخرى باللغة الاجنبية .

تلمسان في 23 أبريل 2015م الموافق ، 04 رجب 1436 هـ

عمر سي عبد القادر .

الفصل التمهيدي :

الواقع السياسي بالاندلس في عهد بني نصر و بلاد المغرب و المشرق الإسلاميين ▪

1- الواقع السياسي في المغرب الاسلامي

1-1 الحياة السياسية في الاندلس .

2-1 الدولة المرينية في المغرب الاقصى .

3-1 الدولة الزيانية في المغرب الاوسط .

4-1 الدولة الحفصية في المغرب الادنى .

2- الواقع السياسي في المشرق الاسلامي .

1-2 دولة المماليك في مصر .

1-1-2 أصل المماليك .

2-1-2 المماليك البحرية .

3-1-2 المماليك البرجية .

1- الواقع السياسي للمغرب الإسلامي:

تمكنت دولة الموحدين و التي عرفت بالدولة المؤمنية نسبة الى عبد المؤمن بن علي من توحيد بلاد المغرب بأقسامه المختلفة من برقة شرقا إلى المحيط والأندلس غربا¹، ويرجع الفضل في تأسيس هذه الدولة إلى المهدي بن تومرت²، الذي شن حربا على المرابطين و تمكن من إسقاط عاصمتهم مراكش³، وبعد وفاة ابن تومرت تمت مبايعة عبد المؤمن بن علي الكومي المقرب من ابن تومرت والمعروف بعلمه وحسن سياسته ورجاحة عقله⁴.

وقد عمل عبد المؤمن على توحيد بلاد المغرب بداية بمحاربة المرابطين ثم القضاء على الفتن الداخلية وبعد ان استقرت الأوضاع بالمغرب وجه نظره نحو الأندلس و تمكن من فرض سيطرته على الأندلس سنة 556هـ ثم توجه نحو الشرق حيث دخل بجاية و المهديّة وتونس، وقد حكم هذه الدولة ثلاث عشرة خليفة ابرزهم عبد المؤمن و ابنه يوسف، وشهدت الدولة بعد ذلك إصلاحات في منهج ابن تومرت و خاصة في عهد يعقوب المنصور الذي اعرض عن كتب المالكية و مال الى المذهب الظاهري واحرق عددا كبيرا من كتب الفروع⁵، ونظرا لظهور الثورات الداخلية بدأ الضعف

¹ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح ،محمد سعيد العريان ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر ص 281- ابن ابي زرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط 1972 ص 179 - عز الدين أحمد موسى ،دارسات في تاريخ المغرب الإسلامي ،دار الشروق بيروت ط1983 ص 76.

² ولد سنة 485هـ 1092م رحل في طلب العلم الى المشرق ثم عاد الى المغرب و بدأ دعوته على التوحيد سنة 515هـ 1121م توفي سنة 524هـ 1130م .ابن خلكان ابي العباس ،وفيات الأعيان و انباء ابناء الزمان ،تح إحسان عباس ج5،دار صادر بيروت (دت) ص45- عبد المجيد النجار ،المهدي بن تومرت ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت ،1983م ص45.

³ ابن ابي زرع الأنيس، المصدر السابق ص177-ابن سماك العاملي ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح ،عبد القادر بوبايا ،ط1دار الكتب العلمية،بيروت 2010 م ص209.

⁴ ابن ابي زرع الأنيس المصدر السابق ،ص184- ابن سماك ،الحلل الموشية المصدر السابق ص 217 - معمر الهادي ومحمد القرقوطي ،جهاد الموحدين في الأندلس ،دار هومه للطباعة والنشر الجزائر 2005ص65.

⁵ ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تح عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط ج 4 دار ابن كثير بيروت ط1986م ص 321 - عز الدين احمد موسى المرجع السابق ص 105 .

يتسرب الى جسم الدولة ،ومن ابرزها ثورة بني غانية¹، وثورات الأعراب المتكررة و ثورة محمد بن مردنيش بالأندلس².

كما أن الهزائم المتتالية على يد النصارى في الأندلس ساهمت في ضعف الدولة ومنها هزيمة العقاب سنة 609هـ 1212م³، والتي كانت بداية النهاية وبداية أفول شمس الإسلام في الأندلس حيث كانت السبب في هلاك الأندلس وفي ذلك يقول الشاعر أبي إسحاق ابراهيم بن الدباغ الإشبيلي .

وقاتلة أراكِ تُطيلُ فِكرا	كأنك قد وقفتَ لدى الحسابِ
فقلتُ لها أفكرُ في عقابِ	غدا سببا لمعركةِ العقابِ
فما في ارضِ أندلسِ مقامُ	وقد دخلَ البلا من كلِّ بابٍ ⁴

ونظرا لهذه العوامل ظهرت بوادر الانفصال في أقاليم الدولة ، حيث ظهرت دويلات مستقلة تمثلت في دولة بني نصر بالأندلس ودولة المرينيين في المغرب الأقصى و الدولة الزيانية في المغرب الأوسط ودولة الحفصيين في المغرب الأدنى .

¹ بنو غانية اسرة من بقايا المرابطين استولوا على الجزائر الشرقية واقاموا بها دولة مستقلة حتى تمكن الخليفة الموحي الناصر من القضاء عليهم في الأندلس ثم في تونس ،لسان الدين ابن الخطيب ،الإحاطة في اخبار غرناطة ،تح محمد عبد الله عنان ، ج 1 مكتبة الغانجي القاهرة ط 1973م ص311- عبد الرحمان ابن خلدون ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6 دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 2000م ص325.

² ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في اخبار المغرب قسم الموحدين ،تح محمد ابراهيم الكتاني ،محمد بن تاويت و محمد زبير و عبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1985 ص 103 - معمر الهادي و محمد القرقوطي المرجع السابق ص 103 - محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ،عصر الموحدين ج 5 مكتبة الغانجي القاهرة 1997م ص146.

³ المقري احمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تح ،احسان عباس ،ج1 دار صادر بيروت ،ص446 - عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين و الموحدين ،تح ،حسين مؤنس ط1 مكتبة الثقافة الدينية 1997 ص 164.

⁴ المقري ،نفح الطيب ،ج4 المصدر السابق ص464 .

1.1. الحياة السياسية في الأندلس:

عاش الأندلس عبر مراحل التاريخة عدة تطورات بداية من الفتح الإسلامي بقيادة موسى بن نصير و طارق بن زياد و بمساعدة يوليان حاكم سبته¹، و تمكن المسلمون من فتح عدة مدن منها الجزيرة الخضراء² قرطبة³ و طليطلة⁴، ثم تواصل الفتح نحو قرمونة⁵ و إشبيلية⁶ و ماردة⁷ و في عهد عبد العزيز بن موسى تمت الفتوحات لبلاد الأندلس و أصبحت جزءا من الدولة الإسلامية، ومرت الأندلس بعد ذلك بعدة مراحل اختلفت من حيث القدرات السياسية و العسكرية تميز بعضها بالاستقرار و القوة و البعض الآخر بالضعف و الصراعات و الاختلافات السياسية و من ابرز هذه المراحل .

¹ سبته بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب و مرساها اجود مرسى على البحر تقابل جزيرة الأندلس، و هي مدينة حصينة تشبه المهديّة في افريقية، ينظر، الحميري ابو عبدالله، **الروض المعطار في اخبار الأقطار**، تح احسان عباس ط1 مكتبة لبنان بيروت 1975 م ص303 - أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1 دار صادر بيروت 1977 م ص182 .

² الجزيرة الخضراء، من احسن مدن الأندلس ارضها زراعية و بها جامع حسن البناء في وسط المدينة يعرف بمسجد الرايات، ينظر، الحميري ابو عبدالله، **الروض المعطار في اخبار الأقطار**، المصدر نفسه ص289 .

³ مدينة عظيمة على الواد الكبير و هي قاعدة الأندلس و دار الخلافة الأموية، ينظر القلقشندي ابو العباس، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5 المطبعة الأميرية القاهرة 1913 م ص226 - علي بن بسام الورداني، **الرحلة الأندلسية**، تح عبد الجبار شريف، الدار التنوسية للنشر 1984 م ص68 .

⁴ ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب**، تح، ج س كولان و ليفي بروفنسال، ج 2 ط3 دار الثقافة بيروت 1983 م ص9 - عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق ص43.

⁵ مدينة بالأندلس في شرق اشبيلية و هي مدينة كبيرة قديمة على سفح جبل عليه سور من الحجارة و هي باللتيانية "كارب مويه" و تعني صديقي، الحميري، **الروض** ص461 .

⁶ اشبيلية مدينة كبيرة بغرب الأندلس، قريبة من البحر و تتصل به عن طريق الواد الكبير، ينظر أبو عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 1 المصدر السابق ص195 .

4 الزهري ابو عبد الله، **كتاب الجغرافيا**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية بو سعيد، دت ص221 - Temps Historique Jusqu'à la M.ROSSEUW ST HILAIR .Histoire D'Espagne .Les premiers mort De FERDINAND VII -tome premier - Furnf. ET C .Libraires Editeurs -paris p 38.

1.1.1. الأندلس قبل قيام دولة بني نصر .

تبدأ هذه المرحلة بتسلم عبد العزيز بن موسى الولاية بتكليف من والده موسى بن نصير حيث عمل على تنظيم الإدارة فانتعشت الزراعة و الصناعة و التجارة في عهده ، وكان الوالي يعرف بالأمير يتبع أمير إفريقية من الناحية الإدارية¹ ، ثم تحولت الأندلس الى امارة تابعة للخلافة الأموية، وعاشت بعد ذلك الفتن والاضطرابات وانعدم الأمن و الاستقرار السياسي ، وتجددت التناقضات القبلية والعنصرية بين العرب انفسهم ثم بينهم وبين البربر، وقد تأثرت الأندلس بثورة البربر في المغرب الأقصى نظرا للترابط السياسي والاداري، وظهر تكتل الشاميين وتكتل الأندلسيين من العرب و البربر ودارت بينهم معارك كثيرة² ، وقد كان يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر الولاة الذين حكموا الأندلس في هذه المرحلة حيث سقطت الخلافة الأموية بعد ذلك في دمشق ، أما على المستوى الخارجي فقد تميز هذا العهد بالصراع مع الفرنجة في محاولة تحقيق فتح جديد وحماية حدود الأندلس وقد أبلى هؤلاء الولاة بلاء حسن في الدفاع عن الأندلس أمثال عنيسة بن سحيم الكلبي الذي استشهد في أحد المعارك مع الفرنجة³.

¹ حسين مؤنس ، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر و التوزيع ،ص65. أحمد المختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي دار النهضة العربية بيروت 1973 ،ص285. الأمير عبد العزيز ، الوجيز في التاريخ الاسلامي والمسلمين، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر بيروت 2003 م ، ص972-

Hicham Djait, La Fondation du Maghreb Islamique ,Amal Editions sfax Tunisie 2004 . p 52 .

² مؤلف مجهول ، ذكر أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها و الحروب الواقعة بها ، تح اسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989م ص45. ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ،المصدر السابق ج2 ص 32 .

³ ابن عذارى، المصدر نفسه ج2، ص27، عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس العصر الأول القسم الاول ، ط1، مكتبة العائلي القاهرة 1997م ، ص82- عبد المجيد النعني ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية بيروت (دت) ص 86 .

E Levi-Provençal . Histoire de L' Espagne Musulmane, Tome premier ,La conquête Et L'emirat Hispano-Umayyade (710 -912) Paris E-G ,Maisonneuve 1950 ,P33 .

وبعد سقوط دولة الخلافة الأموية سنة 132هـ 750 م على يد العباسيين الذين اخذوا يتعقبون الأمويين في كل مكان ، الا أن أميراً استطاع النجاة واتجه نحو المغرب وأسس دولة له في الأندلس. هذا الأمير هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد المالك بن مروان ، وبدخوله الأندلس تلقى المبايعة من أهل اشبيلية وحقق انتصارات كبيرة على حكام الأندلس ثم دخل قرطبة سنة 137هـ 756م وعلن عن قيام دولته الجديدة ،¹ وقد استمر في المرحلة الأولى بالدعاء لبني العباس لفترة قصيرة ثم قطع الدعاء لهم² ، وقد حكم عبد الرحمن مدة ثلاث وثلاثين سنة قضاها في نضال مستمر من أجل القضاء على معارضييه في الأندلس الذين كانوا يحاولون استعادة نفوذهم امثال يوسف الفهري والصميل بن حاتم ، كما تمكن من جهة اخرى من إفشال محاولة الخليفة أبي جعفر المنصور في إثارة الزعماء العرب ضد عبد الرحمن الداخل ، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 172هـ 788م³ انتقل الحكم الى هشام الأول رغم الصراع الحاد مع اخوانه ، وقد استمر في محاربة الثورات الداخلية و تمكن من إحلال المذهب المالكي مكان مذهب الأوزاعي الذي كان هو المذهب الرسمي في الأندلس ،⁴ وقد تميز هذا العهد بالاستقرار مع انتشار حضارة بلاد المشرق في الأندلس .

وبعدها تبدأ مرحلة الخلافة الأموية بتولي عبد الرحمن الثالث الحكم ، حيث عمل على استتباب الأمن وتوحيد البلاد ، وبعدها تلقب بلقب الخليفة الناصر لدين الله ،⁵ وهكذا تحولت

¹ المقري ، فح الطيب ، المصدر السابق ج 1 ص 282 - ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار إفريقية وتونس ط 2 ، تح ، محمد شمام ، المكتبة العتيقة تونس ، 1967م ص 44 - عبد الرحمان بن خلدون ، العبر المصدر السابق ج 4 ص 155 .

² ابن ابي دينار ، المؤنس ، المصدر السابق ص 44 - ابن الابار الحلة السراء ج 1 ، تح حسين مؤنس ، دار المعارف القاهرة 1983م ص 35 - احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الاندلسي ، المرجع السابق ص 208 .

³ ابن ابي دينار ، المؤنس المصدر السابق 45 - ابن خلدون ، العبر المصدر السابق ج 4 ، ص 159 - ابن الآثير عز الدين ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ، دار الكتاب العربي بيروت (دت) ص 311 - عبد المجيد نعنعي ، المرجع السابق ص 170 .

⁴ أبو بكر بن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989م ص 99 - أمير علي سيد ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت 1961م ص 396 .

⁵ ابن عذارى ، البيان المغرب ، المصدر السابق ، ج 2 ص 198 - لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، او تاريخ الإسلامية ، تح ليفي بروفنصال ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2006 م ص 29

الأندلس من إمارة الى خلافة مستقلة سياسيا وروحيا عن الخلافة العباسية ،¹ وقد استمر هذا اللقب في ذريته حتى سقوط الدولة الأموية سنة 422هـ 1031م ،وقد شهدت الأندلس في عهده نهضة عمرانية واقتصادية، فقد بنى مدينة الزهراء وجعلها دارا للخلافة كما قام بتوسيع مسجد قرطبة .
لقد تميزت مرحلة الخلافة بمواصلة الحروب ضد الممالك الإسبانية التي استغلت التفكك والاضطرابات الداخلية من اجل السيطرة على المزيد من المدن الأندلسية . هذه الاضطرابات و الصرعات الدموية بين افراد الأسرة الحاكمة ادت الى انتشار الفوضى ،وكان ذلك من اسباب نهاية الخلافة الأموية في الأندلس بخلع هشام الثالث سنة 422 هـ 1031م².

بعد زوال الخلافة الأموية انقسمت الأندلس الى طوائف متنازعة حيث ظهرت ثلاث طوائف الأولى طائفة أهل الأندلس من سكان البلاد الذين استقروا في الأندلس وأغلبهم من العرب ، و عرف هؤلاء بالجماعة³ ، واشهرهم بنو عباد في إشبيلية و بنو هود في سرقسطة ،أما الطائفة الثانية فتمثلت في المغاربة والبربر الذين انتقلوا الى الأندلس بعد الفتح و منهم الصنهاجيون خاصة واشهرهم بنو زيري في غرناطة وبنو حمود الأدارسة في مالقة⁴ ،أما الثالثة فيمثلها كبار الصقالبة الذين استقروا بشرق الأندلس واصلهم من الرقيق الذين بيعوا الى عرب الأندلس مثل مجاهد العامري .

¹ المقري ،نفتح الطيب المصدر السابق ج1 ص353 -أبو بكر بن القوطية ، المصدر السابق ص32 -مجهول ،اخبار مجموعة المصدر السابق ص121 -كمال السيد ابو مصطفى ،دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ،مركز الإسكندرية للكتاب 1997م ص56 - Francisco Codera ,Historia Arabe Espanola , Emprunta Ibérica E Mestre ,Madrid - 1917 Secundo Série p 133

² ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ج4 ص 192 -ابن الخطيب ،اعمال الأعلام المصدر السابق ص139 -الضبي احمد بن يحيى بن عميرة ،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح صلاح الهواري ،المكتبة العصرية بيروت 2005 ص36- احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الأندلسي ،المرجع السابق ص460 .

³ محمد سهل طقوش ،التاريخ الإسلامي الوجيز ،دار النفائس بيروت 2006 م ص254- ليث سعود جاسم ،ابن عبد البر وجهوده في التاريخ ط2، دار الوفاء للطباعة و النشر المنصورة 1988م ص56 .

⁴ ابن الخطيب ،اعمال الأعلام ، المصدر السابق ص144 -ابن خلدون ، العبر ،المصدر السابق ج4 ص195 - مونتغمري وات ،في تاريخ إسبانيا الإسلامية ط2،ترجمة محمد رضا المصري شركة المطبوعات للتوزيع و النشر 1998م ص202 - دينهري دوزي ،المسلمون في الأندلس ،ج2 ،ترجمة حسين حبشي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م ص139 -كمال السيد ابو مصطفى ،محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحاضراته ،مركز الاسكندرية للكتاب 2007م ص242 .

لقد ظل هؤلاء منغمسين في الصراعات و الحروب فيما بينهم في وقت نشطت فيه حروب الاسترداد خاصة في عهد ملك قشتالة الفونسو السادس الذي نجح في الاستلاء على عدد من المدن و القرى منها طليطلة قاعدة الثغر الأدنى سنة 478هـ 1085م، هذه المدينة التي تحتل مساحة واسعة وموقعا ممتازا وقد مثل هذا السقوط كارثة كبرى للمسلمين، ثم واصل الفونسو توسعه حتى وصل الى مدينة طريف في الجنوب ومنها أرسل رسالة تحد الى يوسف بن تاشفين في المغرب،¹ ونتيجة لضعف زعماء الأندلس و عدم قدرتهم على الوقوف في وجه الفونسو استنجدوا بالمرابطين في المغرب باعتبارهم أقرب قوة اسلامية من الأندلس.²

لقد وافق يوسف بن تاشفين على مساعدة اخوانه في الأندلس حيث عبر بجيوشه مضيق جبل طارق و نزل في الجزيرة الخضراء حيث لقي ترحيبا من حكام الأندلس³، ثم اتجه نحو إشبيلية وقد استطاع بالفونسو السادس عند سهل الزلاقة ودارت معركة بين الطرفين سنة 479هـ 1086م انتهت بهزيمة الفونسو⁴.

وبفضل هذا الانتصار تم انقاذ الأندلس من السقوط في يد النصارى، وساعد على تثبيت المرابطين في الأندلس الا أنه بعد عودة يوسف بن تاشفين الى المغرب عاد الأندلسيون الى الصراع و التناحر مما مكن النصارى من مواصلة العمليات العسكرية ضد المدن الإسلامية، هذا الوضع دفع بالسلطان المرابطي الى العبور ثانية و ثالثة ورابعة و تمكن من الاستلاء على عدد من المدن اهمها

¹ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق ص 97 - احمد المختار العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، المرجع السابق ص 517.

² لبن سماك، المصدر السابق ص 106 - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ص 656.

³ لبن سماك، المصدر نفسه ص 95 - ابو العباس الناصري، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 دار الكتاب الدار البيضاء 1954م ص 114 - علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 2005 م ص 33.

⁴ لبن سماك، الحلل، المصدر السابق ص 121 - ابن خلدون، العبر المصدر السابق، ج6 ص 248 - ابن ابي زرع، الأنيس المصدر السابق ص 147.

غرناطة و مالقة¹، وهكذا تمكن المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين من إحكام السيطرة على الأندلس الذي أصبح يمثل مع المغرب دولة واحدة عاصمتها مراكش، وفي سنة 500هـ 1106 م توفي يوسف بن تاشفين²، وتميز خلفاؤه بالضعف والتناحر مما مكن النصارى من استرجاع بعض المدن الأندلسية و انقسمت الأندلس مجددا الى دويلات وطوائف متنازعة أصبحت عاجزة عن رد الخطر الإسباني، وفي هذا الوقت كان الموحدون بزعمارة عبد المؤمن قد قضوا على المرابطين في المغرب ومن جديد استنجد الأندلسيون بالموحدين و دعوهم لدخول الأندلس.

ومرة أخرى عبر الموحدون الى الأندلس و تمكنوا من استرجاع عدد من المدن منها قرطبة سنة 543هـ 1148 م ثم جيان¹ ومالقة و غرناطة³، وبعد وفاة عبد المؤمن اكمل خلفاؤه السيطرة على باقي المدن خاصة في عهد السلطان يوسف وابنه يعقوب⁴.

وقد تمكن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن من تنظيم شؤون الأندلس وعين الولاية وحصن الثغور، وعقد الهدنة مع ملك قشتالة وفق شروط الموحدين⁵، الا انه سرعان ما تراجع دور هذه الدولة بسبب وصول حكام ضعاف و انتشار الخلافات و الثورات مما مكن النصارى من تحقيق عدة انتصارات على المسلمين ابرزها معركة العقاب 609 هـ 1212م⁶، هذه الموقعة كانت نتائجها

¹ الناصري، الاستقصا، المصدر السابق ج1 ص120 - لبن سماك، المصدر السابق ص136 .

² ابن ابي زرع، الانيس، المصدر السابق ص170 - لبن سماك، المصدر السابق ص146 .

³ غرناطة معناها الرمانة بلسان العجم، وهي من اعظم مدن الأندلس حسنا و تحصيلنا تعرف بدمشق الأندلس تشبها لها بدمشق اتخذها بنو الأحمر عاصمة لهم وهي آخر مدينة تسقط في يد النصارى من الأندلس، ينظر المقرئ، نفع الطيب ج1 ص147- ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تح محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة، (دت) ص12 - الزهري ابو عبد الله، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص95 - ياقوت الحموي، المصدر السابق ج4 ص195 .

⁴ ابن ابي زرع، الأنيس، المصدر السابق ص216 - ابن عذارى المراكشي، البيان قسم الموحدين، ص105 .

⁵ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6 ص329 - ابن عذارى البيان، المصدر السابق ص106 - عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص360 .

⁶ ابن ابي زرع، الانيس المصدر السابق، ص238 - المقرئ، المصدر السابق ج1 ص343 - عبد الواحد المراكشي، وثائق

المصدر السابق ص164 - عز الدين عمر احمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ط1، دار الشروق بيروت 1983 م ص78 محمد علي الصلابي، التاريخ الإسلامي ج2 ط1، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة 2007 م ص546

حاسمة على الأندلس حيث توالى الهزائم وسقطت معظم المدن الأندلسية وفي هذه الظروف قامت دولة عربية في جنوب الأندلس ظلت تقاوم طيلة قرنين ونصف من الزمن .

2.1.1 عهد الدولة النصرية :

بعد هزيمة العقاب و تدهور الأوضاع في الأندلس بسقوط معظم المدن في يد النصارى قامت دولة عربية في الجنوب بقيادة محمد بن يوسف بن نصر والذي عرفت أسرته بابن الأحمر .

1-1-2-1-1- نسب بني نصر : ينتسب بنو نصر الى مؤسس الدولة أبي عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي ، الذي يرجع في نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري أحد كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم¹، ولد في مدينة أرجونة من حصون قرطبة سنة 591هـ 1195 موقد ساعدته صفاته التي قال عنها ابن الخطيب أنه " كان آية في السداحة و السلامة ،عظيم التجلد رافضا للدعة و الراحة ،مؤثرا التقشف بعيدا من التصنع شديد الحزم فضا في طلب حقه مباشرة للحرب بنفسه"².

كما كان سياسيا ماهرا شجاعا³، وقد انتهج ابن الأحمر سياسة الحزم والعدل في الرعية اذ كان يعقد للناس مجلسا عاما يومين كل أسبوع ترتفع اليه التظلمات ويشافهه طلاب الحاجات وينشده الشعراء

¹ ابن الخطيب ،الاحاطة ،ج2،المصدر السابق ص92 - ابن الخطيب ،اللمحة البدرية ،المصدر السابق ص21 - ابن خلدون ،العبر ،ج4 المصدر السابق ص218 -محمود مقيدش ،نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار،ج1 ط1،تح علي الزاوي محمد محفوظ ،دار الغرب الاسلامي بيروت 1988 م ص537.

M. de Manles , M. Joseph Conde , Histoire de la Domination des arabes et les Maures en Espagne et en Portugal, tome 3, Alexis Eymery libraire, paris 1825 p24.

² ابن الخطيب ،اللمحة البدرية ،المصدر السابق ،ص30 .

³ المقرئ ،النفع ،ج1 ص447 - ابن خلدون ،العبر ج4 ،ص218 - عبد الحكيم الدنون ،آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي و الحضاري ط1،دار المعرفة دمشق 1988 م ص39 .

وتدخل اليه الوفود¹ ، كما تلقب بالغالب بالله وتولى بنفسه الشؤون المالية وسك العملة وشهد عهده ازدهارا اقتصاديا كبيرا وامتلات الخزائن بالمال و السلاح² .

1-1-2-2 تأسيس الدولة : بعد ضعف الدولة الموحدية تجددت الاضطرابات و الثورات

والانقسام حيث ظهر بنو مردنيش في بلنسية و بنو هود في مرسية³ ، وتمكن هؤلاء من السيطرة على الأندلس ، في هذا الوقت ظهر محمد بن الأحمر الذي تسلم إمارة أرجونة سنة 629 هـ 1232 هـ ثم دخلت مدينتا وادي آش⁴ وجيان في طاعته 633 هـ 1233 م⁵ ، وبعدها عقد معاهدة سلام مع مملكة قشتالة لمدة عشرين سنة استغلها في تثبيت دعائم دولته و تحصينها من الأعداء⁶ ، وفي سنة 634 هـ 1237 م ثار أهل غرناطة ضد بني هود و أعلنوا طاعتهم لبني الأحمر الذي دخل غرناطة وجعلها حاضرتة ومقر حكمه ، ولما قتل ابن هود في ألمرية⁷ في ظروف غامضة بعد مؤامرة حيكت له من قبل والي المدينة سنة 635 هـ 1238 م

¹ ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ص 31 - ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج 2 ص 95 .

² ابن الخطيب ، نفسه و نفس الصفحة .

³ مدينة بناها عبد الرحمان ابن الحكم على نحر كبير بما جامع و اسواق عامرة و اشتهرت بصناعة الزجاج ، ينظر الحميري ، المصدر السابق ، ص 539 - أحمد المهدي الغزال ، رحلة الغزال وسفاراته للأندلس ، تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 م ص 176 .

⁴ مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة وهي عبارة عن رصيف تجتمع فيه طرق كثيرة مشيدة بين الجبال ، ينظر الإدريسي ، المغرب و أرض السودان ومصر و الأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، تح رينهارت دوزي ودوكوغ ، مطبعة بريل ليدن 1866 ص 203 - ابن الخراط ومحمد الرشاطي ، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تح اميليو مولينا وخاينيتو و بوسك بيلا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد 1990 ص 90 .

⁵ Rachal Arie, Historia y Cultura de la Granada Nazari ,Biblioteca de bolsillo Granada 2004 p21 .

⁶ ابن عذارى المراكشي ، البيان قسم الموحدين ، ص 296 - ابن الخطيب ، اللمحة المصدر السابق ص 36 .

⁷ هي احدى مدن الأندلس الكبيرة الواقعة على ساحل البحر وهي مرسى للسفن القادمة للأندلس . ينظر ابن الخراط المصدر السابق ص 59 .

اغتم محمد بن يوسف هذه الاضطرابات و دخل المدينة¹، ثم أعلنت مالقة ولاءها لبني نصر 636هـ 1239 م وهكذا ارتسمت حدود مملكة غرناطة التي جمعت أشلاء الأندلس المنهارة ، هذه المملكة التي امتدت من جيان وبياسة² حتى البحر وشرقا حتى المرية وغربا حتى الوادي الكبير³.

ويمكن للمسافر ان يجتاز هذه المملكة مشيا على الأقدام من الشمال الى الجنوب في عشرة أيام ومن الشرق الى الغرب في ثلاثة أيام⁴، وقد كانت تشتمل على ثلاث ولايات كبرى، ولاية غرناطة في الوسط وممتدة جنوبا حتى البحر وأهم مدنها غرناطة ووادي آش وبسطة ثم ولاية المرية التي تمتد من مرسية حتى البحر وأهم مدنها المرية وبيرة والمنصورة، اما ولاية مالقة التي تقع غرب غرناطة فأهم مدنها مالقة وبلش وقمارش ورندة ويلحق بها منطقة جبل طارق و الجزيرة الخضراء و طريف⁵، وبعد ان تمكن محمد بن يوسف من بناء أسس الدولة القوية عقد البيعة لابنه محمد الثاني و في سنة 671هـ 1272م توفي السلطان محمد بن يوسف ودفن بجوار قصره⁶.

لقد استمرت هذه المملكة اكثر من قرنين من الزمن والتي شهدت الفصول الأخيرة من الوجود العربي في إسبانيا، وهناك عوامل كثيرة ساعدت هذه المملكة على الصمود منها، الموقع الجغرافي في الزاوية الجنوبية لشبه الجزيرة الأندلسية و قربها من بلاد المغرب، وكذلك ظهور دولة بني مرين في المغرب

¹ ابن خلدون، العبر المصدر السابق ج4 ص218 - يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجبل بيروت 1993 ص 18.

² مدينة على نهر اشيلية طيبة الارض كثيرة المزارع، القلقشندي، صبح الأعشا، المصدر السابق ج5 ص229.

³ يوسف شكري، المرجع السابق ص9 - حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج2، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ص199.

⁴ يوسف شكري نفس المرجع ونفس الصفحة.

⁵ عبد الله عنان، دولة الإسلام القسم الاول المرجع السابق ص56.

⁶ ابن الخطيب، الملحمة البدرية المصدر السابق ص36 - ابن الخطيب الإحاطة ج2 ص100 - المقري، النفع المصدر السابق السابق ج1 ص449.

الأقصى و المساعدات الكبيرة التي قدمها سلاطين بني مرين لنصرة اخوانهم في الأندلس¹، ومن العوامل هجرة المسلمين الاندلسيين من مدتهم الى غرناطة فكثر أهل المهارات في شتى الميادين العسكرية و الاقتصادية و الدينية والسياسية فأضافت قوى أخرى الى غرناطة، إضافة الى حب الجهاد في سبيل الله والذي كان له الأثر البارز في الصمود و التصدي، كما ان براعة حكام غرناطة واستفادتهم من الصراع بين الممالك النصرانية قد زاد في استمرار هذه المملكة².

1-1-2-3 سلاطين بني نصر : بعد وفاة محمد الأول مؤسس الدولة سنة 671هـ 1273م خلفه ابنه محمد الثاني الملقب بالفقيه³، والذي سعى منذ البداية الى الارتباط بروابط الصداقة و التعاون مع بني مرين، وتمكن من القضاء على الفتن بفضل ما تميز به من الدهاء و الصبر و الحزم⁴، لقد سار محمد الثاني على سنن والده من مصانعة الأقوياء و مداراة الأعداء، فقد تحالف مع المرينيين ثم مع النصارى ومع الزيانيين أعداء المرينيين وتمكن بهذه السياسة من الحفاظ على مملكته التي شهدت في عهده ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا حيث نظم الدواوين والجباية وشجع العلماء و الأدباء و الأطباء، و قد توفي محمد الفقيه في شعبان 701هـ 1302م بعدما حكم تسعا و عشرين سنة⁵، وخلفه ابنه محمد الثالث اللقب بالمخلوع ومن اهم اعماله بناء مسجد الحمراء وشهد عصره ازدهار صناعة السفن وتشكلت قوة بحرية تحكمت في مضيق جبل طارق⁶، وبسبب سياسته الخارجية خاصة مع بني مرين اضطر الى التنازل عن الحكم لأخيه أبي الجيوش نصر الذي كان أديبا عالما، تميز

¹ ابن الأحمر ابو الوليد، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1962 م ص 17- ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2 ص 98.

² حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، هيئة الكتاب، القاهرة 2004 م ص 444- على محمد الصلابي، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق ص 559.

³ محمد الفقيه بن محمد بن يوسف لقب بالفقيه لغزارة علمه و تقواه كما كان اديبا عالما يقرض الشعر و يؤثر مجالسة العلماء و الأدباء، ينظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق ج 2 ص 277- عبد الله عنان، دولة الاسلام القسم الربع نهایة الاندلس، المرجع السابق، ص 94.

⁴ ابن خلدون، العبر ج 4 ص 220- ابن الخطيب، اللمحة البدرية ص 38.

⁵ ابن الخطيب، اللمحة المصدر السابق ص 45- أمير علي، المرجع السابق ص 445.

⁶ ابن الخطيب، اللمحة المصدر نفسه ص 53.

عهده بمحاربة الثائرين على حكمه في الداخل و الخارج خاصة عندما تحالف ملك قشتالة وأرغون ضد غرناطة¹.

وفي سنة 712هـ 1312 م انتقل الحكم الى أبي الوليد اسماعيل خامس ملوك بني نصر الذي كان عفيف النفس حيث نشر العدل في الرعية و اجتهد في الدفاع عن مملكته كما حارب البدع و الخرافات ، وكان قليل التطرق الى أمور الدين له قول مشهور في اصول الدين حيث قال " أصول الدين عندي قول هو الله أحد (السورة) وهذا " وأشار الى سيفه².

لقد شهد عصر هذا السلطان عدة أحداث أبرزها حربه مع مملكة قشتالة 716هـ 1316 م وقد حقق انتصارات عديدة بسبب حنكة شيخ الغزاة عثمان بن ابي العلاء³، وفي سنة 725هـ 1325 م قتل أبو الوليد على يد ابن عمه محمد بن إسماعيل بسبب خلاف حول جارية ظفر بها في إحدى المعارك⁴، ثم خلفه محمد الربع بن إسماعيل الذي كان فارسا شجاعا حتى التهور وكان يجب يجب الأدب و يرتاح للشعر وقد ثبت أبو العلاء في قيادة الجيش رغم خلافه مع وزيره محمد بن أحمد المحروق⁵، وقد تعرضت المملكة في عهده الى غزو ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة فاستنجد محمد الرابع بملوك المغرب فأمدته أبو سعيد المريني بجيش ضخم ابعده به النصرى ، اما نهايته فكانت على يد احد الجنود المغاربة عندما كان عائدا من حملته على جبل طارق سنة 733هـ 1333 م⁶.

لقد تميز الوضع في الأندلس بعد ذلك بالضعف و ظهور الفتن الداخلية واشتداد الخطر النصراني ويعود هذا الوضع الى ضعف الحكام وعدم اهتمامهم بالأمور الاساسية ،ومن مظاهر ذلك الضعف

¹ ابن الخطيب ،اللمحة ، نفسه ص 62 -يوسف شكري ، المرجع السابق ص32

² ابن الخطيب ،اللمحة البدرية ، نفسه ، ص 71 .

³ المقرئ ،النفح ج 1 المصدر السابق ص50 - حسين مؤنس ،موسوعة تاريخ الأندلس ص200 .

⁴ ابن الخطيب ،اللمحة المصدر السابق ص74 .

⁵ ابن الخطيب ،المصدر نفسه ص80 - ابن الخطيب ،الاحاطة ج 1 ص535 .

⁶ ابن الخطيب ، اللمحة ص 83 .

و الفوضى أن معظم السلاطين كانت نهايتهم إما القتل أو الخلع ، كما تتميز الوضع بصفة عامة إما بالتحالف مع النصارى أو الاستنجد بالمرينيين .

1-1-2-4 نهاية دولة بني نصر :لقد تميزت المراحل الاخيرة من عمر الدولة بالضعف و التراجع وكثرة المؤمرات التي كانت تنتهي في اغلب الأحيان بقتل الحكام أو عزلهم ،وفي عهد أبي الحسن علي 866 هـ 1463 م انقسمت غرناطة الى دولتين ،أبو الحسن في غرناطة و الزعل أبو عبد الله في مالقة والذي كان يتلقى المساعدة من ملك قشتالة ¹ .

وما ميز هذا العهد ايضا تأثير حريم السلطان على الأوضاع السياسية ومن ذلك ظهور صراع صريح بين زوجة ابي الحسن العربية عائشة الحرة² وزوجته الإسبانية حيث سعت كل واحدة الى إسناد الحكم لابنها ، هذه الصراعات وتحالف بعض الحكام مع النصارى أدى الى ضعف الدولة و سقوط معظم المدن الأندلسية في يد الإسبان ولم يبق الا غرناطة ،وفي هذه الأثناء طلب الإسبان من السلطان أبي عبد الله تسليم المدينة وفق شروط معينة الا أنه رفض فقام فرديناند بحصار المدينة لمدة سبعة أشهر افشل فيها المسلمون عدة محاولات لاقتحام المدينة ³ ،وعندما عم اليأس وانتشر الجوع و المرض بعد أن قتل المؤمن بسبب انعدام وصول الإمدادات من خارج المدينة بسبب الحصار ، وأمام هذه الأوضاع اتفق أعيان المدينة على تسليمها الى النصارى الا القائد موسى ابن ابي غسان فإنه رفض وقال قوله المشهور " أتركوا العويل للنساء و الأطفال ،فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لإرسال الدمع ،ولكن لتقطر الدماء ... " ⁴ .

¹ المقرئ ،النفح ج4 المصدر السابق ص522 .

² عائشة الحرة ابنة ابي عبد الله الأيسر التي تزوجها أبو الحسن الغالب بالله ،ينظر المقرئ ،النفح ج4 ص290 - محمد لبيب البتنوني ،رحلة الأندلسيين ،مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد 1998م ص151 - يوسف شكري ،المرجع السابق ص47 .

³ المقرئ ،النفح المصدر السابق ج 4 ص523 -أمير علي سيد ،المرجع السابق ص455 .

⁴ عبد الحكيم الدنون ،المرجع السابق ص 51 .

وفي الخامس و العشرين من شهر نوفمبر سنة 897هـ 1491 م وبعد مفاوضات شاقة تم توقيع معاهدة التسليم¹ والتي تضمنت عدة شروط منها، إطلاق سراح الأسرى المسلمين و تأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم و احتفاظهم بشريعتهم و قضائهم و تأمين حرية الدين و الشعائر و الحفاظ على المساجد والسماح لمن اراد أن يغادر من المسلمين الى المغرب في سفن ملك النصارى لمدة ثلاث سنوات ، كما يمنع على النصارى دخول المساجد ، و منح المسلمين حق التقاضي وفق الشريعة الاسلامية² ، وهكذا فتحت المدينة ابوابها 898هـ 1492 م ودخلها الملك فرديناند والملكة إزبيلا ، ورفع النصارى فوق برج الحمراء صليبا فضيا وبدأ فصل جديد من المعاناة ونكث العهود، وخرق بنود اتفاقية غرناطة، وفي نفس اليوم غادر أبو عبد الله الصغير قصره في موكب حزين ومعه أهله نحو منطقة البشرات وقف على هضبة وألقى نظرة أخيرة على غرناطة فأنهمر دمه وأجهش باكيا فقالت له أمه عائشة "أبك كالنساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه كالرجال"³ ، ثم رحل الى فاس وتوفي سنة 940 هـ 1535 م والبقاء لله⁴ .

وبعد هذا السقوط تواصلت مأساة المسلمين في الأندلس حيث نقض النصارى شروط معاهدة التسليم ومنعوا المسلمين من كل شيء حتى الحديد بالعربية وأحرقوا الكتب العربية ، ثم ظهرت محاكم

¹ مؤلف مجهول ، آخر أيام غرناطة ، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر ، تح محمد رضوان الداية ، دار الفكر دمشق 2002 ص 103 - واشنطن ايرقغ ، أخبار سقوط غرناطة ، ط1 ، ترجمة هاني يحي نصرى ، مؤسسة الإستشار العربي بيروت 2000 م ص 402

² المقرئ ، النفع ج 4 ص 525 - مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، المصدر السابق ص 105 - المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار عياض ج 1 ، تح مصطفى السقا ابراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة القاهرة 1939 م ص 65 - حسن الشطشطا ، نهاية الوجود العربي في الأندلس ، دار قباء للطباعة و النشر القاهرة ، ص 62 - علي منتصر الكتاني ، المرجع السابق ص 429 .

³ أمير علي ، المرجع السابق ص 458 - محمد علي الصلابي ، التاريخ الإسلامي ، المرجع السابق ص 582 - جمال يحيوي ، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين ، دار هومة للطباعة و النشر الجزائر 2011 م ، ص 38 .

⁴ المقرئ ، النفع ج 4 المصدر السابق ص 529 - المقرئ ، أزهار الرياض ، ج 1 المصدر السابق ص 67 - عبد الوهاب بن منصور ، حول مدفن السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك غرناطة ، الموريسكيون في المغرب ، الندوة الثانية شفشاون 2000 م ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2001 م ، ص 38 .

التفتيش التي كان هدفها تنصير المسلمين بإشراف الكنيسة¹، هذه المأساة دفعت جموع المسلمين الى الهجرة نحو البلاد الإسلامية في المغرب و المشرق واخفى من بقي اسلامه وأظهر تنصره، وهكذا انطفأ الإيمان و الإسلام في الأندلس وحلت النواقيس و الصلبان في صوامع المساجد بدل الأذان " واذا ارد الله بقوم سوءاً فلا مرد له " ² .

وقد نظم الشاعر أبو البقاء الرندي قصيدة نونية في رثاء الأندلس عبر فيها بصدق عن المأساة التي لحقت بالأندلس مطلعها

للكل شئبي إذا ما زاد نقصاناً	فلاً يغتر بطيب العيش إنسان
هي الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وأنهدّ ثهلاً
أصابتها العين في الإسلام	حتى خلت منه أقطار وبلدان
فَسأل بلنسية ما شأن مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شأن
حتى المساجد قد سارت كنائس	ما فيهن إلا نواقيس و صلبان ³ .

لقد ساهمت عوامل كثيرة في سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس فمنها ما تعلق بسياسة حكام غرناطة و تخليهم عن الأمور الجدية و ميلهم الى الترف و الشهوات، أو ما تعلق بالظروف المحيطة

¹ المقري، ازهار الرياض ج 1 ص 70 - مؤلف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق ص 109 - جمال يحيوي، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين، المرجع السابق ص 67 - شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، ويله أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، مؤلف مجهول، مطبعة الميناء مصر 1935 م ص 352 .

² سورة الرعد، الآية 12.

³ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، حسان عباس، دار الثقافة بيروت 1997 م ص 112 - المقري، ازهار الرياض، ج 1 ص 47 - شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس ويله أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر لمؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 116 - أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، ط 3، دار المعارف القاهرة 1987 م ص 315 .

و المتمثلة في تفكك بلاد المغرب الى دويلات متصارعة فيما بينها و بالمقابل تحالفت الممالك النصرانية خاصة مملكة قشتالة و أراغون ،هذه العوامل عجلت بسقوط الأندلس في يد النصارى و تعرض المسلمون الى أنواع شتى من التعذيب و التنصير ،وانتهت المرحلة الإسلامية في الأندلس والتي عرفت خلالها ازدهارا حضاريا كبيرا .

1-2-1 الدولة المرينية في المغرب الأقصى .

1-2-1 أصل بني مرين :

يعود المرينيون بنسبهم الى قبيلة زناتة البترية وهم من ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن ابراهيم بن شحيج بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زاكيا بن ورسيد بن زنات بن جانا بن يجيا بن تمزيت بن ضريس ،وهو جالوت ملك البربر، بن رجيج بن مادغيس الأبتز بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،ومن زنات تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريجون¹ . وقد تعددت مواطن بني مرين قبل دخولهم المغرب نظرا لطابع البداوة الذي غلب على حياتهم ،حيث كانوا ينتقلون من مكان الى آخر وكانت حرفتهم الرئيسية الرعي و الخيل و الإبل² ، ويرى ابن ابي دينار ان بني مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية و ينتقلون من مكان الى مكان و جل أمواهم الإبل و الخيل و طعامهم اللحوم و التمر و دخلوا بلاد المغرب سنة عشر و ستمائة³ ،اما ابن خلدون فبرى ان موطنهم من فكيك الى سجلماسة في الجنوب ،ومن فكيك الى ملوية في الشمال ،ويتقدمون شرقا الى بلاد الزاب⁴ .

¹ ابن ابي زرع الأنيس ،المصدر السابق ص278 - ابن ابي زرع الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972 ،ص14 - مؤلف مجهول ،الحلل الموشية ،المصدر السابق ص187 .

² ابن ابي دينار ،المؤنس ،ص146- إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ من المرينيين الى نهاية السعديين ،ج2 ،دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1978 م ص12 .

³ ابن ابي دينار نفسه ص147 - محمد عيسى الحريري ،تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني ط 1، دار القلم للنشر و التوزيع الكويت 1987 م ص5 .

⁴ ابن خلدون ،العبر ،المصدر السابق ،ج7 ص221 .

أما ابن مرزوق فيرى أنهم ملكوا أراضي واسعة من بلاد الجريد الى المغرب وتوسعوا في بلاد الزاب وتاهرت وجهات من تلمسان¹. أما صاحب الحلل الموشية فيرى أن " أصل بني مرين من أحواز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان ، وكان وطنهم ما بينها وبين تاهرت من شرقها"²، وهذا يعني أن القبائل المرينية كانت الى الشرق من تلمسان في اتجاه تاهرت ثم تقدمت نحو بلاد الزاب و الجريد وبعد ذلك نزحت في اتجاه الغرب نحو المغرب الأقصى ، فهم من القبائل البدوية المتنقلة في المناطق الداخلية و الصحراوية يدخلون المغرب في فصل الصيف لرعي أنعامهم ثم يعودون الى بلادهم اذا توسط الخريف .

1-2-2 بنو مرين في المغرب .

كانت قبيلة بني مرين تضم قسمين بني عسكر وبني حمامة وكان زعيمهم من بني عسكر وهو الأعدر بن العافية بن عسكر الملقب بالمخضب ، وكان زعيما قويا موهوب الجانب قاد قبيله الى تحقيق انتصارات كبيرة وسيطر على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب مما اضطر المرابطين الى مصانعتة و مهادنته³، وبعد أن ظهر الموحدون وسيطروا على بلاد المغرب رفض المرينيون الخضوع لنفوذهم و عادوا الى القفر⁴، وبالتالي فقد تميزت علاقتهم بالموحدين بالصراع والتنافس ، لذلك عندما تمكن عبد المؤمن من السيطرة على تلمسان و الاستلاء على أموال و ذخائر المرابطين وبعث بها الى مركز دولته وعندما علم المرينيون بذلك قام المخضب باعتراض طريقهم وتمكن من الاستلاء على تلك الأموال في منطقة وادي تلاغ ، مما دفع بعبد المؤمن بن علي الى ارسال جيش بقيادة عبد الحق بن معاذ الزناتي

¹ ابن مرزوق الخطيب ،المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن ،تح ماريا خيسوس بيفيرا ،الطبعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 م ص110 - الشريف الإدريسي ،المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ،المصر السابق ص88 .

² ابن سماء العاملي ،الحلل ،المصدر السابق ص185 .

³ ابن ابي زرع ،الذخيرة ،المصدر السابق ص20 - ابن الأحرر ، روضة النسرين في دولة بني مرين ،المصدر السابق ص13 .

⁴ ابن خلدون ، العبر ج7 المصدر السابق ص222 - حسين مؤنس ،تاريخ المغرب وحضارته ج2 ،العصر الحديث للنشر و التوزيع بيروت 1992 م ص13 .

العبد الوادي فدار بين الطرفين قتال كبير انهزم فيه المرينيون وقتل المخضب سنة 540 هـ 1146م¹ و بعده تولى رئاستهم أبو بكر بن حمامة ثم ابنه محيو الذي شارك مع يعقوب المنصور الموحي في معركة الأرك بالأندلس ، و اصيب بجروح عميقة كانت سببا في وفاته بعد عودته الى بلاده سنة 592 هـ 1196م².

لقد اعتاد بنو مرين على دخول المغرب من أجل الحصول على الأعلاف و رعي أغنامهم ثم يعودون الى بلادهم ،وبعد ضعف الدولة الموحدية و انكسارها في معركة العقاب وخاصة عندما تولى الحكم يوسف المنتصر بالله بن الناصر وهو صبي صغير حيث مال الى اللهو و الترف واصبح الحكم في يد وزرائه فعم الفساد ،في هذه الأثناء دخل المرينيون بلاد المغرب فوجدوه قد أصابه الخراب و الدمار فبعثوا الى إخوانهم للحاق بهم خاصة وأنه ليس بها من يصدهم أو ينازعهم فيها³،فانتشروا في أنحاء المغرب ومن دخل في طاعتهم تركوه و من رفض قاتلوه ،وقد حاول يوسف المنتصر محاربتهم و استئصالهم من المغرب الا أن الجيش الموحي مني بهزيمة كبرى مكنت بني مرين من اكتساب قوة كبيرة⁴،ومن خلال هذه القوة تمكن بنو مرين من فرض سيطرتهم على مناطق واسعة من المغرب الأقصى .

1-2-3 . قيام الدولة المرينية:

عندما توفي السلطان أبو خالد محيو بن أبي بكر سنة 592 هـ 1196 م تولى زعامة بني مرين ابنه أبو محمد عبد الحق الذي كان مشهورا بالصلاح و الفضل والدين موصوفا بالعدل يساعد المساكين

¹ ابن خلدون ، العبر ج 7 ص 222 - الناصري ، الإستقصا ، ج 3 المصدر السابق ، ص 4 .

² الناصري ، الاستقصا ، ج 3 ص 4 - ابن ابي زرع ، الأنيس ، المصدر السابق ص 285 - ابن الأحمر ، روضة النسرين ، المصدر السابق ص 23 - ابن مرزوق ، المسند ، المصدر السابق ص 111 .

³ ابن ابي زرع ، الأنيس ، ص 282 - ابن ابي زرع ، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ، المصدر السابق ص 24 - حسين مؤنس ، تاريخ المغرب ، المرجع السابق ص 118 .

⁴ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، المصدر السابق ص 284 - الناصري ، الإستقصا ج 3 ص 6 .

و ينفق على الفقراء¹، وقد كان يدعو دائما الى توحيد صفوف بني مرين و من قوله " يا معشر بني مرين أما ما دمتم في أمركم مجتمعين و في آرائكم متفقين و كنتم على حرب اعدائكم أعوانا و في ذات الله إخوانا فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب و ان اختلفت أهواؤكم و تشتت آراؤكم ظفر بكم أعداؤكم".² وقد شهد عهده توسع المرينين في بلاد المغرب خاص بعد هزيمة الموحدين في عهد السلطان المنتصر بن الناصر الموحد سنة 613 هـ 1276 م و حصل المرينيون على غنائم كثيرة حيث جردوا اعداءهم من كل شيء حتى لم يجدوا ما يسترون به انفسهم الا نبات المشعلة³.

و بعد هذا الانتصار واصل المرينيون زحفهم نحو بلاد المغرب حيث استولى عبد الحق بن محيو على رباط تازا⁴ و في هذا الوقت حدث خلاف داخل الأسرة المرينية بين بني حمامة و بني عسكر خاصة عندما لجأ بنو عسكر للاستعانة بعرب رباح حلفاء الموحدين، وهذا ما يبين تدخل الموحدين في هذا الصراع و قد دارت مواجهات و معارك عنيفة بين الطرفين قرب وادي سبو⁵ على أميال من تافرطاست، و في هذه المعركة قتل عبد الحق و ابن ادريس فغضب بنو مرين و أقسموا على الثأر و الانتقام من أعدائهم⁶، لذلك زحفوا على رباح و أبناء عموماتهم حلفائهم و قتلوا منهم عددا كبيرا و غنموا كل أموالهم و متاعهم و أرغموهم على دفع ضريبة سنوية⁷، و بعد مقتل عبد الحق خلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي تمكن من توسيع سلطته حيث دخلت في طاعته قبائل عديدة منها هوارة

¹ ابن ابي زرع، نفسه ص 185 .

² ابن ابي زرع، الذخيرة، المصدر السابق ص 32 - عيسى الحريري، تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص 10 .

³ المشعلة نبات في المنطقة استعمله الموحدون كلباس بعد هزيمتهم فسمي هذا العام بعام المشعلة و حتى المعركة سميت بمعركة المشعلة، ابن ابي زرع، الأنيس ص 284 - ابن خلدون، العبر ج 7 ص 225 - مارمول كاربخال، افريقيا، ج 1 ترجمة محمد حجي و أخارون، مكتبة المعارف الرباط 1984 م ص 273 .

⁴ ابن ابي زرع، الذخيرة، ص 32 .

⁵ نهر يجري على بعد ستة أميال من فاس ينظر الادريسي، المغرب و أرض السودان، المصدر السابق ص 79 - حسن الوزان، وصف افريقيا ج 2، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ط 2 دار الغرب الإسلامي 1983 م ص 248 - مارمول كاربخال، المرجع السابق ج 2 ص 283 .

⁶ ابن خلدون، العبر ج 7 ص 225 - ابن ابي زرع، الذخيرة ص 33 .

⁷ ابن ابي زرع، الأنيس ص 286 - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب، المرجع السابق ص 12 .

وزكارة ومكناسة وبطوية ومطلاسة وكزناية وبنو واسليت وبنو بحر وقبائل أخرى كثيرة ، كما تمكن من فتح عدة مناطق مثل بني كانون وجبل زرهون و بلاد أوربة وصنهاجة و أرغم كل قبيلة على دفع الخراج¹ ، وبذلك استطاع أن يؤسس لبني مرين دولة قوية امتدت في أيامه من وادي ملوية الى رباط الفتح وفي سنة 638 هـ 1239 م قتل أبو سعيد عثمان في ظروف غامضة من طرف علع من عبيده².

خلف أبا سعيد أخاه محمد بن عبد الحق 637 هـ 642 هـ-1232 م 1244 م³، وقد واصل هذا السلطان نهج سلفه في توسيع رقعة الدولة و تقوية كيانها ، حيث توسع في المناطق الشمالية و أخضع معظم القبائل وفرض عليهم الضرائب ، ثم عمل على مواصلة محاربة الموحدين و اضعافهم حيث تحالف مع المنشقين عن الخليفة الموحي الرشيد و ضمهم إليه و أكرمهم و أحسن إليهم⁴، وبذلك فقد شارك في تأسيس الدولة المرينية رغم أن عهده تميز بظهور شقاق داخل البيت المريني حيث تحالف الموحدون مع بني عسكر ولكنهم انهزموا و أتباعهم أمام القوات المرينية بالقرب من سلفات⁵.

ورغم هذه الهزيمة الا أن شوكة الموحدين لم تنكسر ففي عهد أبي الحسن السعيد خليفة الرشيد قاد جيشا لقتال بني مرين سنة 642 هـ 1244 م وتمكن من هزيمتهم وقتل محمد بن عبد الحق في إحدى المعارك قرب فاس مما اضطرهم الى الانسحاب نحو الصحراء⁶.

وبعد محمد بن عبد الحق تولى رئاسة بني مرين أبو بكر بن عبد الحق الذي تمكن بفضل حنكته السياسية من تنظيم قبائل بني مرين حيث قسم البلاد الى مقاطعات إدارية وولي على كل منها إحدى

¹ ابن خلدون ، العبر ج 7 ص 226 - ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق ص 14 .

² ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، المصدر السابق ج 4 ص 411 . - ابن سماك ، الحلل ، المصدر السابق ص 263 .

³ ابن الأحمر ، روضة النسرين ، المصدر السابق ص 16 - ابن ابي زرع ، الذخيرة ، المصدر السابق ص 59 .

⁴ ابن ابي زرع ، الذخيرة ، المصدر السابق ص 60 - محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ص 16 .

⁵ ابن ابي زرع ، نفس المصدر ص 60 - عبد الله عنان ، دولة الإسلام ج 4 المرجع السابق ص 96 .

⁶ ابن خلدون ، العبر ج 7 ص 227 - ابن ابي زرع ، الأنيس ، ص 290 .

قبائل بني مرين ومنح لهم حرية كاملة في استقلالها وفي تحصيل الضرائب¹، ومن أعماله أنه خلع طاعة الموحدين و أعترف بسلطة الحفصيين وبايعهم محاولا استغلال الخلافات التي كانت قائمة بين الموحدين و الحفصيين ، كما تمكن من الاستلاء على مكناسة ثم حاصر فاس ودخلها سنة 648 هـ 1250 م وبايعته معظم مناطق المغرب² ، وبعد هذه الانتصارات اتخذ من فاس عاصمة له .

وبعد وفاته خلفه أخوه أبو يوسف يعقوب والذي تميز عهده بالمشاكل الداخلية و الخارجية فقد نشبت الحرب بين بني مرين ويغمراسن زعيم بني عبد الواد ، كما تمكن هذا السلطان من العبور الى الأندلس لمحاربة النصارى استجابة لطلب العون من بني الأحمر³، وفي نفس الوقت تمكن أيضا من القضاء على الموحدين أواخر سنة 667 هـ 1269 م في موقعة وادي عفو بين فاس و مراكش حيث قتل أبا دبوس الوثائق بالله واستولى أبو يوسف على معسكرهم و مؤنهم وخزائنهم ثم سار الى مراكش ودخلها سنة 668 هـ ، وبذلك سقطت مراكش في يد المرينيين⁴، وانتهت دولة الموحدين في المغرب وقامت مكانها دولة بني مرين .

لقد مرت الدولة المرينية بثلاث مراحل ، مرحلة التأسيس ومثلها عدد من السلاطين بداية من الأمير عبد الحق بن محيو 592هـ 614هـ - 1195 م 1217 م ثم أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وأبي معرف محمد بن عبد الحق ثم أبي بكر بن عبد الحق الذي تمكن من الاستلاء على فاس ، ثم خلفه يعقوب بن عبد الحق والذي تم في عهده فتح مراكش وإتمام ما بقي من بلاد المغرب ودخوله في صراع مع الإسبان⁵ .

¹ ابن خلدون ، نفسه ونفس الصفحة - الناصري ، الإستقصا المصدر السابق ج3 ص11 - ابن ابي زرع ، الأنيس ص291 .

² ابن خلدون ، المصدر السابق ص230 - عبد الله عنان دولة الإسلام ، المرجع السابق ص96 - روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فراكلين للطباعة و النشر بيروت 1967 م ص25 .

³ ابن ابي زرع ، الأنيس ص303 - عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، المرجع السابق ص98 .

⁴ ابن ابي زرع ، الذخيرة ، المصدر السابق ص118 - الناصري ، الإستقصا ، المصدر السابق ج3 ص27 - روجيه لوتورنو ، المرجع السابق ص26 محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب ، المرجع السابق ص35 .

⁵ ابن ابي زرع ، الأنيس ص313 - ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق ص22 .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة القوة والاستقرار والتي امتدت من عهد السلطان يوسف بن يعقوب 683 هـ 1307 هـ -1286 م الذي تمكن من القضاء على الثورات العديدة وعرفت هذه المرحلة استمرار الصراع مع الزيانيين ومع النصارى في الأندلس ، واستمرت الى عهد السلطان ابي عنان بن أبي الحسن والذي في عهده تمت السيطرة على المغرب الأوسط ، وبوفاته تبدأ مرحلة الضعف بداية من السلطان ابي بكر السعيد 759 هـ 760 هـ - 1357 م ، 1358 هـ حيث بدأت الفتن والصراع على العرش وتحكم الوزراء في مقاليد السلطة كما هو الحال للوزير الحسن بن عمر الفودودي الذي سيطر على ابي بكر السعيد بن أبي عنان ، و الشيء نفسه ينطبق على وزراء بني الوطاس ، فكثر الهزائم أمام النصارى وتمكن البرتغاليون من احتلال سبتة سنة 818 هـ 1415 م وكان هذا مؤشرا على سقوط الدولة المرينية .

1-2-4. عوامل سقوط الدولة المرينية.

لقد اجتمعت عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت بقسط كبير في سقوط الدولة المرينية ومن ابرزها:

- الصراع على العرش ، وهو أول عامل أدى الى ضعف الدولة نظرا لعدم الاهتمام بالمسائل الأساسية وكانت البداية بتمرد أبي عنان على سلطة أبيه ، واصبح كل ملك يتولى العرش يخشى من ثورات يقوم بها أفراد الأسرة المالكة ، حيث كان يلجأ البعض منهم الى التحالف مع الأعداء من أجل الوصول الى السلطة¹.

- ضعف شخصية الحكام خاصة بعد أبي عنان حيث التهاون وعدم القدرة على تحمل أعباء السلطة، فمنهم من كان صبيا صغيرا كما الحال بالنسبة لأبي بكر السعيد و أبي زيان الثاني ، هذا

¹ ابراهيم حركات ، المرجع السابق ص78 - شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1977 م ص32 - علي حامد الماحي ، المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ، دار النشر المغربية الدار البيضاء ، 1986 م ص62 .

الوضع فتح المجال امام تدخل الوزراء و زعماء العرب وحتى اليهود في شؤون الدولة مما أدى الى تصاعد حدة الخلافات ،

- الصراع الضيق مع دويلات المغرب الإسلامي خاصة الزيانيين في المغرب الأوسط و الحفصيين في المغرب الأدنى، فقد انصرفت معظم الجهود الحربية من أجل ضم المزيد من المناطق والتي كلفت خسائر كبيرة في الأموال و الأرواح وبالتالي أضعفت الدولة عسكريا و اقتصاديا .

- حروب النصاري، لقد كان هدف المرينيين هو رد الخطر النصرائي على المدن الأندلسية و قدمت لهذا الغرض مساعدات كبيرة أثرت بشكل سلبي على قدراتها العسكرية و المالية .

- التدخلات الخارجية، والتي تمثلت في بني الأحمر من خلال مساعدتهم لبعض الثائرين ضد الدولة المرينية أو مساعدة الأمراء على تولي السلطة و خلع آخرين ، كما الحال بالنسبة لأبي سالم الذي لقي تشجيعات ملك قشتالة لتولي العرش .

- التدهور الاقتصادي الذي أصاب البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري و الذي انعكس على الحياة السياسية، إضافة الى الكوارث و الأوبئة التي اهلكت الكثير¹ .

- ظهور السعديين و تبنيهم لسياسة الجهاد جعل عامة الشعب يميل الى هذه الدولة وقد ساعدتهم في ذلك نسبهم الشريف .

هذه العوامل وغيرها ساهمت في سقوط الدولة المرينية التي استمرت من سنة 614هـ 1212م اذا اعتبرنا أن أبا سعيد عثمان هو المؤسس الحقيقي الى غاية 876 هـ 1471هـ حيث أصبح المغرب تحت حكم الوطاسين الى غاية 915هـ 1510 م حيث ظهرت الدولة السعدية ، " وكأنَّ أمرُ الله قَدْرًا مَقْدُورًا "².

¹ محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ص 182 .

² الاحزاب . الآية 38

1-3-3. الدولة الزيانية في المغرب الأوسط .

1-3-1 نسب بني عبد الواد . تنسب الدولة الزيانية الى بني عبد الواد وهم يمثلون مع بني مزين وبني وطاس الطبقة الثانية من زناة التي ترجع الى القبائل البترية البربرية ، ويعود نسبهم الى جانا بن يحيى بن صولات بن رماك بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن بربر¹ ، وبنو عبد الواد نسبة الى جددهم عابد الوادي وهم عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة ، هي بنو ياتكين وبنو لّلو و بنو ورسطف وبنو تومرت ومصوحة وبنو القاسم الذي ينسب اليهم بنو زيان² ، أم نسبهم الشريف الى الأدارسة ففيه خلاف ولا مستند له كما ذكر ابن خلدون وحتى يغمراسن نفسه لما سئل عن ذلك لم يؤكد ولم ينف وكان جوابه "ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله أما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"³ .

كان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي تنتقل في الصحراء خلف الماء و الكأ والمراعي ، ثم اندفعوا أمام الغزوة الهلالية نحو المغرب الأوسط واستقروا جنوب وهران⁴ ، وهناك عاشوا حياتهم البدوية الفقيرة ثم دخلوا في طاعة الموحدين وخدمتهم فأقطعوهم عامة بلاد بني يلومي وبني وامنو الواقعة على الضفة الغربية لواد مينا و البطحاء⁵ وجبل هواره⁶ ، ولما ظهرت الاضطرابات و الضعف داخل

¹ ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ج7 ص4 - ابن حوم الأندلسي ، جهمرة أنساب العرب ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ط5 القاهرة ص495 - محمد بن عميرة ، دور زناة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 م ص 15 .

² ابن خلدون ، المصدر السابق ص97 - التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تح محمود بوعيد ، وزارة الثقافة الجزائر 2007 م ص109 - يحيى ابن خلدون ، بغية الواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ج1 ، تح عبد الحميد حاجيات ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص207 .

³ عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ص97 - يحيى بن خلدون ، بغية ، المصدر نفسه ص205 .

⁴ إسماعيل ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تح هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ، 2001 م ص10 - عبد الرحمان بالأعرج ، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة الممالك سياسيا و ثقافيا بين القرنين السابع و التاسع الهجريين ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة تلمسان 2013 م ص25 .

⁵ كانت مدينة كبيرة أهلة بالسكان بناها الأفارقة نزل بها محمد بن تومرت عند عودته من المشرق ثم خربت بعد ذلك و بناها عبد المؤمن بن علي لما كان عائدا من افريقية ، تقع على الطريق بين تلمسان و الجزائر ، حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، المصدر السابق ج2 ص27 - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ص446 - الناصري ، الإستقصا ج 2 ص 125 .

⁶ ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ص98 .

الدولة الموحدية في أواخر أيامها استغل بنو عبد الواد هذه الظروف وسعوا للسيطرة على تلمسان والمناطق المجاورة لها التي أصبحت إقطاعا ثابتا لهم ، وكان قائدهم هو جابر بن يوسف بن محمد ¹.

1-3-2 قيام الدولة الزيانية .

أثناء الحكم الموحدية كان واليا على تلمسان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور أخو المأمون والذي قام بالقبض على مشايخ بني عبد الواد وذلك للقضاء على نفوذهم ، فسعى للشفاة فيهم ابراهيم بن اسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني فردت شفاعته لذلك غضب واعتقل والي تلمسان أبا سعيد وأطلق سراح مشايخ بني عبد الواد و خلع طاعة الموحدين ، وكان هدفه هو احياء دولة المرابطين والتي لا تتحقق الا بالتخلص من كبار بني عبد الواد ، الا أن أمره انكشف وقبض عليه مع عدد من اصحابه ودخل جابر بن يوسف زعيم بني عبد الواد تلمسان وأعاد طاعة المأمون الموحدية ²، وقام بمحاولة ضم باقي بطون بني عبد الواد وقتل أثناء حصاره لمدينة ندرومة ³ سنة 629هـ 1231 م ⁴. وبعد وفاته خلفه ابنه الحسن بن جابر لمدة ستة أشهر ثم تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف الذي لم يكن في مستوى تطلعات بني عبد الواد لذلك اتفقوا على خلعه و تعيين أبي عزة زيدان الذي خاض عدة حروب من اجل اخضاع باقي القبائل منهم بنو مطهر وبنو راشد وقتل في تلك الحروب سنة 633 هـ 1235 م فخلفه يغمراسن بن زيان ⁵، والذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان .

¹ التنسي ، تاريخ بني زيان ، المصدر السابق ص 112 -

² عبد الرحمان بن خلدون ، العبر ج 7 ص 99 - يحيى بن خلدون ، بغية ، المصدر السابق ص 219 - التنسي ، المصدر نفسه ص 113 .

³ مدينة تقع شمال غرب تلمسان قريبة من هنين بناها الرومان قديما ، الحسن الوزان ، المصدر السابق ج 2 ص 13 .

⁴ ابن خلدون ، العبر ج 7 ص 100 - يحيى بن خلدون ، بغية ج 1 ص 220 .

⁵ ابن خلدون عبد الرحمن ، نفسه ونفس الصفحة - شوقي ضيف ، عصر الدول و الإمارات ، الجزائر المعرب الأقصى موريتانيا السودان ، ط 1 ، دار المعارف القاهرة ص 42 - خالد بالعربي ، تلمسان من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الزيانية ، دار الأملية للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص 221

1-3-3 سلاطين بني زيان .

حكم الدولة الزيانية منذ تأسيسها واحد وثلاثون سلطانا كان أبرزهم مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ولد سنة 603 هـ 1206 م، وفي عهد الخليفة الموحي الرشيد الذي حكم من سنة 630 هـ 1232 م إلى 640 هـ 1242 م أي في مرحلة ضعف الدولة تم تعيين يغمراسن واليا على تلمسان ومنذ ذلك الوقت بدأ نجمه يسطع وبدأت ملامح الدولة في الظهور¹، خاصة وأنه اتصف بصفات أهله للقيام بدوره على أكمل وجه، حيث كان من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قومه و أقواهم².

مكنته هذه الصفات من تأسيس دولة قوية استمرت مدة طويلة رغم الحروب الكثيرة مع القبائل المجاورة خاصة توجين³ و مغراوة⁴، وكذلك مع بني مرين بالمراب الأقصى و بني حفص في المغرب الأدنى، وتمكن من الحفاظ على دولته و تحصين تلمسان التي صمدت أمام الحصار الطويل للمرنيين، وبعد أن تمكن من إقامة دولته قام بإلغاء سلطة الموحيين على تلمسان واحتفظ بالدعاء للخليفة الموحي⁵.

وقد تمكن بفضل ذكائه وشجاعته و كرمه و سيرته الحسنة من بناء دولة قوية على قواعد متينة فاتخذ الوزراء و الحجاب و القضاة⁶، ومن جهة أخرى فقد كان محبا للعلم ومجالسة العلماء وتقريبهم

¹ ابن خلدون، العبر ج 7 ص 100 - التنسي، تاريخ بني زيان ص 115 - ابن الأحمر، روضة السنين المصدر السابق ص 45 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1 موفم للنشر و التوزيع الجزائر 2002 م ص 23 .

² ابن خلدون، العبر المصدر السابق ج 7، ص 106 - لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية تونس 1316 هـ ص 70 - محمود مقيدش، المصدر السابق ص 533 .

³ بنو توجين من قبائل زناتة وكانت مواطنهم على أطراف وادي الشلف و جبل الونشريس من أرض السرسو، ينظر ابن خلدون، العبر ج 7 ص 205 - محمد مبارك المليبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د ت) ص 471

⁴ مغراوة من أوسع بطون زناتة ولها فروع كثيرة و كان انتشارهم بالمغرب الأوسط من الشلف إلى تلمسان و جبل مديونة، ابن خلدون، العبر، ج 7 ص 33 - محمد بن عميرة، المرجع السابق ص 19 .

⁵ ابن خلدون، العبر ج 7 ص 106 - Fatima Zohra Bouzina, op . cit p 55

⁶ يحيى بن خلدون، المصدر السابق ص 225 - التنسي، المصدر السابق ص 115 .

وتقريبهم الى مجلسه كما حدث مع أبي اسحاق ابراهيم بن خلف التنسي¹، كما استقبل عددا من علماء الأندلس ومنهم الشاعر أبو بكر بن خطاب الذي أصبح كاتباً له². وبعد وفاته سنة 681 هـ 1282 م خلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي لم يكن أقل من أبيه صلابة و حزمًا وقد قضى سنوات عديدة في الدفاع عن بلده و توسيع رقعته حيث واصل محاربة بني توجين كما حاول استرجاع بجاية من الحفصيين، وكان أهم ما عان منه السلطان هو موقف المرزبين العدائي، رغم أن يغمراسن كان قد أوصى ابنه بعدم الدخول في صراع مع المرزبين بل يجتهد في العيش معهم بسلام³، إلا أن رفض السلطان الزياني تسليم الوزير ابن عطو الذي قدم الى تلمسان مع الأمير ابي عامر عندما ثار على أبيه يوسف بن يعقوب المريني كلفه حصار المرزبين لتلمسان لمدة ثماني سنين و ثلاثة أشهر⁴، وقد عرفت تلمسان أصعب أيامها في هذا الحصار حيث بلغ عدد الموتى زهاء مائة و عشرين ألفاً كما توفي أبو سعيد عثمان في هذا الحصار سنة 703 هـ 1303 م⁵، ثم خلفه ابنه أبو زيان محمد بن عثمان الذي عان هو الآخر من الحصار المريني هذا الحصار الذي انتهى بوفاة يوسف بن يعقوب المريني سنة 706 هـ 1307 م.

وتولى أمر بني زيان بعده أخوه أبو حمو موسى بن عثمان سنة 707 هـ 1397 م الذي بذل جهوداً كبيرة في القضاء على مخلفات الحصار المريني ثم عمل على استرجاع الأراضي التي فقدتها الدولة و استولت عليها القبائل ثم عقد الصلح مع أمراء بني مرين تأميناً لظهره، وبعدها توسع شرقاً على

¹ التنسي، نفسه ص 128 - ابن مريم أبو عبد الله، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان تح محمد بن أبي شنب المطبعة الثعالبية الجزائر 1907 م ص 67.

² ابن الخطيب، الإحاطة ج 2 المصدر السابق ص 426 - أحمد عزوي، المغرب و الأندلس في الرن 13 م، دراسة وتحقيق لدوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، مطبعة ربا نيت الرباط 2008 م ص 3.

³ ابن خلدون، العبر، ج 7 ص 123.

⁴ التنسي، المصدر السابق ص 387 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق ج 1 ص 231.

⁵ ابن خلدون، نفسه ص 127 - ابن ابي زرع، الأنيس، المصدر السابق ص 131 - يحيى بن خلدون، نفسه ص 234 ..

حساب الحفصيين وبلغ بجاية و قسنطينة¹. اما عهد عبد الرحمن أبي تاشفين الذي تخلص من أبيه سنة 718 هـ 1318م فقد تميز باستمرار الخطر المريني و الحفصي المشترك حيث تمكن السلطان المريني أبو الحسن من الإستلاء على تلمسان و قام بإحياء مدينة المنصورة التي بناها جده أبو يعقوب يوسف وقاتل أبو تاشفين دفاعا عن مدينته حتي قتل سنة 737 هـ 1337م²، وبذلك انتهت دولة بني عبد الواد الأولى.

وفي عهد الأخوين أبي سعيد و أبي ثابت 749 هـ، 753 هـ-1348م 1352م تم إحياء دولة بني عبد الواد من جديد بعد اغتنام فرصة هزيمة أبي الحسن المريني في القيروان وثورة أبي عنان على أبيه، وأعاد السيطرة الزيانية على تلمسان ومناطق كثيرة من أراضي الدولة الزيانية، ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلا حيث عاد الخطر المريني في عهد أبي عنان الذي أعاد السيطرة المرينية على المغرب الأوسط، وسقط أبو سعيد و أبو ثابت شهدين في هذه المواجهة³.

وفي سنة 760 هـ 1358م ظهر زعيم زياتي بعث من جديد دولة بني عبد الواد وهو أبو حمو موسى الثاني الذي اغتتم فرصة الاضطرابات التي واجهت الدولة المرينية ودخل تلمسان و أعاد مجد الدولة للمرة الثالثة وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية بعدما كانت تسمى إمارة بني عبد الواد، ثم عمل على القضاء على نفوذ بني مرين في كل أنحاء المغرب الأوسط⁴، وقد شهد عصر هذا السلطان رغم

¹ اسماعيل ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، المصدر السابق ص30 - مقتطف من كتاب ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و كتاب تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر، تح، عبد الحميد حاخيات، دار مدني للطباعة و النشر الجزائر 2012م ص138.

² ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج 7 ص146- يحي بو عزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائر 2009م ص44.

³ ابن خلدون، العبر ج7 ص385 - مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، تقديم محمد بن أحمد باغلي، الأصاله للنشر و التوزيع الجزائر 2011م ص51 - يحي بو عزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق ص46.

⁴ التنسي، المصدر السابق ص153 - الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج4 ص4 - إسماعيل بن الأحمر، تاريخ بني زيان، المصدر السابق ص34 - مؤلف مجهول، زهر البستان المصدر السابق ص201 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية ج1، دار الحضارة للطباعة و النشر الجزائر 2007م ص14.

الصعاب والحروب الكثيرة ازدهارا في الميدان العلمي حيث كان محبا للعلم وتأليف الكتب و قول الشعر¹، وبوفاته سنة 791 هـ 1389 م تنتهي مرحلة القوة اذ يعتبر آخر السلاطين الأقوياء من بني عبد الواد حيث تميزت الأوضاع بعده بالاضطرابات وتنازع الأمراء وتقاتلهم في سبيل الاستلاء على الحكم، مما سمح للحفصيين بالتدخل في شؤون الدولة، ومع نهاية القرن التاسع الهجري توسعت دائرة الضعف لتشمل الدولة الحفصية و المرينية مما مكن النصارى من ملاحقة المسلمين بعد سقوط غرناطة واحتلالهم لعدد من المدن الساحلية منها المرسي الكبير و وهران ثم بجاية ودلس و عنابة، وبظهور العثمانيين في بلاد المغرب وتمكنهم من طرد الإسبان من سواحل المغرب الأوسط تنتهي مرحلة حكم بني عبد الواد في المغرب الأوسط سنة 962 هـ 1554 م وتبدأ مرحلة الحكم العثماني. "وتلك الأيام نداولها بين الناس".²

تمكنت هذه الدولة رغم الأزمات العديدة التي رافقتها من الاستمرار مدة زمنية طويلة حققت فيها تطورا و ازدهارا حضاريا و علميا كبيرا، وفي الأخير يمكن أن نستنتج بعض العوامل التي ساهمت بشكل مباشر في سقوط الدولة الزيانية ومنها:

- النزاع الداخلي بين أبناء الأسرة الزيانية بهدف الوصول الى الحكم حيث وصل الأمر ببعضهم الى الاستنحاد بالأعداء.
- إعتداء بعض الحكام على القبائل المجاورة والتي لم تتخذ موقف ثابت بل كانت تقف ضدهم في بعض المواقف الصعبة التي مرت بها الدولة.
- الاعتماد على قوة عسكرية مكونة في معظمها من قبائل العرب خاصة بني سويد و الهلاليين الذين أعتد عليهم يغمراسن الا أن هذه القبائل تمردت و اصبحت شبه مستقلة.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج 3 ص 287

— Hajiat Abdelhamid , Le Maghreb Central Sous Le Regne Du Sultan Ziyanide Abou p143. —
المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر 2011، Hammou Mousa II

² سورة آل عمران، الآية 140.

-الصراع الكبير مع دول الجوار خاصة مع المرنيين و الحفصيين الذي تسبب في انهك الدولة بشريا و ماديا .

-الغزو الصليبي الاسباني و احتلالهم لبعض المدن الساحلية .

-ظهور العثمانيين في المنطقة والذين تمكنوا من صد العدوان الاسباني وتحرير سواحل المغرب الأوسط

1-4 : دولة بن أبي حفص .

1-4-1 نسب بن أبي حفص : يعود نسب الحفصيين الى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي¹ ،

ويرجع بعض المؤرخين نسبهم إلى عمر بن الخطاب ،فهو الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن علي بن أحمد بن والال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافق بن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه² . وأبو حفص كان من الأوائل الذين آمنوا بدعوة ابن تومرت وكان أحد العشرة من أصحابه³ ، ويأتي في المرتبة الثانية بعد عبد المؤمن بن علي في المنزلة⁴ وقد كان يلقب بالشيخ في وقت كان المهدي يلقب بالإمام ،وفي عهد

¹ هنتاتة من أهم وأعظم قبائل المصامدة وأكثرهم جمعا وأشد قوة يسكنون جبل درن القريبة من مراكش وهم السابقون للقيام بدعوة المهدي، ينظر. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص370- ابن الشماع أبو عبد الله، الأدلة الدينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر ابن محمد العموري، الدار العربية للكتاب 1984، ص48.

² ابن خلدون، المصدر نفسه، ص371 - ابن أبي دينار، المؤنس المصدر السابق ص130 - الشيخ محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في إمارة إفريقية، دار بيكار تونس 1323هـ، ص56- محمد علي الصلابي، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق ص636 .

³ المسمون بالجماعة ومنهم ،عبد المؤمن بن علي ،وعبد الواحد الشرقي ،والشيخ عمر بن أبي حفص ،و عمر بن عبد الله الصنهاجي ويوسف بن سليمان ،وأبو عمران موسى بن علي الضرير، و أبو ابراهيم اسماعيل الهزرجي، وأيوب الجدميوي ،وعبد الله بن سليمان ،ينظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،المصدر السابق ص275 .

⁴ ابن خلدون، العبر ج 6 ص 371 - أبو عبد الله الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،تح محمد ماضود ،المكتبة العتيقة تونس ص 6 - محمد العروسي المطوي ،السلطة الحفصية ،دار الغرب الاسلامي بيروت 1986 م ص98 .

عبد المؤمن كان ابو حفص من أكبر مستشاريه إذ كان يأخذ برأيه في كل الأمور حتى أنه عندما رحل عبد المؤمن الى افريقية سنة 554 هـ إستخلف الشيخ ابا حفص على المغرب¹.

وعندما توفي عبد المؤمن تولى الحكم بعده ابنه أبو يعقوب يوسف الذي لم يستطيع أن يتلقب بأمر المؤمنين لإمتناع الشيخ عن مبايعته الا بعد أن اختبر أمره وبقي ذلك الأمر خمس سنوات ،وقد توفي الشيخ أبو حفص الهنتاتي سنة 571 هـ 1175م وبقي أبنائه يتداولون على الإمارة بالأندلس و إفريقيا²

1-4-2 قيام دولة ابن أبي حفص:

عندما اندلعت ثورة بني غانية³ بالأندلس وتمكن يعقوب المنصور من القضاء عليها انتقل فريق منهم الى افريقية وتمكن هؤلاء من الاستلاء على المهدي⁴ و تونس أواخر سنة 599 هـ مما جعل الخليفة الموحي يبحث عن شخصية قوية تستطيع مواجهة يحي بن غانية ،لذلك انتقل الناصر الموحي الى افريقية سنة 601 هـ 1205م ووجه لها أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي تمكن من توجيه

¹ ابن خلدون ،نفسه ص 372 - محمد العروسي ،المرجع نفسه ص 99 .

² روبر برنشفيك ،تاريخ افريقية في العهد الحفصيين القرن 13م الى القرن 15م،ترجمة حمادي الساحلي ج1 دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1988م ص 44 .

³ ينسب بنو غانية الى أمهم غانية من العائلة المرابطية و كان والدهم علي بن يوسف من أعيان قادة مسوفة من قبائل الملتمين ،وقد تزوجت أمهم بعد وفاة والدهم أبو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني والي قرطبة وبذلك انتقلوا الى الأندلس وعين يحي بن غانية على بلنسية و قرطبة ،وكان بنو غانية حين انهارت دولة المرابطين قد استولوا على الجزائر الشرقية وأقاموا بها دولة مستقلة وتميزت علاقاتهم بالموحدين بالمهادنة لتجنب الصدام معهم ثم رفضوا الولاء لهم و استولوا على معظم مدن افريقية بالتحالف مع الأعراب المحليين وحاولت الدولة الموحدية القضاء عليهم ولكنها فشلت الى غاية الحملة التي قادها الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن أبي حفص ،ينظر ابن الخطيب الإحاطة ج1 ص311 - المراكشي ،المعجب ج1 ص342 - الناصري ،الإستقصا ج 2 ص125 .

⁴ المهدي مدينة بناها الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي أول خليفة بالقيروان عام 300 هـ 913م على ساحل البحر المتوسط فوق كتلة صخرية داخل البحر ،ينظر حسن بن محمد الوزان ،وصف افريقيا ،ترجمة محمد حجي و محمض الأخضر ج2 دار الغرب الإسلامي بيروت ط2 1983 م ص 85 - الحميري ،الروض المعطار ،ص561 - محمود مقيدش ،المصدر السابق ص344 .

ضربة قوية لبني غانية في موقعة تاجرا¹، وبعد هذا الانتصار عرض محمد الناصر على أبي محمد عبد الواحد أن يقيم في إفريقية وقد رفض في البداية ثم قبل بالمنصب بعد أن استجاب الخليفة الموحي لشروطه²، وكان ذلك سنة 603 هـ 1206 م، حيث تمكن من القضاء على الفتن وقرب إليه العرب فساد الأمن و الرخاء³، وبعد وفاته سنة 618 هـ 1221م كانت الدولة الموحدية قد انهزمت في العقاب و اضطرت أحوالها و ضعفت واصبحت غير قادرة على ضمان الأمن و الاستقرار في كل ربوع الدولة، وفي عهد الأمير الموحي أبي محمد العادل تم تعيين اب محمد عبد الله بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن حفص⁴، هذا الأخير عندما استقر بتونس بدأ يستقل تدريجيا عن السلطة الموحدية، لذلك يمكن اعتبار هذا العهد هو بداية لتاريخ الأسرة الحفصية .

اما الخليفة أبي العلاء ادريس المأمون الذي عزل أخاه العادل فقد عين على إفريقية أبا زكريا ابن الشيخ الذي تغلب على أخيه أبي محمد عبد الله وتولى أمر إفريقية سنة 625 هـ 1228 م ثم خلع طاعة أبي العلاء ادريس المأمون و اتخذ تونس عاصمة له⁵، ثم تلقى البيعة من أهل البلد وعمل على كسب محبة السكان حيث خفض الضرائب وقرب إليه الفقهاء و العلماء، وبعد ان ضمن الأمن في تونس اتجه نحو قسنطينة ودخلها سنة 626 هـ 1229 م وأخرج منها الوالي الموحي و الشيء نفسه قام به

¹ ابن الشماع، الأدلة المصدر السابق ص49 - ابن أبي دينار، المؤنس المصدر السابق ص131 - عبد الواحد المراكشي، المعجب المصدر السابق ص398- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر تونس 1968 م ص105 - ابن الخطيب، الإحاطة ج1 المصدر السابق ص311 .

² تمتل هذه الشروط في: أن يرجع الى المغرب بعد قضاء مهمات إفريقية في ثلاث سنوات، يختار من الموحيين من يكون له عوناً، وان لا يتعقب عليه في عزل أو ولاية، ينظر روبر بارنشفيك، المرجع السابق ص42 - محمد العروسي، المرجع السابق ص87 .

³ الشيخ الباجي المسعودي، الخلاصة المصدر السابق ص58- روبر بارنشفيك، المرجع السابق ص49 .

⁴ ابن أبي دينار، المؤنس ص131 - شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، ط1، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت 1999 م ص201 .

⁵ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب قسم الموحيين، ص293 - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجيبة، دار سراس للنشر تونس 1993 م ص53 - عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق ص109 - شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق ص27 .

مع بجاية ،وعند استتباب الأمن في هذه المناطق عاد الى تونس و ضرب السكة بإسمه و أمر أن يخطب له على منابر البلاد .

وفي سنة 639 اتجه نحو الغرب و حاصر تلمسان وفر يغمراسن الى الجبال و وجد السلطان الحفصي صعوبة في اختيار من يوليه على تلمسان لذلك دخل في مفاوضات مع يغمراسن الذي مثلته أمه سوط النساء ومن شروط الصلح .

أن يبقى يغمراسن على حكم تلمسان بعد انفصال بني عبد الواد عن الموحدين ، أن يكون تابعاً للأمير الحفصي في تونس ، أن يذكر اسم الأمير الحفصي على المنابر ، يمنح حاكم تلمسان حق استخلاص الضرائب لفائدته في بعض مراكز افريقية¹ .

ومن جهة أخرى تمكن من القضاء على ما تبقى من بني غانية ثم بايعه أهل طنجة و سبتة و سجلماسة كما بايعه بنو مرين و خطبوا باسمه في المساجد ،ثم وصلته البيعة من أهل الأندلس خاصة من بلنسية واشبيلية و غرناطة وكان ذلك في حدود سنة 637 هـ 1239 م²،وهكذا استطاع هذا الحاكم بفضل حنكته و قوته أن يكون إمارة اسلامية واسعة المساحة يسودها الأمن و الاستقرار في كافة المناطق الخاضعة له في ربوع المغرب الإسلامي ،وفي هذه الظروف الجيدة كان أهل الأندلس يعانون من الضغط النصراني ومن العداة الداخلي وبيرون في أبي زكرياء الحفصي منقذهم من تلك المأساة لذلك استنجد به أهل شرق الأندلس بوفد ضم الشاعر ابن الأثير وقد تأثر الأمير الحفصي بالقصيدة البليغة التي أنشدها بين يديه ومطلعها .

أدرك بخيلك ،خيل الله ،أندلسا إن السبيل الى منجاتها درس.

ولكن السلطان الحفصي لم يستطيع تلبية كل المطالب المقدمة له وارسل عددا من السفن محملة

¹ ابن ابي دينار ،المؤنس المصدر السابق ص133 - ابن قنفذ ،الفارسية المصدر السابق ص109- ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب قسم الموحدين ص361 - مقتطف من كتاب ترجمان العبر ،المصدر السابق ص65 - روبر بارنشفيك ،تاريخ افريقية المرجع السابق ص60 .

² ابن أبي دينار ،المصدر نفسه ص133 - محمد العروسي ،المرجع السابق ص 136 - حسين مؤنس ،تاريخ المغرب و حضارته المرجع السابق ص221 .

بالسلاح و المؤونة الا انها لم تصل الى بلنسية بسبب الحصار¹، كما استطاع هذا السلطان ان يربط علاقات طيبة مع الدول الإسلامية خاصة مع سلطان مصر الصالح ايوب و مع الإمارات الأوروبية، وهكذا فقد كان لهذا السلطان دور كبير في إقامة الدولة الحفصية بفضل أعماله الجليلة وقد توفي سنة 647هـ 1249م².

1-4-3 الدولة الحفصية بعد أبي زكرياء .

لقد مرت الدولة الحفصية عبر تاريخها الممتد من سنة 603هـ 1206م الى سنة 981هـ 1573م أي ما يقارب 378 سنة بعدة مراحل منها .

العصر الذهبي وقد مثله كل من أبي زكرياء يحيى و المستنصر بالله أبي عبد الله حيث تلقب الحاكم بأمر المؤمنين³ ومن مظاهر هذا العصر الذهبي بيعة بلاد المغرب الإسلامي للدولة الحفصية باعتبارها خليفة الدولة الموحدية ، فقد اظهر المرنيون و الزيانيون الطاعة و الولاء التام للحفصيين كما بايع أهل الأندلس هذه الدولة طمعا في الحصول على المساعدة لرد العدوان الصليبي ،ومن مظاهر القوة ايضا تلك البيعة التي وردت على البيت الحفصي من مكة المكرمة وهي اعتراف غير مباشر بالخلافة خاصة بعد ضعف الخلفاء العباسيين⁴.

أما عصر الضعف و الاضطرابات فقد بدأ مع بداية عهد أبي محمد ابن يحيى الوثائق بن المستنصر والذي لم يكن في مستوى تطلعات هذه الدولة مما ادى الى بداية ظهور القلاقل الداخلية

¹ ابن الأبار ابو عبد الله القضاعي ،الحلة السيرة ،المصدر السابق ج1ص35 - ابن أبي دينار ،المؤنس ص132 -روبار برنشفيك ،المرجع السابق ص62 -محمد العروسي ،المرجع السابق ص136 .

² ابن عذارى ،البيان المغرب قسم الموحدين ص 391 -ابن الشماع ،الأدلة البينة ص60 -ابن خلدون ،العبر ج 6 ص 400 .

³ ابن أبي دينار ،المؤنس المصدر السابق ص134 -ابن الشماع ،الأدلة البينة المصدر السابق ص 67 -برنشفيك ،المرجع السابق ص70 .

⁴ الزركشي ،تاريخ الدولتين ،المصدر السابق ص37 - الباجي المسعودي ،الخلاصة المصدر السابق ص62 -أحمد المطويلي ،في الحضارة العربية التونسية ،دار المعارف للطباعة و النشر تونس ص17 - برنشفيك ،المرجع السابق ص76 .

و الصرعات الخارجية و التي كان أبرزها الحملات الصليبية على تونس¹ ، ومما زاد في حدة الصرعات المعاملات السيئة لشيخ الموحدين من طرف بعض الحكام كما حدث في عهد الدعي الفضل بن الواثق 681 هـ 683 هـ 1283 م 1284 م الذي تسبب في إثارة الخلافات و قد كانت نهايته القتل ، أما في عهد أبي حفص عمر بن أبي زكرياء فقد انقسمت الدولة الى قسمين عندما عاد أبو زكرياء يحيى بن أبي اسحاق من تلمسان التي كان قد فر إليها بعد مقتل أبيه و استولى على مدينة بجاية و قسنطينة و أعلن نفسه أميراً² ، وبذلك أصبحت الدولة مقسمة الى شطرين ،القسم الشرقي و عاصمته تونس و القسم الغربي وعاصمته بجاية ،فكان هذا التمزق من العوامل التي ساهمت في ضعف الدولة الحفصية و شجع خصومها على محاربتها، فتعرضت للتدخل الزياني ثم المريني ، فقد استولى أبو الحسن المريني على افريقية سنة 748 هـ 1348 م³ ،وقد استمر هذا الضعف الى غاية عهد السلطان أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله الذي حاول بعث الدولة من جديد حيث تمكن من استرجاع قسنطينة و استولى على بجاية ، كما تمكن من رد غارة قام بها أبو حمو موسى الزياني ثم عمل على مصالحة أبي سالم المريني عندما حاصر تلمسان⁴ ،وقد استمر هذا الوضع حتى عهد ابنه ابي فارس الذي اتخذ لقب الخلافة وتلقب بالمتوكل على الله وقضى عدة سنوات في إعادة الوحد الحفصية وقد حكم نحو أربعين سنة تعتبر من العصر الذهبي الثاني للدولة توفي سنة 837 هـ 1434 م⁵ . أما المرحلة الأخيرة من عمر هذه الدولة وهي مرحلة الضعف و السقوط فقد بدأت بنهاية عهد أبي عمر عثمان سنة 893 هـ 1488 م ، فقد انتشرت الفتن و الخلافات بين الأمراء الحفصيين ووصل

¹ الزركشي ،تاريخ الدولتين ،المصدر السابق ص 40 - ابن الشماع ،الأدلة البيئية ،المصدر السابق ص 75 - محمد العروسي ،السلطة الحفصية ص 229 .

² ابن أبي دينار ،المؤنس ،المصدر السابق ص 138 - ابن الشماع ،الأدلة ،ص 29 - محمد العروسي ،نفسه ص 267 .

³ أحمد بن أبي ضياف ،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وأهل الأمان ، ج 1 تح لجنة وزارة الشؤون الثقافية ،الدار العربية للكتاب تونس 1999 م ص 222 .

⁴ ابن خلدون ،العبر المصدر السابق ص 545 - ابن ابي دينار ، المؤنس ،المصدر السابق ص 151 - ابن الشماع ،الادلة ص 108 - حسين مؤنس ،تاريخ المغرب وحضارته ،المرجع السابق ص 256 .

⁵ ابن ابي ضياف ،المصدر السابق ص 233 - ابن ابي دينار ،المؤنس ،المصدر السابق ص 153 .

الأمر ببعض الأمراء الى الاستنجد بالدول الأوروبية مما زاد من التدخل الأجنبي في شؤون الدولة ،ومن جهة أخرى فقد اشتدت الهجمات الأوروبية خاصة الاسبانية و البرتغالية على سواحل المغرب الإسلامي بما فيه افريقية ، هذه الهجمات تدخل في اطار الحرب الصليبية التي تبنتها الدول المسيحية بمباركة الكنيسة حيث استولى البرتغاليون على سواحل المغرب الأقصى بينما استولى الإسبان على سواحل المغرب الأوسط و افريقية بعد سقوط غرناطة¹ ، وبظهور الأخوين عروج و خير الدين في حوض البحر المتوسط في عهد السلطان محمد بن الحسن تجدد الصراع بين الاسبان و العثمانيين الذين تمكنوا من طرد الاسبان من سواحل تونس و الاستلاء عليها سنة 981هـ 1576 م وبذلك ينتهي عصر الدولة الحفصية² ، "والله يؤتي ملكه من يشاء. "

وفي الأخير نستنتج أن الأسباب التي أدت الى سقوط الدولة الحفصية لا تختلف عن تلك الاسباب التي كانت وراء سقوط باقي دول المغرب الإسلامي ،وهي في مجملها تتحدد في الصراع الداخلي على السلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة و تحالف بعضهم مع قوى خارجية ، و ما ترتب عنه من حروب انهكت الدولة بشريا و اقتصاديا ،اضافة الى الهجمات الإسبانية على سواحل افريقية و ظهور الأتراك العثمانيون ودورهم في تحرير سواحل المغرب الإسلامي .

¹ محمد العروسي ،المرجع السابق ص 654 - برنشفيك ،المرجع السابق ص 310 .

² ابن أبي دينار ،المؤنس ص 179 - محمود مقيدش ،المصدر السابق ص 620 - محمد العروسي ،نفسه ص 686 -الشيخ الباجي المسعودي ،المصدر السابق ص 85 -حسن محمد جوهر ،تونس ،دار المعارف القاهرة 1961 م ص 46 .

2 - الواقع السياسي للمشرق الإسلامي .

2-1 المشرق قبل قيام دولة المماليك :

لقد عرفت بلاد المشرق تحولات هامة أفرزتها عدة تطورات ابرزها نشاط الحركة الصليبية و وصولها الى بلاد الشام و القضاء على العديد من الإمارات الصغرى ، و في نفس الوقت كانت الدولة الفاطمية¹ قد فقدت هيبتها و اختلت احوال المشرق وخاصة مصر ، هذه الأوضاع دفعت ببعض الزعماء الى تبني الجهاد لاسترداد ما أخذه الصليبيون ، ومن ابرز هؤلاء عماد الدين زنكي² وابنه نور الدين محمود³ و بمشاركة صلاح الدين الأيوبي⁴ .

¹ الفاطميون احدى طوائف الشيعة العلوية الإسماعلية تأسست هذه الدولة في المغرب ثم انتقلت الى مصر ، و ينسبون الى إسماعيل بن جعفر الصادق ينظر ، عبادة كحيلية ، العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، ط1 ، دار الكتاب الحديث الكويت 1996 م ص320

² أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور ولد سنة 477 هـ 1083 م فوض اليه السلطان السلجوقي ولاية البصرة ثم الموصل وهو مؤسس الدولة الزنكية 521-569 هـ / 1127-1174 م قتل سنة 541 هـ 1146 م ، ينظر أبو العباس ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج2 تح احسان عباس دار صادر بيروت ص328 - ابن عماد الحنبلي ، المصدر السابق ج6 ص209 - راغب السرجاني ، قصة الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي ، ط2 مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة 2009م ص350 - علي محمد الصلابي ، الدولة الزنكية و نجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، ط1 دار ابن الجوزي القاهرة 2007 م ص31 .

³ هو نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب بالملك العادل جده من موالي السلجوقيين ولد بجلب سنة 511 هـ 1117 م وتوفي سنة 569 هـ 1174 م ، ينظر ابن خلكان ، المصدر السابق ج5 ص184 - عماد الحنبلي ، المصدر السابق ج6 ص378 - جمال الدين ابو العباس بن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ط1 ج6 تح محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت 1992 م . ص65 .

⁴ هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي من اشهر ملوك الإسلام ولد في قرية دوين في شرق أذربيجان دخل في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل ثم اصبح وزيرا في عهد العاضد الفاطمي ثم استقل بملك مصر حقق انتصارات كبيرة على الفرنج في حطين ، توفي سنة 595 هـ 1198 م ، ينظر ، عماد الدين ابو الفداء ، التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، ط1 تح محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1995 م ص64 - ابن واصل جمال الدين ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ج1 تح جمال الدين الشيبان ، القاهرة 1953 م ص168 - المقرئزي تقي الدين أبو العباس ، السلوك لمعرفة الملوك ، ج1 تح محمد عبد القادر عطا ط1 ، دار الكتب العلمية 1997 م ص148 - ابن الوكيل يوسف الملواني ، تحفة الأحياب بمن ملك مصر من ملوك و نواب ، تح محمد الششتاوي ، دار الأفاق العربية 1999 م ص58 .

لقد ساعدت الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة الفاطمية صلاح الدين على الوصول الى الوزارة في عهد الخليفة العاضد الفاطمي¹ ، وقد تمكن بفضل ذكائه و شجاعته من استمالة الناس اليه خاصة بعد تصديه للحملات الصليبية ،ومن اعماله البارزة العمل على القضاء نهائيا على الخلافة الفاطمية حيث عزل قضاة مصر الشيعة و قطع أرزاقهم و ولي بدلهم قضاة على المذهب الشافعي² ، ثم أخذ في بناء المدارس لتدريس المذهب السني حيث بنى مدرستين عند الجامع العتيق واحدة للمذهب الشافعي و الأخرى للمذهب المالكي و ذلك سنة 572هـ 1176 م ، و بعد ست سنوات بنى مدرسة للمذهب الحنفي و قام بإحراق المكتبة الفاطمية³ ، و بعد زوال الخلافة الفاطمية وموت نور الدين تأكدت سيطرة صلاح الدين على مصر و بعدها فكر في بلاد الشام و الجزيرة لإقامة جبهة إسلامية موحدة قوية . وللحفاظ على استقرار الدولة و كسب الشرعية تزوج من أرملة نور الدين أم الملك الصغير الصالح إسماعيل ابن نور الدين محمود⁴ ، و بعد ان تمكن من توحيد الجبهة الإسلامية انتقل الى

¹ جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، ج2 تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية 1968م ص5 - ابن ثعري بردي ، النجوم الزاهرة المصدر السابق ، ج6 ص6 - ابن شداد ، النوار السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين ، تح جمال الدين الشيال ، مكتبة الغانجي القاهرة 1994 م ص29 - ستانلي لين بوول ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ترجمة فاروق سعد ابو جابر ، ط1 مؤسسة الإسرائ للنشر و التوزيع القاهرة 1995 م ص101 - أبو الحسن علي الندوي ، أعلام المسلمين و مشاهيرهم اعداد عبد الماجد الغوري ط1 ، دار ابن كثير بيروت 2002 م ص36 .

² محمود مقيد ش ، المصدر السابق ص392 - عبد الله الشرقاوي ، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك و السلاطين ، تح رحاب عبد الحميد القاري ، مكتبة مدبولي القاهرة 1996 م ص92 - عبد المنعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي القاهرة 1997 م ص84 - أحمد عبد الرزاق أحمد ، تاريخ و آثار مصر الإسلامية دار الفكر العربي القاهرة 1999 م ص200 .

³ عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ص85 - سيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر و الشام ط2 دار النهضة العربية القاهرة 1976 م ص342 .

⁴ ابن ثعري بردي ، النجوم الزاهرة ، المصدر السابق ص71 - قاسم عبده وعلي السيد علي ، الأيوبيون و المماليك التاريخ السياسي و العسكري ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية مصر ، ص42 - حمدي عبد المنعم محمد حسن ، دراسات في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، دار المعرفة الجامعية 2000 م ص56 - جوزيف داهموس ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحى الشاعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 م ص108 .

مرحلة الجهاد ضد الصليبين والتي توجت باستعادة بيت المقدس سنة 583 هـ 1181 م¹ بعد الانتصار الباهر في معركة حطين²، والتي تمكن من خلالها صلاح الدين من القضاء على الإمارات المسيحية التي تأسست في المنطقة وبذلك يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الأيوبية .

أما احوال المشرق بعد صلاح الدين فقد تميزت بالانقسام والتشتت حيث ظهرت وحدات سياسية يحكمها ابناء الأسرة الأيوبية³، وكانت مصر من أهم هذه الإمارات لتوفرها على الإمكانيات المادية والبشرية و الدور الكبير الذي قامت به خاصة في عهد عثمان بن صلاح الدين الذي حاول توحيد البلاد الإسلامية و ضم دمشق التي كانت تحت حكم أخيه الأفضل⁴، هذا الصراع داخل الأسرة الحاكمة ارتاح له الصليبيون وأخذوا يراقبون ما يحدث بين الإخوة المتصارعين وفي الوقت نفسه أعدوا العدة لاسترجاع بيت المقدس، وحقق الأيوبيون بعض الانتصارات خاصة في عهد الملك العادل الذي سيطر على مصر و جعل الحكم وراثيا من بعده و ضرب السكة باسمه⁵، ولتفادي الدخول في

¹ السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج 2 ص 20 - ابن شداد، النوار المصدر السابق ص 134 - بيبيرس المنصوري، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك البحرية حتى سنة 703 هـ، تح عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية 1993 م ص 4 - البير شاندر، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، ترجمة سعيد ابو الحسن، دار طلاس للدراسات و النشر ط2 1993 م ص 232 - محمد مرسي محمد، صلاح الدين و استراتيجية تحرير بيت المقدس، مجلة الهداية العدد 292 السنة 25، وزارة العدل و الشؤون الإسلامية البحرين، ص 20 .

² حطين سهل واقع بين طبرية و عكا بينه و بين طبرية نحو فرسخين بالقرب منه قرية يقال لها خيارة، ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق ج 2 ص 274 - محمود مقيدش، المصدر السابق ج 1 ص 402 - تقي الدين المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، ج 1 تح محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة 1998 م ص 634 - صفى الدين أبو العز، 800 عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد، ندوة اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية و الآسيوية، دار الشروق 1989 م ص 131 .

³ أبو شامة المقديسي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصالحية، تح أحمد البيسومي منشورات وزارة الثقافة دمشق 1992 م ص 325 - ابن خلدون العبر المصدر السابق ج 5 ص 382 - ابن ثغري بردي النجوم، المصدر السابق ج 6 ص 114 - بيبيرس المنصوري، مختار الأخبار، المصدر السابق ص 3 - سيدة اسماعيل كاشف و جمال الدين سرور، سعيد عبد الفتاح عاشور، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 م ص 368 .

⁴ أحمد الشامي، صلاح الدين و الصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، ط 1 مكتبة النهضة العربية القاهرة 1993 م ص 162 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون و المماليك، المرجع السابق ص 77 .

⁵ الباز العريبي، المماليك، دار النهضة العربية بيروت ص 37 - أحمد الشامي، المرجع السابق ص 188 .

حرب مع الصليبين عقد معهم هدنة سنة 601 هـ 1204 م و تنازل لهم عن مدينة يافا . لقد تمكنت الدولة الأيوبية رغم الخلافات العديدة من الوقوف في وجه الصليبين لعدة سنوات بل أفشلت اضخم الحملات على العالم الإسلامي خاصة في عهد صلاح الدين ، هذه المواجهة مع الصليبين ساهمت في تدهور الأوضاع السياسية و الاقتصادية وبالتالي سقوط الدولة في عهد توران شاه بن نجم الدين أيوب .

2-2 دولة المماليك .

2-2-1 أصل المماليك : مملوك لغة هو اسم مفعول من مُلِكَ و يطلق إسم مملوك على العبد الذي مُلِكَ ولم يُملك أبواه أو الذي سُبي و لم يُملك أبواه¹، والعبد يولد من رقيق أما المملوك فيولد من أبوين حرين ، كما أن العبد قد يعني إنسانا أسود البشرة بينما الرقيق غالبا ما يكون ابيض اللون²، ويعود أصل المماليك الى الرقيق الأبيض الآسيوي وموطنهم الأصلي بلاد قفجان³ ، وكان هؤلاء يصبحون رقيقا نتجة اسرهم في الحروب أو شرائهم أطفالا من أسواق النخاسة ويقوم السلاطين باختيار احسنهم قامة و صحة لتدريبهم عسكريا و استخدامهم في الجندي و ينسب المماليك الى سادتهم الذين اشتروهم بالمال مثل المماليك الظاهرية أو الأشرفية و احيانا الى التاجر الذي جلبه كالمماليك العثمانية نسبة الى التاجر الخواجا عثمان⁴ . ويعود استخدام هذا النوع من الرقيق في الجيوش الإسلامية الى العهد العباسي ، حيث اعتمد بعض الخلفاء على المماليك لتوطيد نفوذهم و

¹ جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ج 6 تح عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية بيروت 2005م ص 101 .

² عبد المنعم ماجد ، الدولة الأيوبية ، المرجع السابق ص 143 - قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك ط 1، دار الشروق القاهرة 1994 م ص 7 - أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ط 10 دار الكتاب العربي بيروت ج 1 ص 87 .

³ قفجان فرع من الأتراك على عادة البدو ومكانهم شمال البحر الأسود في القوقاز ، ينظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، المصدر السابق ج 5 ص 485 - عبادة كحيللة العقد الثمين ، المرجع السابق ص 254 .

⁴ قاسم عبده فاسم ، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي و الإجتماعي ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية 1998 م ص 25 - سيده اسماعيل كاشف و آخرون ، موسوعة تاريخ مصر ، المرجع السابق ص 398 .

سلطانهم وكان ذلك في عهد الخليفة المعتصم الذي استخدم جماعة من الأتراك¹، أما في العهد الفاطمي فقد أضيف عنصر جديد من المماليك وهم الصقالبة .

ولما ضعفت الدولة الأيوبية و اشتد الصراع بين ملوك بني أيوب سعى كل حاكم الى الإكثار من شراء المماليك والاعتناء بتربيتهم ليكونوا سندا له في هذه الصراعات²، وبهذا فقد ازداد عددهم و نفوذهم واصبحت كلمتهم مسموعة في الأحداث التي تعرضت لها مصر .

2-2-2 المماليك البحرية: لقد أكثر السلطان نجم الدين أيوب³ من شراء المماليك الأتراك حتى

عاد أكثر جيشه منهم و اختار لهم جزيرة الروضة في بحر النيل لتكون مركزا لهم لذلك سميت هذه

الفرقة بالبحرية⁴، كما سميت أيضا بالصالحية نسبة الى السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وقد كان

لهذه الفرقة دور كبير في تحقيق الانتصار على الصليبين لذلك زاد نفوذهم أكثر واصبحوا اصحاب

الفضل في إنقاذ البلاد

¹ المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج4 تح مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية 2003 م ص 53 - ابن طبطبة محمد بن علي، الفخري في الأدب السلطانية و الدول الإسلامية، ط1 تح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي حلب 1997 م ص 228 - الأزدي جمال الدين، أخبار الدول المنقطعة، ج2 تح عصام مصطفى و محمد عبد الكريم و محمد علي يوسف و علي ابراهيم مصطفى، ط1 دار الكندي للنشر و التوزيع الأردن 1999 م ص 349 .

² أنطوان خليل صومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ط2، دار الثقافة بيروت 1982 م ص 7 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون و المماليك، المرجع السابق ص 176- سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و الشام، ط1، دار النفائس بيروت 2002 م ص 392 .

³ نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ولد سنة 603 هـ بالقاهرة ملك الديار المصرية سنة 637 هـ و توفي سنة 647 هـ أثناء مواجهة الصليبين، ينظر ابن تغري بردي المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، تح محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب القاهرة 1990 م ص 216 - خير الدين الزركالي، الأعلام ج 2، دار العلم للملايين بيروت 2007 م ص 38 - الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج 16 دار الفكر للطباعة و النشر بيروت 1997 م ص 439 .

⁴ المقرئزي، الخطط، المصدر السابق ج2 ص 236 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون و المماليك، المرجع السابق ص 177 - أحمد مختار العبادي، في التاريخ المملوكي و الأيوبي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2000 م ص 81 .

وفي سنة 647 هـ 1249 م توفي نجم الدين أيوب في حملته على الصليبيين فأخفت شجرة الدر¹ زوجة أبيه الخبر و أرسلت في طلب ابنه توران شاه من الشام، الذي عاد الى مصر وتولى السلطة الا أنه لم يحسن التعامل مع رجال الدولة حيث قام بإبعاد من خشي منافستهم له²، ثم تنكر لزوجته أبيه و طالبها بأموال أبيه لذلك قامت بتحريض المماليك الذين تعرضوا للإقصاء و الطرد من طرف توران شاه، فقرروا قتله بعد شهرين من توليه الحكم سنة 648 هـ 1250 م وبذلك انتهت دولة بني أيوب³.

بعد هذه الحادثة اجتمع الأمراء و أهل المشورة واتفقوا على تنصيب شجرة الدر ملكة على مصر لأنها كانت تعتبر من ناحية أصلها أقرب الى المماليك، لذلك اعتبرت أول ملك يحكم مصر من المماليك⁴، الا أن شجر الدر احست بخرج لأنها أول امرأة تحكم المسلمين لذلك كانت توقع المراسيم بإسم أم خليل صاحبة الملك الصالح حتى تضفي على حكمها نوعا من الشرعية إشارة الى صلتها بالبيت الأيوبي، ورغم هذا فقد ظهرت الخلافات حول قضية حكم امرأة للمسلمين لذلك ظهرت معارضة شديدة من العلماء وسكان مصر بصفة عامة ثم امتدت الى الخليفة العباسي المعتصم بالله⁵

¹ شجرة الدر أم خليل من اصل تركي اشتراها نجم الدين أيوب و تزوجها وهي أول سلاطين المماليك قتلت من طرف المماليك بعدما قتلت زوجها المعز ايبيك سنة 655 هـ 1257 م، ينظر ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا، تح محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 م ص 317 - جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج 2 ص 35 - ابن ثغري بردي النجوم، المصدر السابق ج 6 ص 373 - الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج 16 تح أحمد الأرنؤوط تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي بيروت 2000 م ص 70 .

² المقرئزي، السلوك ج 1 المصدر السابق ص 358 .

³ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية بيروت ج 2 1996 م ص 178 - أبو شامة المقديسي، عيون الروضتين، المصدر السابق ص 158 - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام، دار النهضة العربية بيروت 1986 م ص 112 - قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي، المرجع السابق ص 21 .

⁴ المقرئزي، السلوك المصدر السابق ص 361 - جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة ج 2 المصدر السابق ص 76 .

⁵ المعتصم بالله أبو أحمد عبد الله أخر الخلفاء العباسيين ولد سنة 609 هـ وتولى الخلافة سنة 640 هـ و قتل على يد هولاءكو سنة 656 هـ ينظر، ابن ثغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق ج 7 ص 267 - ابن طبطبا، الفخري في الآداب السلطانية، المصدر السابق ص 333 - ابن عماد الخنبلي، المصدر السابق ج 7 ص 514 - علي ابراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة العربية القاهرة ص 459 - محمد جعفري بك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية ط 4، مطبعة الاستقامة القاهرة 1934 م ص 480 .

الذي عاتبهم بقوله "اذا كانت الرجال قد عدت فأعلمونا نسير لكم رجلا"¹. أما المشكل الآخر الذي اعترض شجرة الدر فهو رفض الأيوبيين في الشام الإعتراف بالنظام الجديد في مصر خاصة وان الشام كانت تابعة لمصر منذ عهد صلاح الدين²، وأمام هذه المشاكل لجأت شجرة الدر الى خلع نفسها و تزوجت الأمير عز الدين أيك³، وقد واجهت أيك مشاكل خطيرة تمثلت في تهديد الأيوبيين في الشام بغزو مصر و لتفادي هذه المعارضة جعل الى جانبه أميراً ايوبياً صغير السن وهو الأشرف موسى بن يوسف بن مسعود بن الكامل ورغم ذلك استمرت الخلافات و لم تتحقق الوحدة الا بعد ظهور خطر التتار في المنطقة⁴، وبعد ذلك تمكن أيك من الانفراد بالسلطة حيث خلع الملك الأشرف وبذلك بدأت مرحلة حكم المماليك البحرية⁵، وفي هذا الوقت زاد نفوذ نفوذ المماليك البحرية فانتشر الفساد و القتل و كان هذا من ابرز المشاكل التي واجهت أيك لذلك سارع الى الحد من هذا الخطر حيث قام بقتل زعيم التمرد فارس الدين أقطاي مما دفع بالكثير منهم الى الفرار الى الشام، أما المشكل الثاني فتمثل في الخلاف مع زوجته شجرة الدر التي أصرت على التخلص منه بعدما اراد الزواج من ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فحرضت جماعة من الخدم على قتله سنة 655هـ 1257 م⁶. الا أن المماليك لم يغفروا لشجرة الدر فعلتها فقتلوا خنقا في

¹ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج 2 ص 36 - المقرئزي الخطط، المصدر السابق ج 2 ص 237.

² المقرئزي نفسه ص 366 - الذهبي، دول الإسلام، المصدر السابق ص 356.

³ أيك كلمة تركية تتركب من أي و هو القمر وبك بمعنى الأمير، ابن ثغري بردي النجوم ج 7 ص 19 - بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص 9 - شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، تح حسن اسماعيل مروة و محمود الأرنؤوط، دار صادر بيروت 1999 م ص 165 - محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ط 1، دار الفكر دمشق 1990 م ص 11.

⁴ المقرئزي، السلوك ج 1 ص 382 - أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج 2 مؤسسة دار الشعب القاهرة ص 677.

⁵ المقرئزي الخطط ج 2 ص 236 - ابن ثغري بردي النجوم، ج 7 ص 3 - ابن الوكيل، تحفة الأحياب ص 60 - حمدي عبد المنعم المرجع السابق ص 158 - السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، ط 1، مكتبة مدبولي القاهرة 1995 م ص 43.

⁶ الذهبي شمس الدين، دول الاسلام، المصدر السابق ص 171 - ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13 دار التقوى 2004 م

ص 198 - الذهبي شمس الدين، سير أعلام البلاء المصدر السابق ج 16 ص 445 - ابن عماد، شذرت المصدر السابق ج 7 ص 462 - ابن الوكيل، تحفة الأحياب، المصدر السابق ص 60.

نفس السنة التي قتل فيها أيك لينتقل الحكم الى نور الدين ابن أيك الذي كان صغير السن فأستغل قطز¹ هذا الوضع و أبعده عن السلطة وتولى الحكم سنة 657 هـ 1259 م ومن أهم الأعمال التي قام بها هي كسر التتار في عين جالوت²، الا انه بعد رجوعه قتل على يد الظاهر بيبرس البندقداري³ في السادس عشر من ذي القعدة سنة 658 هـ 1260 م⁴ ثم تولى من بعده الظاهر بيبرس الذي شهدت الدولة في عهده أكبر توسعاتها فبلغت الشام و الحجاز حتى أصبح يلقب بسلطان الديار المصرية و الشامية و الحجازية⁵، ويمثل عهد هذا السلطان العصر الذهبي لدوامة المماليك .

لقد حكم دولة المماليك البحرية أربعة و عشرين سلطانا بداية من السلطان عز الدين أيك الى آخر السلاطين البحرية صلاح الدين حاجي بن شعبان، و من مميزات هذه الدولة انتشار المؤامرات و قتل السلاطين وفي معظم الحالات يحل القاتل مكان المقتول في السلطة .

¹ قطز هو محمود بن مودود من سلالة بيت خوارزم شاه حاكم بلاد المشرق الذي قضى التتار على مملكته نقل الى مصر و أصبح مملوك صلاح أيوب بن الكامل ثم انتقل الى عز الدين أيك التركماني، ينظر ابن الوردي، المصدر السابق ص 200 - أبو شامة المقديسي، المصدر السابق ص 210 - عبد العزيز بن عبد الله الحمدي، التاريخ الإسلامي مواقف و عبر، المجلد 8 ج 4 دار الأندلس الخضراء جدة 1998 م ص 386 - قاسم عبده وعلي السيد علي، المرجع السابق ص 138 .

² عين جالوت بلدة بين بيسان و نابلس من أعمال فلسطين استولى عليها الروم وحررها صلاح الدين سنة 579 ، ينظر ابن ثغري بردي النجوم ج 7 ص 72 - ابن كثير، البداية و النهاية ج 13 ص 222 - محمد شاکر الكتبي، فوات الوفيل و الذيل عليها، تح احسان عباس، ج 3 دار صادر بيروت ص 201 - ياقوت الحموي، المصدر السابق ج 4 ص 177 - فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ج 1 دار النهضة العربية بيروت 1980 م ص 308 .

³ البندقداري من يحمل كيس البندق خلف السلطان أو الأمير، المقرئ، السلوك المصدر السابق ص 436 - ابن ثغري بردي، النجوم ج 7 المصدر السابق ص 94 - ابن خلدون، العبر ج 5 ص 429 - محمد أحمد دهمان، المرجع السابق ص 37

⁴ ابن خلدون العبر ج 5 المصدر السابق ص 438 - ابن عماد، شذرات ج 7 المصدر السابق ص 504 - عبد الله الشرقاوي الشرقاوي، المصدر السابق ص 98 - ابن الوكيل، المصدر السابق ص 61 - أحمد عبد الكريم سليمان، المغول و المماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ط 1 دار النهضة العربية بيروت 1984 م ص 75 - انطوان خليل، المرجع السابق ص 9 .

⁵ ابن ثغري بردي، النجوم ج 7 ص 94 - بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح زبدي محمد عطا، عين للدرسات و البحوث الإسلامية القاهرة 2001 م ص 83 - حمدي عبد المنعم، المرجع السابق ص 223 - وليم موير، المرجع السابق ص 48 - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر و الشام، المرجع السابق ص 41 .

2-2-3 المماليك البرجية 784 هـ 1282 م / 923 هـ 1517 م

ارتبط ظهور المماليك البرجية بالسلطان قلاوون¹ الذي كون طائفة جديدة من المماليك خاصة به تختلف أصولها عن الطوائف المملوكية الأخرى حيث اختار عنصرا من القوقاز أطلق عليه اسم الجركس أو الشركس² وتسمى هذه الفرقة بالبرجية لان السلطان قلاوون أنزلهم في ابراج القلعة و حرص على تربيتهم تربية دينية و عسكرية، وقد بلغوا في نهاية عهده أكثر من ثلاثة آلاف مملوك³ وقد ارتقى هؤلاء في الوظائف فظهر تنافس بينهم وبين الأتراك، وقد زاد دور هذه الطائفة في عهد السلطان الناصر قلاوون من خلال دورهم الكبير في هزيمة التتار وكان من ابرز هؤلاء المماليك برقوق⁴، وتمكن الأمير برقوق من الوصول الى أتاك العسكر سنة 780 هـ 1378 م وعمل على التخلص من معارضيته ثم أزاح السلطان الصغير الصالح حاجي و اعتلى العرش و تلقب بالظاهر، وبذلك انتهت

¹ أصله من قفحاق و بيع بألف دينار لذلك سمي بالألفي ملكه صالح أيوب و ترقى الى رتبة أتاك العسكر في عهد العادل سلامش بن الظاهر بيبرس وأصبح سلطانا سنة 678هـ 1280 م وأقام في السلطة إحدى عشرة سنة و ثلاثة أشهر توفي سنة 689هـ 1289 م، ابن الوردي، المصدر السابق ص325 - ابن كثير، البداية و النهاية المصدر السابق ص321 - بيبرس المنصوري، المصدر السابق ص 173 - الذهبي شمس الدين، دول الاسلام ج 2 المصدر السابق ص212 - ابن العماد، شذرات، المصدر السابق ج 7 ص 715 - ابن خلدون، العبر ج 5 المصدر السابق ص453 - ابن الوكيل، المصدر السابق ص 62 .

² الجركس جنس من الأتراك يغلب عليهم دين النصرانية، ينظر القلقشندي، صبح الأعشى المصدر السابق ج4 ص 462 - القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح ابراهيم الأياري ط 3، دار الكتاب اللبناني 1931 م ص25 .

³ المقرئزي، الخطط المصدر السابق ج 2 ص 240 - عبد الله الشرقاوي المصدر السابق ص100 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ص260 - عبادة كحيلية، العقد الثمين المرجع السابق ص258 - الباز العربي، المرجع السابق ص 64 .

⁴ سيف الدين برقوق بن أنص ولد سنة 741 هـ جلبه من بلاد الجركس فخر الدين عثمان الى مصر و اشتراه الأمير يلغا العمري وأعتقه و سمي برقوق لنتى في عينه كما سمي العثماني نسبة الى سيده الأول، ينظر ابن ثغري بردي، النجوم ج 12 ص2- السخاوي شمس الدين الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج3 دار مكتبة الحياة بيروت ص 10 - السخاوي شمس الدين، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح بشار عواد معروف عصام فارس أحمد الخطيفي ج 1، مؤسسة الرسالة بيروت 1995 م ص 260 - أبو العباس ابن القاضي درة الحجال في أسماء الرجال، تح محمد الأحمد أبو النور، ج 1 دار التراث القاهرة ص 217 - ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق ص 325 .

دولة المماليك الأتراك بمصر¹. لقد بلغ عدد سلاطين المماليك البرجية ستة وعشرين سلطانا حكوا على مدى زمني يصل الى مائة واربعة وثلاثين سنة من 784 هـ 1382 م الى 923 هـ 1518 م كان منهم تسعة حكموا أكثر من مائة سنة، وقد تميزت هذه المرحلة بغياب وراثة العرش حيث أصبحت القوة وتديبر المؤامرات هي الوسيلة البارزة للوصول الى الحكم، اما الأحداث البارزة في هذه المرحلة فهي الوقوف في وجه تيمورلنك² خاصة في عهد السلطان برقوق، اما الحدث الثاني فتمثل في فتح جزيرة قبرص في عهد السلطان الأشرف برسباي 825 هـ 1426 م عندما قام قراصنتها بعدة حملات على الإسكندرية و على التجار المسلمين، ويعتبر هذا الفتح من أهم الأعمال الحربية في عهد دولة الجراكسة³.

2- 2- 4 عوامل سقوط دولة المماليك : لقد تميزت اوضاع الدولة في أواخر عهد قايتباي بالضعف اذ ضاق الناس بكثرة الأعباء و الضرائب كما انتشرت الأمراض و الأوبئة مثل الطاعون الذي فتك بمخلق كثير و لم تسلم حتى الأسرة الحاكمة حيث توفيت زوجة السلطان و ابنته، كما تميزت المرحلة الأخيرة من حكم المماليك بكثرة الصراعات و المنازعات بين المماليك و زادت المؤامرات للوصول الى السلطة مما أدى الى عدم الاستقرار، فالسلطان قايتباي تقدم في السن حتى كاد

¹ المقرئزي، السلوك المصدر السابق ج 3 ص 485 - حسين بن محمد الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج 2، مؤسسة شعبان للنشر و التوزيع بيروت ص 387 - ابن الوكيل، تحفة الأحياب، المصدر السابق ص 65 - السعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ص 266 .

² ذكر في بعض المصادر بتيمو و تيمور و هو تيمورلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج، بدأ ملكه لما انقرضت دولة بني جنكزخان، ولد سنة 728 هـ زحف على عدة مناطق في المشرق الإسلامي توفي سنة 807 هـ، ينظر الشوكاني ابن علي، البدر الطالع من بعد القرن السابع ج 1 دار الكتب العلمية بيروت 1998م ص 119 - ابن القاضي، درة الحجال المصدر السابق ج 1 ص 230 - السخاوي، الضوء الامع المصدر السابق ج 3 ص 46 - ابن عماد، شذرات المصدر السابق ج 9 ص 96 .

³ عبادة كحيلية، المرجع السابق ص 261 - عزمي عبید أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك ط 1 دار النفائس الأردن 1995 م ص 129 - الباز العريني، المرجع السابق ص 261 - قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، المرجع السابق ص 211 .

يفقد الوعي لذلك عزله الأمراء و بايعوا ابنه محمد الذي كان صغير السن فعزل هو الآخر¹، و بعد قايتباي تولى العرش عدد من السلاطين في تعاقب سريع يعكس مدى التدهور و الاضطراب الذي وصلت اليه الدولة و قد انتهى معظم هؤلاء بالقتل أو السجن .

ومن العوامل ايضا ضعف السلاطين حيث غابت العدالة عن الحكم وظهر التهافت نحو كسب المال فتدهورت الأوضاع الاقتصادية و ارتفعت النفقات خاصة تلك المخصصة للجيش . أما العوامل الخارجية فتمثلت في الحروب الصليبية التي انتهجتها الدول الأوروبية الحاكمة على الإسلام و التي أدت الى إضعاف القوة العسكرية المملوكية ، كما تأثرت دولة المماليك إقتصاديا بتحول الطرق التجارية الى رأس الرجاء الصالح و سيطرة الدول الأوربية على الطرق التجارية خاصة البرتغال، و بالتالي تراجعت الموارد التجارية التي كانت تحصل عليها الدولة من سيطرتها على المعابر التجارية²، أما الخطر الأخر فتمثل في ظهور القوة العثمانية في المشرق والتي توسعت في آسيا الصغرى على حساب الإمارات و القبائل التركية فضلا عن البنزطين و المسحين ،وقد كانت علاقة المماليك بالعثمانيين حسنة في البداية الى أبعد الحدود³، لكن هذه العلاقة سرعان ما تغيرت و أصبح الصدام حتميا بين دولتين تتنازعان العالم الإسلامي ،وقد تمكنت الدولة العثمانية من القضاء على المماليك في بلاد الشام في معركة مرج دابق 922 هـ 1516 م⁴، ثم القضاء عليها في مصر في معركة الريدانية 923 هـ

¹ سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي، المرجع السابق ص 337 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين و المماليك، المرجع السابق ص 294 عبد الرحمن محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 م ص 18 - الباز العريبي، المرجع السابق ص 262 .

² عزمي عبيد، المرجع السابق ص 129 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين و المماليك، المرجع السابق ص 298 - عبد الرحمن محمود عبد التواب، المرجع السابق ص 213 - فاروق عثمان اباضة، أثار تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر، ط 2 دار المعارف القاهرة ص 48 .

³ ابن تغري بردي، النجوم المصدر السابق ج 6 ص 71 .

⁴ شوق عبد القوي عثمان، التجارة بين مصر و افريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2000 م ص 129 - أسامة حسن، طومان باي آخر سلاطين المماليك، ط 1 دار الأمل للنشر و التوزيع مصر 2000 م ص 32 - الباز العريبي، المرجع السابق ص 263 - قاسم عبده قاسم، التاريخ السياسي والاجتماعي، المرجع السابق ص 154 .

1517 م¹، وبعد هذه الهزائم وقع طومان باي آخر سلاطين المماليك في قبضة الجيش العثماني و اعدم شنقا في شهر أبريل سنة 923 هـ 1517 م و هكذا انتهى الحكم المملوكي في مصر الذي استمر من سنة 648 هـ 1250 م الى 923 هـ 1517 م.

¹ ابن اياس الحنفي، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ص 85 - الشوكاني، البدر الطالع، المصدر السابق ص 542 - ابن الوكيل، المصدر السابق ص 70 - عبد الله الشرقاوي، تحفة الناظرين، المصدر السابق ص 112 - اسامة حسن، المرجع السابق ص 39

الباب الأول

الحياة الثقافية في بلاد المغرب و المشرق الإسلاميين

الفصل الأول

الخصائص الثقافية للأندلس في عهد بني نصر

تمهيد

1 - المراكز العلية و الثقافية

1-1 الكتاتيب و الزوايا

1-2 المساجد

1-3 المدارس

1-4 المكتبات

2 التعليم و أصناف العلوم

2-1 التعليم

2-2 أصناف العلوم

2-2-1 العلوم النقلية

2-2-2 العلوم العقلية

الفصل الأول: الخصائص الثقافية للأندلس في عهد بن نصير

تمهيد :

مثل عهد الدولة النصرية بالأندلس مرحلة هامة إذا استرجعت الحضارة الإسلامية بعض عافيتها حيث شهدت هذه المرحلة تطورا وازدهارا ثقافيا وقد ساعد على هذا الرقي مجموعة من العوامل منها بالدرجة الأولى دور الحكام من خلال اهتمامهم بالحياة الثقافية وإن كان هذا الاهتمام لم يقتصر على مرحلة الدولة النصرية بل يرجع إلى العهود الأولى فقد كان عبد الرحمن الداخل يهتم بالعلم والعلماء، كما كان عبد الرحمن الأوسط يحب الشعر ويميل إليه¹ أما الحكم بن عبد الرحمن فكان أكثر الحكام اهتماما بالعلم وجمع الكتب، حيث كان يكلف من يقتني إليه الكتب من حوانيت الإسكندرية ودمشق وبغداد حتى اجتمعت له خزانة كتب لم تكن لأحد قبله ولا بعده². وفي العهد النصري اهتم السلاطين بالجانب الفكري أيضا فالسلطان محمد الثاني كان يعرف بالفقيه وكان يؤثر العلماء والشعراء ويكتب الشعر³ وفي عهد السلطان أبو الحجاج يوسف الأول الذي بلغ اهتمامه برجال العلم أن جعل لسان الدين بن الخطيب وزيره وأميناً على بيت ماله⁴ أما السلطان محمد الثالث فقد كان عالماً ولوعاً بالفنون والآداب، ومن عوامل الازدهار أيضاً دور الرحلات نحو المشرق سواء كانت علمية أو دينية حيث كانت تشجع على مباشرة الشيوخ والأخذ عنهم وفي نفس الوقت فقد نقل الكثير

¹ ابن الخطيب، أعمال الأعلام المصدر السابق ص 10- بن صاعد الأندلس، طبقات الأمم، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت 1912 ص 65- انجيل باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية بوسعيد ص 40

² عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان العبر، المصدر السابق ص 42- حسن محمد سلمان، التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1988 ص 181

³ ابن الخطيب، الإحاطة ج 1 المصدر السابق ص 558 - أحمد مختار العبادي صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار المعارف الإسكندرية ط 1 2000 ص 232.

Roman masats ;Al Andalus culturas de convivenira ;lunwerg ;Editoras ;Barcelona 2002 p 43

⁴ النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تح لجنة إحياء التراث العلمي دار الآفاق الجديدة بيروت ط 5 1983 ص 173، المقري نفح الطيب المصدر السابق ص 64 ص 674

منهم عددا هائلا من المؤلفات المشرقية في جوانب مختلفة¹، ومن العوامل أيضا دور ومكانة غرناطة الثقافية خاصة بعد سقوط المدن الأندلسية الأخرى، حيث تحول الكثير من العلماء والفقهاء إلى هذه المدينة كما ظهر بها العديد من العلماء الذين كان لهم دور بارز في ازدهار الحركة العلمية أمثال لسان الدين بن الخطيب وأبي إسحاق إبراهيم الثاني الغرناطي، وأبي عبد الله بن زمرك وغيرهم²، وبفضل هؤلاء تحولت غرناطة إلى مركز ثقافي مهم يتوفر على مقومات عديدة من مؤسسات ثقافية ودينية مثل المدارس والمساجد وانتشر التعليم الذي كان إجباريا ومجانا كما نشطت حركة الترجمة والتأليف والتي عمت مختلف التخصصات³ ومن جهة أخرى حدث تحسن اقتصادي بعد أن نشطت حركة التصنيع وكثرت المنتجات الزراعية والمعدنية فازدهرت الحركة التجارية مع بلاد المغرب والمشرق.⁴

هذه الظروف الإيجابية ساهمت بدرجة كبيرة في ازدهار الحياة الفكرية في الأندلس أيام الدولة المصرية، ومن مظاهر التطور كثرة التأليف في المجالات المختلفة وبروز عدد كبير من العلماء في شتى العلوم النقلية منها والعقلية، إضافة إلى كثرة وتنوع المؤسسات العلمية والدينية.

1. المراكز العلمية والثقافية :

1.1: الكتايب والزوايا :

تعتبر الكتايب من أقدم المراكز التعليمية في العالم الإسلامي والكتايب لغة جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب أي موضع تعليم الكتابة⁵ ويعود تاريخ إنشاء الكتايب إلى المراحل الأولى من تاريخ

¹ نعيمس بويوزان، فضل الحج على العلم في المؤب من خلال رحلات الحج، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 61416 ص 134 - حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار البقاء للطباعة والنشر القاهرة 1998 ص 80

² ابن الأحمر الغرناطي، مشاهير الشعراء والكتاب في المغرب والمشرق والأندلس، فوائد الجمان، تح محمد رضوان الداية، عالم الكتب بيروت 1986 ص 55 - حمدان حاجي، حياة وأثار ابن زمرك، ديوان المطبوعات الجامعية 1989 م ص 30

³ حامد الشافعي، الكتب والمكتبات، المرجع السابق ص 31

⁴ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت 1989 ط 2 ص 19.

⁵ محمد عبد المجيد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي ط 1 1982 م ص 217 - حسن عزوزي، القراءات القرآنية وخصائصه بالمؤب والأندلس التأليف في، القرن 8، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للحضارة الإسلامية وهران العدد 1 السنة 1993 م ص 241.

الإسلام عند انتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية ، حيث كانت تحتاج المناطق المفتوحة إلى أماكن لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي، فتم استحداث هذه الأماكن لهذا الغرض ، و كانت الأندلس من بين هذه المناطق التي ظهرت بها هذه المؤسسات وهي عبارة عن حجرات صغيرة عادة ما تجاور المساجد سواء في القرى أو المدن، وتخصص هذه الحجرات لتعليم الصبيان، وقد شهدت الأندلس هذه الظاهرة مباشرة بعد الفتح حيث انتشر الكثير منها في مختلف المدن ومن الوسائل التي تستخدمها هذه المؤسسات في التعليم وسائل بسيطة متمثلة في لوح خشبي ودواة وقلم مصنوع من القصب¹ ، أما فيما يخص المقررات الدراسية الخاصة بالكتاتيب فهي تعليم القرآن في سن مبكرة للصبيان إضافة إلى تعليم الكتابة وبعض قواعد النحو والإعراب وبعض مبادئ الحساب² ، وكانت هذه المؤسسات تنشأ من طرف المحسنين وبعض العلماء ورجال السلطة وقد عرفت هذه المؤسسات بعد ذلك تطورا من حيث البناء أو نظام التدريس كإدخال بعض المواد الإضافية إلى جانب تلك المواد الأساسية المتمثلة في تحفيظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية³. وبالتالي فإن هذه المؤسسات تعتبر النواة الأولى في التعليم فهي بمثابة المدارس الابتدائية تمهد الطريق لانتقال المتعلم إلى مرحلة أعلى.

¹ عبد لي لخضر، الحياة الثقافية بالمؤدب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه دولة قسم التاريخ جامعة تلمسان 2005 م ص 92.

² A.Lévi provençal.séville musulman au début du xxi siècle . maisonneuve et larose . p 55 .- rachal- arie l'espagne musulmane au temps de nasrides . de boccard paris 1990 p 425 ,

مبحوث بودواية.العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان العربي خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، دولة قسم التاريخ جامعة تلمسان 2006 م ص 75.

³ حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجة ومحمد الأخضر الشركة المغربية لدور النشر الرباط 1980 م ص 261 إبراهيم حركات ، طرق التدريس والتواصل الثقافي في ظل بني الأحمر في الأندلس، مجلة المنهل، دار المنهل للطباعة والنشر جدة 1994م العدد 517 ص 66.

أما الزوايا فهي عبارة عن مكان يتعبد فيه الصوفي ومكان لإيواء عابري السبيل والفقراء والمحتاجين وإسكان الموردين¹ فهي مؤسسة ذات طابع ديني واجتماعي، ولهذا كان أهل الأندلس يهتمون بها خاصة وأنها كانت تقوم بدور تعليمي لمختلف العلوم الشرعية، وقد حظيت باهتمام السلاطين في إطار الاهتمام والاحترام الذي كانوا يكرهه لرجال التصوف ، بحيث كانوا يتبركون بهم رجاء دعواتهم بتحقيق النصر².

ومن أهم زوايا الأندلس زاوية الفقيه ابي الحسن أحمد بن محروق³، وكان يشرف على الزاوية شيخ يتولى التعليم ويساعده عدد من المتطوعين، أما موارد الزوايا فكانت من الأوقاف الخاصة بها أو من الهدايا و تبرعات المحسنين ومن الزكاة⁴.

وقد لعبت هذه الزوايا دورا هاما لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات الثقافية الأخرى خاصة في المناطق البعيدة عن المدن والتي تنعدم فيها المساجد والمدارس، فكانت الزوايا والكتاتيب تمثل المكان الوحيد الخاص بتعليم القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة العربية ، ولهذا فقد حظيت بمكانة خاصة لدى السكان وبالدرجة الأولى الفقراء منهم.

2.1: المساجد :

للمسجد دور بارز في الإسلام بحيث لم يكن مكانا للعبادة فحسب بل هو مركز للنشاط السياسي والاجتماعي، تتخذ فيه القرارات الحاسمة السياسية منها والاجتماعية والعسكرية، كما يعتبر النواة الأساسية لإعمار المدينة فمنه تتفرع الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة وحول ساحته تقام الأسواق

¹ ابن مرزوق الخطيب، المسند، المصدر السابق ص 419

² أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م، ص 344.

³ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد المنعم عريان، ط3 دار إحياء العلوم بيروت 1996 م ص 285.

⁴ عبد الرحمن الأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، رسالة دكتوراه العلوم قسم التاريخ وعلوم الآثار جامعة تلمسان 2013 م ص 159.

والفنادق¹، ولم يقتصر دوره على إقامة الصلوات بل كان يقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية.

ففيه تقام حلقات الدرس في التفسير والحديث وغيره، و فيه يجتمع العلماء للتدريس ومناقشة المسائل الفقهية²، أما اجتماعيا فتعقد فيه عقود الزواج والتجارة وتقرأ فيه الإعلانات الرسمية هذه الأهمية جعلت المسلمين يشيدون المسجد الجامع أولا وذلك لإضفاء الطابع الإسلامي على المدينة، بينما كانوا في بعض المدن الأخرى يكتفون بمشاركة النصارى في كنائسهم كما حدث قرب كنيسة قرطبة حيث اتخذوا مكانا بجوارها لإقامة الصلاة بعد فتحها.³

والمساجد أنواع من حيث التأسيس نوع أسسه الحكام والأمراء والولاة كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمعات الإسلامية، ونوع ثان أسسه كبار الأثرياء رجاء مرضاة الله وكسب الشهرة، ونوع ثالث أسسته الجمعيات الخيرية والدينية والاجتماعية.⁴

ومن أهم مساجد الأندلس تلك التي أنشئت في العهد الأموي الذي شهد استقرارا في الأوضاع السياسية وتطورا كبيرا في الحياة الفكرية وازدهارا اقتصاديا كبيرا ومنها :

. **المسجد الجامع بقرطبة** : ويعتبر من أهم المساجد التي بنيت في الأندلس نظرا لطابعه المتميز في تاريخ العمارة الإسلامية وهو المسجد الذي ينفرد بخصائص لا نجدها في غيره من حيث البنيان

¹ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ج3 مكتبة النهضة المغربية بيروت 1985م ص 420.

² كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للنشر، مركز الإسكندرية للكتاب 1979م ص 20.

³ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، المصدر السابق ج2 ص 341- عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2001 م ص 386-.

هناء الدويدري، قرطبة مدينة وتراث، مجلة الحضارة الإسلامية المرجع السابق ص 22.

⁴ يحيى بو عزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، 2002 م ص 14.

والزخرفة والطول والعرض¹، إذ يصفه الحميري بقوله "إنه الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا كبير المساحة واحكام صنعه وجمال هيئته واتقان بنيته...فصار يجار الطرف ويعجز في حسنه الوصف..."²

أما المقرري فيرى أنه ليس ببلاد الإسلام أعظم منه وأعجب وأتقن صنعة³، فهو يمثل أروع مثال للعمارة الإسلامية في العصر الوسيط بفضل ما تضمنه من ابتكارات معمارية وثروات زخرفية، وقد قال فيه شاعر عبد الرحمن الأوسط ابن المثنى:

بَنَيْتُ لِّلَّهِ خَيْرَ بَيْتٍ يَخْرُسُ عَنْ وَصْفِهِ الْأَنَامُ
حَجَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ أَوْبٍ كَأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ⁴

وقد مر بناء المسجد الجامع بقرطبة بعدة مراحل الأولى في عهد عبد الرحمن الداخل الذي أمر ببنائه سنة 178 . 189 هـ⁵، وكان المسجد في البداية ينقسم إلى قسم مسقوف وهو بيت الصلاة وقسم مكشوف وهو الفناء والحوض، وتوفي عبد الرحمن قبل اتمام المسجد.

أما هشام بن عبد الرحمن فقد أكمل عمل أبيه ببناء المئذنة والحوض وقد بلغ ارتفاع المئذنة عشرين مترا، وقام أيضا ببناء في آخر المسجد سقائف للنساء وأمر ببناء الميضة بشرق الجامع⁶.

¹ الإدريسي أبو عبد الله، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح زينهارت دوزي ودوكوغ، مطبعة بريل لينرن 1866 م ص 208 - علي بن بسام الورداني، الرحلة الأندلسية، تح عبد الجبار شريف، الدار التونسية للنشر 1984 م ص 68.

² الحميري الروض المصدر السابق ص 456.

³ المقرري، نفح الطيب، المصدر السابق ج 1 ص 545 - إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي المرجع السابق ص 21.

⁴ عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1986 م، ص 10.

⁵ روجي غارودي، الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العلم والفكر، ترجمة دوقان قرطوط، دار دمشق 1995 م ص 235 - مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة عبد العزيز سالم، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية للنشر 1984 م ص 68.

⁶ ابن القوطية المصدر السابق ص 46 - حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب والندلس المرجع السابق ص 338 - عبد العزيز سالم قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج 1 مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ص 52.

أما عبد الرحمن بن الحكم فقد قام بتوسيعه لما ضاقت بيت الصلاة على المصلين حيث أضاف بلاطتين سنة 218 هـ 833 م حيث بلغت الزيادة خمسين ذراعا وعرضها مائة وخمسين وعدد سواربها ثمانين سارية وفتحت باب المقصورة وأقيم ممر مسقوف من القصر إلى الجامع على مقربة من المحراب¹ ، وفي المرحلة الرابعة في عهد عبد الرحمن الناصر 340 هـ 950 م قام بناء صومعة جديدة محل الصومعة التي تصدعت وقد تم نقش هذه الصومعة الجديدة من الأسفل إلى الأعلى وقد مثلت نموذجا للمآذن الأندلسية² ، وشهد المسجد بعد ذلك عدة زيادات في عهود مختلفة بداية من الخليفة الحكم المستنصر 354 هـ 968 م ، وقد أصبح للمسجد بعد ذلك واحد وعشرون بابا كلها ملبسة بالنحاس الأخضر وفي العهد المرابطي والموحدي عرف أيضا بعض الترميمات، كما شهدت قرطبة بناء عدد من المساجد يذكر بعض المؤرخين أنها فاقت ثلاثة آلاف مسجد أهمها مسجد الكهف ومسجد مسرور ومسجد الزهراء.³

. مسجد بن عبديس بإشبيلية بناه القاضي عمر بن عبديس سنة 214 هـ 829 م بأمر من الأمير عبد الرحمن الأوسط، وهو يشبه جامع قرطبة في عدد بلاطاته وصحنه ومئذنته⁴. ثم قام الأمير الموحدى الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور بترميمه سنة 592 هـ 1195 م وعند سقوط إشبيلية على يد فرناندوا الثالث 644 هـ 1249 م تحول المسجد إلى كنيسة تحت اسم سان سلفادور⁵ ، وفي نفس

¹ ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، المصدر السابق ج2 ص 343- عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين ، المرجع السابق ص 293.

Livi ; provençal , l'Espagne musulmane au 10 siecle, institutions et la vie sociale maisonneuv et larose paris 2002 p 210.

² عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة المرجع السابق ص 333 - محمد عبد الله الحماد، التخطيط العمراني لمدينة الأندلس الإسلامية، ندوة الأندلس، القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون، مطبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة 1986م، ص 158
³ الحميري الروض المصدر السابق ص 458 - لسان الدين ابن الخطيب أعلام الإعلام المصدر السابق ص 41- عبد الله عنان تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الفاتحي القاهرة 1970 ص 191 - جودة هلال ومحمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المغربية للكتاب 1988م ص 45.

⁴ أحمد المهدي الغزال، رحلة الغزال وسفاراته للأندلس، تج إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 م ص 84 - محمد لبيب البنتوني، رحلة الأندلسيين، مكتبة الثقافة الدينية 1998 م ص 96.

⁵ ابن أبي زرع الأنيس المطرب المصدر السابق ص 216 - عبد العزيز سالم، المساجد والقصور ، المرجع السابق ص 32.

المدينة قام الخليفة أبو يعقوب يوسف سنة 567 هـ 1172 م ببناء المسجد الجامع بقصبة إشبيلية والذي كان يضم سبع عشرة بلاطة تتجه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه القبلة¹ ، أما الصومعة فقد بناها خليفته أبو يوسف يعقوب وقد تجاوزت صومعة قرطبة.²

. مسجد باب مردوم بطليطلة :

يعد هذا المسجد من أهم مساجد الأندلس بعد قرطبة أقامه أحمد بن حديدي قاضي طليطلة من ما له الخاص ابتغاء ثواب الله وذلك سنة 309 هـ 922 م وسمي بهذا الاسم نسبة إلى باب مجاورة له يعرف بباب المردوم وتحول هو الآخر بعد سقوط المدينة إلى كنيسة.³

. المسجد الأبيض بسرقسطة :

أقامه أحد الوافدين إلى الأندلس أيام الفتح الإسلامي مع موسى بن نصير وهو حنش الصنعاني ثم زاد فيه موسى الثاني سنة 238 هـ 852 م.⁴

. المسجد الجامع بتيطلة :

أقامه الأمير موسى بن موسى عامل تيطلة الذي كان قد استقل بالثغر الأعلى استقلالاً جزئياً⁵ ، كما شهدت مدن أندلسية أخرى إنشاء العديد من المساجد منها مسجد القصبة بمالقة الذي أقامه

¹ عبد العزيز سالم المرجع نفسه ص 38.

² ابن أبي زرع الوئيس المصدر السابق ص 229.

³ الإدريس، المغرب وأرض السودان، المصدر السابق ص 188 - شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج 1 المطبعة الرحمانية مصر 1936 م ط 1 ص 308- أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي ، المصدر السابق ص 151.

⁴ الحمري الروض ، المصدر السابق ص 317- عبد العزيز سالم، المساجد والقصور، المرجع السابق ص 12.

⁵ محمد حسن قبة، محطات أندلسية، دراسة في التاريخ والأدب والفن ، ط 1 الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة 1985 م ص 59.

الفقيه معاوية بن صلاح الحمصي والمسجد الجامع بمالقة¹ ، أما بلنسية فشهدت بناء عدة مساجد منها مسجد بلنسية في وسط المدينة الذي أقيم مكان كنيسة وأعيد بناؤه في عهد عبد الرحمن الداخل ومسجد رحبة القاضي قرب باب القنطرة.²

وفي الجزيرة الخضراء أنشأ الفاتح موسى بن نصير مسجد الرايات إضافة إلى المسجد ابن عيشون الذي بني في العهد المرابطي.³

مساجد غرناطة :

أما آخر مدينة إسلامية في الأندلس فقد شهدت بناء مساجد عديدة كان لها دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية والدينية ومنها المسجد الجامع الذي بناه السلطان النصري محمد الفقيه وقد درس به أبو بكر بن جزري وهو من أبداع الجوامع وأحسنها منظرا ، محكم البناء تحف به دكاكين الشهود والعطارين⁴ ، ومن جهة أخرى يعتبر هذا المسجد مركز الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية بغرناطة حيث شهد معظم الأحداث الهامة وكانت تعقد فيه مجالس العلم ، وقد درس فيه العديد من فقهاء الأندلس إضافة إلى المسجد الحمراء الذي بناه السلطان محمد الثالث 705 هـ 1305 م والذي تحول إلى كنيسة بعد سقوط المدينة ومن مساجد غرناطة أيضا مسجد المنصورة ومسجد ابن سحنون، ومسجد الفخارين، ومسجد دار القضاء ومسجد القيسارية⁵ ، ومساجد أخرى كثيرة منها مسجد

¹ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج2 ، ط2 دار الكتاب اللبناني 1989م ص 38 - الحميري الروض المصدر السابق ص 218.

² كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي المرجع السابق ص 205.

³ الإدريسي، المغرب والسودان المصدر السابق ص 177- عادل سعيد بشتاوي الأندلسيون المواركة، المرجع السابق ص 265.

⁴ القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المصدر السابق، ص 214- ابن الخطيب ، اللوحة البدرية ، المصدر السابق ص 37 - ابن الخطيب الإحاطة ج1 المصدر السابق ص 315 - شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، دارمكتبة الحياة بيروت 1883م ص 224.

⁵ محمد الطوخي ، المرجع السابق ص 57- عبد العزيز سالم المساجد والقصور المرجع السابق ص 38 - صلاح محمد السندي السندي المنشآت الدينية في غرناطة الإسلامية ، ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية جمعية المؤرخين العرب القاهرة 1995م ص 480.

ريض البيازين ومسجد الجوزة ومسجد المرابطين وعدد من المصليات الصغيرة¹، أما ألمرية فقد اشتهرت بمسجدها الجامع الذي بناه عبد الرحمن الناصر، وهو من أجل مساجد غرناطة وقد تم توسيع بيت الصلاة أكثر من مرة، و تحول بعد سقوط المدينة إلى كنيسة كذلك.²

وبصفة عامة فقد ساهمت هذه المساجد في تنشيط الحركة العلمية، فقد تحولت غرناطة بعد سقوط باقي المدن الأندلسية إلى ملتقى للعلماء والطلاب، خاصة وأن هذه المساجد قد حظيت باهتمام كبير من طرف الحكام والأمراء و الذين عملوا على توفير كل ما يحتاجه الطلبة من ظروف الراحة والاستقرار .

3.1: المدارس :

لقد عرف العالم الإسلامي نظام المدرسة منذ القرن 5 هـ - 11 م بعد أن ظهرت أول مدرسة بمدينة نيسابور وهي للفقيه الشافعي أبي إسحاق الإسفرايني المتوفى سنة 418 هـ³، ثم تطورت في عهد الدولة السلجوقية ثم انتشرت بعد ذلك في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، وقد شهد الأندلس ظهور العديد من المدارس قام ببنائها الحكام والعلماء ومن أبرزها.

. مدرسة قرطبة : أنشأها كبار علماء المدينة كعبد الملك بن حبيب ومطرف بن قيس وكانت تدرس كتباً مختلفة خاصة تلك الآتية من المشرق وبالتحديد العراق⁴، كما عرفت قرطبة مدارس أخرى بلغ

¹ ابن الخطيب ، الإحاطة ج1 المصدر السابق ، ص 491.

² محمد أبو الفضل ، تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ نشأتها حتى استلاء المرابطين عليها، الهيئة المغربية العامة للكتاب الإسكندرية ص 132 - عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة ألمرية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1984م، ص 145.

³ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الأسفرايني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي أخذ عنه عامة شيوخ نيسابور له كتاب جامع الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين ، بنيت له المدرسة المشهورة في نيسابور ، ينظر، ابن خلكان وفيات الأعيان ج1 - المقرئ ، الخطط، المصدر السابق ج2 ص 363- ابن منصور السمعاني، الأنساب ، تح عبد الله عمر البارودي ، ط1 دار الجنان بيروت 1988م ج1 ص 144 .

⁴ جوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس ، ترجمة طاهر أحمد مكي ط2 دار المعارف 1994 م ص 55 - ابن عذارى المراكشي البيان المغرب ، المصدر السابق ج2 ص 256.

عددها سبعا وعشرين مدرسة بنيت بعضها بجوار المسجد الجامع، وأبرزها مدرسة ابن حزم لذلك كانت المدارس لا تذكر منفصلة بل محلقة بالمساجد.

. **المدرسة النصرية** : الغرناطية وتسمى بالمدرسة اليوسفية أو المدرسة العلمية أنشئت في عهد أبي الحجاج يوسف الأول سنة 733 هـ - 755 هـ / 1323 م - 1354 م¹ على يد الحاجب رضوان سنة 750 هـ 1349 م² ونظرا لشهرتها الكبيرة بالأندلس وخارجه فقد استقطبت العديد من العلماء والطلاب ومن أبرز العلماء الذين درسوا بها أبو سعيد فرج بن لب ويحيى بن هذيل التجيبي المتوفى سنة 753 هـ 1353 م الذي كان يدرس الأصول والفرائض والطب³، ومنصور الزاواوي المتوفى سنة 757 هـ 1358 م الذي كان يدرس التفسير⁴، وأبو القاسم بن جزى وابن الفخار الخولاني المتوفى سنة 754 هـ 1354 م وقد بلغت هذه المدرسة شهرة كبيرة في الأندلس والمغرب الإسلامي بصفة عامة ونظرا لأهميتها فقد أوقف عليها لسان الدين ابن الخطيب نسخة من كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة، لينتفع به الطلبة.⁵ كما مدحها أيضا في قصيدة مطلعها :

ألا هكداً تبني المدارس للعلم وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا وتجنّي ثمار العز من شجر العزم

¹ لسان الدين ابن الخطيب ، اللوحة البدرية ، المصدر السابق ص 97

Atallah Dhina les etats de l'occident musulman aux xii xiv et xv siecles office des publications univesitaires .Alger p 319.

² إبراهيم حركات ، المرجع السابق ص 70 - سعيد بنحماوة ، النظام التعليمي في الغرب والأندلس خلال العصر الوسيط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب- عبد الله عنان ، الأثار الباقية في اسبانيا والبرتغال ، ط2 مكتبة الغانجي القاهرة ، 1997 م ص 172 ،

³ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة 4 ج ، المصدر السابق ص 389.

⁴ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقدم عبد الحميد عبد الله المرولة ، ط1 منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989 ص 61.

⁵ المقرئ ، أزهار الرياض ، المصدر السابق ، ج 1 ص 55 - أحمد الطوخي مظاهر الحضارة ، المرجع السابق ص 316.

جزى الله عن يوسف خير ما جزى ملوك بني نصر عن الدين والعلم¹

إن المدرسة النصرية تمتعت بمكانة علمية هامة سواء في الأندلس أو بلاد المغرب الأخرى، فقد زارها عدد من علماء المغرب، كما انتقل إليها عدد من الطلبة للأخذ عن علمائها، وعرفت الأندلس مدارس أخرى لا تقل أهمية عن مدرسة غرناطة منها مدرسة إشبيلية ذات السمعة الكبيرة بدليل أنه تخرج منها شيخ النحاة أبو حيان الغرناطي²، ومدارس أخرى في سرقسطة ومرسية وغيرها.

4.1: المكتبات :

المكتبة هي الوعاء الأساسي للاعتراف من العلوم وقد حظيت المكتبات في الأندلس باهتمام حكام الدول المتعاقبة، حيث تسابق الحكام ورجال الفكر إلى اقتناء الكتب، وقد ارتبط ظهور المكتبات بتطور الانتاج الفكري من حيث الكثرة والتنوع لأن أساس المكتبات هي المؤلفات والمصنفات³، وقد شجع اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء على جمع الكتب وأصبحت عملية تأسيس المكتبات علامة مميزة للرقى، ومن الحكام الولوعين بجمع الكتب، الحكم الثاني الذي أقام مكتبة بلغت أربعمئة ألف كتاب فهرست في أربعين مجلدا⁴، وقد عرفت الأندلس انتشار العديد من المكتبات سواء التابعة للمساجد والجوامع مثل مكتبة جامع قرطبة أو مكتبة جامع طليطلة⁵، ومن أهم المكتبات العامة في الأندلس مكتبة قرطبة وهي مكتبة القصر أو المكتبة الأموية أنشأها عبد الرحمن الداخل⁶، وقد كان يعمل في المكتبة أشهر الخطاطين والفنانين والمجلدين مع وجود لجنة من كبار العلماء تقوم بتصحيح

¹ المقرئ أزهار الرياض، المصدر السابق ج1 ص 272.

² جوليان ريبوا، المرجع السابق ص 131.

³ حامد الشافعي، الكتب والمكتبات، المرجع السابق ص 93.

⁴ أحمد الطوخي، المرجع السابق ص 163.

⁵ سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1 دار النهضة العربية بيروت 1998 م ص 163.

⁶ Claudio San chez Albornoz, l'Espagne musulmane, Traduction Claud Faraggi opu publisnd

1985, p 317

هذه الكتب ومنهم محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي¹ ، ومن أبرز النساخين بها عباس بن عمرو بن هارون الصقلي².

أما مكتبة إشبيلية فتعتبر ثاني مكتبة من ناحية الأهمية الفكرية بعد قرطبة ، وقد عرفت هذه المدينة بسوق الكتب الذي كان قائما بها.³ أما في غرناطة النصرية فمكتبة بني الأحمر الملكية التي أنشأها السلطان الأول المؤسس للدولة محمد الأول 636 هـ 671 هـ / 1278م 1273م و تعتبر من أهم المكتبات نظرا لعدد الكتب التي كانت تزخر بها في شتى العلوم⁴ ، أما المكتبة الثانية فهي مكتبة الجامع الأعظم بغرناطة التي أنشأها السلطان محمد الثالث 701 هـ -708 هـ / 1301م -1308م.⁵

أما المكتبات الخاصة والتي تخص أفرادا معينين أقاموها على نفقتهم الخاصة ولمصلحتهم الشخصية⁶ ، فقد كان عددها كبيرا جدا أبرزها مكتبة ابن أفطيس وهي مكتبة رفيعة البناء والزخرفة يعمل بها ستة من الناسخين وخازن، تنسب المكتبة إلى عائلة ثرية منهما أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أفطيس الذي تجمعت لديه أعظم مكتبة بعد مكتبة القصر، حيث بيعت كتبه بأربعين ألف دينار⁷ ، ومكتبة ابن جعفر أحمد بن العباس الوزير في المرية، الذي كان جامعا للكتب حتى بلغت لديه أربعمئة ألف مجلد واجتمع عنده ما لم يجتمع عند أحد من نظرائه.⁸

¹ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ، المصدر السابق ص 509.

² ابن الفرضي، نفسه ص 736.

³ جوليان ريبيرا ، المرجع السابق ص 178.

⁴ ابن الخطيب ، اللوحة البدرية ، المصدر السابق ص 36- الإحاطة ج 2 ، المصدر السابق ص 13.

⁵ ابن الخطيب ، اللوحة البدرية ، نفسه ص 50.

⁶ حامد الشافعي، المرجع السابق ص 106- حاجي مصطفى عليان ، المكتبات في الحضارة الإسلامية ، ط1 دار الصفاء

للنشر والتوزيع عمان 1999 م ص 124.

⁷ ابن العماد الحنبلي، شذرات ، المصدر السابق ج 5 ص 11- ابن بشكوال، كتاب الصلة ، تج إبراهيم الأبياري ج 1، ط1

دار الكتاب اللبناني 1989 م ص 466.

⁸ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق ج 3 ص 535.

ثم مكتبة ابن الزبير إبراهيم في غرناطة، ومكتبة ابن لب محمد بن محمد من أهل مالقة الذي أوصى بتحييس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.¹

ومكتبات أخرى عديدة بباقي المدن الأندلسية، ساهمت بشكل كبير في تنشيط الحركة الفكرية وشجعت على التأليف واقتناء الكتب.

¹ جوليان ريبوا، المرجع السابق ص 132.

2- التعليم وأصناف العلوم:

2-1 التعليم:

يعتبر من العوامل المؤثرة في الازدهار الثقافي والذي نعني به طرق ومناهج وأدوات ومؤسسات نقل معلومات ومهارات وكفاءات محددة من معلم إلى متعلم، أما المؤسسات فهي متنوعة تمثلت خاصة في الكتاتيب والمساجد والمدارس وكان التعليم في الأندلس يمر بمرحلتين كباقي مناطق العالم الاسلامي يتم فيها حصول المعرفة بتدرج من المعارف الأساسية إلى المعرفة المتخصصة.

2-1-1 المرحلة الابتدائية:

وهي المرحلة التي تقوم على تحفيظ القرآن الكريم نظرا لأهميته الدينية والتعليمية لأن تعليم القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة وتزداد أهميته عندما يكون في الصغر فهو أشد رسوخا وهو أصل لما بعده.¹

وإلى جانب القرآن كان الطالب يتعلم مبادئ اللغة العربية والحساب والخط ورواية الشعر، وهكذا فقد كان التعليم الابتدائي في الأندلس أكثر تعميما فكانوا لا يقتصرون على القرآن بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر وأخذهم بقوانين العربية والخط والتجويد كما يقول ابن خلدون.² هذه المرحلة كانت تتم بالكتاتيب وهي خاصة بالصبيان في سن محددة بين الخامسة والسادسة، وفق برنامج محدد حيث تحفيظ القرآن الكريم في الفترة الصباحية بينما باقي المواد في الفترة المسائية.³ وكان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلم أو المؤدب والذي يشترط فيه الأخلاق الحميدة والمروءة والسلوك ومحل ثقة الآباء والمعرفة التامة بالقرآن وعلومه.⁴ وهذا نظرا لأن المعلم هو القدوة للأطفال

¹ ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 740.

² ابن خلدون، نفس المرجع، ص 741، جوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 35.

³ لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهدة زيان، رسالة الدكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان،

2005، ص 91.

⁴ ابن سحنون، أداب المعلمين، تح حسن حسين عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص 45- إبراهيم أنوار،

نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية، مطبعة دار المناهل، 2011، ص 32.

الذين يتولى تربيتهم وتعليمهم، وقد كان التعليم يتم بأجر متفق عليه مسبقاً، وبعد ذلك أصبح التعليم إجبارياً ومجاناً¹. وتهدف هذه المرحلة من التعليم إلى تأهيل الطالب ليكون متعلماً بعد حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه وتعلمه الحساب واللغة والكتابة، فيجعل المتعلم مستعداً لأخذ علوم أخرى واكتساب مهارات تساعده على الانتقال إلى مرحلة ثانية من التعليم، أما الهدف الثاني فهو ديني يقصد به أساساً حفظ القرآن الكريم وحسن تلاوته والتمسك بأخلاقه الحميدة وذلك ابتغاء مرضاة الله وتحقيق مجتمع إسلامي فاضل.²

2-1-2: مرحلة التعليم العالي:

بعد أن يتمكن الطالب من حفظ القرآن وتعلم المبادئ الأولى للغة العربية ينتقل إلى المرحلة الثانية من التعليم وهي التي تتم في المساجد أو المدارس، وفي هذه المرحلة يتوجه الطلبة إلى دراسة مختلف العلوم³، وكان للطلاب الحرية في اختيار مواد التدريس إلا أن معظم الطلاب يتوقفون عند العلوم الشرعية حيث كانت لها الأولوية إضافة إلى التعمق فيه باعتباره أساس فهم الكتب والمواد الأخرى، كما كان بإمكان الطالب الجمع بين عدة دراسات مثل الحساب والمنطق والطب وغيرها، وكان يتولى التدريس في المساجد والمدارس أساتذة في مختلف المواد، وعادة ما كان الحكام يشرفون على اختيارهم وتعيينهم ويشترطون فيهم المؤهلات العلمية وهي المستوى العلمي للمدرسين واتصال أسانيدهم بشيوخ كان لهم صيت وصدى في ميدان اختصاصهم المعرفي أو انتهت إليهم فيه الرياسة⁴، ونظراً لنجاح أسلوب التعليم في الأندلس فقد أقبل عليه الطلبة من كل الفئات والمناطق وحتى من خارج

¹ عبدالله علام، الدولة الموحدية في المغرب، للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 291- سي عبد القادر عمر، العلاقات الثقافية بين الأندلس ومصر المملوكية من القرن 7هـ إلى 9هـ، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010، ص 33.

² إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 34.

³ جوليان ريبوا، المرجع السابق، ص 41- إبراهيم حركات، طرق التدريس، المرجع السابق، ص 67.

⁴ إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 58- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، 1988، ط1، ص 217.

الأندلس حيث اشتهرت عدد من المراكز الثقافية أو الحواضر التي كان يقصدها الطلبة ومن أبرزها غرناطة التي زادت أهميتها بعد سقوط المدن الأندلسية الأخرى، وهي من أهم المراكز العلمية والسياسية في عهد بني نصر، كما تميزت بشهرة مساجدها ومدريستها ونظرا لأهميتها فقد لقت بدمشق الأندلس¹، وقد شهدت هذه المدينة بروز العديد من العلماء ومن الأسماء التي ارتبطت بها لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون.

أما مالقة فتعتبر ثاني مركز علمي بعد غرناطة إضافة إلى مراكز أخرى مثل ألميرية وجيان وغيرهما، لقد اجتمعت عدة عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية في الأندلس في عهد بني نصر كان أبرزها نجاح أسلوب التعليم.

2-2. أصناف العلوم:

تنقسم العلوم لدى المسلمين إلى مجموعتين، العلوم النقلية والتي تشمل علوم الدين وعلوم اللغة العربية، والعلوم العقلية وتشمل على ما لم يدخل في حيز النقل من معارف كالفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية وفي هذا يقول ابن خلدون: "واعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه²، لقد لقيت هذه العلوم اهتماما كبيرا من طرف الأندلسيين وما يدل على ذلك هو كثرة التأليف وسمعة الكتابات الأندلسية في مختلف مناطق العالم الإسلامي وحتى خارجه حيث ترجمت الكثير منها إلى لغات العالم، ولم تقف الأوضاع السياسية المتدهورة والصراعات والحروب أمام تطور العلوم بمختلف أصنافها.

2-2-1. العلوم النقلية:

2-2-1-1. العلوم الشرعية: وتسمى بالعلوم الدينية وهي ضرورية لأهميتها في حياة الفرد المسلم دينيا واجتماعيا واقتصاديا لذلك اهتم المسلمون بها اهتماما كبيرا في جميع المناطق التي انتشر فيها

¹ المقري، نفع الطيب، ج3، ص217.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص549.

الاسلام وهي مقسمة إلى عدة تخصصات منها علوم القرآن وما يتصل بها من التفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقه والتصوف.

أما التفسير فهو في اللغة الإيضاح والتبين وفي الاصطلاح فهو علم يبحث في أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام¹، أما الزركشي فيعرفه بأنه "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف"²، والتفسير قسمان:

تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، فهو يعتمد على الأثر من الحديث بالنقل عن الصحابة و التابعين ، والثاني هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى، وهو ما يعرف باتجاه المأثور واتجاه التأويل³، ومن أبرز علماء التفسير في الأندلس: أبو عبد الله القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي 578 - 671 هـ / 1183م - 1273 م له مؤلفات عديدة منها الجامع لأحكام القرآن والذي يعرف بتفسير القرطبي، والتذكار في أفضل الأذكار⁴.

¹ محمد عبد العظيم الزرقاين، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 265.

² محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص 13.

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 554.

⁴ المقرئ، النفع الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 345- أبو عبد الله بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، ج1، ص5- عادل نويهض، معجم المفسرين، المجلد الثاني، ط1 مؤسسة نويهض الثقافية، 1984، ص 479.

وأبو عبد الله الشاطبي محمد بن صالح بن أحمد الكتاني من أهل شاطبة كان عالماً بعلم القراءات وله معرفة بالعلوم العربية¹ ومن المفسرين أيضاً أبو عبد الله محمد بن علي بن الفخار الفقيه المفسر والنحوي كان من أساتذة ابن الخطيب وكان مدرسا فاضلا توفي بغرناطة سنة 754 هـ 1253 م².
ومن أبرز المفسرين الأندلسيين أبو حيان الغرناطي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين صاحب كتاب البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب توفي سنة 745 هـ 1345 م³.

أما علم القراءات وهو معرفة القراءات المشهورة وأداء الحروف ومن أبرز القراء في الأندلس النصرية، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن حسين الطائي الأندلسي، كان مقرئاً متقناً محكماً للقرآن الكريم حافظاً ضابطاً آخر أهل الشأن بغرناطة والأندلس إتقاناً وتجويداً عرضت عليه نيابة الجامع الكبير بغرناطة فامتنع استصغاراً لنفسه توفي سنة 670 هـ، 1271 م⁴، ومن القراء محمد بن قاسم بن محمد بن علي الغساني المالقي كان عارفاً بالقراءات توفي سنة 775 هـ، 1376 م⁵، ومحمد بن عبدالرحيم بن الطيب القيسي الأندلسي الضرير تلا بالسبع وأخذ عن أبي عبد الله الأزدي كان أعجوبة في الحفظ توفي سنة 701 هـ، 1302 م⁶، ومن القراء أيضاً عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكتاني من أهل غرناطة أخذ عن ابن الزبير وأبي الحسن بن فضيلة وبسبته عن ابن محمد الباهلي وأبي عبد الله ابن رشيد وغيرهم رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر، من مؤلفاته الشافي

¹ الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح محمد بن أبي شنب، ط1 دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 40- ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تح عادل نويهفن، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983، ص 335.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص172- يوسف عيد يوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت)، ص 294.

³ ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، تح محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص273- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص535- ابن عماد الحنبلي، شذرات، المصدر السابق، ج6، ص145،
⁴ أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج المصدر السابق، ص384.

⁵ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4 ذر الجبل، بيروت، (د.ت)، ص141.

⁶ ابن حجر، المرجع نفسه، ص10.

في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي، توفي في موقعة طريف سنة 741هـ، 1340م¹، ومنهم محمد بن سعيد بن أحمد بن لب بن بقي وبه عرف، من علماء غرناطة كان خطيباً راوية له مشاركة في الفقه والقراءة والنحو، أخذ قراءة نافع عن أبيه و عن الخطيب بن طرفة و العربية عن ابن الفخار و جود عليه بالسبع، توفي سنة 791هـ 1390م².

أما علم الحديث، فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد اهتم علماء الأندلس بهذا العلم حفاظاً على السنة النبوية، لذلك قلما نجد مدرسة أو مسجداً يخلو من حلقات الدرس تخصص لعلم الحديث نظراً لأهميته وإقبال الطلبة عليه ومن أبرز علماء الحديث بالأندلس، أبو العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم، أحد علماء قرطبة رحل إلى المشرق كان بارعاً في الفقه والعربية عارفاً بالحديث من مؤلفاته: المفهم في شرح مسلم، وكتاب: كشف القناع عن الوجه السماع، توفي بالإسكندرية سنة 656هـ، 1258م³، ومنهم محمد بن يوسف بن مسدي أبو بكر الغرناطي تعلم في الأندلس ثم رحل إلى المشرق برع في الحديث والفقه، له كتاب المسند الغريب وكتاب المناسك والأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة، توفي سنة 663هـ، 1263م⁴، ومنهم عمر بن نور الدين أبو الحسن الأندلسي الأنصاري، رحل إلى المشرق وجلس للتدريس بدمشق والقاهرة من مؤلفاته أسماء رجال الكتب الستة، وطبقات الأولياء، توفي سنة 803هـ، 1401م⁵، ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب النحوي أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني من أهل شاطبة رحل إلى بجاية له معرفة بعلم العربية والنحو والأدب وله رواية متسعة في الحديث وروايته عالية من

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص400.

² أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 460 - أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج، دار الأبحاث للترجمة و النشر الجزائر 2011 م، ص 320 - ابن الخطيب، لإحاطة، المصدر السابق ج 3 ص 39.

³ ابن كثير الدمشقي أبو الفداء، البداية والنهاية، ج13 دار التقوى، 2004، ص63- المقري، نفع الطيب، ج2، ص614،

⁴ المقري، نفع الطيب، المرجع نفسه، ص594- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ج17، ص63.

⁵ أنجيل باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ص400.

جهات كثيرة توفي سنة 699هـ، 1299م¹، ومنهم محمد بن علي بن يحيى البياسي الأنصاري الغرناطي أبو سلمة أخذ عن ابن الزبير كان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال إلى مذهب الظاهرية وانتفع به جمع من الطلبة، توفي سنة 703هـ، 1303م²، ومن المحدثين البارزين في الأندلس أبو الربيع بن سلمان بن سالم البلنسي محدث وإمام صناعة الحديث عارفا بالجرح والتعديل من مؤلفاته، أخبار البخاري و مصباح العلم، توفي شهيدا سنة 634هـ، 1236م³.

أما الفقه الذي يعني لغة، الفهم لقوله تعالى: ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول... ﴾⁴ أي لا نفهمه واصطلاحا هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكرهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة⁵، فهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية وفائدة حصول العمل به على وجه المشروع⁶، فالفقه يتناول المشاكل التي تواجه الإنسان في حياته، وقد عرفت الأندلس انتشار عدة مذاهب فقهية منها مذهب الإمام مالك الذي انتشر بواسطة تلامذته الذين رحلوا إليه وخاصة في عهد خلافة الحكم المستنصر، ومن أهم الفقهاء الذين أدخلوا هذا المذهب إلى الأندلس، عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثي وأبو عبد الرحمن زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون، والغازي بن قيس⁷، لذلك اعتمد أهل الأندلس في هذه المرحلة على كتب المالكية المشهورة في جميع

¹ الغزيري، عنوان الدراسة، المصدر السابق، ص40.

² تقي الدين المقرئ، المقفى الكبير، تح محمد العلاوي، ج6، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991، ط1، ص345-المقري، النفع، ج2، ص59.

³ الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج17، ص403.

⁴ سور هود، الآية 90.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه، ص573.

⁶ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت) ص1280- محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ج1، دار المنار، القاهرة، 1997، ص15- عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، (دت) ص07.

⁷ أنجيل باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص818- حوالف عكاشة، جهود فقهاء المالكية بالأندلس إلى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007 م، ص54.

مناطق العالم الإسلامي، منها الموطأ للإمام مالك الذي أدخله إلى الأندلس الغازي بن قيس¹ عندما رحل إلى الإمام مالك إضافة إلى المدونة، وكتاب ابن الحاجب ومختصر خليل²، ومن أبرز فقهاء الأندلس في عهد الدولة النصرية، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي الإمام العلامة المحقق فقيها مفسراً محدثاً من مؤلفاته الموافقات من أصول الفقه، وكتاب الإفادات والإشادات والاتفاق في علم الاشتقاق، وكتاب المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية توفي سنة 790هـ، 1388م³، ومنهم محمد بن أحمد بن حرب فقيه ومحدث اهتم بالعربية والأدب من مؤلفاته الأنوار السنية في الكلمات السنية وكتاب في تهذيب صحيح البخاري توفي سنة 741هـ، 1341م⁴، ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي أخذ عن علماء بلنسية بلنسية وإشبيلية وغرناطة رحل إلى بجاية وتوفي سنة 655هـ، 1256م⁵، ومنهم محمد بن عبد الرحمن الرحمن بن الفخار الجدامي يكنى أبا بكر الأركشي درس عن علماء شريش والجزيرة الخضراء رحل إلى سبتة ثم إلى غرناطة كان عارفاً بالفقه والعربية والقراءات والحديث ألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة منها كتاب تجبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن، وكتاب منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر، توفي سنة 723هـ، 1322م⁶، ومنهم أيضاً أحمد بن إبراهيم بن الزبير يكنى أبا جعفر كان كان خاتمة المحدثين وصدور العلماء والمقرئين إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث إلى المشاركة في الفقه والقيام على التفسير من مؤلفاته ملاك التأويل في تشابه

¹ الغازي بن قيس من أهل قرطبة يكنى أبا محمد رحل أيام عبد الرحمن بن معاوية فسمع من مالك بن أنس والمزاري وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم توفي سنة 199هـ ينظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، المصدر السابق، ص 578.

² عبد القادر بوحسون، الأندلس في عهد بن الأحمر، المرجع السابق، ص 161.

³ إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح عبد الرحمن بن سلمان العثيمين، ج 1، (دت) ص 02- أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ص 48.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، المصدر السابق ص 230.

⁵ الغبريني، المصدر السابق، ص 143- المقرئ، النفح، المصدر السابق، ج 2، ص 66.

⁶ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 3، ص 91.

اللفظ في التنزيل و البرهان في ترتيب سور القرآن، توفي سنة 708هـ، 1308م¹، ومن الفقهاء القضاة محمد بن محمد بن إبراهيم بن خلف السلمى أبو البركات من أهل ألمرية كان ممن اجتهد في طلب العلم صغيرا وكبيرا رحل إلى بجاية وأخذ عن عبد الحق المشدالي ثم تجول بين مراكش وسبتة ثم عاد إلى الأندلس وتولى القضاء بمالقة وغرناطة توفي سنة 773هـ، 1372م².

ومن الفقهاء البارزين الذي كانت له مكانة خاصة بين العلماء والفقهاء ابن جزى الكلبي أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد فقيه وأديب أخذ عن والده له عدة أشعار وتقييد على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية تولى القضاء بغرناطة وكان خطيبا بمسجد السلطان، توفي سنة 785هـ، 1384م³، ومن الفقهاء أبو عبد الله الراعي شمس الدين محمد بن إسماعيل الغرناطي أخذ الفقه والأصول عن ابن إدريس وابن سعد الإشبيلي وابن سعيد العقباني، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام وابن مرزوق التلمساني من مؤلفاته انتصار الفقير السالك لمذهب مالك، توفي سنة 854هـ، 1450م⁴، ومنهم مفتي غرناطة إبراهيم بن محمد بن فتوح العقيلي الأندلسي، شيخ علماء الأندلس في وقته له مشاركة في العلوم مع تحقيقها، عالما بالعربية حافظا للغة والأدب والشعر عارفا بالمنطق والبيان، تخرج على يديه أكثر طلبة الأندلس الأعيان، أخذ عنه القلصادي الطب والمنطق ومختصر ابن رشد في الأصول والتسهيل لابن مالك، كما أخذ عنه أبو عبد الله الراعي وابن الأزرق، توفي سنة 867هـ 1464م⁵. وبصفة عامة فإن الأندلسيين كانت مشاركتهم كبيرة في الفقه حيث كانت له

¹ ابن حجر العسقلاني، الدرر، السفر 1، المصدر السابق، ص84- ابن القاضي أبو العباس، ذرة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تح محمد الأحمدى أبو النور، ط1 دار التراث، القاهرة، 1970م، ص11

² النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، المرقية العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، تح لجنة التراث العربي، دار الأفق الجديدة، بيروت، 1983م، ص165.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص157- ابن القاضي، ذرة الحجال، ج1، ص13.

⁴ المقرئ، النفع، ج2، المصدر السابق ص694- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، 1979م، ص233.

⁵ المقرئ، ازهار الرياض، المصدر السابق ج1 ص171- ابن القاضي، ذرة الحجال، المصدر السابق ج1 ص196- أبو الحسن القلصادي، رحلة القلصادي، الشركة التونسية للتوزيع ص166- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص57- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1 المطبعة السلفية القاهرة 1349هـ ص260.

منزلة كبيرة وجعلوه من أنبل العلوم إضافة إلى باقي العلوم الشرعية الأخرى مثل التفسير وعلم القراءات لأن الحاجة إلى هذه العلوم ملحة.¹

التصوف: لقد وقع خلاف ونقاش كبير حول تحديد مفهوم التصوف ومصدره، فتعددت الآراء حول مدلول التصوف بين من يقول أنها مشتقة من لبس الصوف وقيل أيضا أنها من الصفاء، واعتبرها البعض الآخر من أهل الصفة وقيل كذلك أنها من الصف الأول²، لهذا لا نجد تعريفا متفقا عليه بل آراء مختلفة، أما ابن خلدون فيعرف التصوف بأنه الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عادة في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية³، أي بمعنى الزهد والإعراض عن الدنيا وزخرفتها، أما أحمد بن عجيبة فعرف التصوف بأنه "ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وهو من أجل العلوم وأفضلها لأنه مقام الإحسان"⁴، والتصوف مبني على التسليم والتصديق أي أن يستسلم المرید لشيخه وأن يطيعه في جميع أوامره ونصائحه والتصديق الراسخ بإذنه وأهليته واختصاصه وحكمته وأنه جمع بين الشريعة والحقيقة⁵.

وقد نشأ التصوف في الأندلس عن طريق المهاجرين نحو المشرق ثم تحول إلى ظاهرة اجتماعية بعدما كان سلوكا فرديا⁶، والتصوف نوعان، التصوف الديني وهو تصوف معتدل يشارك في الحياة العلمية وتصوف فلسفي ينقطع صاحبه عن الحياة العملية.

¹ Julian Ribira, Literatura historia y cultura do arab la scientifico en la historia, Imprimenta de estansiluo, Tom1, Madrid, 1928, p277

² منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، دار المعارف، الإسكندرية، (دت) ص116- صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، (دت) ص35- أبو بكر القادري، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1999م، ص23- البشير الزيتوني، التصوف المغربي وأثره، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، جامعة الملك سعد، تطوان، المغرب، أبريل 1993م، ص458.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص611.

⁴ أحمد بن محمد بن عجيبة، معراج الشوف إلى حقائق التصوف، تح فتيحة بلعباس، مطبعة الأمانة، الرباط، المغرب، 2011م، ص31.

⁵ خليفني الشيخ، الفكر الصوفي عند محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، دراسة في نظرية الجمع بين التوحيد والتصوف، أطروحة الدكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م، ص77.

⁶ حمدي خميس، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص22.

لقد كان لتدهور الأوضاع السياسية وسيطرة النصارى على المدن الأندلسية دور بارز في انتشار التصوف بالأندلس،¹ ومن العوامل التي ساعدت أيضا على انتشار هذه الظاهرة هو إيمان الناس والسلطين بأهل التصوف حيث كان السلطين يطلبون منهم المساعدة بالدعاء عندما تشتد حملات النصارى ومنهم محمد الأول بن الأحمر²، وقد عرفت الأندلس ظهور عدد من أقطاب التصوف المشهورين في المغرب والمشرق ومن أبرزهم القطب أبو مدين شعيب المتوفى بتلمسان سنة 594هـ 1198م ومنهم أيضا محي الدين ابن العربي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الأندلسي ولد بمرسية ثم انتقل إلى إشبيلية ومنها رحل إلى المشرق وأخذ الحديث عن ابن عساكر ألف في الأدب والتاريخ وله ديوان شعر وتفسيرا للقرآن³، ومنهم أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين من أهل مرسية أخذ عن علماء الأندلس ثم رحل إلى بجاية ومنها إلى المشرق حج عدة مرات وشاع ذكره ووصلت أخباره كما يقولون إلى البابا في روما، وسمي بالمشرق بقطب الدين اختلف الناس حول شخصيته فمنهم من يوقره ومنهم من يكفره توفي سنة 669هـ، 1270م⁴، ومن أهل التصوف في الأندلس أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الشيشتري أصله من شيشتر إحدى قرى وادي آش دخل غرناطة ودرس الفقه والأدب العربي والفلسفة وتلمذ على يد محي الدين بن سراقه الشاطبي من مؤلفاته المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، توفي سنة 622هـ، 1264م⁵، ومنهم أحمد بن عمر الأندلسي الأنصاري أبو العباس المرسي الإمام العارف القطب خليفة الشيخ أبي الحسن الشاذلي له كرامات عدة كان يقول "والله ما نطالع كتب القوم إلا لنرى فضل الله علينا"، توفي

¹ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص344.

² أحمد الطوخي، نفس المرجع، ص 344.

³ الغبريني، المصدر السابق، ص07.

⁴ المقرئ، نفح، المصدر السابق، ج2، ص 196- الغبريني، المصدر السابق، ص110- الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج18، تح أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ص 97.

⁵ الغبريني، المصدر السابق، ص110- المقرئ، نفح، ج2، المصدر السابق ص185- يوسف عيد يوسف فرحات، المرجع السابق ص196.- كروم بومدين، أبو الحسن الششتيري الصوفي الجوال حياته و شعره، دار التوفيقية الجزائر 2011 م ص 17 .

سنة 680هـ، 1281م¹، ومنهم أيضا ابن عباد الرندي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفقيه القطب الإمام السالك العارف المحقق نشأ برندة وطاف بعدد من عواصم المغرب فتم حياته إماما خطيبا بجامع القرويين كان صوفيا على الطريقة الشاذلية، ومن مؤلفاته شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله، وكتب على ظهر نسخة منه لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا، حتى يكيل تراب الأرض بالقدم²، ومنهم كذلك الشيخ محمد بن أحمد الأنصاري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالمواقف من أهل غرناطة أخذ عن أبي الحسن البلوطي وأبي جعفر بن الزبير وأجازته، رحل وحج ودخل الشام كان زاهدا صوفيا على طريقة أبي الحسن الشاذلي من مؤلفاته الأنوار في المخاطبات والأسرار توفي سنة 750هـ، 1349م³. ومن أهل التصوف في الأندلس، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري يعرف بالساحلي المالقي، كان فقيها جليلا خطيبا بليغا ذا مقامات و احوال و كرامات، ومن قوله "كل حقيقة لم تتقيد بالشرعية فباطلة، وكل شرعية لم تتقيد بحقيقة فصاحبها محجوب" توفي سنة 749هـ 1350 م⁴،

هذه بعض النماذج من أهل التصوف في الأندلس و التي عرفت رواجا كبيرا وأقبل عليها الناس، ووجدوا فيها ملاذا آمينا وترويجا عن النفس من المشاكل والمخاطر التي كان يعاني منها المسلمون في الأندلس.

2-2-1-2. علوم اللغة والأدب:

اهتم أهل الأندلس اهتماما كبيرا بالشعر والشعراء حيث نبغ عدد كبير من أهل غرناطة في هذا المجال رغم إهمال التخصص حيث لا نجد شاعرا انقطع للشعر دون سواه من الفنون، فابن الخطيب كان

¹ أحمد بابا، نيل الانتهاج، المصدر السابق، ص 81.

² ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، تح محمد الفاسي، دolf فور، المركز الجامعي للكتاب العلمي، الرباط، المغرب، ص 79، ابن الخطيب، الكتبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983 م، ص 410.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 3، ص 330.

⁴ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص 267 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج 3 ص 239 - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق ج 3 ص 322 - أحمد بابا، نيل الإبتهاج، المصدر السابق ص 391.

شاعرا واشتهر رغم ذلك بكتابة التاريخ ومعنى هذا أن أهل الأندلس لم يتخذوا الشعر حرفة ومهنة بل كان عملا مكملا لثقافة الأديب والطبيب والمؤرخ¹، ورغم ما شهدته الأندلس من الفتن والصراعات والحروب في منتصف القرن الثامن الهجري ومغادرة العديد من الكتاب والعلماء الأندلس إلى مناطق أخرى بسبب تلك الظروف، إلا أن الحركة الأدبية عرفت تطورا وازدهارا خاصة في عهد ابن الخطيب وابن زمرك وامتازت هذه المرحلة بروعة إنتاجها الأدبي في النثر والشعر²، هذا التطور زاده أهمية ابتكار الأندلسيين لفن شعري خاص يعرف بالموشحات والأزجال والذي اعتبر ثورة في الشعر العربي وحركة من حركات التجديد³، هذا اللون الذي تخلص من الأوزان والقافية، وسبب ظهوره هو اختلاط العرب بالأجانب في إسبانيا واطلاعهم على أدبهم وأغانيمهم الشعبية المتحررة من القوافي⁴، ومن الأوائل الذين اهتموا بهذا الفن الشاعر مقدم بن معافي القبري وعبادة القزاز، ونظرا لتحرره من الأوزان والقوافي فقد ارتبط بالغناء والموسيقى ولذلك استحسنته الأندلسيون وأقبلوا عليه ومن أبرز شعراء الدولة النصرية في هذا الفن، أبو عبد الله محمد بن محمد بن الجنان من أهل الرواية والدراية المتوفي

سنة 655هـ - 1256م⁵، ومن الذين نظموا في الموشح والزجل، ابن الخطيب وابن زمرك وابن حيان الغرناطي فقد كان فوق تضلعه في الحديث والتفسير بارعا في اللغة والأدب ونظم الموشحات ومن قوله في الموشح:

سلافة تبدو كالكوكب الأزهر
مزاجها شهد وعرفها عنبر

¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م، ص 99- أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 350.

² عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس بالعصر الرابع، نهاية الأندلس، مكتبة الفاتحي، ص469- عصام عبد الرؤوف، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989م، ص 108.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص817. _ حمدان حاجي، حياة وأثار ابن زمرك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م، ص 69 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص191.

⁴ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط1 المطبعة البوليسية، لبنان، 1990م، ص813.

⁵ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص170.

يا حبذا الورد منها وإن سكر¹

أما الشعر العادي فقد عرف هو الآخر تطورا وازدهارا في عهد الدولة النصرية حيث ظهر العديد من الشعراء نظموا في فنون مختلفة منها وصف الطبيعة والمدن ثم المدح والرثاء خاصة بعد سقوط المدن الأندلسية ثم الغزل والخمريات، ويرجع هذا التنوع في الأغراض الشعرية إلى تأثير الشعر في مملكة غرناطة بالظروف الطبيعية للمنطقة من الجبال وكثرة الأنهار والبساتين وتعدد الوقائع التاريخية والسياسية والاجتماعية بسبب الصراعات السياسية وحروب الاسترداد، ومن أبرز شعراء الأندلس في هذه المرحلة أبو الطيب صالح يوسف الرندي المتوفي سنة 684هـ، 1286م، كان شاعرا أدبيا عاصر الأحداث والاضطرابات التي مهدت لقيام دولة بني الأحمر له قصيدة مشهورة في رثاء الأندلس²، ومن الشعراء أيضا علي بن محمد بن سليمان أبو الحسن بن الجياب الأنصاري الغرناطي شيخ طلبة الأندلس رواية وتحقيقا ومشاركة في كثير من العلوم قائما على العربية واللغة، إماما في الفرائض والحساب، مبحرا في الأدب له أشعار عديدة في أغراض متعددة منها النبويات والقصائد السلطانية والإخوانيات توفي سنة 749 هـ - 1349 م³، من شعره الذي كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة:

يا طالب العلم هذا باب فتحا	فادخل تشاهد سنه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل ومرتل	إذ قرب الله من مرمك ما نرح
أعمال يوسف مولانا ونيته	قد طرزت صفا ميزانها رجع ⁴

¹ الكتي محمد شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، ج4، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دت) ص71.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص360 - المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، تح مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1939 م، ص48.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج4، ص125 - المقري، النفع، المصدر السابق ج5، ص434 - ابن القاض، درة الحجال، المصدر السابق، ج3، ص234

Fatima Tahtah, fuentes y estudios en lengua arabe sobre la literatura en la epoca Nazari, estudios Nazaries, editados por cocepion castillo castillo, granada, 1997, p 86.

⁴ المقري، النفع، المصدر السابق ج5، ص457.

ومنهم إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، كان يهوديا ثم أسلم وتعلم العلم عن رجال الأندلس وكان شعره يشبه شعر أبي نواس وخاصة في الغزل توفي سنة 649هـ 1251م¹، ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي الرندي ذو الوزرتين أصله من إشبيلية كان والده طبيبا عرف بالحكيم فعرفت الأسرة بالحكيم ولد برندة سنة 660هـ، ثم رحل إلى غرناطة أيام السلطان محمد الفقيه كان شاعرا مجيدا وكاتباً بليغا قتل سنة 708هـ - 1308م²، ومنهم الأديب الشاعر أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله الحسيني السبتي النشأة الغرناطي، فريد عصره بلاغة وجزالة وضع ديوانا أسماه جهد المقل وله شروح على المقصورة للشاعر أبي الحسن حازم القرطاجني التي قدمها لسلطان تونس المنتصر لله الحفصي³، ومن الشعراء مالك بن عبد الرحمن بن علي بن فرج يعرف بابن المرحل اشتهر بالشعر الغنائي توفي سنة 699هـ - 1299م⁴، ومن شعراء الدولة النصرية أيضا والذي رحل إلى غرناطة من تلمسان واتصل بالوزير ابن الحكيم ومدحه، هذا الشاعر هو أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، وهو من فحول الشعراء وأعلام البلغاء وقد جمع شعره في ديوان سمي "الدر النفيس في شعر ابن خميس" قتل مع الوزير ابن الحكيم سنة 708هـ - 1308م، ومن شعره في الحنين إلى بلده تلمسان:

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ

وداري بها الأولى التي حيل دونها مثار الأسي لو أمكن الحنق اللبخ⁵

ومن شعراء الأندلس في هذه المرحلة أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الهواري الضرير رحل إلى

¹ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الرابع، المرجع السابق، ص454.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص444.

Rachel Arie, Historia y cultura de la Granada Nazari, op cit, p 35.

³ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس المصدر السابق ص171.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، المصدر السابق، ص303.

⁵ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامن، المصدر السابق، السفر4 ص113- المقري، أزهار الرياض، ج2،

المصدر السابق، ص323- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص528.

المشرق له موشحات كثيرة ومدائح جيدة في الصحابة وآل البيت،¹ ومن الشعراء أيضا أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة أبو جعفر ولد بألمرية 724 هـ 1323 م كان أديبا كبيرا وشاعرا مجيدا كثير الاجتهاد بارع الخط حسن الخلق، له ديوان شعر وله مراسلات مع ابن الخطيب، توفي 770 هـ - 1369 م²، ومن الشعراء محمد بن محمد البدوي الأندلسي خطيب بلش أبو عبد الله، كان حسن التلاوة ذا قدم في الفقه عارفا بالأصلين، شاعرا مجيدا فصيحاً بليغ الخطبة، أخذ عن أبي جعفر بن الزيات و ابن الكمام وأخذ العربية عن أبي عمر بن منظور و أخذ الفقه عن ابن عبد السلام التونسي توفي 750 هـ 1349 م³، ومن الشعراء البارزين يمكن الحديث عن أبي عبد الله محمد يوسف بن زمرك الغرناطي⁴ الذي جمع بين النثر والشعر وقد برع في الموشحات ومنهم كذلك لسان الدين ابن الخطيب الذي أبدع في الشعر والنثر والذي ترك أيضا الكثير من الموشحات في مجالات عديدة⁵.

أما النثر فقد لقي الاهتمام نفسه من أهل الأندلس بما في ذلك السلاطين فقد كان أبو الحجاج يوسف ابن اسماعيل النصري 733 هـ - 785 هـ عالما أديبا له عدة مشاركات أدبية، كما شهد عهد بني الأحمر إبداعا كبيرا في جميع النواحي الأدبية وقد تعدت شهرة الأندلس إلى جميع البلدان الإسلامية خاصة تلك التي حل بها الأندلسيون حتى قيل " لا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي " وهذا دليل على تفوق الأندلسيين في هذا المجال وهذا ما أهلهم لتولي مناصب سياسية في مختلف البلدان التي رحلوا إليها⁶.

¹ المقرئ، نفح الطيب، ج2 المصدر السابق ص664

² ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص239.

³ أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص287 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج3 ص81 - التنبكي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق ص418.

⁴ ابن الأحمر الغرناطي، فرائد الجمال، المصدر السابق، ص151 - يوسف عيد يوسف، المرجع السابق، ص192-

Rachel Arie, l'Espagne musulmane au temps Nasrid, op.cit, p 456.- Rachel Arie, Historia y cultura de la Granada Nazari, op.cit, p29.

⁵ عبد القادر بوحسون، الأندلس في عهد بني الأحمر، المرجع السابق، ص186.

⁶ عبد القادر بوحسون، نفسه، ص173.

وقد تطرق الأدباء الأندلسيون إلى مواضيع مختلفة سياسية ودينية وتاريخية يطغى عليها استعمال البيان والمحسنات البديعية ومثال ذلك الأديب لسان الدين ابن الخطيب الشاعر الفقيه الذي عالج موضوعات ذات طابع ديني وصوفي ويظهر ذلك في ديوانه الشعري¹ ورسائله المختلفة وقد وصفه ابن خلدون بأنه إمام النظم والنثر في الملة المحمدية²، وإلى جانب ابن الخطيب ظهر عدد من الأدباء منهم ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي الكاتب الأديب الذي تولى الكتابة للأمير أبي جميل زيان أمير بلنسية والذي أرسله سفيرا إلى الأمير الحفصي أبي زكرياء لما حاصرها النصارى و توفي سنة 658هـ - 1259م³، ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن القاسم المعروف بابن الأزرق المتوفى سنة 895هـ - 1495م صاحب المؤلفات العديدة منها الأبريز المسبوك في كيفية أدب الملوك، وبدائع السلك في طبائع الملوك، وله كتاب روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام⁴، ومنهم محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل أبو بكر المالقي، كان نابغة بلده أديبا بليغا رحل إلى المشرق كان كثير النظم واسع الأدب توفي غريقا سنة 758هـ - 1357م⁵.

كما اهتم أهل الأندلس اهتماما كبيرا بالنحو من خلال البحث فيه وحفظ مذهبه وجعلوه معيارا للتمييز وقد كتب الكثير منهم في هذا المجال ومن هؤلاء النحاة أبو حيان الغرناطي محمد بن يوسف النفزي أثير الدين الذي لقب بشيخ النحاة أو إمام النحاة لعلمه الغزير إلى جانب التفسير والحديث وبعد جولة في العالم الإسلامي استقر بالقاهرة وتوفي سنة 745هـ 1344م، من مؤلفاته الأدبية كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار شرحا لكتاب سيبويه، وكتاب التجريد لأحكام سيبويه

¹ لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام، تح محمد شرف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1973 م، ص55.

² المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص 218 - أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1979 م، ص308.

³ ابن عماد الحنبلي، شذرات المصدر السابق، ج7، ص 510 - الغريبي، المصدر السابق، ص 123 - أبو عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ص35.

⁴ المقرئ، النفع، المصدر السابق، ج2، ص699 - محمد بن عيسكر الحسين الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، 1977 م، ص124.

⁵ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المصدر السابق، السفر 4، ص193.

وكتاب المبدع في التصريف وتحفة الندس في نحة الأندلس¹ ، ومن النحاة أيضا أبو الحسن علي بن موسى المعروف بابن عصفور الإشبيلي المتوفى سنة 669هـ 1270م، حامل لواء العربية في الأندلس من مؤلفاته الممتع في الاشتقاق و المنهاج و شرح الجمل للزجاجي² ، ومن رجال النحو أيضا أحمد بن الحسين بن علي الزيات الكلاعي من أهل مالقة كان مشاركا في الفقه والعربية والعروض والأدب من مؤلفاته في النحو وصف نفائس اللألي ووصف عرائس المعاني ،توفي سنة 728هـ 1327م³ ، ومن الأدباء علي بن محمد عرف بن خروف أصله من قرطبة كان عارفا بصناعة الأدب محققا فيها شاعرا وأديبا له شرح كتاب سيوييه وكتاب الفرائض وشرح جمل الزجاجي توفي سنة 620هـ 1221م⁴.

2-2-3. العلوم الاجتماعية:

لقد أدت الأحداث الحاسمة التي تزامنت مع قيام دولة بني نصر إلى تطور الكتابة التاريخية بالأندلس و من أبرز تلك الأحداث الصراع المستمر بين الإسبان والمسلمين وسقوط المدن الأندلسية، إضافة إلى الصراع بين الحكام لذلك سعى الكثير من المؤرخين إلى تسجيل تلك الأحداث ومن أبرز هؤلاء لسان الدين بن الخطيب المتعدد التخصصات، الطبيب والفيلسوف والشاعر والكاتب والسياسي والمؤرخ صاحب المؤلفات العديدة أدبية و تاريخية منها الإحاطة في أخبار غرناطة وهو من أشهر كتبه التاريخية ورقم الحلل في نظم الدول الذي يتناول فيه الحديث عن الإسلام ودوله بأسلوب شعري

¹ المقرئ، النفح، المصدر السابق، ص535 - مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ أدب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 م ، ص 273.

² ابن عصفور الإشبيلي، شرح الجمل للزجاجي، تقدم فواز السقا، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 07 - جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 م، ص222- محمد المنتصر الريسوني، درائر الشعر لابن عصفور مصدرا لعيون مصنفات مشرقية، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، المرجع السابق ص274 - مجد الدين محمد بن يعقوب، البلغة، تح محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، 2000 م، ص 218.

³ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، ص 195- صادق أحمد الرفاعي، المرجع الأسبق، ص 213.

⁴ المقرئ، النفح، المصدر السابق، ج2، ص640 - أبو عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، تح عبد الله المرابط الترغزي، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 م، ص313- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصل و الصلة، السفر الخامس، القسم1، تح إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت(دت) ، ص396.

وكتاب أعمال الأعلام وهو عبارة عن تاريخ عام واللمحة البدرية في الدولة النصرية ومؤلفات أخرى في الطب والسياسة¹، ومن المؤرخين أبو الحسن علي بن عبد الله الحنفي المالقي المعروف بالنباهي، تولى القضاء ثم كاتباً بالديوان ثم قاضي الجماعة بغرناطة نشب بينه وبين ابن الخطيب خصومة شديدة، ومن مؤلفاته كتاب الإكليل في تفضيل النخيل، وكتاب المرقية العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، وهو تاريخ لقضاة الأندلس توفي في أواخر القرن الثامن الهجري.² ومنهم ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الذي ألف في مجال التراجم كتاب الحلة السيرة وهي تراجم للأمرء، وكتاب التكملة لصلة ابن بشكوال، وكتاب تحفة القادم وقد سبق الإشارة إلى ابن الآبار في حديثنا عن الأدباء ومنهم أيضاً أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر صاحب كتاب روضة النسر في أخبار بني مرين، وكتاب فرائد الجمان في نظم فحول الزمان الذي تناول فيه أكابر الكتاب والشعراء في القرن الثامن، توفي سنة 807هـ 1407م، ومن المؤرخين أحمد بن إبراهيم بن الزبير الجياني نزيل غرناطة أبو جعفر صاحب كتاب صلة الصلة وتاريخ علماء الأندلس، وكتاب الأعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام³، ومنهم أحمد بن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق الجدلي المالقي الذي وضع كتاباً في تاريخ غرناطة توفي سنة 725هـ 1326م⁴.

كما اهتم أهل الأندلس بالرحلة في اتجاهات مختلفة وقد قاموا بتسجيل رحلاتهم والتي ضمنوها تعاريف لمشاهير الشخصيات والشيخوخ الذين أخذوا عنهم والأماكن التي زاروها في المغرب والمشرق ومن أبرز الرحالة ابن خلدون الذي كتب كتباً عن البلاد المغربية التي زارها، ومنهم العبدري

¹ المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 190 - ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، المصدر السابق، ص 370 - ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، ص 2 - يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م، ص 76

Rachel Arie, l'Espagne Musulmane au temps des Nasrides, op.cit, p432.

² النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 220 - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، المرجع السابق ص 486.

³ المراكشي، الذيل والتكملة، السفر 1، المصدر السابق، ص 39 - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج1، ص 84.

⁴ ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص 27 - أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 364.

أبو عبد الله الحاجي الذي قام برحلة سنة 668هـ 1269م لأداء فريضة الحج، وقد سجل في رحلته كل ما رأى في ذهابه وإيابه¹، ومن الرحالة المتأخرين القلصادي علي بن محمد البسطي الذي قام برحلة إلى المغرب والمشرق وصف فيها كل المحطات التي مر بها²، وكذلك البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى الذي غادر الأندلس سنة 736هـ 1235م في رحلته إلى الحجاز مارا ببعض الأقطار الإسلامية وقد دون رحلته في كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق³، وقد مثلت الرحلة إحدى مظاهر التواصل بين الأندلس وبلاد المشرق خاصة وأن المشرق كان يمثل مناطق الجذب الرئيسية للأندلسيين بحكم وجود الأماكن المقدسة، إضافة إلى الرغبة في الاستفادة من العلماء بزيارة المراكز الثقافية والعلمية، وأصبحت هذه الرحلات الأندلسية مصدرا لتاريخ بلاد المشرق لأن هؤلاء تركوا ملاحظات هامة تمكن من التعرف على الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

2-2-2. العلوم العقلية:

رغم عدم الاستقرار الذي شهدته مملكة غرناطة وصراعها الطويل مع الإسبان إلا أن هذا لم يمنع أهل غرناطة من الاهتمام بالعلوم العقلية، مثل الفلك والرياضيات وعلم النبات والطب وغيرها من فروع هذه العلوم، خاصة وأن غرناطة قد ورثت تراثا علميا مزدهرا يرجع إلى عهد المرابطين والموحدين حيث احتلت هذه العلوم مكانة هامة دون أن ننسى التأثير الشرقي بعد رحلة الكثير من العلماء إلى الأندلس، فالعلوم الطبية حققت ازدهارا كبيرا سواء في طرق العلاج أو إنتاج الدواء، وقد نبغ عدد من الغرناطيين في هذا المجال رغم أن أطباء غرناطة لم يتخصصوا في الطب فقط بل جمعوا

¹ العبدري، الرحلة المغربية، تح سعيد بوفلاقة، ط1 منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007 م، ص 8 - أنجيل باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، المرجع السابق، ص 318.

² أبو الحسن القلصادي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للتوزيع، (دت) ص 30.

³ ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج 2، ص 141 - القلصادي، المصدر السابق، ص 62 - عبد العزيز سالم،

التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، ص 329 - زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981 م، ص 136.

بين عدة علوم حيث نجد الطبيب الفقيه والأديب المحدث والمؤرخ¹، ومن أبرز هؤلاء الأطباء أسرة ابن زهر النابغة في الطب والأدب ومنهم أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة من مؤلفاته كتاب التيسير في المداواة والتدبير وكتاب الأغذية²، ومنهم أيضا ابن زهر الحفيد أبو بكر ولد بإشبيلية سنة 507هـ 1113م أخذ الطب من أبيه خدم دولة المرابطين والموحدين وكان من أعظم أطباء الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري، توفي سنة 596هـ 1139م³، ومن الأطباء المشهورين ابن الرومية أبو العباس الإشبيلي نباتي وعشاق رحل إلى المشرق وزار مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز من مؤلفاته تفسير أسماء الأدوية المفردة والرحلة النباتية وكتاب رتب فيه الحشائش على حروف المعجم⁴، ومن أطباء الأندلس أيضا ابن البيطار ضياء الدين أبو محمد من أشهر علماء النبات والطب رحل إلى المغرب والمشرق من مؤلفاته، كتاب الجامع في الأدوية المفردة وله أيضا الأفعال الغربية والخواص العجيبة توفي بدمشق سنة 646هـ 1248م⁵، ومنهم أيضا محمد بن علي فرج القربلياني يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة إشتغل بصناعة الطب تخصص في دراسة الجراحة له كتاب الاستقصاء والأبرام في علاج الجراحات والأورام، توفي سنة 761هـ

¹ أبو مروان ، الطب العربي في الأندلس، مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير، تقدم أبو عمران، منشورات تالا، الأبيار، الجزائر، 2007 م، ص20.

Angel Gonzales Palencia, Historia de la Espana Musulmana, tracera editorial maxtor valludolid,2005 p 122.-Fernando Gimón Irueste, Bamilo Alvares de Morales, la faculta Medical del Granadino, Abd al malik ibn habib, Andalucia Islamica, Textes y Estudios, Amejo de cuadernes de historia del islam, Granada,1983,p125,

² ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت (دت) ، ص519، - عبد الله عنان، ازدهار الثقافة والفكر الاسلامي في الغرب الاسلامي، مجلة الأصالة السنة الخامسة، العدد 26، 1976 م، ص11.

³ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص521. - أنجيل باليشيا، تاريخ الفكر، المرجع السابق، ص471.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص207. - المقرئ، النفع، المصدر الأسبق، ج2، ص596،

Margarita Castells, Medicins Andalus de maghreb, siecles VII-IX. Actas del colognio Hispano marroqui de ciencias historiecas Instinito de cooperación con el mundo Arabe , MADRID, 1992, P118.

⁵ المقرئ، النفع، ج2، ص691. - ابن العماد، شذرات، ج1، ص234، محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، خلال القرنين 16-17، إفريقيا الشرق، 1998 م، ص40.

1360م¹، ومنهم محمد ابن إبراهيم بن عبد الله بن يوسف بن روبيل الأنصاري من أهل غرناطة يعرف بابن السراج طليطلي الأصل، أخذ الطب عن أبي جعفر الكزّين، باشر الطب في الدار السلطانية توفي سنة 730هـ 1329م²، ومنهم يحيى بن هذيل صاحب كتاب التذكرة في الطب وكتاب الأخبار والاعتبار في الطب توفي سنة 754هـ 1353م³، ومن الأطباء الذين كان لهم دور بارز في غرناطة عيسى بن محمد الكوشي الأصل سكن غرناطة اشتغل طبيا بالدار السلطانية أخذ عن أبي عبد الله الرقوتي، من مؤلفاته القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح، توفي سنة 728هـ 1327م⁴، ومن الأطباء أبو عثمان بن محمد بن يحيى بن منظور الإشبيلي كان مشاركا في الفقه والعربية والقراءات والطب والمنطق أخذ عن ابن الفخار وتولى قضاء مالقة توفي سنة 735هـ 1336م⁵، كما اشتهر ابن الخطيب بالطب وله في ذلك عدة مؤلفات منها الوصول لحفظ الصحة في الفصول ومنظومة حول علاج السموم ورجز في الأغذية وعمل الترياق⁶، كما شاركت النساء في هذه المهنة حيث نجد الطيبية الأدبية أم الحسين ابنة الطبيب أحمد بن عبد الله الطنجالي أبو جعفر⁷.

أما في علم الرياضيات والفلك والمنطق والهندسة فقد برع عدد كبير من الأندلسيين لحاجة الدولة لهذه الفروع من العلوم في مجال البناء والتشييد ولعل من أبرز هؤلاء في الرياضيات محمد بن محمد بن محارب المالقي يعرف بابن الجيش كان إماما في الفرائض والحساب وتوفي سنة 750هـ 1349م⁸. ومنهم أبو الحسن علي بن محمد القرشي الشهير بالفلسافي المتوفى سنة 891هـ 1486م من

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ص 179 - Rachel Arbie, l'Espagne Musulmane, op.cit , p 430.

² ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر نفسه، ج 3، ص 160.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر نفسه، ج 4، ص 389 - ابن الأحمر الغرناطي، فرائد الجمان، المصدر السابق، ص 144.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر نفسه، ج 4، ص 235.

⁵ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ج 1، ص 147.

⁶ المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج 1، ص 189.

⁷ ابن حجر، الدرر، المصدر السابق، السفر 1، ص 184.

⁸ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 78 - أحمد بابا التنبكتي، نبل الابتهاج، المصدر السابق، ص 418.

مؤلفاته كفاية الفارض في التنبيه على ما أغفله جمهور الفرائض وكتاب التبصرة في علم الحساب¹، ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد الرغوطي من أهل مرسية رحل إلى غرناطة ودخل في خدمة السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر، فأنشأ له مدرسة تولى تدريس الرياضيات فيها، توفي سنة 744هـ 1344م²، ومنهم أيضا محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج المهندس من إشبيلية كان من العارفين بالخليل الهندسية والمهرة في نقل الأجرام وهو الذي بنى دار الصنعة بسلا توفي سنة 814هـ 1413م³.

ومن الذين اهتموا بالحساب حسن بن محمد بن باصة يكنى أبا علي ويعرف بالصلعل فقيها وإماما في علم الحساب والهيئة توفي سنة 716هـ 1316م ومن مؤلفاته رسالة باسم الصفيحة الجامعة لجميع العروض في مائة وستون فصلا⁴، ومنهم أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر له معرفة بالمساحة والحساب وصناعة التعديل وجداول الأبراج أخذ عن أبي عبد الله الفخار كما أخذ الطب عن أبي زكرياء بن هذيل كان حيا سنة 763هـ 1364م⁵، ومنهم محمد بن محمد بن محارب الصريحي المالقي عرف ببني أبي الجيش، كان من صدور المقرئين و أعلام المتصدرين تفننا و اطلاعا و ادراكا، امام في الفرائض و الحساب قائما على العربية مشاركا في الفقه و الأصول، أخذ بسبته عن أبي اسحاق الغافقي ثم رجع الى مالقة و درس بها حتى وفاته سنة 750 هـ 1349 م بعد أن تصدق بماله و حبس كتبه على الطلبة⁶.

¹ المقرئ، النفع، المصدر السابق ج2، ص296 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبي شنب، المطبعة الشمالية، الجزائر، 1907، ص141- أحمد جبار، علماء الحضارة العربية الإسلامية و مساهماتهم (العلوم

الرياضية والفلكية وتطبيقاتها)، ط1، دار كليك للنشر والتوزيع الجزائر 2011 م، ص269.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص67. - أنجيل باليشيا، المرجع السابق، ص457.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج1، ص288.

⁴ ابن البناء المراكشي، المقالات في علم الحساب، تح أحمد سليم سعداني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن،

ص37. - ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص468.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص205.

⁶ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4 المصدر السابق ص248 - جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق ج1 ص

235 - أحمد بابا، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص288 - أحمد بابا، نبيل الابتهاج، المصدر السابق ص418.

أما علم الفلك فقد عرف هو الآخر تقدما كبيرا حيث ظهرت العديد من المؤلفات خاصة بعلم الفلك ومن أبرز علماء الأندلس في هذا الاختصاص، أبو يحيى بن رضوان الوادي آشي المتوفى سنة 757هـ 1356م له كتاب في علم النجوم¹، و ابن الرقام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي المرسي الأندلسي طبيب وفلكي توفي سنة 715هـ 1315م².

أما الفلسفة فقد ظهرت منذ العصر العباسي ثم انتقلت إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد انتشرت في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني إلا أنها تراجعت بعد ذلك وأصبحت من العلوم الأقل حظا وانتشارا والأكثر تعرضا لهجمات الفقهاء فهي من العلوم غير المرغوب فيها، و كان يطلق على من يقرأ الفلسفة اسم الزنديق ويمكن أن يتعرض للرحم أو القتل من طرف السلاطين³، ورغم هذا الموقف فقد عرفت الأندلس ظهور بعض الفلاسفة خاصة قبل ظهور الدولة النصرية.

وقد جمع هؤلاء الفلاسفة بين الفلسفة وعلوم أخرى ومنهم ابن رشد أبو الوليد الذي ينتمي إلى أسرة علمية كبيرة حيث كان أبوه وجده قضاة في قرطبة كما تولى هو أيضا القضاء في إشبيلية ثم قرطبة، وقد تعرض لانتقادات عديدة نفي بعدها إلى المغرب توفي سنة 590هـ 1196م⁴، ومنهم قطب الدين أبو محمد عبد الحق الإشبيلي من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود رحل إلى المشرق توفي سنة 669هـ 1270م⁵، ومن الفلاسفة أيضا أبو بكر عبد الملك بن طفيل الوادي الآشي تلقى تلقى العلم في غرناطة كان بارعا في جميع العلوم وكان طبيبا فيلسوفا⁶، ومنهم أبو الوليد محمد بن القاسم برع في عدة فنون تولى القضاء في قرطبة من مؤلفاته بداية المجتهد في الفقه وكتاب في الطب مات محبوسا بمراكش سنة 604هـ 1207م⁷.

¹ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص370.

² ابن البناء المراكشي، المصدر السابق، ص35.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص205.

⁴ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق ص 114.

⁵ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة، المرجع السابق، ص35.

⁶ ابن عماد، شذرات، المصدر السابق، ج1، ص330.

⁷ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق ج2، ص25.

أما في عهد الدولة النصرية فقد ظهر عدد من الفلاسفة والذين كان مصيرهم الاتهام بالزندقة ومنهم لسان الدين بن الخطيب بسبب كتبه ومنها روضة التعريف بالحب الشريف، وقد وجه له النباهي رسالة يتهمه فيها بالزندقة وكانت نهايته القتل وأحرقت جثته¹، ومنهم أبو بكر بن منظور القيسي من أهل مالقة وهو من تلامذة ابن رشيد السبتي توفي سنة 750هـ 1349م²، ومنهم أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان من أهل مالقة يكنى أبا جعفر إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق مشاركاً في الفلسفة والتصوف، أخذ عن أبي محمد الباهلي ببلده ثم رحل وأخذ عن ابن البناء بمراكش من مؤلفاته مطلع الأنوار الإلهية، وبغية المستفيد وشرح كتاب القرشي في الفرائض توفي سنة 763هـ 1364م³، ومنهم كذلك ابن مسرة القرطبي الذي كان يعتبر رائد الفكر الحر للمنطق والذي اشتغل بالفلسفة وكان مصيره كباقي الفلاسفة إذ اتهم بالزندقة مما دفع به إلى الهجرة عن وطنه⁴، ومنهم ابن سبعين أبو محمد بن عبد الحق العالم الصوفي الفيلسوف وهو الآخر اتهمه البعض بالكفر بسبب آرائه⁵، ومن الذين اهتموا بالفلسفة وتعرض للاتهام شيخ ابن الخطيب أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل الطبيب الفيلسوف يقول عنه ابن الخطيب أنه كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس وخاتمة العلماء بها من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب من مؤلفاته ديوان شعر يسمى بالسيمايات والعرييات توفي سنة 753هـ 1354م⁶، ومن شعره وصيته عند وفاته لتلميذه ابن الخطيب يقول فيها:

إذا متُّ فادفني حذاء خليلي يُخالط عظمي في الترابِ عظامها

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص41. - النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص202.

² أبو عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشيد السبتي، تح أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003 م، ص188- ابن الخطيب، المصدر السابق الإحاطة، ج2، ص170.

³ ابن الخطيب، الإحاطة نفسه ج1، ص221.

⁴ جمال علال البنحيتي، الحضور الصوفي في الأندلس إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005 م، ص19- جوده هلال ومحمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص126.

⁵ المقرئ، النفع، ج2، ص196.

⁶ المقرئ، النفع، المصدر السابق ج5، ص487. - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج4، ص350.

ولا تدفني في البقيع فإنني
أريد إلى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحي كيفما شاء الهوى
تكونُ أمامي أو أكونُ أمامها¹

إن موقف العلماء والفقهاء في الأندلس من الفلسفة ومن الذين خاضوا فيها جعل الكثير من الأندلسيين يحدون عنها خاصة وأن العلماء كانت لهم مكانة خاصة عند الحكام وأي خروج عن رغبة العلماء في التخلي عن الفلسفة يمكن أن يعرض صاحبه للاضطهاد رغم أن بعض الحكام تسامحوا مع بعض العلماء الذين اهتموا بعلوم أخرى إلى جانب الفلسفة.

وعموماً فإن العلوم العقلية عرفت تطوراً كبيراً في الأندلس مما دفع بالأوروبيين إلى ترجمة الكثير من مؤلفات الأندلسيين خاصة في مجال الطب والرياضيات والنبات وغيرها وهذا يدل على درجة التطور وعلى التأثير الأندلسي على الحضارة الغربية.

إلا أن العهد الأخير للدولة النصرانية وخاصة أوائل القرن التاسع الهجري حيث كثرت الثورات والانقلابات الداخلية والصراعات الخارجية مع النصارى، أثر هذا الوضع على الجانب الفكري حيث ظهر فراغ ملحوظ في ميدان الفكر سواء في العلوم النقلية أو العقلية، خاصة مع هجرة الكثير من العلماء إلى وجهات مختلفة من العالم الإسلامي سواء إلى المغرب أو المشرق.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، نفسه ج1، ص400.

الفصل الثاني

الحياة الثقافية لبلايا المغرب الإسلامي

1 الدولة الزيانية

تمهيد

1-1 المراكز الدينية والعلمية

2-1 أصناف العلوم

1-2-1 العلوم النقلية

2-2-1 العلوم العقلية

2 الدولة المرينية

2-1 المراكز الثقافية والعلمية

2-2 أصناف العلوم ومشاهير العلماء

1-2-2 العلوم النقلية

2-2-2 العلوم العقلية

3 الدولة الحفصية

1-3 المراكز الدينية والعلمية

3-2 أصناف العلوم ومشاهير العلماء.

3-2-1 العلم النقلية

3-2-2 العلوم العقلية .

1- الدولة الزيانية:

عرف المغرب الأوسط أيام بني زيان نهضة علمية وفكرية نشيطة خاصة في العصر الذهبي لهذه الدولة، رغم الصراعات والحروب الكثيرة التي خاضتها. إلا أن هذا لم يمنع من ازدهار الحركة العلمية والثقافية. إذ أصبحت تلمسان عاصمة الدولة مركزا ثقافيا ذا أهمية كبيرة يضاهي المراكز العلمية المعروفة في تلك المرحلة سواء في بلاد المغرب مثل فاس وغرناطة وبجاية أو في بلاد المشرق مثل القاهرة والإسكندرية، إذ أصبحت مقصدا للعلماء والطلاب والفقهاء نظرا لتوفرها على الظروف المناسبة لتحصيل العلم، ومنها انتشار المؤسسات الثقافية والعلمية واحتضانها لعديد العلماء الذين لهم صيت بعيد في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وتمتعها بنظام سياسي أعطى كل اهتمامه للجانب العلمي والثقافي ووفر للعلماء والطلاب كل وسائل الراحة والاستقرار.

وقد كان وراء هذا الازدهار عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واستراتيجية، منها موقع عاصمة الدولة تلمسان، هذه المدينة التي تجمع بين التل والصحراء وتقع خلف سلسلة جبلية تحميها من الجنوب والجنوب الغربي، بينما تمتد شمالا على سهول واسعة ذات خصوبة كبيرة مع توفرها على المياه والعيون مما أهلها لإنتاج العديد من المزروعات المختلفة، كما تتوسط هذه المدينة الطرق التجارية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب فهي قاعدة المغرب الإسلامي.¹

هذا الموقع جعلها مركز اهتمام المرابطين حيث أسسوا بها مدينة تاجرات لتكون معسكرا لقواتهم كما أقاموا بها المسجد الكبير، وفي العهد الموحدى زادت أهميتها وأصبحت مقصدا للطلاب والعلماء.²

¹ - أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (دت)، ص 76- مارمول كرنجال، إفريقيا، المرجع السابق، ص 289- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 313.

² عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية العدد 1، المعهد الوطني للحضارة الإسلامية وهران 1993 م ص 37

أما العنصر البشري فتمثل في سلاطين بن زيان الذين اهتموا اهتماما بالغا بالنشاط الثقافي والعلمي وكان في مقدمتهم يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الذي كان يجالس العلماء، ويقربهم إليه ويجعلهم من حاشيته¹، أما أبو حمو موسى الأول فقد كان صاحب سيرة حسنة محباً للعلم وأهله وقد عليه الفقهاء إبن الإمام فأكرمهما وشيد لهما المدرسة التي تسمى باسمهما²، أما السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن فكان هو أيضا محبا للعلم وأهله فقد بنى مدرسة شهيرة إلى جانب مسجد ابن الحسن، أما أبو حمو موسى الثاني فقد قرب إليه العلماء والفقهاء وكان محبا للعلم له إنتاج فكري في النشر والشعر.³

ومن مظاهر اعتناء سلاطين بني زيان بالجانب العلمي هو إنشأؤهم العديد من المؤسسات العلمية من مدارس ومكتبات ومساجد وجلب العلماء والفقهاء الأكفاء للتدريس بها، مع حضورهم الدائم للمجالس العلمية والمناظرات، ومن العوامل التي شجعت على البناء والتشييد الازدهار الاقتصادي والتجاري الذي مكن الدولة من الحصول على موارد مالية ضخمة شجعت السلاطين على الإنفاق في المجال الثقافي، أما العامل الأخر الذي ساعد على الازدهار العلمي فتمثل في الهجرة الأندلسية نحو تلمسان وباقي مدن المغرب الأوسط، بعد أن اشتدت حركة الاسترداد بالأندلس وضعفت الدولة النصرية وأصبحت عاجزة عن الدفاع عن المسلمين مما دفع برجال الفكر والثقافة إلى الهجرة والاستقرار بدول المغرب الإسلامي ومنها تلمسان وقد ساهم هؤلاء في تنشيط الحركة الفكرية بها.

¹ - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011، ص 225.

² - عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ح 7، ص 105- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بن زيان، تح محمود بوعبياد، وزارة الثقافة الجزائر، 2007 م، ص 126- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.

³ يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 215- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الثاني حياته و آثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 م - Edition , Zahir Ihadadem, Regard sur l'histoire de l'Algérie , ANEP p83

1-1- المراكز الثقافية والعلمية:

من مظاهر الازدهار الثقافي كثرة المؤسسات الثقافية والعلمية وقد شهدت تلمسان في العهد الزياني ظهور العديد من هذه المؤسسات ،التي تنافس السلاطين في تشييدها وتخصيص ميزانيات خاصة لها لتقوم بدورها المنوط بها، وهذا ما جعل تلمسان تتحول إلى مركز للإشعاع العلمي يضاهي المراكز العلمية في بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين ومن أبرزها .

1-1-1- المساجد:

لقد كان للمساجد دور كبير في ازدهار الحياة العلمية بفضل ما كانت تقوم به من ممارسة التعليم وتحفيظ القرآن وتعاليم الشريعة الإسلامية، فهي إضافة إلى دورها الاساسي كمكان للعبادة تعتبر أيضا معاهد للتعليم العالي ومن أبرز مساجد تلمسان:

- **المسجد الأعظم** الذي أسسه المرابطون عند بناء مدينة تاجرارت سنة 473 هـ 1080م وقام يوسف بن تاشفين بترميمه¹، ثم قام يغمراسن بن زيان في العهد الزياني بتوسيعه وبناء المئذنة والصحن وقام باستقدام الفقيه ابي إسحاق إبراهيم التنسي للتدريس به².

- **مسجد أبي الحسن**: يقع قرب المسجد الجامع أقامه السلطان أبو سعيد عثمان سنة 696 هـ 1296 م وسمي نسبة إلى الفقيه أبي الحسن التنسي أخو أبي إسحاق التنسي المتوفى سنة 706 هـ 1306 م الذي كان يدرس فيه³، وفي عهد الاحتلال حوله الفرنسيون إلى متحف للفن الإسلامي،

¹ -W. Marçais et G. Marçais, Les monuments Arabes de Tlemcen , volume1 Art Kange , Edition 2011, p 141.

حساني مختار ، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج4 دار الهدى الجزائر، 2011 م، ص 37.

² - التنسي، تاريخ بن زيان، المصدر السابق، ص 126- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت، 1992 م، ح3، ص 126.

³ - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ح1، ص 229- مبارك بوطران، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2011 م ص 142 - يحيى بوعزيز ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1 الجزائر 2002 م ، ص 145.

ويتكون المسجد من قاعة للصلاة مربعة الشكل تحتوي على ست سوارى عالية رقيقة من الرخام الأبيض.

- **مسجد أولاد الإمام:** أسسه أبو حمو موسى الأول سنة 710 هـ 1310 م ويقع المسجد في حي باب الحديد وهو صغير الحجم وقد بني للعالمين الجليلين الأخوين أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى ابني الإمام عبد الله البرشكي نسبة إلى بلدة برشك قرب شرشال تكريماً لهما¹.

- **مسجد أبي مدين شعيب بالعباد:** تأسس هذا المسجد في عهد أبي الحسن علي بن عثمان المريني سنة 739 هـ، 1339 م، عندما استولى على تلمسان وقد أشرف على بنائه العلامة ابن مرزوق الخطيب²، وما زاد في مكانة هذا لمسجد هو وجود ضريح الولي الصالح الإشبيلي أبي مدين شعيب بن الحسن المتوفي سنة 594 هـ، 1197 م³، وتميز هذا المسجد بالطابع العمراني الأندلسي.

- **مسجد سيدي الحلوي:** ينسب هذا المسجد إلى الشيخ العالم أبي عبد الله الشوذى قاضي إشبيلية سابقاً الذي فر إلى تلمسان واستقر بها، توفي أواخر القرن الثامن الهجري⁴، وقد أمر بتشيد هذا المسجد السلطان المريني أبو عنان 754 هـ 1353 م. بعد استلائه على تلمسان⁵ وهذا المسجد هو صورة طبق الأصل لمسجد العباد في الشكل والزخرفة.

¹ - الغبريني . عنوان الدراية ، المصدر السابق ص 12- ابن مريم، البستان المصدر السابق، ص 168.

G. Marçais, Tlemcen . opcit. P 47.

² - الإدريسي المصدر السابق، ص 257 - عبدلي لخضر ، حياة الثقافة بالمغرب الوسط خلال عهد بني زيان، المرجع السابق ، ص 119.

³ - ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، تح ماريا خيسوس بيفرا- الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007م ، ص 403- يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 123- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص 403.

⁴ - ابن مريم ، البستان، المصدر لسابق، ص 68- يحي ابن خلدون البغية، المصدر السابق، ح1، ص 65.

⁵ - يحي بوعزيز المساجد ، المرجع السابق ص 137- مبخوت بودواية ، المرجع السابق، ص 69.

- مسجد المنصورة: أنشأه السلطان المريني أبو يعقوب بن عبد الحق سنة 702 هـ 1302 م أثناء حصاره لتلمسان ومازالت المئذنة وبعض أجزاء المسجد باقية الى اليوم¹.

- مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، أسسه السلطان أبو حمو موسى الثاني إلى جانب قبة وزاوية ومدرسة تحمل اسم اليعقوبية ويقع شرق مسجد أبي الحسن وليس هناك تاريخ محدد لبنائه إلا أن الشيخ إبراهيم المصمودي قد توفي سنة 804 هـ 1403²، وبالتالي فإن المسجد أسس خلال القرن الثامن الهجري وقد اندثرت المدرسة وبقي المسجد يحافظ على خصائصه³.

أما خارج تلمسان فقد شيدت عدة مساجد لها أهمية علمية ودينية منها مسجد ندرومة الذي أسسه المرابطون في نفس الفترة التي تم فيها تأسيس المسجد الأعظم بتلمسان، ومسجد هنين الذي بناه أبو الحسن المريني وقد اشترى موضعه ابن مرزوق الخطيب قرب الجامع القديم⁴.

1-1-2 الزوايا

الزوايا عبارة عن دور للعبادة والعلم فهي تجمع بين الطابع الديني والعلمي وتتعداه إلى الدور الاجتماعي، حيث كانت تخصص لإطعام المحتاجين والفقراء وإسكان المريدين⁵، أما تشييد الزوايا فكان يقوم به أهل الخير ورجال الطرق الصوفية وكبار رجال الدولة، وقد انتشرت الزوايا في المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، نتيجة لانتشار التصوف، وكانت هذه الزوايا تقدم تعليمًا شرعيًا في أغلب الأوقات، يقوم به شيخ بمساعدة عدد من متطوعين، أما مواردها المالية

¹ - حساني مختار، الحواضر والأمصار، المرجع السابق، ح4، ص 18.

² - هو إبراهيم بن موسى المصمودي أحد شيوخ ابن مرزوق الحفيد ولد قرب مكناسة نزل تلمسان وأخذ عن الشريف التلمساني وسعيد العقباي توفي سنة 804 هـ و دفن بروضة آل زيان بجانب المدرسة اليعقوبية، ينظر ابن مریم، البستان ص 64.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 130 - لخضر العبدلي، المرجع السابق، ص 119 - مبارك بوطارن، المرجع السابق ص 175 - شارل بروسلا، كتابات شواهد وقيور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان، ترجمة الرزقي شرقي، دار موفم للنشر الجزائر 2011م ص 23.

⁴ - ابن مرزوق، المسند المصدر السابق، ص 403.

⁵ - ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص 413 - كمال السيد أبو مصفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال توازن المعيار المغرب. للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1979 م، ص 117.

فمصدرها الزكاة والتبرعات أو عائدات الأوقاف¹، وقد اشتهرت تلمسان في العهد الزياني بظهور العديد من الزوايا التي ذاع صيتها في كامل بلاد المغرب الإسلامي، ومن أبرزها زاوية سيدي أبي مدين شعيب بالعباد. وزاوية سيدي الحلوي² وزاوية سيدي السنوسي، والزاوية اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني³، وكذلك زاوية الشيخ أبي عبد الله في تلمسان وهو أحد تلامذة أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي. والزاوية التي كان يشرف عليها عبد الله بن مرزوق⁴.

أما خارج تلمسان فقد انتشرت الزوايا في معظم المدن الكبرى ومن أبرزها زاوية وهران التي أنشأها الفقيه محمد بن عمر الهواري⁵ في القرن التاسع الهجري، وبعد وفاته تولى شؤون الزاوية إبراهيم التازي⁶ وقد لعبت هذه الزوايا دورا هاما في تطور الحركة الفكرية.

11. 3: الكتابات: تعد الكتابات من أقدم المراكز التعليمية في العالم الإسلامي، والكتاتيب جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب وهو موضع تعليم الكتابة.⁷

ويعود تاريخ ظهور الكتابات إلى العصور الأولى من تاريخ الإسلام، فبعد الفتح الإسلامي لمنطقة ما تبدأ عملية تعليم القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي، وهذا ما جعل الكتابات تنتشر بسرعة في

¹ - عبد الرحمان بالأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي دولة المماليك سياسيًا وثقافيا المرجع السابق 2013 م، ص 159.

² - علي حامد الماحي - المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986 م، ص 247.

³ - عبد الحميد جانيات: أبو حمو الثاني المرجع السابق ص 183.

⁴ - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن. دراسة تاريخية وحضارية، دار الأملية للنشر والتوزيع الجزائر 2011 م - ص 317.

⁵ - هو الشيخ الوالي الصالح أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري درس على شيوخ فاس وبجاية زار المشرق وبيت المقدس، ثم استقر استقر بوهران توفي سنة 843هـ، ينظر ابن مريم السيان ص 228- السخاوي، الضوء اللامع، 82 ص 272.

⁶ - هو إبراهيم محمد بن محمد بن علي التازي، نزيل وهران أصله من المغرب الأقصى أخذ عن محمد بن عمر الهواري، ولد أوائل القرن 9 هـ. ينظر ابن مريم البستان ص 58- السخاوي الضوء، 12 ص 187- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود

في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تح يحي بو عزيز ج 1، دار البصائر الجزائر 2007 م ص 77.

⁷ - عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي ط 1 1982 م ص 217- حسن عزوزي، التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس القرن 8 هـ، مجلة الحضارة الإسلامية، المرجع السابق ص 241.

المغرب الإسلامي، وكانت الكتابات عبارة عن غرف بسيطة مفروشة بالحصير، أما الوسائل فهي بسيطة أيضا تمثلت في لوح خشبي والدواية وقلم من القصب¹.

وكانت هذه المؤسسات تقوم إضافة إلى تحفيظ القرآن في سن مبكرة للصبيان بتعليم الكتابة والإعراب والشعر وبعض مبادئ الحساب²، وقد كانت هذه المؤسسات تنشأ من طرف المحسنين أو مجموعة من أولياء الصبيان أو العلماء وعادة ما كانت تجاور المساجد لأن بعض المرين نھو عن جعلها داخل المسجد وذلك لما يسببه الصبيان من قذارة ونجاسة للمسجد وامثالاً للحديث "جنبوا مساجدكم صبيانكم وبجانينكم"³، وقد عرفت هذه المؤسسات في القرن 8 و9 هـ تطورا كبيرا من حيث البناء والتسيير أو نظام التدريس وطبيعة المواد المدروسة⁴، وقد مثلت هذه المؤسسات المرحلة الأولى من التعليم.

11. 4: المدارس: عرف المغرب الإسلامي ظهور المدارس في بداية الأمر بتونس أيام الدولة الحفصية ثم المغرب الأقصى في القرن 7 هـ 13 م بمدينة سبتة⁵، لينتقل نظام المدارس بعد ذلك إلى المغرب الأوسط أيام الدولة الزيانية وكان ذلك خلال القرن 8 هـ 14 م حيث تنافس الملوك على تشييد المدارس والإنفاق عليها وتعيين المدرسين⁶ رغبة منهم في نشر العلم والتأثير على الرعاية لخدمة المذهب المالكي واستئصال المذهب الموحد⁷، ومن أبرز تلك المدارس.

¹ - لخضر العبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، المرجع السابق ص 92.

² - ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين حتى القرن 6 و7 هـ، كنوز الحكمة الجزائر 2011م ص 277.

³ ابن ماجة في سننه، ج1 ص 647 - مصنف ابن أبي شيبة، من كره إقامة الحدود في المساجد، ج5 ص 527، (درجة الحديث، ضعفه ابن كثير و الحافظ ابن حجر)، .

⁴ - حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج1 ص 261- محمد مكوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها إلى نهاية عهد ابن تاشفين الأول أطروحة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2008 م ص 125.

⁵ - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص 325.

⁶ - عبد العزيز فيلاي، نفسه ونفس الصفحة.

⁷ - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ط2، ص 274.

- مدرسة ابني الإمام : هي أول مدرسة أسسها بنو عبد الواد بتلمسان في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول سنة 710 هـ 1310 م تكريماً للعالمين الجليلين أبني الإمام أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى اللذين عينهما للتدريس بها وتقع بناحية المطمر داخل باب كشوط¹.

- المدرسة التاشفينية: بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول إلى جانب المسجد الأعظم بتلمسان وذلك في حدود 728 هـ 1327م، وتعتبر من أجمل المدارس لأن السلطان جلب أحسن الصناع والمهندسين لتجميلها وزخرفتها وعين بها العالم أبا موسى عمران المشدالي للتدريس بها²، وظلت هذه المدرسة تقوم بدورها إلى غاية تدهيمها من طرف الاستعمار الفرنسي³.

_ مدرسة العباد: شيدها السلطان المريني أبو الحسن عندما استولى على تلمسان سنة 747 هـ 1347م، بقربة العباد قرب ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب والمسجد الذي أسسه قبل المدرسة بشماني سنوات وتمتاز بزخرفتها وطابعها المعماري المتميز⁴.

- مدرسة سيدي الحلوي: المدرسة التي بناها السلطان المريني أبي عنان فارس بعد استلائه على تلمسان سنة 754 هـ 1354 م بجانب مسجد وضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي¹،

¹ - التنسي تاريخ بني زيان المصدر الأسبق، ص 133- يحي ابن خلدون بغية المصدر السابق، ص 130- عبدلي لخضر ، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان، ط1 دار الأوطان، الجزائر، 2011 م، ص 522- سعيد عيادي ،موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي و الاسلامي ،مطبعة بن مرابط الجزائر 2011 م ص277 .

R. Bourouiba , l'art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D, Alger 1993 P 171 .

² - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ح1، ص 159- التنسي، تاريخ بن زيان ،المصدر السابق، ص 141- فايزة بوسلاح ،المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان إشعاع فكري وحضاري ،مجلة عصور الجديدة ،العدد 2 مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر جامعة وهران 2011 م ص182 .

³ - Fatima Zohra Bouzina , Tlemcen , opcit, p 242

مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع سابق، ص 275.

⁴ - ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 406 - مختار حساني، حواضر والأمصار، المرجع السابق، ح4، ص 20.

Fatima Zohra Bouzina , Ibid , p 242

إلا أن هذه المدرسة لم تكن ذات شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس الأخرى بتلمسان².

- **المدرسة اليعقوبية**، أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني حيث ضريح أبيه أبي يعقوب وعميه أبي ثابت وأبي سعيد، وشيد إلى جانبها مسجدا وزاوية وكان بناؤها سنة 765 هـ 1364 م³.

- **مدرسة الحسن أبركان**: بناها السلطان أحمد العاقل 834 هـ 866 هـ للعالم الزاهد أبي علي الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان قرب مسجد سيدي الحلوي خارج باب علي ولم تحظ هذه المدرسة بالشهرة مثل باقي المدارس⁴. لقد استطاعت هذه المدارس ان تخرج جيلا من العلماء و الفقهاء والأدباء ساهموا في الحركة العلمية بتلمسان التي أصبحت تضاهي حواضر العالم الإسلامي في هذه المرحلة .

1-1-5 المكتبات:

إن الاهتمام بالعلم والعلماء يتطلب الاعتناء أيضا بالمكتبات وتزويدها بالكتب لتشجيع النشاط التعليمي، وهذا ما دفع بسلاطين بني زياد إلى الحرص على إنشاء مكتبات والإنفاق عليها وأهم المكتبات في العهد الزياني تلك التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني 760-1369 م بالجامع العظم، و المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان بن أبي حمو سنة 796 هـ 1394 م بالجامع الأعظم أيضا والتي كانت تضم عددا كبيرا من الكتب⁵، وإلى جانب المكتبات العامة فقد ظهرت المكتبات

¹ - هو الولي الصالح ابي عبد الله الشوزي الإشبيلي الأصل كان قاضيًا بإشبيلية آخر دولة الموحدين ثم فر إلى تلمسان واستقر بها في زي المجانين ولقب بالحلوي لأنه كان يوزع الحلوى على الأطفال توفي بتلمسان ينظر ، مريم، البستان ص 68.

² - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 144- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو المرجع السابق، ص 05- سعيد عيادي، المرجع السابق ص 305 .

³ - التنسي المصدر السابق، ص 180- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ص 276- شارل روسلار، المرجع السابق ص25 A. Dhina, les états de l'occidents au XII, XIV, XV, siècle ,office des publications universitaires ,Alger, p 75.

⁴ - التنسي، المصدر السابق، ص 248- عبد عبدلي لخضر، تاريخ مملكة تلمسان، المرجع السابق، ص 536. - أبو عبد الله بن عمر، المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تح علال بوربيق، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر 2011م ص62

⁵ - التنسي، تاريخ بن زيان، المصدر السابق ، ص 211.

الخاصة التي كان يملكها العلماء وبعض العائلات المشهورة بالعلم، هذا الاهتمام بالمكتبات أدى إلى ازدياد نشاط نسخ الكتب وجمعها وقد اشتهر العديد من الوراقين ومنهم الشيخ السنوسي الذي اشتهر بنسخ الكتب ، حيث نسخ ثلاثين كتابا بخط يده¹، كما نشطت أسواق الكتب في تلمسان وسارع العلماء إلى اقتنائها وإنشاء المكتبات ولقد كان لسلطين بني زيان دور بارز في ازدهار الحياة الفكرية من خلال ما أنفقوه من أموال على المؤسسات العلمية وما حبّسوه من أوقاف عليها.

1-2 التعليم:

إن تطور الحياة الفكرية والعلمية وازدهار الحياة الثقافية يرتبط بشكل كبير بتطور التعليم ومناهجه، هذه الأهمية جعلت سلطين بني زيان يهتمون اهتماما بالغا بالتعليم، من خلال استقدام العلماء والفقهاء لمزاولة التدريس في المؤسسات التي أنشأها في تلمسان أو المدن الأخرى التابعة للدولة، وكان التعليم يتم بطريقة تدريجية حسب تطور سن الطالب وقدرته على التحصيل العلمي، وكان التعليم يتم على مرحلتين.

1-2-1 مرحلة التعليم الأولي:

وهي المرحلة الأولى من التعليم حيث كانت تعتمد على تحفيظ القرآن الكريم الذي كان يمثل أساس التعليم في هذه المرحلة، ثم تعلم بعض مبادئ اللغة العربية والحساب²، وإلى جانب هذا يتم تعليم التلاميذ والوضوء والصلاة ، هذه المرحلة كانت تتم في أغلب الأحيان في الكتاتيب التي كانت تقام في شتى المدن والقرى ، حيث كان الصبيان يدخلون الكتاتيب في سن معينة عادة خمس أو ست سنوات، وكانت الفترة الصباحية تخصص لحفظ القرآن والكتابة، بينما الفترة المسائية لبقية المواد³ ويتولى مهمة التعليم معلم أو مؤدب من حفظة القرآن الذين تتوفر فيهم بعض الشروط الأساسية

¹ - ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

² - ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 740.

³ - عبدلي لخضر، الحياة الثقافية، المرجع السابق ، ص 91.

لمزاولة هذه المهمة ، و منها أن يتصف بالأخلاق الحميدة وإمامه التام بالقرآن الكريم وعلومه¹، والحرص التام على تحفيظ القرآن ، والتلاوة الحسنة على أن يمتاز بالصبر والتسامح في التعامل مع الصبيان، لأن العنف يؤثر سلبيًا على الصبيان وتحصيلهم العلمي²، وكان المعلم يأخذ أجره من أولياء التلاميذ وذلك عن طريق تقديم مبلغ مالي أسبوعيًا.

1-2-2-2 مرحلة التعليم العالي: بعد أن يكون الطالب قد تمكن من حفظ القرآن والتحكم في الكتابة والقراءة وبعض بادئ اللغة العربية ينتقل إلى المرحلة الثانية من التعليم والتي كانت تتم في المساجد والمدارس، وفيها يدرس الطالب مختلف العلوم الدينية والعقلية³، وكان للطلاب حق اختيار المواد التي يريدون دراستها⁴، وكانت السلطة هي التي تشرف على هذا النوع من التعليم من حيث تعيين المدرسين ودفع أجورهم، وكان السلاطين يشجعون العلماء الأكفاء على القدوم لبلادهم للاستفادة منهم في مجال التدريس⁵.

1-3 أصناف العلوم: عرفت فترة الدولة الزيانية انتشار الكثير من العلوم ، والتي كان العلماء يتنافسون في دراستها وتعليمها في المؤسسات العلمية ، وقد قسم ابن خلدون هذه العلوم إلى علوم نقلية وهي العلوم الوضعية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال للعقل فيها إلا في إلحاق الفروع بالأصول، وعلوم عقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وبراهينها⁶.

¹ - ابن خلدون المقدمة، المصدر السابق، ص 743- ابن سحنون، المرجع السابق، ص 88.

² - ابن سحنون المرجع نفسه، ص 45.

³ - عبدلي لخضر، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 94.

⁴ - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج2، ص 347- خالد بلعربي المرجع السابق، ص 314.

⁵ - عبد العزيز فيلاي، المرجع نفسه، ص 351.

⁶ - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 549.

1-3-1 العلوم النقلية: وفروعها كثيرة أساسها هو التعرف على أحكام الله المفروضة على الإنسان وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو الإجماع¹ ومن هذه العلوم.

1-1-3-1 العلوم الدينية والشرعية: ومنها علوم التفسير وهو النظر في كتاب الله وبيان ألفاظه وشرحه ثم علم القراءات ويتضمن معرفة القراءات المشهورة وفن رسم الحروف ومقاصد الآيات وأسباب النزول²، وعلوم الحديث ويراد بها حفظ ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، أما الفقه فهو الفهم في اللغة واضطلاحاً معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكره والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها.³

ويتناول الفقه المسائل التي تواجه الإنسان في حياته فيبحث في جوانب الدين والأحوال الشخصية والمعاملات، ويدخل في العلوم الدينية أيضاً التصوف ويقصد به الزهد في الدنيا والعكوف على العبادة وقد انتشر التصوف في المغرب الأوسط خاصة تلمسان التي احتضنت الشيخ القطب أبا مدين شعيب، حيث أصبح المجتمع يميل أكثر إلى هذه الظاهرة، خاصة أن رجال التصوف اهتموا بتعاليم الدين الإسلامي وبالجانب التربوي⁴.

لقد عرف المغرب الأوسط في العهد الزياني ظهور العديد من العلماء الذين اهتموا بالعلوم الشرعية ومنهم:

- **موسى عمران المشدالي:** أصله من بجاية ولد سنة 670 هـ 1271 م أخذ عن أبي علي ناصر الدين المشدالي ببجاية وقدم تلمسان أيام أبي تاشفين الأول اشتهر بغزارة علمه في عدة أصناف منها

¹ - ابن خلدون، نفسه، ص 550.

² - ابن خلدون نفس المصدر، ص 554.

³ - ابن خلدون، نفسه، ص 573 - محمد بكر اسماعيل، الفقه الواضح، المجلد 1، ط2 دار المنار القاهرة 1997 م، ص

15 - عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق ص 07.

⁴ - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 387.

الفقه والحديث والفرائض، تولى التدريس بالمدرسة التاشفينية أخذ عنه الكثير منهم سعيد العقباني وأبو عبد الله الشريف توفي 745 هـ 1344 م.¹

- أبو إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي: أصله من تنس أخذ عن علماء بجاية وتونس ومصر والحجاز ثم استقدمه يغمراسن إلى تلمسان للتدريس، كان صاحب مهابة ومكانة مرموقة في بلاد المغرب. توفي سنة 580 هـ 1282 م²، وقد قال عند السلطان المريني أبو يعقوب "ما صاحبني أحد قط إلا شعرت بارتعاش يده لهيبة السلطان إلا الفقيه أبا إسحاق التنسي فعندما يصاحبني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيئته³.

- أبو الحسن التنسي: هو أخو أبي إسحاق من كبار العلماء العاملين زاول التدريس بتلمسان، و هو معظم عند الملوك العامة توفي 760 هـ 1306 م وحضر جنازته السلطان المريني أبو يعقوب بالعباد.⁴

- ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى: نشأ بمدينة برشك حيث كان والدهما إماماً بأحد المساجد ، ثم رحلا إلى تونس وأخذوا عن علمائها، قريهما السلطان المريني أبو يعقوب والسلطان الزياني أبو حمو موسى الأول وبعد رحلتها إلى المشرق استدعاهما السلطان المريني أبو حسن عندما

¹ - يحيى ابن خلدون، ح1، ص 113 المصدر السابق، ص 141 - المقرئ أزهار الرياض، ح5، ص 30 - أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ص 235 - عبد الجليل قربان ،التعليم في تلمسان في العهد الزياني ،حسور للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص 354 .

Benali El-Hassar, Tlemcen dans les textes, ENAG, Editions 2011, Alger , p 63.

عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ح2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م ، ص 55.

² - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 159 - ابن مريم الشهان، ص 66 - أحمد بابا التنبكي نيل الإبتهاج ص 38.

³ - عبد العزيز الشلاي، المرجع السابق، ص 330 - عبد الجليل قربان ،المرجع السابق ص 346 .

⁴ - يحيى ابن خلدون المصدر السابق ص 151 - عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص

استولى على تلمسان وأكرمهما، توفي أبو زيد سنة 741 هـ 1340 م أما أبو عيسى توفي سنة 749 هـ 1348 م.¹

- **أبو عبد الله المقرئ:** محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، الفقيه الأديب المتصوف من علماء المالكية، وأصله من مقرة ولد بتلمسان، أخذ عن علمائها أمثال ابني الإمام وأبي موسى المشدالي وابن هدية القرشي رحل إلى المشرق ثم انتقل إلى فاس وتولى القضاء في عهد السلطان المريني أبي عنان ومن أبرز تلامذته ابن الخطيب وابن خلدون توفي 759 هـ، 1359 م له مؤلفات كثيرة منها الحقائق والرقائق والقواعد وإقامة المرید، و النظائر ورحلة المتبتل وغيرها².

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجسي:** الشهير بالخطيب وبالجد ولد بتلمسان سنة 710 هـ 1311 م ارتحل إلى كثير من البلدان الإسلامية مشرقا و مغربا تولى الخطابة بعدة مساجد له مؤلفات عديدة منها تعليق على صحيح البخاري و شرح العمدة وكتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، توفي بالقاهرة سنة 781 هـ 1379 م³.

¹ - ابن مريم، البستان، ص 123- يحيى ابن خلدون، ج1، ص 130- ابن فرحون، الديباج المذهب، المصدر السابق، ص 486- بدر الدين القرافي، توشيح الديباج و حيلة الإبتهاج، دار الأبحاث للترجمة و النشر الجزائر 2011 م ص 98 - بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 9 هـ 13 م إلى القرن 10 هـ. 16 م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان 2009 م، ص 132.

1 - المقرئ، النسخ، المصدر السابق، ج5، ص 203- أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 298، ابن الخطيب الإحاطة، ج2، ص 194- ابن مريم البستان، ص 155- أحمد بن يحيى الونشريسي، وفيات الونشريسي، تح محمد بن يوسف القاضي، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص 47 - عبد الرحمان ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، المصدر السابق، ص 59.

² - ابن مريم، البستان، ص 117- أبو عبد الله محمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، تج سلوى الزاهري، طليعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2008 م، ص 63. - يحيى ابن خلدون البغية، المصدر السابق، ج1، ص 151- أحمد بابا، نيل الإبتهاج، المصدر السابق ص 450 - عبد الحق حميسي، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص 339 - عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي، المرجع السابق ص 59 - ابن داود نصر الدين، علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2002 م ص 45.

- ابن زكري أبو العباس بن محمد . من أهل تلمسان نشأ يتيماً أخذ عن ابن زاغو والإمام ابن مرزوق وقاسم العقباني، برع في العلوم الدينية من مؤلفاته، بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني في أصول الفقه توفي 899 هـ 1498 م¹.
- الونشريس أحمد بن يحيى بن عبد الواحد التلمساني: .الفقيه المالكي أخذ عن علماء تلمسان ثم انتقل إلى فاس واستوطنها حتى وفاته 914 هـ 1508 م، له عدة مؤلفات منها المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب وله المختصر في أحكام نوازل البرزلي².
- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسيني التلمساني: أخذ العلم عن علماء تلمسان وعن أبي الحسن القلصادي، وأبي عبد الله الحباك يرع في علم التوحيد والعقيدة من مؤلفاته عقيدة التوحيد الكبرى شرح صحيح البخاري، توفي سنة 895 هـ 1490 م³.
- أما في مجال التصوف فقد برز الكثير من الشيوخ الذين اهتموا بهذا العلم في عهد الدولة الزيانية ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.
- الشيخ أبا عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق. الفقيه المحدث أخذ التصوف عن جماعة من أصحاب أبي مدين ولقي احتراماً كبيراً من طرف السلطان يغمراسن الذي كان يحرص على الالتقاء به وقد أوصى أبناءه بأن يدفن إلى جانبه وتم له ذلك توفي سنة 681 هـ 1282 م⁴.
-
- ³ - أحمد بابا النيل ص 129- ابن القاضي درة الحجال لمصدر السابق، ج1، ص 90- أبو جعفر البلوي ثبت أبو جعفر ، تج عبد الله العمراني، ط1 دار الغرب الإسلامي، 1983 م ص 418، - محمد بن عسكر الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ لقرن العاشر، تج محمد حجوي، دار الغرب للتأليف، الرباط 1977 م، ص 112.
- ⁴ - ابن مريم البستان، ص 53- ابن القاضي درة الحجال ج1، ص 91- أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 70.
- ³ - أبو جعفر البلوي ثبت المصدر السابق، ص 436- عبد الحميد حاجيات، دراسات المرجع السابق، ص 67- باجي عبد القادر، إدرار الشمس على حياة وأعمال السنوسي، دار كردادة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011 م، ص 82.
- ⁴ - ابن مرزوق المناقب المرزوقية، المصدر السابق ص 149 - ابن مريم البستان، المصدر السابق ص 226 - يحيى ابن خلدون المصدر السابق ج1 ص 151 .

- أبا العباس أحمد بن مرزوق . ولد سنة 681 هـ 1282 م وهي السنة التي توفي فيها والده انتقل إلى فاس وأخذ عن شيوخها ثم توجه إلى سبتة و زار بجاية وتونس والقاهرة ومكة و المدينة و أخذ عن علماء هذه الحواضر ولقى هو الآخر مكانة خاصة عند السلاطين توفي سنة 741 هـ 1340 م¹.

ابراهيم بن محمد المصمودي التلمساني: أصله من صنهاجة المغرب أخذ العلم بفاس عن موسى العبدوني ومحمد الأبلي حل بتلمسان وأخذ عن عبد الله الشريف التلمساني بالمدرسة اليعقوبية كماأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد توفي حوالي 804 هـ 1403 م، ودفن بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية².

- أبا إسحاق إبراهيم بن علي الخياط: كان يكثر الجلوس إلى الشيخ أبي عبد الله بن مرزوق، كان رجلاً صالحاً له مكانة خاصة عند السلطان يغمراسن³.

- محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صاعد :وبه عرف التلمساني الفقيه العالم الصوفي أخذ عن الإمام محمد العباس العبادي والحافظ التنسي والإمام السنوسي كان من أصحاب الشريعة والحقيقة ألف ألف كتاب منها "النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب" توفي بمصر سنة 901 هـ 1496 م.⁴

¹ - ابن مريم ،المصدر السابق ص27 - ابن مرزوق ،المناقب المرزوقية ،المصدر السابق ص188 - يحيى ابن خلدون ،المصدر السابق ج 1 ص152 .

² - ابن مريم ،المصدر السابق، ص 64 - أحمد بابا ،نيل الإبتهاج ،المصدر السابق ص54 - عبد الحميد حاجيات ،درسات ،المرجع السابق ص62 - عبدلي لخضر ،تاريخ مملكة تلمسان ،المرجع السابق ص635 ..

³ - ابن مرزوق ،المناقب المرزوقية ،المصدر السابق ص180 - يحيى ابن خلدون ،المصدر السابق ص117 - خالد العربي، الدولة الزيانية ، المرجع السابق ص 332.

⁴ - ابن مريم البستان، ص 251 - أحمد بابا التنيكتي نيل ص 575 - محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية ،المرجع السابق ج 1 ص 269 - عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 2007 م، ص 293.

هذه عينة فقط من العلماء والفقهاء الذين عاصروا الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، ونظرا للعدد الهائل من العلماء خاصة في مجال العلوم الدينية اقتصرنا على البعض منهم والذين كان لهم دور بارز في الحياة الفكرية من خلال مساهمتهم الكبيرة في تنشيط حركة التعليم والإشراف على المدارس.

1-3-1-2 العلوم اللسانية والاجتماعية:

- لقد حظيت العلوم اللسانية باهتمام جل العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء، حيث كان للغة صلة كبيرة بعلوم القرآن والحديث وقد برع العديد من الأدباء في العهد الزياني ومنهم.

- ابن خميس التلمساني أبو عبد الله بن عمر: ولد بتلمسان سنة 656هـ 1250م كان من كبار الأدباء والشعراء أخذ عن علماء تلمسان ثم رحل إلى الأندلس واشتغل في خدمة الوزير ابن حكيم وتوفي مقتولاً سنة 708هـ 1308م¹.

- ابن هدية القرشي: أبو عبد الله بن منصور: اشتغل بديوان الإنشاء الزياني تولى القضاء بعد أبيه كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم، شرح رسالة ابن خميس توفي سنة 775هـ 1336م².

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني: صاحب كتاب نظم الدر والعقبان في بيان شرف بن زيان، أديب نشأ بتلمسان وأخذ عن ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو تولى التدريس أخذ عنه عدد كبير من الطلاب.³

¹ - ابن مريم البستان، ص 225- يحيى ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 145- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، وزارة الثقافة الجزائر، 2007 م ص 205 - الطاهر توات، شخصيات تلمسانية أندلسية ومظاهر من الثقافة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، 2000 م، ص 27- الطاهر توات، ابن خميس شعره ونشره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991 م، ص 41..

² - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 154- المقرئ، النفع، ج 5، ص 234- نبيلة عبد الشكور، القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية، ط 1 منشورات الحضارة، الجزائر، 2011 م، ص 268- ابن مريم، البستان، المصدر لسابق، ص 68- يحيى ابن خلدون البغية، المصدر السابق، ج 1، ص 65.

³ - أحمد بابا التنيكتي: نيل الابتهاج، ص 572- ابن مريم، البستان، ص 248- ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص 143- أحمد بابا التنيكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص 415 - عبد الحميد حاجيات، دراسات، المرجع السابق، ص 74- يحيى ابن خلدون البغية، المصدر السابق، ج 1، ص 65.

كما برز في تلمسان عدد من المؤرخين الذين سجلوا أهم الأحداث التاريخية في عهد الدولة الزيانية باعتبارهم عايشوا تلك الأحداث ومن أبرز هؤلاء.

- أبو زكرياء يحيى ابن خلدون: ولد سنة 734 هـ 1334م، بتونس وتلقى العلوم عن علمائها ثم التحق بفاس في عهد السلطان أبي عنان المريني وفي عهد أبي حمو الثاني التحق ببلاط الدولة الزيانية وتولى منصب الكتابة وبقي بتلمسان إلى أن قتل في رمضان 780 هـ 1379م، من مؤلفاته بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد¹.

- عبد الرحمن ابن خلدون أبوزيد: ولد بتونس 732 هـ 1332م، من أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والرياسة، أخذ عن شيوخ الزيتونة، انتقل إلى المغرب واشتغل كاتبا بالقصر المريني، ثم قصد قلعة بني سلامة وكتب مقدمته التي اشتهر بها ثم سافر إلى مصر وتولى مهنة القضاء والتدريس ومن أبرز مؤلفاته ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، توفي سنة 808 هـ 1426م².

132 العلوم العقلية:

اشتملت العلوم العقلية على العلوم العددية وعلم الفلك والمنطق والطب والكيمياء، وقد عرفت هذه العلوم تطورًا كبيرًا بتلمسان نظرًا للتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته الدولة في هذه المرحلة، خاصة بعد قدوم العديد من الأندلسيين ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بهذا النوع من العلوم .

¹ - محمد مخاوف، شجرة النور ج1 المرجع السابق ص228 - عبد الحميد حاجيات، مقدمة كتاب بغية الرواد، ص7 - عبد الحميد حاجيات، دراسات، المصدر السابق، ص72- يحيى بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص205.

² - أحمد بابا الشبكي النيل، ص250- السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع المصدر السابق، ج4، ص145، - ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر في قضاة مصر، دون مكان وتاريخ الطبع، ص233- ابن عماد الحنبلي، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص86، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص497- الشوكاني محمد بن علي، البدر الطالع، ج1 المصدر السابق ص235 .

- أبو عبد الله الآبلي: هو أبو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني أصله من آبله الأندلس ولد بتلمسان 680 هـ 1281م، أخذ عن علماء تلمسان أمثال أبي الحسن التنسي وابي موسى ابن الإمام رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وزار مصر والشام ثم انتقل إلى المغرب الأقصى وأخذ عن أبي العباس ابن البناء ثم استدعاه أبو الحسن المريني وألحقه بطبقة العلماء بمجلسه، توفي سنة 757 هـ 1386م.¹

- أبو عبد الله محمد النجار: مراكشي الأصل ولد ونشأ بتلمسان أخذ عن الآبلي ثم رحل إلى المغرب الأقصى وأخذ عن أبي عبد الله بن هلال بسبته وابن البناء بمراكش، نبغ في العلوم العقلية وأصبح إمام علوم التنجيم وأحكامها التحق ببلاط أبي الحسن المريني لما ملك تلمسان وتوجه معه إلى تونس وتوفي بالطاعون 749 هـ 1349م.²

- ابن الفحام: أبو الحسن علي ابن الفحام تلميذ ابن النجار. اشتهر بصناعة المنجاة وهي ساعة عجيبة ازدان بها قصر أبي حمو الثاني توفي أواخر القرن 8 هـ 14م.³

- الحباك أبو عبد الله محمد بن أحمد: نبغ في الفلك والحساب والفرائض وعلم التنجيم. أخذ عنه الشيخ السنوسي ، ، ألف أرجوزة بغية الطلاب في علم الاسطرلاب وشرح تلخيص ابن البناء ونظم رسالة الصفار في الأسطرلاب، توفي سنة 867 هـ 1463م.⁴

لقد مثلت فترة الدولة الزيانية مرحلة ازدهار علمي في مختلف العلوم حيث نستخلص حركة التأليف فظهرت مصنفات ذات أهمية بالغة في العلوم الشرعية والتصوف والتاريخ وغيرها وأصبحت تلمسان

¹ - ابن مريم البستان، ص214- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 157- التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 53- ابن القاضي درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص 265- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 304.
² - يحي ابن خلدون بغية، المصدر السابق. ج1، ص 156- المقرئ النفع، المصدر السابق ج5، ص 236- ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق ج2، ص264.
³ - يحي ابن خلدون بغية: ج2 ص 156- التنسي تاريخ بن زيان، ص 162- عبد الحميد حاجيات، دراسات، ص 76.
⁴ - ابن القاضي: درة الحجال، ج1، ص 94- ابن مريم البستان، ص 219- أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 543 - أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص 389.

مركزا حضاريا وعلميا هاما وتحولت إلى مركز استقطاب وجذب لعدد كبير من العلماء والفقهاء، خاصة مع كثرة المؤسسات الثقافية والعلمية.

2- الحياة الثقافية في المغرب الأقصى:

2-1- المراكز الثقافية والعلمية:

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيين إستقرارا سياسيا وازدهارا علميا ناتجا عن الاستفادة من التراث الثقافي للمرابطين والموحدين، ومن الهجرة الأندلسية. هذه العوامل جعلت بلاد المغرب ملاذا لكثير من العلماء والفقهاء خاصة وأن سلاطين بني مرين عملوا على تشجيع الحركة العلمية من خلال توفير الظروف المناسبة وبناء المؤسسات العلمية والدينية، وما يثبت هذا الاهتمام هو حادثة غرق الأسطول المريني في المياه التونسية سنة 750هـ 1349م والذي كان يحتوي أربعمئة عالم من كبار علماء المغرب¹، ومن أبرز مظاهر الازدهار العلمي ظهور المؤسسات العلمية ومنها.

2-1-1 المدارس: لقد حرص سلاطين بني مرين على تشييد المنشآت العلمية و الاهتمام بها خاصة في عاصمتهم فاس، التي كانت تتوفر على العديد منها، فقد كان بفاس إحدى عشرة مدرسة نذكر منها.

- مدرسة الصغارين: وهي من أقدم المدارس المرينية بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 670 هـ 1271م بسوق النحاسين بفاس وزودها بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس²، وأمر بالإنفاق على الطلبة والمدرسة من جزية اليهود³، واحتوت المدرسة وسط الصحن بركة مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة.⁴

¹ - ابن خلدون: العبر، ج7المصدر السابق، ص 158.

² - علي الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، نج عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص 111- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص 200.

³ - ابن أبي زرع: الذخيرة، المصدر السابق، ص 162.

⁴ - إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ من بداية المرينين إلى نهاية السعديين، المرجع السابق، ص 156.

- مدرسة الشهود بمكناس: من انشاء السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 674 هـ 1275 م بعد بناء قصبة مكناسة ،وتعرف بمدرسة القاضي لأنها كان يدرس بها اقاضي أبو الحسن بن عطية الونشريسي.¹
- مدرسة فاس الجديد: شيدها السلطان أبو سعيد عثمان المريني سنة 720 هـ 1320 م. وعين فيها الفقهاء للتدريس وأمر بالإنفاق على الطلبة والمدرسين وحبس عليها الأوقاف² ،وتعرف هذه المدرسة بالبيضاء وقد درس بها الفقيه أبو العباس أحمد بن قاسم الشهير بالقباب والمتوفى سنة 778 هـ 1377 م.³
- مدرسة الصهريج: أنشأها الأمير أبو الحسن في عهد والده أبو سعيد عثمان سنة 721 هـ 1321 م بفاس قرب جامع الأندلس وسميت بهذا الإسم بسبب وجود حوض مائي كبير في وسط الصحن ، وتحتوي المدرسة على دار للطلبة ودار للوضوء، جلب لها الماء من العين الواقعة قرب باب الحديد أحد أبواب فاس وأنفق عليها أكثر من مائة ألف دينار وأختار لها الفقهاء للتدريس وأجرى عليها الأنفاق.⁴
- مدرسة السبعين: بناها الأمير أبو الحسن إلى جانب مدرسة الصهريج وهي أصغر حجماً منها حيث لا تتعدى نصف حجم مدرسة الصهريج وسميت بهذا الاسم لأنها خصصت للقراءات السبع.⁵
-
- ¹ ابن غازي ،اروض الهاتون ،المصدر السابق ص 14 - محمد السيد محمد ابو رحاب ،المدارس المغربية في العصر المريني دراسة آثارية معمارية ، ط 1 ،دار اوفاء الإسكندرية 2011م ص 257 .
- ² - ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، المصدر السابق ص 411 - أبو العباس الناصري الاستقصا لدول المغرب الأقصى، ج3 دار لكتاب الدار البيضاء، 1954 م، ص 112 - روجيه لوترونو، فاس في عصر بني مرين ترجمة نقولا زيادة مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص 173.
- ³ - محمد المنوني ،ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ،مطابع الأطلس الرباط (دت) ص 28 .
- ⁴ ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ،المصدر السابق ،ص 412 - الإستقصا ،المصدر السابق ج3 ص112 - علي الجزنائي ،المصدر السابق ،ص111- محمد السيد أبو رحاب ،المرجع السابق ص 298 .
- ⁵ - روجي لوترونو ،المرجع السابق ص173 - العربي لقرنيز ،مدارس السلطان أبي الحسن مدرسة أبي مدين نموذجا دراسة أثرية فنية ،رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية ،جامعة تلمسان ،2001 م ص 33 .

- مدرسة العطارين: شيدت بأمر من السلطان أبي سعيد عثمان سنة 723 هـ 1323 م.¹ على يد الشيخ محمد بن عبد الله بن قاسم المزوار قرب جامع القرويين، وقد رتب فيها إماما ومؤذنين وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة²، وقد تميزت بزخرفتها العجيبة بالخشب المحفور فكانت إحدى جواهر العمارة المرينية.³

- المدرسة العظيمة: شيدها السلطان المريني أبو الحسن علي سنة 731 هـ 1331 م- 749 هـ 1348 م، قرب المسجد الأعظم بمراكش⁴، وأوقف عليها عدة أوقاف⁵، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة ووصفها بأنها مدرسة عجيبة تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة⁶.

- المدرسة المصباحية: شيدها السلطان أبو الحسن المريني سنة 747 هـ 1346 م بفاس وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الفقيه مصباح بن عبد الله الياصولوتي المتوفى سنة 788 هـ، الذي كان أول من عين للتدريس بها⁷، وتحتوي المدرسة على عدد كبير من الغرف للتدريس وإيواء الطلبة، كما يشار إليها أيضًا بالمدرسة الرخامية حيث جلب إليها السلطان نفورة رخامية من الأندلس، وتعتبر هذه

¹ - الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3 ص 112 ،

G , Marçais , L'architecture musulmane D'occident, Paris 1955 ,p286 .

² - الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3 ص 112 .

³ - ابراهيم حركات، المرجع السابق ص 157- عامر أحمد عبدالله، دولة بني مرين تاريخها وسياسيتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية و الممالك النصرانية في اسبانيا، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح فلسطين ص241 .

⁴ - المسجد الأعظم في مراكش بني زمن الخليفة يعقوب المنصور الموحد المتوفى سنة 595 هـ 1199 م، ينظر الناصري الإستقصا، المصدر السابق ج2 ص 174 .

⁵ - الناصري الاستقصا، ج3، ص 175.

⁶ - ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تج عبد المنعم عريان، دار أحياء العلوم، العلوم، بيروت، ط3، 1996، ج2، ص 772.

⁷ - الناصري الاستقصا: ج3، ص 176- ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تج زهراء النظام، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، 1977 م ، ص225- محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006 م ، ص 225.

المدرسة من أغنى مدارس المرينين ، لما توفره لها عائدات الأحباس المتنوعة من حوانيت وبيساتين إلا أن هذه المدرسة أغلقت في بداية القرن الماضي.¹

- **المدرسة البوعنانية:** تعد من أجمل مدارس فاس، شيدها السلطان أبو عنان بن أبي الحسن سنة 756 هـ 1355م ، وتمتاز بروعتها وجمالها تحتوي على بركة فاخرة من الرخام يخترقها جدول مائي يجري في قناة صغيرة مغطاة بالرخام والزليج، وفي قاعة الصلاة منبر من تسع درجات مصنوع من الخشب.²

- **المدرسة البوعنانية بمكناس:** شرع في بنائها أيام السلطان أبي الحسن سنة 745 هـ، 1345م إلا أنها لم تكتمل إلا في عهد أبي عنان ولذلك حملت اسمه، وتقع بالقرب من الجامع الأعظم بمكناس، وتضم المدرسة صحنًا يتوسطه حوض مربع وقاعة للصلاة وغرف للطلبة.³

- **مدرسة أبي الحسن بسلا:** أنشأها السلطان أبو الحسن المريني وذلك سنة 742 هـ. كما هو مكتوب برخامتها المنصوبة بحائطها الجوفي بداخل المدرسة⁴ ، وهي أجمل وأحسن المدارس المرينية. حيث المرينية. حيث خصها السلطان أبو الحسن بكثرة الأحباس التي أوقفها عليها مما شجع الطلبة والمدرسين على القدوم إليها، وقد كانت تدرس بها العلوم الشرعية والعلوم العقلية خاصة الطب⁵ ، ومن أبرز المدرسين بها في مجال الفقه والتفسير، الفقيه إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي⁶ ، والقاضي

¹ - الجزنائي زهرة الأس: المصدر السابق، ص 111- ابن مرزوق المسند الصحيح، المصدر السابق، ص 406.

² - الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص 215 - ابن بطوطة، تحفة، ج2، ص 762- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 159.

³ - العربي لقزيز: المرجع السابق، ص 48- الناصري الاستقصا، المصدر السابق، ج3، ص 206- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 159.

⁴ - محمد بن القاسم الأنصاري السبي: انتصار الأخبار عما كان بنعز سبعة من سن الآثار، تج عبد الوهاب بن منصور، ط2، ط2، الرباط 1980 م ، ص 28- الناصري الاستقصا، ج3، ص 157- مجلة دعوة الحق العدد 293، السنة 23، الرباط 1992، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص 31.

⁵ - محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، أصولها وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

1987م ، ص 45.

⁶ - ابن الخطيب، الإحاطة بالمصدر السابق، ج4 ص 116.

سعيد العقباني التلمساني والفقير الفرضي أبو الحسن علي بن عطية المكناسي الونشريسي¹ وهكذا فإن سمعة ومكانة المدرسة جعلتها مقصدا للعلماء والشعراء والطلاب، ومثلت قطبا علميا من أهم الأقطاب العلمية في العهد المريني وبعده.

كما كان لبني مرين مدارس أخرى كثيرة في عدد من المدن بالمغرب الأقصى. وكان أكثر الملوك بناءً للمدارس أبو الحسن الذي شيد تقريبا في كل مدينة مدرسة، منها مدرسة العباد بتلمسان وطنجة وآسفي وأزمور وأغمات ومراكش التي كان بها مدرستان واحدة لأبناء الملك، وأخرى لعامة الناس² ومن المدارس المرينية مدرسة الشهود التي بناها السلطان أبو يوسف وكانت تدعي بمدرسة القاضي، حيث كان القاضي أبو علي الونشريسي يدرس بها وتدعي أيضا بالفيلالية بقصبة مكناسة³.

2-1-2 - المساجد والزوايا:

لقد اهتم المرينيون ببناء المساجد وحرصوا على تجميلها وتجديدها في مختلف مدن المغرب، وأنفقوا في ذلك أموالا كثيرة من الأحباس والأوقاف وأصبح الطابع المريني يظهر في كل المساجد التي بنيت في عهدهم ومن أشهر تلك المساجد.

- **الجامع الكبير بتازا:** أنشأه السلطان الموحيدي عبد المؤمن بن علي سنة 539 هـ 1115م وأكمل بناءه وتوسيعه السلطان المريني أبو يعقوب 693 هـ 1294م وعلقت به ثريا كبيرة من

¹ - ابن الخطيب: الإحاطة نفسه، ص 172.

² - ابن مرزوق، المسند الصحيح، المصدر السابق، ص 406- محمد الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985م، ص 325- عبد العزيز بن عبد الله، الرباط عاصمة معمارية، مجلة دعوة الحق، العدد 281، 1990م، ص 27.

³ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 153.

النحاس وزنها اثنان وثلاثون قنطارًا وعدد كؤوسها خمسمائة وأربعة عشر كأسًا وأنفق السلطان في ذلك ثمانية آلاف دينار ذهبي¹.

- **الجامع الكبير بفاس:** أمر بنائه السلطان أبو يوسف يعقوب سنة 676هـ 1279 م قريبا من القصر، وأشرف على بنائه أبو علي الأزرق والي مكناس²، يتكون المسجد من بيت للصلاة يحتل نصف المساحة وصحنٍ واسعٍ يحتل النصف الآخر وفي مدخل بيت الصلاة تقوم قبة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرواق الأوسط، وقد عُلقت بهذا المسجد ثريا كان وزنها سبعة قناطير³.

- **جامع الحمراء:** بناه السلطان يوسف بن يعقوب في مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وقد اختلفت الروايات حول بناء هذا المسجد فهناك من يرى أن امرأة في عصر بيم مريم كرس كل ثروتها لبناء هذا المسجد لذلك سمي باسمها لالة الحمراء⁴، بينما يرى المنوني أنه من بناء السلطان أبو عنان وذلك نظرا للتشابه القائم بين شكله وزخرفته مع زخرفة مدرسة أبي عنان وقد بني المسجد سنة 757 هـ 1358 م⁵.

- **مسجد أبي الحسن:** شيده السلطان أبو الحسن المريني سنة 742 هـ 1341 م والذي يحمل اسمه⁶

¹ - ابن أبي زرع الأنيس: المصدر السابق ص 409- الناصري الاستقصا ج3، ص 75- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرح، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية التربية، 2004م، ص 128.

² - ابن أبي زرع: الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية، المصدر السابق، ص 162- صالح بن قرية، المئذنة المغربية المرينية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 101.

³ - ابن أبي زرع الأنيس: المصدر السابق، ص 403- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص 29- إبراهيم حركات المرجع السابق، ص 322.

⁴ - روجي لوتونو، المرجع الأسبق، ص 46- صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 104.

⁵ - محمد المنوني، وراقات، المرجع السابق، ص 30.

⁶ - عامر أحمد عبد الله، دولة بن مريم، المرجع السابق، ص 245- روجي لوتونو، المرجع السابق، ص 191.

- جامع الزهر بفاس الجديد: شيده السلطان أبو عنان في سنة 759 هـ 1357م به معذنة ارتفاعها 16.85 م¹.

كما اهتم سلاطين بني مرين بترميم المساجد وإصلاحها وتزويدها بما تحتاج إليه، ومنها جامع القرويين الذي بني في سنة 245 هـ من طرف فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي الذي قدم من القيروان أيام الأمير يحيى بن محمد بن إدريس²، وفي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق زود المسجد بيلة طولها سبعة وعشرون شبراً وهي مغشاة بالرصاص، كما قام السلطان يوسف بن يعقوب بإصلاح الجدار الشمالي للمسجد سنة 699 هـ 1299م وأشرف على إعادة بناء هذا الحائط الفقيه القاضي أبو غالب المغيلي³، أما السلطان أبو عنان فارس فقد أمر بتنصيب على أعلى صومعة المسجد صاري من الخشب ينشر عليه مواقيت الصلاة وأمر بإضائه ليتمكن المسلمون من مشاهدته⁴، أما السلطان يوسف بن يعقوب فقد أمر سنة 687 هـ، 1288م بأسراج ثريات الجامع الكبير خلال أيام العشر الأواخر من رمضان من كل سنة⁵، و قام ببناء مسجد وجدة سنة 694 هـ 1294م عندما قام بتجديد المدينة⁶، وقد قام هذا السلطان أيضاً بتجديد وإصلاح مسجد الأندلس من مال الأوقاف وذلك سنة 695 هـ 1295م⁷ وجلب إليه الماء من نهر مصمودة، كما اهتم سلاطين بني مرين ببناء ببناء مجموعة من المساجد خارج المغرب الأقصى عندما توسعت الدولة المرينية إلى تلمسان، حيث بني

¹ - محمد المنوبي: ورقات المرجع السابق، ص 29- صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 105- روجي لوتور، المرجع السابق ص 46.

² - علي الجزنائي، جنى زهرة الآس، المصدر السابق ص 45.

³ - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 323.

⁴ - الناصري الاستقصا: المصدر السابق، ج3، ص 207- حسن الحريري، المرجع السابق، ص 323.

⁵ - ابن أبي زرع الأنيس: المصدر السابق، ص 93.

ص 160 - نضال مؤيد مال الله، مرجع السابق، ص 117- محمد حسن الحريري، مرجع السابق، ص 321.

⁶ - ابراهيم حركات، المغرب من بداية المرينين، المرجع السابق، ص 160- نضال مؤيد مال الله، مرجع نفسه، ص 117- محمد

محمد حسن الحريري، مرجع السابق، ص 321.

⁷ - الجزنائي: لمصدر السابق، ص 13- ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص 77.

السلطان أبو الحسن مسجد العباد قرب ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب سنة 740 هـ 1339م¹.

أما السلطان أبو عنان فارس فقد أمر ببناء مسجد سيدي الحلوي للفقيه الزاهد أبي عبد الله الشوذري. كما قام السلطان يوسف بن يعقوب ببناء مسجد المنصورة بتلمسان².

وقد امتازت المساجد المرينية بالدقة وكثرة الزخارف خصوصاً حول المحراب. إن كثرة المساجد تدل دلالة واضحة على اهتمام المرينين بالجانب الديني من أجل خلق الاستقرار وتوحيد الأمة من خلال تمكين المذهب المالكي ونشره في كل أنحاء المغرب الأقصى، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً في جميع أنحاء المغرب، هذه المساجد لم تكن مجرد أماكن لأداء العبادات والمناسك ولكنها كانت أماكن لنشر العلم والمعرفة والوعظ والإرشاد.

كما كانت الكراسي العلمية تمثل مظهرًا من مظاهر المساجد وهي من مميزات الثقافة المرينية حيث خصص لها السلاطين أوقافاً عديدة، وهي كراسي يجلس عليها العلماء والمدرسون يعلمون فيها العامة المعرفة الدينية، ومن أبرز تلك الكراسي، كرسي الونشريسي بجامعة الأندلس، وهو كرسي مخصص لدراسة الفقه المالكي³، و كرسي أبي الحسن علي الصرصري الذي أنشأه أبو عنان، وكرسي أبي القاسم التازي القشتالي في التفسير⁴.

أما الزوايا فقد لقيت هي الأخرى اهتماماً كبيراً من طرف سلاطين بني مرين حيث خصصوا لها أوقافاً كثيرة لتلبية حاجات الأيتام وعابري السبيل خاصة أيام الأعياد الدينية⁵.

¹ - الناصري الاستصفا، المصدر السابق، ج3، ص 75- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 159.

² - عامر أحمد عبيد الله: المرجع السابق، ص 245- حسن الحريري، المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 322.

³ - ابن أبي زرع الأنيس: ص 76- محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية المرجع السابق ص 120.

⁴ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 102.

⁵ - ابن أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق ص 19.

ومن أبرز تلك الزوايا، الزاوية التي أمر ببنائها السلطان يوسف بن يعقوب على قبر جده عبد الحق بتافراط قرب مكناسة تخليدا لروح جده ، ورتب عليها قراءة القرآن وأوقف عليها عدة أراضي¹، أما السلطان أبي عنان فقد بنى الزاوية المتوكلية قرب فاس الجديد وألحق بها دورا للإمام والواردين وذلك سنة 754 هـ 1354م.² كما أمر أيضا ببناء زاوية النساك بسلا سنة 757 هـ 1356م، لتكون بمثابة دار للضيافة ينزل بها الرحالة والمسافرون على اختلاف طبقاتهم³ ، ومن الزوايا أيضا تلك التي بناها السلطان أبو يوسف المريني بقصبة مكناسة وتعرف بزاوية المشاورين، فقد تحولت أيضا مع الحماية الفرنسية إلى دار للبلدية⁴، أما السلطان أبو الحسن المريني فقد شيد زاوية داخل سور مدينة سلا والتي كتب على بابها الغربي "أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن..."⁵، كما ضمت سلا أيضا زوايا أخرى منها زاوية أبي زكرياء الحاحي غرب المسجد الأعظم وزاوية أبي عبد الله الياحوري.⁶

2-1-3- المكتبات:

لقد حرص المرينيون على تدعيم العلم والعلماء وذلك بإنشاء المدارس والمكتبات التي أصبحت ركائز أساسية للحياة الفكرية في الدولة المرينية ، ومن الأمثلة البارزة عن اهتمام السلاطين بالمكتبات، أن السلطان يعقوب بن عبد الحق زود المدرسة التي أنشأها والتي تعرف بالصفارين بمجموعة من الكتب كان قد منحها له ملك قشتالة بعد الصلح بينهما وذلك سنة 684 هـ 1285م والمقدرة بثلاثة

¹ - الناصري الاستصقا: المصدر السابق، ج3، ص 64- ابن أبي زرع الأنيس، المصدر السابق ص 383-محمد عادل عبد العزيز، الجذور، المرجع السابق، ص 103.

² - ابن بطوطة، تحفة الناظر، المصدر السابق ج2، ص 762- عامر أحمد، المرجع السابق، ص 247- محمد المنوني ، وراقات، المرجع السابق ص 47

³ - أحمد مختار العبادي، مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تج أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1983م ، ص 104.

⁴ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 153.

⁵ - حمدي عبد المنعم حسن، مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1993م ، ص 153.

⁶ - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج3، ص 153- محمد المنوني، وراقات، المرجع السابق ص 207- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 79.

عشر حملاً¹ ، وهذه الكتب هي النواة الأولى للمكتبة السلطانية بفاس² ، ومن أبرز المكتبات أيضاً دار الكتب التي أنشأها السلطان المريني أبو عنان والتي احتوت على كتب عديدة في شتى أنواع العلوم³ ، وألحق أبو عنان بهذه المكتبة خزانة كبرى للمصاحف الحسنة الخطوط وأباحها لمن أراد التلاوة في كل وقت، وكتب فوق هذه الخزانة "الحمد لله أمر بإنشاء هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس أيد الله أمره وأعز نصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبعمائة، رزقنا خيرها"⁴ ، كما عثر في جامع الجنائز بفاس الجديد حيث مدفن أبي عنان على كهف تحت الخزانة يحتوي على صندوقين من الكتب وهذا ما يؤكد الاهتمام الكبير لهؤلاء السلاطين بالعلم⁵.

وهكذا فقد تميز العهد المريني بكثرة دور الكتب التي ألحقت بالمدارس والمساجد والأربطة عند إنشائها من ذلك خزانة أبي يوسف المريني التي ألحقت بمدرسة الصغارين، وخزانة أبي سعيد وخزانة أبي الحسن، ولم تقتصر المكتبات على فاس العاصمة بل كانت هناك مدن أخرى اشتهرت بكثرة الخزائن مثل سبتة⁶ ، ومراكش ومكناسة وغيرها.

2-2- أصناف العلوم:

2-2-1- العلوم النقلية:

2-2-1-1- العلوم الشرعية: وهي العلوم التي تهتم بالأمر الديني من أجل إيضاحها وفهم

معانيها ومن أبرز تلك العلوم علم القراءات الذي يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وأنواع

¹ - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص 277- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 156.

² - الناصري الاستقصا، ج2، ص 31- عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع نهاية الأندلس، ص 106.

³ - الجزنائي: زهرة الآس، المصدر السابق، ص 69- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 46

⁴ - الجزنائي، نفسه، ص 69.

⁵ - عبد العزيز بن عبد الله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، المطبعة الملكية، الرباط، 2001 م ، ص 388.

⁶ - المقرئ: نفخ الطيب، المصدر السابق ج6، ص 210.

القراءات الماثورة¹، ومن القراءات المتبعة في العهد المريني قراءة ورش عن نافع بن أبي نعيم عن رواية ورش، ومن أبرز علماء القراءات محمد بن ابراهيم بن اسحاق الأنصاري من أهل المرية، رحل إلى سبتة قرأ بالقراءات السبع، توفي 694 هـ 1294م²، وكذلك أبو عبد الله بن داود الصنهاجي المشهور بأجروم قرأ بفاس و له عدة مؤلفات في القراءات توفي سنة 682 هـ 1282م³

أما التفسير والذي يعني التبيين والإيضاح وهو العلم الذي يبحث في معاني نظم القرآن وإخراج الخفي إلى الإيضاح⁴ ومعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي.

وقد اعتمد المغاربة في التفسير على مصنفات أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المتوفى سنة 444 هـ، وقد نبغ في المغرب المريني عدد من المفسرين منهم محمد بن محمد بن علي المعروف بالبقال المتوفى سنة 725 هـ 1324⁵، ومحمد بن أبي غالب ابن أحمد السكاك المتوفى سنة 818 هـ 1415م⁶، ومنهم ابن البناء العددي أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان له عدة مؤلفات منها حاشية علي الكشاف للزمخشري وتفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم، وعنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل توفي سنة 721 هـ 1321م⁷، ومنهم محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي وهو من

¹ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 881.

² - ابن القاضي، درة المجال، ج2، ص 89.

³ - ابن القاضي، المصدر نفسه، ج2، ص 109- السيوطي جلال الدين، بقية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 238- ابن عماد، شذرات، المصدر السابق، ص 112.

⁴ - السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج4، ص 192.

حاجي خليفة، كشف الظنون المصدر السابق ج1، ص 427.

⁵ - الكتاني أبو عبد الله سلوة الأنفاس ومحادثة الكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تج الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني (د.ت و د.ط)، ج2، ص 158.

⁶ - الكتاني أبو عبد الله، المصدر نفسه، ج2، ص 144- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 238.

⁷ - ابن قنفذ القسطنطيني: أنيس الفقير وعن الحقيق، المصدر السابق، ص 66- ابن القاضي حدوة، ج1، ص 148.

علماء القراءات السبع الذي كان كثيرا ما يستدعيه السلطان أبو عنان ليقرأ عليه برواياته السبع توفي سنة 721 هـ 1360م.¹

أما الحديث الذي هو أصل من أصول التشريع الإسلامي مرتبته بعد القرآن، وهو مكمل للقرآن ومفصل لمجمله²، ومن أبرز علماء الحديث في العهد المريني ابن رشيد الفهري المتوفى سنة 721 هـ 1321م شيخ المحدثين في عصر بني مرين يشتهر بأنه عالي الإسناد، صحيح النقل، تام العناية بصناعة الحديث، كما كان على دراية بعلم الجرح والتعديل. رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء الحديث³، ومنهم محمد بن عبد الرزاق الجزولي من أهم علماء الحديث، كان السلطان أبو عنان يأخذ عنه الحديث توفي سنة 758 هـ 1358م.⁴

أما الفقه، والذي يعرف بعلم الدراية وهو معرفة النفس ما لها وما عليها، ومن أشهر الكتب الفقهية التي حظيت بالدراسة في العهد المريني، المدونة لسحنون بن سعيد المولود سنة 160 هـ 776م. كان فقيها زاهداً أصله من الشام قدم إلى المغرب، وأخذ عن علماء القيروان ثم رحل إلى المدينة المنورة في حياة الإمام مالك بن أنس توفي سنة 240 هـ 858م.⁵

أما في العهد المريني فقد برز عدد من الفقهاء كانت لهم مكانة خاصة عند العامة والخاصة ومن أبرز هؤلاء أبو غالب محمد بن عبد الرحمن بن المغيلي الفاسي فقيه محدث له عدة مؤلفات في الفقه

¹ - الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص 444.

² - ابن خلدون، المقدمة المصدر السابق ص 557- حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 635.

³ - السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 199- ابن الخطيب الاحاطة، المصدر السابق، ج3، ص 135- ابن القاضي جذوة، المصدر السابق، ص 269- محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة المغرب 1985 م ص 89 .

⁴ - الكتاني: سلوة الأنفاس، المصدر السابق، ج3، ص 447.

⁵ - المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص 25.

المالكي توفي سنة 708 هـ 1358م¹، ومنهم الفقيه المريني سعيد العجيسي المكناسي الخطيب الشهير بالحباك، خطيب جامع القرويين والمدرس بالمدرسة المتوكلية ولد سنة 804 هـ 1404م² ومنهم شيخ الرسالة والمدونة أبو زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي كان أعلم الناس بمذهب مالك وأصلح الناس وأروعهم وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه توفي سنة 741 هـ 1340م³.
ومنهم الفقيه أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان الجذامي يعرف بالقباب ولي الفتيا بمدينة فاس وله نوازل مشهورة وولي القضاء بجبل الفتح أخذ عنه ابن قنفذ القسنطيني، توفي بفاس سنة 779 هـ 1379م⁴.

أما علم الفرائض فهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ، وهو مشتق من الفرض الذي هو لغة ، التقدير أو القطع⁵، ودراسة الفرائض في المغرب كان مطابقا لقواعد مذهب الإمام مالك وتعلم الحساب والتعمق فيه من أجل الوصول إلى المسائل المستعصية في الميراث، ومن بين علماء الفرائض في المغرب، أبو إسحاق ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المالكي، رحل إلى الأندلس ثم استقر بسبته كان فقيها عارفا يعقد الشروط له مقال في علم الفرائض وقد نظم في الفرائض وهو ابن عشرين سنة أرجوزة المعشرات على أوزان لعرب توفي بسبته

¹ - ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص 375 - ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 21.

² - ابن القاضي درة الحجال: ج1، ص 88 - ابن غازي العثماني، فهرست ابن غازي، تح محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة و النشر تونس 1984 م ، ص 82 - ابن غازي العثماني المكناسي، الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952م، ص 29 - أحمد بابا كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 62 - ابن زيدان عبد الرحمان السجلماسي، أتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تج علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م ، ج1، ص 366.

³ - الكتاني، سلوة الأنفاس، المصدر السابق ج3، ص 140.

⁴ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس ،المصدر السابق ص 124- ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق ج1، ص 47- ابن غازي، فهرسة ابن غازي، المصدر السابق ص 82- ابن الخطيب، الإحاطة،المصدر السابق ج1، ص 187- محمد بن أحمد بن شقرون، المرجع السابق، ص69 .

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق ص 571.

590 هـ 1290م¹، ومنهم محمد بن محمد بن علي بن البقال العلامة الأصولي المعقول الفيلسوف أخذ علم الفرائض والعدد عن أبي عبد الله العباس بن المهدي بتأزاة توفي بفاس سنة 750 هـ 1350م².

- التصوف: لقد اهتم سلاطين بني مرين اهتماما بالغا بالتصوف، وقد انتشرت ظاهرة التبرك بالمتصوفين وقبورهم لدى السلاطين والعامّة ، ومن ذلك أن أبا الحسن بن علي ضريح أبي مدن شعيب بالعباد مسجداً وكان يزوره كل يوم أربعاء ، وقد انتشر التصوف في المغرب المريني وظهرت جماعات صوفية عديدة كان أبرزها أتباع طريقة أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي³، والثابتة هي طريقة أبي الحسن الشاذلي المولود بسبته سنة 591 هـ 1195 م⁴، ومن أبرز رجال التصوف في المغرب، محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجي أبو عبد الله عرف بابن الحداد ولد بفاس سنة 641 هـ 1241 م كان يميل إلى طريقة المتصوفين في لباسه وفي عبادته. كان حيّا سنة 723 هـ 1323م⁵.

ومنهم أبو عبد الله الجزولي نسبة إلى قبيلة جزولة التي ينتهي إليها عدد من العلماء. تلقى دراسته بفاس ثم رحل إلى المشرق وأخذ الطريقة الشاذلية عن شيوخها بمصر له دلائل الخيرات الذي ردد أوراده ملايين المردين، توفي سنة 869 هـ 1468م⁶، ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر بن عاشر الأندلسي نزيل سلا، اشتغل بتعليم القرآن كان شديد الهيئة وعظيم الوقار كثير الخشية، وقد حاول

¹ - ابن فرحون : الديباج المذهب، المصدر السابق ج1، ص 274.

² - أحمد بابا ، نيل الابتهاج المصدر السابق، ص 386.

³ - الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ص 7 - ابن قنفذ، أنيس الفقير، المصدر السابق، ص 11- المقري، النفع، المصدر السابق ج7، ص 136.

⁴ - ابن عماد الحنبلي، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 481- إبراهيم حركات، المرجع السابق ص 102.

⁵ - ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 108- ابن زيدان، أنحاف أعلام الناس، المصدر السابق، ج3، ص 670.

⁶ - ابن قنفذ، الأنيس الفقير، المصدر السابق ص 9 .

السلطان أبو عنان زيارته إلى أنه رفض مقابلته توفي سنة 765 هـ 1364م ودفن بسلا وقد بنى السلطان عبد الرحمان العلوي قبة على ضريحه.¹

ومن رجال التصوف أيضاً الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال العمري من ذوي الرسوخ في الولاية والعرفان كانت له زاوية بموقع يقال له تيزغوني من بلاد أزغار شمال مدينة فاس، توفي في القرن العاشر وقد حضر جنازته السلطان المريني أبو العباس أحمد.²

ومنهم الشيخ أبو محمد بن عبد الله بن حرزهم من أهل فاس رحل إلى المشرق وزار بيت المقدس كان خيراً فاضلاً ورعاً مستجاب الدعوة عالماً زاهداً توفي منتصف القرن السادس الهجري.³

2-2-1-2 علوم اللغة والأدب:

تقوم العلوم العربية على أربعة أركان هي اللغة والنحو والبيان والأدب، كما وضعت اللغة العربية لبيان الموضوعات اللغوية⁴، وقد اهتم بنو مرين باللغة العربية وآدابها باعتبارها لغة القرآن والشريعة الإسلامية الإسلامية لذلك اتخذوها لغة رسمية، كما اهتم العلماء بكتب اللغة والتي أبرزها كتاب العين لخليل بن أحمد بن عمر بن نعيم الفراهدي البصري صاحب العروض⁵، و كتاب الصحاح للإمام ابن نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارسي⁶، ومن أبرز علماء اللغة والأدب في العصر المريني، أبو بكر محمد

¹ - أحمد بابا، نيل الابتهاج المصدر السابق ص 96- ابن قنفذ، الوفيات، ص 365- ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق ص 148.

² - أبو عبد الله محمد بن عيشون، المصدر السابق ، ص 71.

³ - أبو عبد الله ابن عيشون، المصدر نفسه، ص 56- ابن القاضي، جذوة الاقتباس ،المصدر السابق ص 358- الكتاني، سلوة الأنفاس، المصدر السابق ج3، ص 87.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، ص 753.

⁵ - السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 557- حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 1441.

⁶ - ابن خلدون: الرحلة، المصدر السابق ص 122.

بن شلبون له تقاليد حسنة في علم العربية حتى قيل عنه قرأ الموطأ والشفا وقرأ الروايات نزل سبته وصار شيخها وذاع صيته عند أهل المغرب، توفي سنة 715 هـ 1315 م.¹

وأبو عبد الله القشتالي قاضي فاس المتوفى سنة 777 هـ 1375 م، من علماء الفقه المالكي والأدب وأحد الكتاب البلغاء في عصره له تأليف يعرف بوثائق القشتالي²، ومنهم أبا عبد الله محمد بن يحيى العبدري الفاسي، كان اماما في العربية ذاكرة للغة، أخذ العربية عن لبن خروف توفي شهيدا في جبل الفتح سنة 651 هـ 1250 م.³ أما في مجال النحو الذي هو العلم الذي تعرف من خلاله تراكيب اللغة العربية والأعراب، فقد برز الكثير من النحويين في العهد المريني منهم، أبو الطيب ممد بن إبراهيم بن ممد السبتي لمالكي النحوي. قرأ النحو على ابن الربيع واختصر شرح الإيضاح وسمع عن ابن دقيق العيد له كتاب، الرمي بالحصى والضرب بالعصا⁴، ومنهم يحيى بن أبي يعزى كان قاضيا بالمدينة بالمدينة بالبيضاء بفاس يدرس النحو عارفاً علوم الأدب توفي أواخر سبع وثمانمئة⁵.

كما اهتم أهل المغرب أيضا بدراسة علم البيان والعروض ومن أبرزهم مالك بن المرحل الذي له أرجوزة في العروض سميت الوسيلة الكبرى⁶، ومحمد بن محمد بن البقال كان له نصيب وافر في علم البيان والعروض.

أما حركة الشعر فقد ازدهرت في عهد بني مرين خاصة وأن سلاطين بني مرين والأمراء شجعوا الأدباء والشعراء، وقد كان بعضهم ينظم الشعر ومنهم السلطان أبو العباس أحمد الذي تولى السلطة 789 هـ 1397 م فقد كان أدبيا شاعرا ومن نظمه.

¹ - ابن القاضي: درة الحجال، المصدر السابق ج1، ص 176- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 173.

² - ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق ج2، ص 187.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 221 - محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المرجع السالك ص 210

⁴ - السيوطي بغية: ج2، ص 638- الونشريسي أبو العباس، المعيار الغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية

والأندلس والمغرب، تج محمد حجي، در المغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م، ص 397- حسن الوركالي، شيوخ العلم

وكتب الدرس بسبته، منشورات جمعية البحث الإسلامي، تطوان المغرب، 1984 م، ص 21.

⁵ - السيوطي بغية الوعاة، المصدر السابق ج1، ص 14- أحمد بابا، نبل الانتهاج، ص 385.

⁶ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 327.

أما الهوى يا صاحبي فالفتة.
وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيت فوت النفوس وحليها
فتخذته ديناً إلى مذهبها¹

كما كانت من عادة السلاطين المرينيين إقامة الحفلات بمناسبة المولد النبوي ويدعون إليها رجال العلم والأدب، وكان الشعراء يلقون قصائدهم أمامهم فيكرمون الفائز الأول بمائة دينار وفرس، وبذلك ظل شعر المديح يتمتع بالتشجيع والترغيب²، ومن أبرز شعراء المغرب المريني، عبد العزيز المازوزي الذي نظم عدة قصائد للسلطان يعقوب بن عبد الحق وقد أوكلت له مهمة الرد على الرسائل الشعرية التي كانت توجه إلى السلطان المريني³، ومنهم أيضاً شاعر السلطان أبو عنان، ابن رضوان النجاري المتوفى سنة 868 هـ 1467م. صاحب العلامة العلية والقلم الأعلى بالمغرب.⁴

2-2-1-3 العلوم الاجتماعية : و كان ابرزها التاريخ الذي هو معرفة أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة،⁵ وقد برز عدد من المؤرخين ، اهتموا بتاريخ الدولة المرينية بصفة خاصة وتاريخ المغرب منذ انتشار الإسلام بصفة عامة،

ومن أبرز هؤلاء ، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأويسي المراكشي صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة المتوفى سنة 703 هـ 1302م بتلمسان،⁶ والمؤرخ ابن عذارى المراكشي صاحب البيان لمغرب ، والمؤرخ اسماعيل ابن الأحمر الذي آوى إلى كنف بني مرين وألف روضة النسرين، والنفحة النسرينية واللمحة المرينية والتي تضمنت أخبار بن مرين⁷، والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني المكناسي، صاحب الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون

¹ - الكتاني: سلوة الأنفاس، المصدر السابق ج3، ص 260- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 351.

² - عبد الجواد السقا، قصيدة المديح في العصر المريني، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، العدد 277، ديسمبر 1989م، ص 93.

³ - المقرئ ، نفخ الطيب، المصدر السابق ج6، ص 115- السلاوي الناصري، الاستقصا، ج3، ص 64.

⁴ - المقرئ نفخ الطيب، المصدر نفسه ص 107- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 240.

⁵ - ابن خلدون: مقدمة، ص 06.

⁶ - ابن عبد المالك: مقدمة كتاب الذيل والتكملة، ص 5 - النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 130- السيوطي بغية، المصدر المصدر السابق ج1، ص 553.

⁷ - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 346- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 176.

المتوفى سنة 919 هـ 1518م¹، والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، صاحب اختصار الأخبار عما كان بسبته من سن الآثار² وابن أبي زرع أبو الحسن صاحب كتاب الأنيس المطرب يروض القرطاس، المتوفى سنة 741 هـ 1340م³، والمؤرخ أبو القاسم الملاحي صاحب شجرة أنساب أنساب المرينين التي قدمها للسلطان يوسف المريني وهو محاصرا لتلمسان، وقد أرجع نسب المرينين إلى علي ابن أبي طالب⁴.

كما اشتهرت بلاد المغرب في العهد المريني بانتقال العديد من المغاربة إلى المشرق والحجاز لأسباب دينية وثقافية واجتماعية، وقد دونوا رحلاتهم ومشاهداتهم المختلفة، ومن أبرز هؤلاء الرحالة محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب الرحلة المعروفة باسمه، والتي بدأها سنة 688 هـ 1289م من مدينة حاحة إلى المدينة المنورة توفي سنة 725 هـ 1325م⁵، والرحالة أبو عبد الله بن عبد الحق السوسي، رحل من المغرب إلى الحجاز وسكن مكة وفيها توفي، والرحالة عيسى بن يحيى بن أحمد السبتي ولد سنة 613 هـ 1213م، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة حتى وفاته سنة 696 هـ 1296م⁶، والرحالة محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة الملقب بشمس الدين خرج للحج بداية من 725 هـ 1324م واستمرت الرحلة حوالي خمس وعشرين سنة⁷، والرحالة

¹ - ابن غازي العثماني: الروض الهاتون، المصدر السابق ص 29.

² - أبو عبد الله الأنصاري، مقدمة اختصار الأخبار، ص 08.

³ - ابن أبي زرع، مقدمة كتاب الأنيس، ص 05- محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية، المرجع السابق، 136.

⁴ - ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق ص 109.

⁵ - العبدري: رحلة العبدري مقدمة المحقق ص 7- العبدري بحجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تح إبراهيم محمد الزبر، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1984م، ص 05.

⁶ - ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص 186- العباس بن إبراهيم الشمالي، الإعلام، المصدر السابق، ج5، ص 5.

⁷ - عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص 129.

محمد بن عمر بن محمد بن رشيد أبو عبد الله الفهري السبتي رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم دون رحلته في كتاب ملء الغيبة توفي سنة 721 هـ 1321م¹.

2-2-2 العلوم العقلية:

هي العلوم التي تعتمد على العقل وأبرزها علم الحساب ، وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصصة والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها² ، وقد امتاز العهد المريني بظهور عدد كبير من العلماء اختصوا في هذا المجال، خاصة وأن الدولة المرينية كانت بحاجة إلى ضبط مواردها ومصارفها، واستخلاص ضرائبها، و حاجة الناس إلى معرفة نظام الإرث وتوزيعه، ومن أبرز علماء العهد المريني، إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله موسى الأنصاري التلمساني³ ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن عبد الملك المراكشي⁴ ، وعبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عطية المديوني الشهير بالجديري ،الفقيه المحدث الميقاتي ولي التوقيت بجامع القرويين ،متضلعا في علوم الحساب ،من مؤلفاته النظم المسمى بروضة الأزهار في علم وقتي الليل و النهار ،وله فهرسة جيدة عد فيها مشيخته ،توفي بفاس سنة 818 هـ 1416 م⁵ . كما برز في علم الهندسة محمد بن علي بن عبد الله الإشيلي الأندلسي كان بارعا في الحيل الهندسية توفي سنة 714 هـ 1314م⁶ ، ونظرا لما تمتع به من براعة في علم الرياضيات والهندسة فقد أشرف على بناء دار للصناعة البحرية بسلا⁷ ، ومنهم أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بأبي العباس بن البناء المراكشي، اشتغل بالتصوف منذ الشباب أخذ الرياضيات عن ابن مخلوف السجلماسي وابن حجلة وقد حضي بتقدير ملوك بني

¹ - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق ج4، ص 6- ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق ص 297، المقرئ ، أزهار الرياض، المصدر السابق ج2، ص 347.

² - ابن خلدون، المقدمة، ص 634.

³ - ابن مريم، البستان، المصدر السابق ص 55- ابن فرحون، الديباج، ج1، ص 271.

⁴ - ابن القاضي، دروة الحجال، المصدر السابق ج2، ص 24.

⁵ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 404 - محمد بن أحمد ،مظاهر الثقافة المغربية، المرجع السابق ص 220 .

⁶ - ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق ص 106- ابن القاضي، جدوة الاقتباس، المصدر السابق ص 288.

⁷ - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 348.

ميرين، من مؤلفاته الفصول في الفرائض، رفع الحجاب في الحساب، الروض المريع في صناعة البديع، مراسيم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليفة¹.

أما الطب فقد ازدهر في العهد المريني بفضل اهتمام السلاطين بصحة المواطن وكثرة المارستانات ومن أشهر المشتغلين بالطب، أحمد بن محمد يوسف الجزنائي، المعروف بابن شعيب المتوفى سنة 749 هـ 1353م أخذ العلوم عن شيوخ تونس ثم غرناطة²، ومنهم محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي رحل إلى فاس وتولى بها رئاسة المرستان سنة 754 هـ 1353م في عهد السلطان أبي عنان المريني³، ومنهم أيضاً ابن الخطيب صاحب عمل من طب لمن حب، تناول فيه الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وأعراضه ويتحدث فيه أيضاً عن مختلف أعضاء الجسم⁴، وقد أخذ أخذ الطب عن أبي زكرياء يحيى بن هذيل الحكيم المشهور، وله كتاب الوصول في حفظ الصحة والفصول، ومن الأطباء أيضاً محمد بن يحيى السبتي ولد بسبته ثم رحل إلى غرناطة. درس الطب ثم رجع إلى فاس وفتح عيادة خاصة به توفي سنة 766 هـ 1367م⁵.

أما في ميدان الفلك فقد برز عدد من العلماء الذين اهتموا بدراسة علم الفلك من أبرزهم ابن البناء المراكشي الذي ترك مؤلفات كثيرة منها تبيينه الفهوم على مدارك العلوم، ومنهاج الطلاب في

¹ - ابن البناء المراكشي، المقالات في علم الحساب، تج أحمد سليم سعيداني، دار الفرقان للنشر، الأردن، 1984م، ص 33 - ابن البناء، المراكشي، الروض المريع في صناعة البديع، تج رضوان بن شقرون، 1985م (دم)، ص 19 - ابن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 148.

² - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص 272 - العباس بن ابراهيم السملالي، الإعلام، المصدر السابق، ص 215.

Mustapha. A. Khamise, Histoire de la médecine au Maroc des origines au protectoral Imp. Iddar el beida, Casablanca. 1991. P 46.

³ - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 515.

⁴ - الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص 291 - ابن القاضي جذوة، ص 147.

⁵ - Mustapha A. Khamise. Op.cit, p48.

تعديل الكواكب، والمناخ في تركيب الأرياح¹، ومنهم عبد الرحمن بن محمد الجاديري المتوفى سنة 818 هـ 1414م من مؤلفاته روضة الأزهار في علم وقته الليل والنهار².

وهكذا فقد عرف المغرب الأقصى في العهد المريني حركة ثقافية واسعة جعلت منه مرحلة متميزة من مراحل الثقافة المغربية، هذه المرحلة التي تركت آثار بارزة، هذا التميز كان ورائه عوامل كثيرة أبرزها ذلك التشجيع الذي قدمته الأسرة الحاكمة لرجال العلم في مختلف الميادين وتوفير الجو المناسب للإبداع، هذا التشجيع حول المغرب إلى قاعدة فكرية وثقافية بفضل تلك المؤلفات العديدة في مختلف العلوم وبذلك العدد الضخم من المدارس المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأقصى.

3- الحياة الثقافية في دولة بت أبي حفص. شهد القرن السابع الهجري حركة ثقافية نشيطة في

بلاد المغرب عموماً وتونس الحفصية خصوصاً، وقد كان وراء هذه الصحوة الثقافية عوامل كثيرة منها:
 - استقرار الأوضاع السياسية مقارنة بباقي بلدان المغرب الإسلامي، فلم تشهد الدولة الحفصية صراعات كثيرة كتلك التي كانت قائمة في البداية بين الموحدون وكل من الزيانيين و المرينيين، أو كالصراع الطويل بين الزيانيين والمرينيين حول وراثة الدولة الموحدية وإتمام السيطرة على بلاد المغرب.
 - تشجيع الأمراء الحفصيون للعلماء والفقهاء ورعايتهم لأهل العلم، فقد تمتع جل السلاطين بحبهم الكبير للعلم ومجالسة العلماء، فأبو زكريا مؤسس الدولة كان شاعراً وعالمياً وكان يتولى الفصل والحكم على شعر الشعراء في البلاط الحفصي، وما يدل على حبه وتقديره للعلم هي تلك المدارس التي أنشأها، كما أقام بقصره مكتبة جمع فيها ستة وثلاثون ألف مجلد³، أما المستنصر بالله فقد كان

¹ - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ص 76.

² - الكتاني: سلوة الأنفاس، المصدر السابق ج2، ص 177.

³ - ابن الشماخ: الأدلة، المصدر السابق، ص 56- ابن أبي دينار المؤنس، المصدر السابق، ص 138- الزركشي تاريخ الدولتين،

المصدر السابق، ص 24- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، المصدر السابق، ص 112- برنشفيك، تاريخ إفريقية، ج1، المرجع

السابق، ص 50.

مولعًا بالعلم وكان يحرص على حضور الدروس العلمية بانتظام¹، وقد احتضن ابن خلدون وحماه طيلة السنوات الأربعة التي قضاها في تونس ووفر له المزيد من الوقت والاطمئنان²، وهذا دليل على رعاية أمراء بني حفص واحتضانهم للعلماء والفقهاء وفي هذا المجال فقد كان أبو فارس عبد العزيز موفقًا للعلماء والعلم، حيث أنشأ خزانة كتب في جامع الزيتونة وأوقفها على طلبة العلم وفرض ترتيب قراءة صحيح البخاري كل يوم بين الظهرين بجامع الزيتونة وقراءة الترهيب والترغيب بعد العصر³. وبصفة عامة فإن معظم الملوك خاصة الأوائل منهم كانوا علماء وأدباء من الطراز الأول وبالتالي ساهموا في ازدهار الحركة العلمية وإقبال الطلبة والعلماء على تونس التي تحولت إلى مركز ثقافي هام إلى جانب حواضر المغرب الإسلامي.

أما العامل الآخر الذي ساهم في الازدهار الثقافي هو توفر المؤسسات العلمية والثقافية من مدارس ومكتبات وزوايا، فقد أنشأ أمراء بني حفص عدد كبير من هذه المؤسسات وخاصة المكتبات سواء العامة الملحقة بالمدارس والمساجد أو الخاصة الملحقة بالقصور، فأبو زكرياء الأول جمع عددا كبيرا من الكتب وألحقها بمكتبة القصبية والتي بلغت ستة وثلاثين ألف مجلد في شتى أنواع العلوم والفنون، كما أنشأ أبو فارس عبد العزيز أول مكتبة عمومية بمقصورة مخبئة الهلال من جامع الزيتونة ووضع لها قانون يمنع خروج الكتب منها⁴، كما كان بالقيروان مكتبة تحتوي على عدد من الكتب القديمة ومنها مصحف يعود تاريخه إلى عهد عثمان بن عفان، حيث بعثه إلى بلاد المغرب وأنه بخط عبد الله بن

¹ - الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص 87* ابن الشماخ، المصدر السابق، ص 108 - ابن قنفذ الفارسية، المصدر السابق، ص 117 - محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974م، ص 57.

² - محمد العروسي، السلطنة الحفصية، المرجع السابق، ص 542.

³ - ابن الشماخ: المصدر السابق، ص 112 - الزركشي تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 114 - أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تج محمد العناي، المكتبة العتيقة، تونس (دت)، ص 33 - ابن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص 53، محمد العروسي، المرجع السابق، ص 544 - الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تج، محمد الحبيب الهيلة، ج 1 القسم 4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م، ص 1071.

⁴ - ابن أبي دينار المؤنس: المصدر السابق، ص 153 - محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص 166.

عمر رضي الله عنهما¹، وقد كان لكل مدرسة أو زاوية مكتبة خاصة غنية بالكتب خاصة الدينية منها مثل التفسير والحديث وكتب السير ومناقب الأولياء الصالحين.

ومن العوامل الأخرى مجانية التعليم حتى يشجعوا الناس على الإقبال عليه، بل المساهمة أيضا في الإنفاق على الطلبة وشيوخ المدارس وكان البعض من الحكام يحضر هذه الدروس، فقد كان أبو زكرياء يحرص على حضور بعض الدروس في مدرسة المعرضية الملاصقة لمنزله².

كما ساهمت الهجرة الأندلسية في تطور الحياة الثقافية بإفريقية، خاصة وأن الأندلس كانت تزخر بالعديد من العلماء والأدباء في شتى العلوم والفنون الثقافية وبعد سقوط المدن الأندلسية هاجرت طلائع هذه الفئات إلى بلاد المغرب واستقر الكثير منهم بإفريقية خاصة وأن حكام الدولة الحفصية قد هيئوا لهم كل الظروف المساعدة على الاستقرار³، وقد تقلد الكثير منهم وظائف سياسية وعلمية وكانت لهم مشاركة في جميع العلوم النقلية منها والعقلية، وكان قدومهم لأهداف عملية أو هروبا من البطش الإسباني بعد سقوط معظم المدن الأندلسية.

3-1- أصناف العلوم:

شهد العهد الحفصي انتشار الكثير من العلوم التي كانت تدرس في أغلب أنحاء البلاد، وأصبحت تونس في هذا العصر محط أنظار العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي، حيث توافد عليها الطلاب من كل مكان لينهلوا من علومها ويستفيدوا من معارفها، وهذا ما يعبر عنه العبدري بقوله: "... لا تنشأ بها ضالة من العلم إلا وجدتها، ولا تلتبس بها بغية معوزة إلا استفدتها... وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله وارداً

¹ - محمد العبدري البلسني، الرحلة المغربية، المصدر السابق، ص 103.

² - محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص 118.

³ - المسعودي جميلة الميطي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قياسها سنة 631 هـ وحتى سنة 893 هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2000 م، ص 179 - محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص 51.

وحائماً، وبها أهل الرواية والدراية عدد وافر.¹ وهذا ما يؤكد انتشار وتنوع العلوم ودرجة الاهتمام بها، ومن أبرز فروع هذه العلوم

3-1-1 العلوم النقلية:

هذه العلوم المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول²، وهي تتخذ القرآن الكريم والسنة أساساً لها وهي عدة فروع أولها.

3-1-1-1 العلوم الدينية أو الشرعية: والتي تضم عدة أصناف منها علم التفسير وهو منبع

العلوم الشرعية ومعناه شرح مراد الله تعالى من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق اللغة العربية، وبالتالي تسهيل على الناس فهم القرآن وتدبر معانيه، ومنها الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية، أما علم الحديث فيراد به حفظ ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وعمل وتقرير، وما نقل عن أصحابه من سنته وسنتهم وهو قسمين علم الحديث الرواية والذي يبحث في كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أحوال روايتها ضبطاً وعدالة ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وعلم الحديث الدراية يبحث في المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث³، أما علم القراءات فيتضمن فن القراءات وفن رسم الحروف الخطي للقرآن، إضافة إلى علم الكلام وهو العلم الذي يعرف به إثبات العقائد الإسلامية بإثبات الحجج ودفع الشبه.⁴

وقد برز في إفريقية الحفصية عدد من العلماء البارزين في مجال العلوم الشرعية ومنهم.

¹ - العبدري، الرحلة المغربية، المصدر السابق، ص 69-72.

² - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 549.

³ - محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2006 م، ص 169 - إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009 م، ص 280.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 580 - محمد الطاهر بن عاشور، نفسه، ص 182.

- محمد بن عبد السلام الهواري التونسي: فقيه مالكي قاضي الجماعة وإمام الفقهاء والنحاة، ولي القضاء بتونس سنة 734 هـ له شرح جامع الأمهات لابن الحاجب وديوان فتاوي توفي سنة 749 هـ 1348 م¹.

- الفقيه أبو علي بن محمد بن علوان التونسي: المتوفى سنة 716 هـ 1315 م².

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي: رأس العلماء بتونس، أخذ عن ابن عبد السلام وابن هارون والآبلي تولى الخطابة والإمامة بجامع الزيتونة مدة خمسين سنة وأخذ عنه ابن قنفذ من مؤلفاته مختصر بن عرفة³.

- أبو علي حسن بن حسين ناصر الدين البجائي: فقيه مالكي صاحب شرح معالم أصول الدين للفخر الرازي، توفي بتونس سنة 754 هـ-1354 م⁴.

- الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عريون أبو عبد الله الأنصاري البجائي، كان عالماً مفتياً خطيب قسبة بجاية توفي سنة 731 هـ 1330 م⁵.

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي: نشأ بقفصة ثم انتقل إلى تونس وأخذ عن ابن الغماز رحل إلى المشرق والتقى ابن دقيق العيد، له عدة مؤلفات منها تلخيص

¹ - أبو عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، المصدر السابق، ص 86- أحمد بابا التنيكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 48- محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية المصدر السابق، ص 210- اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج 2، المصدر السابق، ص 155- ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، المصدر السابق، ص 133- الونشريسي، وفيات الونشريسي، المصدر السابق ص 43.

² - ابن القاضي، درة الحجال، ج 3، ص 197 - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 301.

³ - الوزير السراج: الحلل السندسية، المصدر السابق ص 328- ابن قنفذ، الوفيات، ص 379- ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق ص 62- ابن الخطيب، الاحاطة ج 1، ص 278- محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الطريف بحسن التعريف، تج الشيخ محمد الشاذلي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، 1994 م، ص 210- بدر الدين القرافي، توشيح الديباج، المصدر السابق ص 182. الونشريسي، وفيات الونشريسي، المصدر السابق ص 43.

⁴ - ابن قنفذ: الوفيات، ص 357- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 158- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، المرجع السابق، ص 232.

⁵ - ابن قنفذ: الوفيات، ص 345 - ابن قنفذ، الفارسية، ص 47- أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 171- أحمد بابا التنيكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص 263.

الموصول ونخبة الراحل في شرح الحاصل، والشهاب الثاقب في شرح ابن الحاجب، توفي بتونس سنة 736هـ 1335م¹.

- عبد العزيز بن ابراهيم بن أحمد القرشي التميمي: عرف بابن بزيّة، محدث ومفسر وراوي له كتاب في التفسير، جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري، وله أيضا شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الأشبيلي وشرح الأسماء الحسنی، وشرح العقيدة البرهانية، وكتاب إيضاح السبيل إلى منهاج التأويل توفي بتونس سنة 662هـ 1261م².

- الفقيه محمد بن الشيخ أحمد البطريني الأنصاري التونسي: المتوفى سنة 793هـ 1390م³ والفقيه الفاضل القاضي الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري من أهل بنسسية رحل إلى بجاية واستوطنها ولقي عدد من المشايخ، ولي قضاء بجاية وإقامة صلاة الفريضة بجامعها العظم، توفي بتونس عام 690هـ 1289م⁴

¹ - أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص 392- الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 77- أحمد المطويلي، في الحضارة العربية التونسية، المرجع السابق، ص 33.

² - اسماعيل البغدادي: هداية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص 137- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 268- محمد مخلوف، شجرة النور زكية، ج1، ص 190.

³ - ابن قنفذ: الفارسية، المصدر السابق ص 62- نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 461- ابن العماد شذرات، المصدر السابق ج8، ص 566- تقي الدين المقرئ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تج محمود الجليل، ط1 دار الغرب الإسلامي، 2002م، ص 215.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق ص 57- ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص 28- محمد بن عبد الملك الأنصاري- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تج محمد بن شريفة، ج1، دار الثقافة، بيروت، ص 409- ابن جابر الوادي، أشي شمس الدين، برنامج ابن جابر، تج محمد الحبيب الهيلة، تونس، 1981م، ص 42.

- الفقيه العالم أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي: أخذ عن ابن عرفة، وأخذ عنه أبو الحسن القلصادي، له عدة مؤلفات منها شرح الرسالة لابن الحاجب. درّس بمدرسة عنق الجمل سنة 813 هـ وتوفي سنة 863 هـ 1462 م¹.

3-1-1-2 التصوف: شهد العهد الحفصي شيوع ظاهرة التصوف والذي هو في حقيقته العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا،² ويعود انتشار التصوف في إفريقية إلى سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي الأصل، قدم إلى بجاية وتلمذ على يده عدد من الصوفيين ثم تحول إلى المشرق، حيث تلقى تعاليم التصوف من كبار العلماء أمثال القشيري والغزالي، توفي بتلمسان سنة 594 هـ 1190 م³، ومن هنا بدأت بذرة التصوف تنتشر في إفريقية ساعدتها في ذلك عوامل كثيرة منها موافقة التصوف لأهواء الناس البسطاء وبالتالي سهولة انتشاره في الأرياف والقرى⁴، إضافة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بسبب الهجمات الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي وانتشار الفقر والأمراض والأوبئة مما جعل الكثير من الناس يلجأ إلى شيوخ الصوفية للدعاء لهم من أجل التخلص من تلك الأوضاع السيئة، وقد تعددت الطرق الصوفية بإفريقية حيث انتشرت الطريقة الشاذلية، والطريقة العروسية نسبة إلى الشيخ أحمد بن عروس الهواري 778 هـ 868 هـ الذي بنى له السلطان الحفصي محمد المستنصر الزاوية المعروفة باسمه⁵ والطريقة الشاذلية نسبة إلى الشيخ أحمد بن مخلوف الشاذلي 853 هـ 966 هـ.

¹ - أبو عبد الله الأنصاري: فهرست الرصاع، المصدر السابق، ص 165- الوزير السراج الحلل السندسية، المصدر السابق، ج1، القسم3، ص 650. - علي أبو الحسن القلصادي، رحلة القلصادي، تج محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للتوزيع (دت)، ص 115- محمد بن مخلوف، شجرة النور، المرجع السابق، ج1، ص 258- محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات، المصدر السابق، ص 215.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 611.

³ - الغبريني: عنوان الدراسة، المصدر السابق، ص 7- ابن قنفذ، أنيس الفقير وعز الحقيير، المصدر السابق، ص 11.

⁴ - جميلة ميلي: المرجع السابق، ص 192.

⁵ - هو أحمد ابن عبد الله ابن محمد بن أبي بكر بن عروس الهواري، قرأ بزواية الشيخ محمد بن المحجوب، ثم انتقل إلى زاوية السواري واخذ عن الشيخ عبد الله الباجي، توفي سنة 868-1463، ينظر أبي عبد الله الانصاري، فهرست الرصاع، ص 193.

ومن أبرز رجال التصوف في العهد الحفصي، الشيخ الفقيه الصالح العارف أبو عبد الله المرجاني أحد الأعلام ورأس العارفين في زمانه، جمع بين الفقه والورع والزهد في الدنيا، توفي سنة 699هـ 1298م. من مؤلفاته الفتوحات الربانية، بهجة النفوس، والأسرار في تاريخ هجرة النبي المختار¹، والعالم الفاضل الإمام محمد بن شعيب المسكوري أبو عبد الله فقيه صوفي رحل إلى المشرق وأقام بالإسكندرية، ثم رجع إلى تونس، عرض عليه القضاء فامتنع، توفي سنة 664هـ 1263م²، ومنهم الفقيه أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي فقيه مالكي له مشاركة في علوم الأدب والكلام والتصوف من أهل بجاية آخر رجالات الكمال في إفريقية رحل إلى المشرق وسمع من علماء مصر وبلاد الشام وأخذ عن عز الدين بن عبد السلام، توفي سنة 731هـ 1430م.³

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الانصاري الأندلسي كان من الأتقياء الأصفياء، وليس على فضله مختلف وله سند الشيخ أبي مدين، وكانت له عند الخواص مكانة وكرامة توفي بقسنطينة سنة 746هـ 1345م.⁴

3-1-1-3. علوم اللغة العربية:

لقد اهتم أهل إفريقية بعلوم اللغة العربية من نحو وبلاغة وأدب لصلته الوثيقة بالدين وبدوره في تسهيل فهم أحكامه، لذلك دأب الطلاب على دراسة كتاب سيويوه وألفية ابن مالك، وكتاب الجمل للزجاجي شيخ العربية وإمام النحو⁵، كما قام أدباء تونس بوضع عدة شروحات ومختصرات على

¹ - ابن قنفذ: الفارسية، ص 153- ابن قنفذ، الوفيات، ص 331- العبدري، الرحلة المغربية، ص 95- أبو عبد الله الانصاري، فهرست الرصاع، ص 91- ابن العماد، شذرات، ج7، ص 837.

² - الغبريني: عنوان الدراسة المصدر السابق، ص 77- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 382- شذرات، ج7، ص 825.

³ - ابن قنفذ: الوفيات، ص 344- احمد بابا، نيل، ص 609- ابن قنفذ، أنيس الفقير وعز الحقيير، ص 53- الالغبريني، المصدر السابق، ص 105.

⁴ - ابن قنفذ: أنيس الفقير وعز الحقيير، المصدر السابق، ص 48.

⁵ - ابن قنفذ: الوفيات، ص 201- أبو بكر بن الحسين الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تج محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر (دت) ، ص 111.

كتب النحو منها شرح حاشية الكشاف وشرح شواهد المقرب لابن القصار¹، كما وضع القلصادي مختصرين في العروض وشرح ألفية ابن مالك.

أما البلاغة فلم تحظى باهتمام أدباء إفريقية لكونهم يعتبرونها شيئاً كمالياً في العلوم الإنسانية²، وقد أخذ أهل تونس بالبديع فقط لإضفاء الجمال على اللفظ فأكثرُوا من المحسنات البديعية من جناس، وسجع ومن أهم المؤلفات البلاغية في إفريقية كتاب البديع والسجع الهديل في أخبار النيل، وكتاب درة التالي في عيون الأخبار ومستحسن الأشعار لأحمد بن يوسف بن حمدون القفصي التيفاشي³.

أما الأدب فقد التزم النثر منه جانب التكلف والإكثار من المحسنات البديعية كما يرى ذلك ابن خلدون الذي هو مجدد الأدب العربي الذي فقد الروح على عهده فاستعان أدباء العربية بالتنميق اللفظي والبحث عن المحسنات البديعية أدى إلى الإخلال بالمعنى⁴، وهذا ما يدل على التدهور الذي وصل إليه النثر إلى غاية عهد ابن خلدون الذي أدخل فن الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل النادر⁵.

أما الشعر فقد كان أقرب إلى الفصاحة من لغة النثر وقد شهد تطوراً كبيراً يعود إلى اهتمام سلاطين بني حفص بالشعر وتربية أبنائهم على الأدب وحفظ الشعر⁶، فالخليفة الموحد العادل ولي على

¹ - هو أبو العباس أحمد عبد الرحمن الشهير بالقصار الأزدي التونسي معاصر لابن عرفة، كان إماماً محققاً عارفاً بالنحو، أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد كان حياً بعد 790 هـ، ينظر محمد بن مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 226 - محمد محفوظ، تراجم

المؤلفين، ج4، ص 86 - المقرئ، نصح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 428.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 762 - جميلة ميطي، المرجع السابق، ص 198.

³ - نسبة إلى تيفاش، مدينة في شمال قسنطينة وقيل أيضاً مدينة أزلية في إفريقية، شاحخة البناء ذات عيون ومزارع كثيرة تسمى تيفاش الظالمة ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 66 - الحميري الروض، المصدر السابق، ص 140 - محمد

محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 205.

⁴ - محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص 154.

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، ص 782.

⁶ - محمد الهادي العامري، ص 156

إفريقية الأمير عبد الله عبو بن أبي محمد بن الشيخ الحفصي بسبب أبيات شعرية، وذلك عندما سأله الخليفة عن أحواله فأجابه بهذا البيت

حالٍ متى علمَ أبي منصور بها جاء الزمن إليه منها تائبًا،

فتأثر الخليفة لإجابته وعينه وليًا على إفريقية¹.

أما الخليفة الحفصي المستنصر قد كان شاعرًا ومن نظمه

مالي عليك سوى الدموعُ معينٌ إن كنتَ تغدر في الهوى وتخونُ

منجدي غير الدموعِ وإنها لمعينة مما استغاث حزينٌ²

ومما يدل على اهتمام السلاطين بالشعر والأدب توافد الشعراء على البلاط الحفصي حتى كانت الجلسات الأدبية تعقد في القصر أو في بيوت الأمراء، ومن أبرز الشعراء والأدباء في العهد الحفصي: حمزة بن محمد بن حسين البجائي المغربي: أديب له معرفة بالعربية والصرف والبيان والمنطق أخذ عن أبي القاسم المشدالي في تونس ثم رحل إلى المشرق ونزل الخانقاه الشيخونية، توفي سنة 906 هـ 1503م³.

أبو عبد الله التميمي القلعي: من قلعة بني حماد، توفي سنة 673 هـ 1247م، كان بارعًا في علم العربية وفنونها النحو واللغة والأدب، وكان يكتب في كل عام ديوانا من الشعر ومن مؤلفاته، الموضح في علم النحو، وله حدق العيون في تنقيح القانون، وله عدة قصائد خاصة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومن قوله

فيا طول شوقي للنبي وصحبه ويا شد ما يلقي الفؤاد ويكتم

توهمت من طول الحساب وهوله وكثرة ذنبي كيف لا أتوهم⁴.

¹ - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6 ص 339- محمد العروسي، السلطنة الحفصية، المرجع السابق، ص 109.

² - محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص 57.

³ - أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص 163- السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 167- الوزير السراج، الحلل السندسية، ج1، القسم3، ص 648.

⁴ - الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ص 33- ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق ص 29.

ومن الشعراء الذين برزوا في المديح، الأديب أبو عمر عثمان المعروف بابن عريبة الذي أجازته الأمير الحفصي أبو زكرياء بجائزة سنوية، وله ديوان في مدح سلاطين بني حفص سماه قصائد المدح وقصائد المنح.¹

أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي: المعروف بابن عصفور، النحوي اللغوي من أهل إشبيلية، رحل إلى بجاية ومنها إلى تونس، حيث أصبح أحد خواص مجلس المستنصر بالله الحفصي، توفي سنة 669 هـ 1268م²، ومن الأدباء أحمد بن يوسف بن يعقوب الكتاني التونسي الفقيه النحوي، أخذ عن ابن عصفور ولازمه له كتاب، الدر المنثور في أخبار أبي عصفور. كان حياً سنة 684 هـ 1286م³.

أبو العباس أحمد المنستيري: الأديب و النحوي اللغوي المقرئ أدرك ابن عرفة، أخذ عنه القلصادي كتاب المقرب لابن عصفور والتسهيل لابن مالك والجمل للزجاجي.⁴

3-1-1-4 العلوم الاجتماعية

شهد عصر الدولة الحفصية ظهور عدد من المؤرخين الذين كان لهم أثر كبير في نقل تاريخ الحفصيين ومن أبرزهم.

- أبو العباس أحمد بن الحسن بن قنفذ ابن الخطيب: وهو مؤرخ قسنطيني اتصل بالسلطين الحفصيين وتولى القضاء والفتوى والخطابة في جامع القصبة، توفي سنة 809 هـ 1407م

¹ - ابن قنفذ: نفسه، ص 122- ابن مخلوف، شجرة النور زكية، ج1، ص 189، العبدري، المصدر السابق، ص 84.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 149- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة المصدر السابق ، ج2، ص 210- الشيخ

المسعودي، الخلاصة، المصدر السابق، ص 64.

³ - محمد محفوظ: تراجم المؤلفين، ج4، ص 125.

⁴ - القلصادي: المصدر السابق، ص 116- أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 120- محمد بن مخلوف، شجرة

النور، المرجع السابق، ج1، ص 246.

له عدة كتب منها، كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، وآنس الفقير وعز الحقيير. وكتاب تسهيل المطالب في تعديل الكواكب، وكتاب الوفيات.¹

أبو عبد الله محمد اللؤلؤي المعروف بالزركشي: كان كاتبًا بديوان الأنشاء في الدولة الحفصية توفي سنة 883 هـ 1481م، صاحب كتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.²

أبو عبد الله أحمد بن الشماع المتوفى سنة 839 هـ 1437م، صاحب كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،³

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأسدي الأنصاري القيرواني: المتوفى سنة 699 هـ 1300م. صاحب كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان.⁴

أبو العباس أحمد الغبريني: المتوفى سنة 714 هـ 1314م صاحب عنوان الدراية الذي افتتحه بذكر خصال أبي مدين شعيب وبعض صلحاء مدينة بجاية واحتتمه بذكر شيوخه الذين أخذ عنهم.⁵

أبو محمد بن عبد الله بن عبد البر التنوخي: المتوفى سنة 737 هـ 1332م الذي ألف تاريخًا على طريقة الطبري مرتبا على السننين،⁶ وفي الأخير نشير إلى مؤرخ المغرب الإسلامي الذي له مكانة مكانة خاصة لدى الباحثين عبد الرحمن بن خلدون صاحب كتاب العبر الذي يعتبر من الوثائق

¹ - ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق ص 14 - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 109 - ابن الشماع، الأدلة، المصدر السابق، ص 15.

² - السخاوي: الضوء اللامع، المصدر السابق ج7، ص 184 - الزركشي، مقدمة كتاب تاريخ الدولتين - ابن الشماع، الأدلة، ص 15 - احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق ص 33 .

³ - ابن الشماع: نفسه، ص 16 - أحمد بابا، نفسه، ص 105.

⁴ - حاجي خليفة، كشف الظنون، المصدر السابق، ج1، ص 301 - ابن الشماع، المصدر السابق، ص 13 - البغدادي، هدية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص 526.

⁵ - ابن الشماع، المصدر السابق، ص 15 - ابن قنفذ الوفيات، ص 338 - الغبريني عنوان الدراية مقدمة الكتاب.

⁶ - ابن الشماع، نفسه، ص 14.

الأساسية المعتمدة في دراسة تاريخ الدولة الحفصية خاصة وأنه تولى الكتابة في الدولة الحفصية وتصدر للتدريس في جامع الزيتونة، توفي مصر سنة 808 هـ 1407 م¹.

أما الجغرافيا فقد اهتم أهل إفريقية بهذا العلم لأهميته في تحديد المواقع ومعرفة الأقاليم ومن أبرز الجغرافيون في إفريقية حاجي بن أحمد التونسي، كان حيًا سنة 967 هـ 1559م، اهتم بالجغرافيا منذ صباه وتمكن من وضع خريطة للعالم مستخدمًا قواعد المساقط²، كما تمكن الرحالة المغاربة من المزج بين التاريخ والجغرافية من خلال تقديم وصفًا جغرافيا للمناطق التي زاروها مع تحديد الأبعاد والمسافات بين المدن والمعالم التاريخية مثل المساجد والقصور، وتطرق البعض للمسالك والطرق وحتى الأنهار وأنواع الحيوانات والمعادن وغيرها، ومن أبرز هؤلاء الذين تركوا وصفًا دقيقًا لمناطق إفريقية-ابن بطوطة، والعبدي والقلصدي، والتجاني وغيرهم.

3-1-2- العلوم العقلية:

هي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره وعقله وهي طبيعية بالنسبة للإنسان، ما دام له فكر وهي غير مختصة بملة معينة، بل هي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عهد الخليقة وتسمي بعلوم الفلسفة والحكمة وأهمها علم المنطق والعلوم الطبيعية³، ورغم اهتمام أهل إفريقية بالعلوم الشرعية أو الدينية إلا أن هذا لم يمنع من بروز عدد من العلماء في مجال العلوم العقلية. فقد بلغ الطب في عهد الدولة الحفصية مبلغًا مهمًا حيث برز العديد من الأطباء ذوي الخبرة والقدرة الفائقة على استخدام الدواء وما يؤكد هذا التفوق هو طلب ملك صقلية من المستنصر الحفصي إرسال طبيب لمعالجته، هذا التطور ناتج أيضا عن الاهتمام والتشجيع الذي قدمه السلاطين لمختلف

¹ - ابن خلدون، المقدمة ص 5- ابن عماد شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 86- أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 250- جميلة ميطي، المرجع السابق، ص 211.

² - محمد محفوظ: تراجم المؤلفين، المرجع السابق، ج1، ص 201.

³ - ابن خلدون: المقدمة، ص 629.

العلوم وتوفير الإمكانيات الضرورية لذلك ، فقد قام السلطان أبو فارس عبد لعزیز بإنشاء مرستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين¹، ومن أبرز الاطباء .

الطبيب أحمد بن محمد بن الحشا أبو جعفر: من رجال القرن السابع، ألف معجمًا في الطب عنوانه مفيد العلوم ومبيد الهموم، وهو في الألفاظ الطبية والأوصاف والآلات والأدوية التي وردت في كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي، ألف بطلب من أمير تونس أبي زكرياء يحيى².

عبد القاهر بن محمد عبد الرحمن التونسي: كان حيا سنة 889هـ 1493م. صاحب كتاب الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون³، والطبيب محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف الهاشمي القرشي المعروف بابن القوبع ولد بتونس وكان مواظبًا على مطالعة كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة رحل إلى المشرق سنة 690 هـ 1291م⁴.

الطبيب أبو القاسم بن ابراهيم اللبي الأزدي الأنصاري القيرواني المتوفي سنة 893هـ 1487م له تأليف في الطب عنوانه، درة السلوك الموضوع لسيد الملوك ألفه بطلب من الأمير أبي عمر عثمان بن أبي فارس السلطان الحفصي وذلك في سنة 863هـ 1456م، الفصل الأول منه في حفظ الصحة والثاني في المفردات الطبية⁵.

الطبيب أبو عبد الله محمد الدهان: أخذ عنه القلصادي أرجوزة ابن سينا في الطب وبعض المنصوري للرازي توفي بتونس سنة 853هـ 1448م⁶.

الطبيب محمد الكمراني التونسي أبو الغيث:، صاحب كتاب شفاء الأجسام في الطب⁷.

¹-الوزير السراج: الحلل السندسية، المصدر السابق، ج1، القسم 4، ص 1075.

²- محمد محفوظ، تراجع المؤلفين، المرجع السابق، ج2، ص 143.

³- محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج1، ص 202.

⁴- جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة المصدر السابق ج1، ص 226- ابن القاضي درة الحجال، المصدر السابق، ج2، ص

300- الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر السابق، ج1، ص 188.

⁵- محمد محفوظ: المراجع السابق، ج4، ص 207.

⁶- القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 117.

⁷- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص 1049.

الطبيب ابن اندراس محمد بن أحمد بن محمد الأموي الأندلسي نزيل تونس، كان متقدماً في علم الطب، تولى تطبيب الولاية ببجاية وسمع به السلطان محمد المستنصر الحفصي فاستدعاه إلى تونس فكان من جملة أطبائه وجلسائه من مؤلفاته، رجز في الطب نظم فيه بعض الأدوية، توفي بتونس سنة 674هـ 1275م¹.

أما باقي العلوم العقلية فقد اهتم الحفصيون بعلم الفلك كباقي العلوم واستخدموا هذا العلم في خدمة، دولتهم، حيث تعرفوا على سير الكواكب ومواقع النجوم واستخراج التقويم، وقد ظهر في هذه المرحلة العديد من العلماء ومن أبرزهم.

أحمد بن علي التميمي المعروف بابن الكماد: وهو عالم فلكي حرر جداول فلكية اعتماداً على مؤلفات ابن الزرقالة الأندلسي كان حياً سنة 679 هـ، 1280م²، كما يعتبر ابن قنفذ القسنطيني من علماء الفلك، فقد ألف في هذا المجال بعض الكتب منها كتاب تسهيل المطالب في تعديل الكواكب، وله تحصيل المناقب وتكميل المآرب وهو كتاب في علم الفلك، وشرح منظومة أبي الحسن ابن أبي الرجال القيرواني³ المسماة، "المنظومة الحسائية في القضايا النجومية"⁴، كما عرف علم الحساب والفرائض ازدهاراً في عهد الدولة الحفصية لضرورته في تقسيم التركات، لذلك كان الطلبة يدرسون المبادئ الأولية للحساب، فبرز عدد من العلماء في هذا المجال ومن أبرزهم

¹ - الفبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 37- ابن قنفذ، الفارسية، ص 163 - أبو عبد الله الانصاري، الذيل والتكملة

، المصدر السابق، ج6، ص 64 - محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص 56

² - محمد محفوظ، المرجع السابق، ج4، ص 174- برنشفيك، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ج2، ص 369.

³ - هو علي بن أبي الرجال أبو الحسن ولد بتاهرت وترى في القيروان، شاعر وفلكي، تولى بالقيروان رئاسة ديوان الإنشاء على عهد الأمير باديس الصنهاجي، له عدة مؤلفات منها أرجوزة في الفلك، والبارع في أحكام النجوم توفي سنة 426 هـ 1035م.

ينظر محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج2، ص 344.

⁴ - ابن قنفذ، مقدمة أنيس الفقير، ابن قنفذ الوفيات، ص 14.

أحمد بن يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني: عالم بالعربية والحساب والمنطق والطب، رحل إلى مصر وأخذ شرح البردة عن مؤلفيها ابن عبد الله بن مرزوق الحفيد من مؤلفاته رسالة في ترجيح السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، توفي بتونس سنة 878 هـ، 1474م¹.

محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الحق التونسي المتوفى سنة 888 هـ 1484م، عالم بالعربية والفرائض والحساب، رحل إلى مصر وزار بيت المقدس ثم استقر بالإسكندرية حتى وفاته².

محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر الوانوشي: أبو عبد الله نزيل الحرمين الشرفين. كان عالماً بالتفسير والعربية والفرائض والحساب والهندسة، وكان شديد الذكاء وسريع الفهم توفي بمكة سنة 819 هـ 1417م، له تأليف على قواعد ابن عبد السلام³.

ومن هنا نستنتج أن الدولة الحفصية عرفت تطوراً وازدهاراً ثقافياً ولو أنه كان يختلف من عهد إلى آخر حسب الظروف السياسية وقوة السلاطين، ورغم أن التطور شمل مختلف العلوم إلا أن الميل الكبير كان للعلوم النقلية كباقي دول المغرب الإسلامي باعتبارها تضم العلوم الشرعية التي هي ضرورية لفهم الدين الإسلامي وترسيخ العقيدة، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور عدد من العلماء في تخصصات عقلية بلغت شهرتهم مختلف الحواضر الإسلامية سواء في المغرب أو المشرق.

¹ - المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج5، ص 428- أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 126- محمد

مخلف، شجرة النور، ج1، ص 259- محمد محفوظ، تراجع المؤلفين، ج4، ص 84.

² - السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج8، ص 117- محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج1، ص 203.

³ - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 31- أبو عبد الله الأنصاري فهرست الرصاع، ص 158-

حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 92- أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج المصدر السابق

3-2- المراكز الدينية والعلمية:

لقد تعددت المؤسسات الثقافية في الدولة الحفصية وتنوعت من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب والتي كان لها دور بارز في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية لذلك حظيت باهتمام ورعاية السلاطين وتنافسهم في جلب العلماء والإنفاق عليها ومن أبرز تلك المؤسسات.

3-2-1 الكتاتيب والزوايا:

تعتبر الكتاتيب بمثابة المدارس الابتدائية وهي مؤسسات تعليمية خاصة يقوم الخواص بإنشائها في الغالب أو يقوم المعلمون باستئجار بيوت تتخذ مكانا للتعليم، أو تشارك جماعة من أولياء التلاميذ في بنائها باعتبار هذا العمل من الصدقات الجارية¹. كما قام بعض السلاطين والأمراء بإنشاء مكاتب لقراءة القرآن، فقد أنشأ السلطان أبو عمرو عثمان ثلاثة مكاتب واحدا قرب الجامع الأعظم واثنان بربض باب المنارة وأوقف عليها وقفاً كافياً²، وفي الغالب كانت هذه الكتاتيب عبارة عن غرف أو دكاكين بسيطة مفروشة بالحصير، يتحلّق فيها الصبيان حول المعلم، ثم عرفت هذه المؤسسات بعض التطور من حيث التجهيز مع بداية القرن التاسع الهجري، أما مهمة التدريس فتولاها معلم أو مؤدب يشترط فيه المروءة وحسن الخلق والسلوك ومحل ثقة الآباء³، وكان يتفق معه أولياء التلاميذ على أجر معين و على المواد التي يتم تعليمها لأبنائهم⁴، وإضافة إلى الأجر يقدم إلى المعلم بعض الهدايا في المناسبات الدينية مثل الأعياد والمولد النبوي أو عند ختم جزء من القرآن الكريم⁵، وكانت الكتاتيب تنتشر في أنحاء المغرب الأدنى سواء في المدن أو القرى بخلاف المدارس التي اقتصر على المدن الكبرى، وقد قامت هذه المؤسسات بدور بارز في المجال التربوي من حيث تأهيل التلميذ ليكون

¹ - الونشريس، المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب، المصدر السابق ج8، ص 156-
مخوت بودواية، المرجع السابق، ص 75.

² - ابن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص 157- ابن الشماع، الأدلة، المصدر السابق، ص 125.

³ - ابراهيم أنوار، نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية، المرجع السابق، ص 32.

⁴ - ابن سحنون، آداب المعلمين، المرجع السابق، ص 60.

⁵ - الونشريس، المصدر السابق، ج8، ص 162- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس، مذكرة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة 1991 م، ص 424.

متعلماً بعد حفظ القرآن الكريم كلة أو بعضه وتعلمه الحساب واللغة والكتابة، وهذا ما يجعل المتعلم مستعداً لأخذ العلوم الأخرى واكتساب مهارات تساعده للانتقال إلى مرحلة التعليم العالي.

أما الزوايا فهي عبارة عن مؤسسات دينية واجتماعية وفكرية تقام فيما العبادات والدروس ومكان لإقامة عابري السبل والمريدين وفي الغالب تكون ضريح لأحد المرابطين أو الصالحين¹، وكان يقوم بإنشائها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة أو تشترك جماعة في إنشائها، كما كان للسلطين دور في بناء الزوايا والاهتمام والعناية بها، ولم تكن الدولة تنفق عليها مثل ما كان الشأن مع المدارس بل كانت الأوقاف المحبسة على تلك الزوايا كافية لكي تقوم بدورها²، ومن أبرز الزوايا التي أنشأها الحكام زاوية سيحوم التي أنشأها أبو فارس عبد العزيز الحفصي وعمل فيها جامعاً للخطبة ودرساً لقراءة العلم ورباطاً لسكنى الطلبة وأوقف عليها أوقافاً كثيرة³، وبنى أيضاً زاوية الوالي الصالح سيدي فتح الله وجعلها ملجأً للواردين بحومة الداموس خارج باب علاوة⁴.

أما السلطان أبو عمرو عثمان فقد أنشأ زاوية عين زميت بين باجة وتونس وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرس لقراءة العلم⁵، وزاوية الفندق قرب جبل زغوان وجعلها ملجأً لمبيت الواردين وزاوية أبي الحداد والمنيهلة وزاوية فرناطة بين قفصة وتوزر⁶.

أما السلطان أبو عبد الله المستنصر فقد بنى زاوية الشيخ سيدي أحمد العروسي، بجوار جامع حمودة باشا بتونس⁷، كما شهدت إفريقية في هذه المرحلة ظهور العديد من الزوايا في مختلف المدن قام

¹ - ابن مرزوق: المسند، المصدر السابق، ص 413 - إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 41.

² - علي الإدريسي، المراكز الفكرية والعلمية في تونس الحفصية، سلسلة ندوات ومناظرات، مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2008 م ص 122.

³ - ابن الشماع، الأدلة، ص 118.

⁴ - الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 116 - الوزير السراج، الحلل السندسية، ج1، القسم 4، ص 1073 - محمد العروسي، المرجع السابق، ص 594.

⁵ - ابن أبي دينار المؤنس، المصدر السابق، ص 156 - الوزير السراج، الحلل السندسية، المصدر السابق، ص 1083.

⁶ - الوزير السراج: الحلل السندسية، ج1، الت 4، ص 1085 - ابن أبي دينار المؤنس، ص 193.

⁷ - الشيخ المسعودي، الخلاصة، المصدر السابق، ص 82 - محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص 324 - محمد العروسي، المرجع السابق، ص 610.

بإنشائها بعض العلماء ورجال التصوف ومنها، زاوية الفقيه الشيخ أبي القاسم الجليلي. المتوفى سنة 902 هـ 1496م، و دفن بزوايته داخل باب خالد بتونس، وزاوية الفقيه منصور بن جردان المتوفى سنة 904 هـ 1499م¹، وزاوية سيدي ابراهيم الرباحي وزاوية السيدة المنونية عائشة بنت أبي موسى عمران بن الحاج²، وزاوية الشيخ ابن عبد الله محمد المغربي³ وزاوية سيد الكلاعي⁴، و من زوايا زوايا القيروان زاوية أبي يوسف الدهماني المتوفى سنة 625 هـ 1224م، وزاوية أبي علي القديدي المتوفى سنة 700 هـ 1300م والتي بناها بماله الخاص⁵.

وقد كانت الزوايا تنتشر في مختلف نواحي إفريقية وكانت تقوم بدور تعليمي هام جداً لاسيما لأبناء القرى حيث انعدام المدارس، وكان التعليم يقتصر على الجانب الديني، كما تطورت هذه المؤسسات إلى مكان لإيواء المسافرين والغرباء، واحتوت على مكتبات وخزائن للكتب الدينية، وقد تخرج منها العديد من الفقهاء ورجال التصوف.

3-2-2. المساجد:

لقد كان المسجد منذ العهد الأولى للإسلام يقوم بدوره البارز الديني كمكان للعبادة، و دوره التعليمي حيث يقوم مقام المدرسة، فتحول إلى مركز إشعاع فكري يقصده الطلبة والعلماء لدراسة مختلف أصناف العلوم خاصة الدينية منها، ونظراً لهذا الدور فقد تسابق الحكام والسلاطين إلى إنشاء

¹ - الوزير السراج، الحلل السندسية، ج1، التر 4، ص 1091، - ابن أبي دينار المؤنس، المصدر السابق ص 160 - علي الأدريسي، المرجع السابق، ص 123.

² - الوزير السراج، المصدر نفسه، ص 1085 - محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص 211.

³ - أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، المصدر السابق ص 194.

⁴ - محمد بن أحمد بن عبد الله الكلاعي القرطبي، نزيل تونس المحدث الصوفي، توفي سنة 693 هـ 1293م، من مؤلفاته، تلقين المبتدي وتهذيب المقتدي، وتحفة الحبيب وأنس اللبيب، والرسالة الذوقية في بعض الطرق الصوفية، ينظر محمد محفوظ، تراجم

المؤلفين، المرجع السابق، ج4، ص 172.

⁵ - برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 404.

المساجد والإنفاق عليها، وقد عرفت إفريقية إنشاء العديد من المساجد كان أبرزها جامع الزيتونة¹ الذي عرف عدة توسيعات منذ بنائه خاصة في عهد أبي زكرياء الحفصي، وأصبح منذ ذلك العهد منارة للعلم والعلماء ومقصداً لطلبة العلم من مختلف مناطق المغرب الإسلامي، وتحولت تونس بفضلها إلى مركز حضاري هام تضاهي باقي الحواضر الإسلامية مثل تلمسان وفاس وغرناطة، وبالإضافة إلى جامع الزيتونة فقد عرفت إفريقية إنشاء العديد من المساجد في العهد الحفصي منها جامع القصبية بتونس الذي بناه السلطان أبو زكرياء يحيى سنة 629 هـ 1232م وبني صومعته التي أثارت إعجاب الناس وأذن فيه بنفسه²، وجامع التوفيق الذي بنته الأميرة عطف³ زوجة أبي زكرياء في عهد ابنها أبي عبد الله المستنصر وهو المسجد المعروف اليوم بمسجد الهواء⁴.

أما السلطان الدعي أحمد بن مرزوق فقد شيد سنة 682 هـ 1284م جامع باب البحر⁵، وأقام السلطان أبو فارس عبد العزيز جامع سيجوم مع الزاوية⁶، أما جامع عين زميت فقد بناه السلطان أبو عمرو عثمان⁷.

¹ - جامع الزيتونة أمر بنائه الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114 هـ 732م وأتمه أبو العباس محمد بن الأغلب، وزاد في بنائه وصومعته أبو زكرياء الأول، ينظر ابن أبي دینار المؤنس، ص 11- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تج محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص 66 - الوزير السراج، المصدر السابق، ج1، القسم1، ص 62.

² - ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق ص 103 - الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 26 - محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، المرجع السابق، ص 397 - أحمد المطويلي، الحضارة العربية التونسية، المرجع السابق، ص 16 - علي الإدريسي - المرجع السابق، ص 124.

³ - الأميرة عطف زوجة السلطان أبو زكرياء الحفصي، مؤسس الدولة وأم الخليفة المستنصر وهي نصرانية الأصل، ينظر، ابن الشماع الأدلة، المصدر السابق، ص 63 - ابن قنفذ الفارسية، ص 322.

⁴ - ابن أبي دینار، المؤنس، المصدر السابق ص 134 - الوزير السراج، الحلل السندسية، ج1، ق 4، ص 1027.

⁵ - ابن أبي دینار، المؤنس ص 155 - ابن الشماع، الأدلة، ص 118.

⁶ - ابن قنفذ، الفارسية، ص 269 - أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 142.

⁷ - أبو عبد الله الأنصاري، نفسه ص 72 - الوزير سراج، الحلل، المصدر السابق، ص 1083.

كما شهدت المدن الأخرى في إفريقية ظهور العديد من المساجد منها جامع قسنطينة وجامع القصبة ببجاية وجامع الحلق الذي يقع في حي باب الجديد، ومسجد الشيخ أبي عبد الله الصفار الذي دفن فيه سنة 1349م داخل باب القنطرة بقسنطينة¹.

أما في طرابلس فقد شيدت بعض المساجد نذكر منها مسجد عبد الله الشعاب المتوفي سنة 857 هـ 1459م، ومسجد الخطاب البرقي الواقع في الجهة الشرقية من المدينة².

وبصفة عامة فقد شهد المغرب الأدنى في العهد الحفصي ظهور العديد من المساجد والتي قدّر عددها بأكثر من مائتين جامع ومسجد كانت كلها تقوم بدور العبادة والتعليم وهما دوران لا يمكن الفصل بينهما خاصة أن هذه المؤسسات ألحقت بها العديد من خزائن الكتب وخصص لها أوقاف كثيرة لتمكن من تأدية رسالتها الدينية والعلمية.

3-2-3- المدارس:

تعد المدارس من المؤسسات الثقافية البارزة في حركة التعليم في العالم الإسلامي وقد ظهرت هذه المؤسسات منذ القرن الخامس الهجري، إلا أنها تأخرت في بلاد المغرب الإسلامي إلى غاية القرن السابع الهجري حيث ظهرت أول مدرسة بتونس في عهد السلطان أبي زكرياء الذي أنشأ المدرسة الشماعية قرب سوق الشماعين سنة 633 هـ 1235م، والتي كانت تعرف بأمد المدارس بتونس، وقد تخصصت في البداية بتدريس العقيدة الموحدية³، إلا أن دورها ظهر أكثر عندما تحولت إلى معقل المالكية وتدريس الفقه المالكي ومن أشهر شيوخها محمد بن عبد السلام الهواري. أما الأميرة عطف فقد أنشأت المدرسة التوفيقية التي تزامن بناؤها مع بناء جامع التوفيق الذي يطلق عليه جامع الهواء

¹ - ابن أبي دينار، المؤنس، ص 315 - ابن قنفذ أنيس الفقير وعز الحقير، ص 62 - برنشفيك، ج1، المرجع السابق، ج1، ص 421 - محمد العروسي، المرجع السابق، ص 452.

² - برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 427.

³ - ابن أبي دينار المؤنس، ص 134 - الشيخ المسعودي، الخلاصة ص 62 - الوزير السراج، الحلل، ج1 ق 4، ص 1026 - محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص 215.

ومن أبرز شيوخ هذه المدرسة ابن سيد الناس الأندلسي وأبو عبد الله محمد الشريف، ومحمد بن عرفة كما سكنها محمد الآبلي سنة 796 هـ 1393م¹.

و من المدارس الحفصية الأخرى ، المدرسة المعرفية أو مدرسة الكتبيين والتي بنيت في مكان فندق قرب الجامع الكبير بتونس من طرف السلطان أبي زكريا بن السلطان أبي إسحاق إبراهيم سنة 683 هـ 1285م، ومن شيوخها أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي، والفقير أبو عبد الله محمد بن عبد الستار إمام جامع الزيتونة المتوفي سنة 749 هـ 1348م²، والمدرسة المستنصرية التي أمر بنائها أبو عبد الله المستنصر الحفصي سنة 839 هـ 1435م، ومات قبل إتمامها ثم أتمها السلطان أبو عمر وعثمان ومن شيوخها أحمد القلشاني وأحمد القسنطيني. ومحمد بن عقاب خطيب جامع التوفيق³.

أما مدرسة صولة فقد أمر بنائها السلطان أبو عمر وعثمان سنة 840 هـ 1440م قرب مقام الولي الصالح سيدي محرز بن خلف، بالدار المعروفة بدار صولة ، وقد درس في هذه المدرسة الفقيه أبو محرز و تعرف بالمدرسة العثمانية وجعل بها مسجداً ودرساً⁴، كما قام بعض الأمراء ببناء بعض المدارس منها المدرسة العنقية أسستها الأميرة فاطمة أخت السلطان أبي يحيى بن أبي بكر بن أبي زكرياء سنة 742 هـ 1342م بزقة جبل العنق بتونس وقد درس بها محمد بن عبد السلام الهواري⁵.

لقد شهدت تونس بناء العديد من المدارس من طرف بعض العلماء والقادة والتي تعرف بالمدارس الخاصة ومنها.

¹ - ابن الشماع، الأدلة، ص 63 - برنشفيك، ج1، ص 382 - إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص53.

² - الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 51 - الوزير السراج، الحلل، ج1، ق 4، ص 1040 - علي الإدريسي، المرجع السابق، ص 119.

³ - ابن أبي دينار المؤنس المصدر السابق ص 156 - ابن الشماع، الأدلة، المصدر السابق ص 120 - الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 132 - الوزير السراج، الحلل، المصدر السابق، ص 1081.

⁴ - أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 71 - الوزير السراج، الحلل السندسية، المصدر السابق، 1083 - ابن الشماع، الأدلة، المصدر نفسه ص 122.

⁵ - إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 53.

مدرسة القائد نبيل التي بنيت 850 هـ 1446م من قبل المزوار القائد نبيل أبو قضاية والذي دفن بها، المدرسة المغربية التي أنشأها أبو عبد الله المغربي 689 هـ 1290م، ومدرسة محمد بن يحيى السليماني سنة 747 هـ 1347م الواقعة في درب العسال مع جامع¹، والمدرسة الحكيمة التي أنشأها محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم²، والمدرسة المرجانية التي أسسها أبو محمد عبد الله المرجاني والتي عرفت باسمه سنة 699 هـ 1300م، ولم يقتصر تشييد المدارس على العاصمة تونس فقط بل عرفت المدن الأخرى ظهور عدة مدارس منها المدرسة المستنصرية في طرابلس التي بناها محمد المستنصر سنة 658 هـ 1260م و أشرف على بنائها عبد الحميد بن أبي البركات الصدي، كما ذكر التجاني أنه كان إلى جانب هذه المدرسة عدة مدارس أخرى³، كما ذكر القلصادي في رحلته أنه نزل بمدرسة ابن ثابت بطرابلس⁴، أما حسن الوزان فقد ذكر أن بها مدرستان إلى جانب الجامع الكبير إلا أنه لم يشير إلى تاريخ بناء هتين المدرستين⁵.

وبصفة عامة فقد كان أغلب الملوك الحفصيين يقربون أهل العلم من مجالسهم تشجيعاً للحركة العلمية والأدبية التي عرفت ازدهاراً كبيراً في إفريقية، هذا الاهتمام والتقدير والرغبة الملحة في نشر العلم جعل الحكام يتسابقون في بناء المدارس وإطلاق الجريات الهامة والوفيرة للمدرسين الأكفاء، وهكذا فقد شكلت المدارس ظاهرة تعليمية وثقافية ليس في تونس الحفصية فحسب بل في المغرب الإسلامي بصفة عامة.

وإلى جانب المساجد والمدارس فقد اهتم السلاطين الحفصيون بجمع الكتب وإنشاء المكتبات، حيث رافقت خزائن الكتب كل المؤسسات الدينية والعلمية وذلك لتمكين الطلبة من الاستفادة منها وتحقيق

¹ - برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 427.

² - ابن حكيم محمد بن علي اللخمي قائد جيش الأمير أبي بكر وسمي بالحكيم نسبة إلى أبيه الطبيب، ينظر، السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 261 - برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 186.

³ - التجاني، رحلة التجاني، تج حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، طرابلس، 1981م، ص 206 - برنشفيك، المرجع السابق، ج14، ص 127.

⁴ - القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 124.

⁵ - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 97.

الثواب وتخليد أسمائهم، ومن أبرز تلك الخزائن، خزانة الكتب التي أخرجها السلطان أبو عمرو عثمان من قصره وجعلها بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم وجعل من يقومون بها وحدد لها وقت الانتفاع بها¹، كما أقام السلطان أبو فارس عبد العزيز خزانة للكتب بجامع الزيتونة وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها²، وأقام السلطان أبو عبد الله محمد خزانة للكتب بالجهة الشرقية من الجامع الأعظم بتونس وهي التي أصبحت تعرف بالمكتبة العبدلية³، إضافة إلى مكتبات أخرى في باقي المدن منها مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان، ومن أقدم المكتبات في تونس الحفصية، المكتبة الحفصية بالقصبة التي أقامها السلطان أبو يحيى زكرياء بن عبد الواحد، وقد بلغت في عهده نيفًا وثلاثين ألف مجلدًا في مختلف العلوم وتطورت أكثر في عهد ابنه المستنصر الذي أوكل خدمتها إلى الأديب حازم القرطاجني المتوفى سنة 648 هـ 1249 م⁴.

هذا الاهتمام بالمؤسسات العلمية والدينية ساهم بقسط كبير في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في مختلف المدن الحفصية وخاصة العاصمة تونس التي تحولت إلى مركز ثقافي هام، ومن النتائج التي يمكن استخلاصها.

- مساهمة السلاطين الحفصيين في إثراء الحياة الثقافية من خلال حثهم على الإنتاج الفكري واستقدامهم للأدباء والشعراء .
- كثرة المؤسسات الثقافية والعلمية ودور الحكام في إنشائها والإنفاق عليها.
- كثرة الأدباء والعلماء في مختلف العلوم والتخصصات خاصة العلوم الشرعية والأدبية.
- كثرة التأليف في المجال الأدبي واللغوي بالإضافة إلى دواوين الشعراء.
- تحول تونس العاصمة وبعض المدن الحفصية إلى مراكز علمية تعج بالعديد من العلماء والطلاب.

¹ - ابن الشماع، الأدلة، ص 124 - ابن أبي دينار، المؤنس، ص 157 - أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 55

- محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص 298.

² - الزركيش، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 125 - الوزير السراج، الحلل السندسية، ج1، تر4، ص 1072.

³ - ابن أبي دينار، المؤنس، ص 160 - أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 76.

⁴ - محمد العامري، المرجع السابق، ص 165.

- التأثير الثقافي الأندلسي البارز من خلال أفواج المهاجرين الأندلسيين نحو المدن الحفصية خاصة بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية وقد مارس بعضهم التدريس، وساهموا في ازدهار الحركة الفكرية.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية في بلاد المشرق الإسلامي

1- عوامل الازدهار الثقافي

2- المراكز العلمية والدينية .

2-1- المكتاتب

2-2 المساجد والجوامع

2-3 المدارس

2-4 الخوانق والزوايا والربط

2-5 البيمارستينات والتراب والقباب.

2-6 المكتبات .

3 أصناف العلوم ومشاهير العلماء.

3-1 العلوم النقلية .

3-1-1 العلوم الشرعية .

3-1-2 التصوف .

3-1-3 علوم الأدب واللغة .

3-1-4 التاريخ .

3-2 العلوم العقلية .

تمهيد

شهد عصر المماليك ازدهارا ثقافيا كبيرا حيث تحوّلت القاهرة إلى مركز حضاري وفكري ومقصدا للعلماء والطلاب، ومن جملة العوامل التي كانت وراء هذا الازدهار:

أهمية مدينة القاهرة والتي مرّت بعدة مراحل منذ تأسيسها من قبل "جوهر الصقلي" سنة 358 هـ/969م¹، وفي عهد الأيوبيين شهدت المدينة تطورا عمرانيا كبيرا، أمّا في عهد المماليك فأصبحت تُشكّل مع الفسطاط مدينة واحدة.

ومّا زاد في أهمية المدينة توقّرها على العديد من المؤسسات الدينية والعلمية، هذا التطور جعل ابن خلدون يصف المدينة بأنّها "حضيرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الأمم وإيوان الإسلام وكرسي الملك، تزخر الخوانق والمدارس بأفاهقه، وتضيء البذور والكواكب من علمائه"² كما أنّ موقعها على النيل وفي طريق الحجّ زاد من أهميتها ودورها الثقافي البارز.

ومن العوامل المساعدة أيضا دور الحكّام من خلال اهتمامهم الكبير بالحياة الفكرية ومشاركتهم فيها، فالسلطان "الظاهر بيبرس" كان يميل إلى التاريخ ويحترم الفقهاء ويُقدّرهم ويشرفهم معه في أسفاره،³ أمّا السلطان المؤيد المحمودي فكان يحمل إجازة برواية صحيح البخاري من حافظ زمانه سراج الدين البلقيني⁴.

¹ هو جوهر بن عبد الله القائد أبو الحسين الصقلي الرومي، كان من موالي المعز بن المنصور صاحب إفريقية وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت "كافور الإخشيدي" وقام ببناء القاهرة، يُنظر: المقرئ تقي الدين، كتاب المققى الكبير، ج3، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991، ص83- ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج1، ص375- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص301- أحمد عبد الرزاق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، النرجع السابق ص205.

² ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص246

³ ابن تغري بردي، النجوم، المصدر السابق، ج7، ص182- ابن شداد عز الدين، تاريخ الملك الظاهر، دار النشر فرانشتاين، دمشق 1983 م، ص284- السيد النشار، تاريخ المكتبات في مصر المملوكية، ط1 الدار المصرية اللبنانية، 1991 م، ص56..

⁴ ابن تغري بردي، المنهل الصّافي، المصدر السابق، ج6، ص310- الشوكاني، البدر الطّالع، المصدر السابق، ج2، ص283.

ومن أمراء المماليك الذين شاركوا في الحياة العلمية، الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله المتوفى سنة 699هـ/1300م حيث كان فقيهاً ومحدثاً وكان العلماء يحضرون مجالسه،¹ أما السلطان الأشرف أبو نصر قايتباي الجركسي فقد كان له اعتقاد بالعلماء والصالحين وكان ذا ميل إلى المطالعة وجمع الكتب والاهتمام ببناء المؤسسات العلمية والدينية²، وقد اشتهر بعض السلاطين بعقد المجالس العلمية والدينية ومناقشة العلماء في المسائل المختلفة، ومن جهة أخرى فقد اهتم سلاطين المماليك ببناء المدارس والزوايا والمساجد، وكان الهدف من كثرة المنشآت الدينية العمل على القضاء على المذهب الشيعي، وحرص السلاطين على الظهور بمظهر حماة العقيدة السنية³.

كما ساهم الازدهار الاقتصادي والتجاري من خلال العلاقات التجارية الواسعة مع مختلف المناطق سواء مع السودان الغربي للحصول على الذهب والمنتجات الاستوائية أو مع الجمهوريات الإيطالية وأروبا، هذا النشاط مكن من ارتفاع المداخيل المالية وبالتالي كثرة الإنفاق على المنشآت الثقافية والعلمية⁴.

أما العامل الأخير الذي ساهم في ازدهار الحياة الثقافية فهو كثرة التأليف والموسوعات، فقد شهدت هذه المرحلة من تاريخ مصر نشاطاً كبيراً في حركة التأليف خاصة في مجال التراجم والموسوعات من أبرز تلك المؤلفات النجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تغري بردي أبو المحاسن وكتاب زبدة الفكرة في

¹ ابن تغري بردي، النجوم، المصدر السابق، ج7، ص 120- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 117، ابن

كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 240- ابن عماد الحنبلي، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 783.

² السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص 09- ابن العماد، شذرات، المصدر السابق، ج8، ص

08- عبد الرحمان محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي، المرجع السابق، ص 186.

³ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 100.

⁴ أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت 1981 م،

ص 266- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 106

تاريخ الهجرة لبيبرس الدوادار¹ والخطط وكتاب السلوك للمقريزي² ، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن الفضل العمري وكتب أخرى كثيرة في أصول الدين والفقهاء وغيرها من العلوم، إنَّ هذا التنوع دليل على الازدهار الفكري واهتمام المجتمع المملوكي بالجانب العلمي.

1-المراكز الدينية والعلمية:

لقد حرص سلاطين المماليك على إنشاء المؤسسات العلمية والدينية لأسباب متعددة منها حماية العقيدة الإسلامية والحفاظ على المذهب السني والرغبة الملحة في الظهور في صورة المشجعين للعلم والعلماء، أو تنافسا بين السلاطين في التقرب إلى الله، ولهذا فقد انتشرت هذه المؤسسات في كل مكان خاصة في القاهرة والمدن الرئيسية الأخرى، وقد اقتدى بالسلاطين الأمراء والرؤساء في تشييد هذه المؤسسات.

1-1 الكتاتيب أو مكاتب السبيل:

المكاتب أو الكتاتيب هي منشآت دينية تربوية ملحقة بالجوامع أو المدارس يتعلم فيها أيتام المسلمين³، وهي تقوم بدور المدارس الابتدائية وقد ارتبطت الكتاتيب بالسبيل⁴ لذلك كانت تسمى مكاتب السبيل، كما ارتبطت ارتباطا وظيفيا فكلاهما يُشارك في العملية التعليمية الدينية، فقد كانت هذه المكاتب تقوم بتعليم الصبيان الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين

¹ الدوادار، هو الذي يحمل الدواة والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه ،ينظر محمد أحمد دهمان، المرجع السابق ص 77 - حسين عاصي، ابن اياس مؤرخ الفتح العثماني، ط1 دار الكتب العلمية بيروت 1993م ص 173 .

² عبد الرحمان بن الأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، المرجع السابق ص58- سي عبد القادر عمر، الروابط الثقافية بين بني نصر ومصر المملوكية، المرجع السابق تلمسان، ص 56.

³ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 21.

⁴ السبيل جمع أسبلة عبارة عن حجرات تعلو الصهريج الذي تُخزن فيه المياه كل عام، تعلوها حجرات لتعليم الأطفال الصغار وهي إما ملحقة بالمساجد أو منفردة، يُنظر، عبد الرحمان محمود عبد التواب، المرجع السابق، ص 198.

الإسلامي¹ ، حيث تُؤهل الصبي للانتقال إلى المدارس التي كانت تمثل مرحلة التعليم العالي بالمفهوم الحديث والكتاتيب نوعان، المكاتب الأهلية أو الخاصة التي كان يقيمها الذين لهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يقتاتون منها، ومكاتب عامة قيامها مرهون بأصحاب الجاه والمناصب في الدولة من سلاطين وأمراء وتجار وعلماء هدفهم مرضاة الله تعالى، ويعرف هذا النوع بمكاتب الأسبلة أو مكاتب الأيتام² .

كان يتولّى التدريس بهذه المكاتب المصرية المؤدب أو العريف وكان المؤدّب أحياناً من جملة الأيتام³ ، وكان يُنفق على هؤلاء الأيتام في مجال الغذاء والكسوة من غلّة الأوقاف التي كانت تحبس على هذه المؤسسات وقد حدّدت بعض وثائق الوقف القدر المعلوم الذي يأخذه اليتيم من مكتب السبيل، فقد كان في المدرسة الحجازية مكتب سبيل فيه عدّة أيتام ومؤدب يعلمهم القرآن ويجري عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من المال، ويُقام لكلّ منهم بكسوة الشتاء والصيف⁴ ، كما كانت هذه المكاتب تلقى العناية التامة من السلاطين والأمراء أو من الأغنياء من أفراد المجتمع رغبة منهم في الإكثار من عمل الخير والتقرّب إلى الله والظهور بمظهر من يرعى حقوق الدين⁵ ، وقد شهدت هذه المؤسسات انتشاراً واسعاً في مصر خاصة و أنّها كانت مخصصة للأيتام والذين كان عددهم كبيراً جداً فقد ذكر بيبرس الدوادار أنّه عندما سقطت منارة على أحد الكتاتيب

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص 328- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 145.

² محمد كمال الدين عز الدين، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ط1 عالم الكتب، بيروت، 1990 م ، ص 30.

³ محمد بن سحنون، أداب المعلمين، المرجع السابق، ص 91- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 21- حياة ناصر حاجي، صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت 1992 م ، ص 187.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج 2 المصدر السابق، ص 383- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 188.

⁵ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 196.

أدت إلى مقتل 300 من الأيتام¹ ، ومن أهمّ الكتاتيب في مصر المكتب الملحق بمدرسة الظاهر ببيرس ومدرسة الملك المنصور قلاوون والمكتب الملحق بالمدرسة الحجازية بالقاهرة والمكتب الموجود بجوار المدرسة القراسنقرية، ومكتب السبيل الملحق بمدرسة الأمير جمال الدين قراقجا الحسني، ومكتب عند مدرسة الأمير جمال الدين الأستاذار² ، وكان الهدف من جعل الكتاتيب منفصلة عن المساجد والمدارس هو تجنب الفوضى والضوضاء التي كان يُثيرها الصبيان غالباً عند تعليمهم القرآن الكريم بصوت مرتفع³ ، وكانت هذه المرحلة ضرورية لكافة الصبيان باعتبارها المرحلة الأساسية لتكوين التلميذ وتسهيل الولوج إلى المرحلة الثانية من التعليم.

1-1 المساجد والجوامع:

المسجد هو الموضع الذي يُسجد فيه فكلّ موضع يُتعبّد فيه فهو مسجد وقد كان للمسجد أهمية كبيرة منذ بداية الدعوة الإسلامية ، فهو النواة الأساسية الذي تفرّعت منه المؤسسات المختلفة على كافة المستويات السياسية والحضارية ثمّ بدأت تستقلّ عنه بعض المهام التعليمية ورغم ذلك فقد ظلّ محتفظاً بمكانته الأولى لدى المسلمين والمتمثّلة في الدور الديني والتربوي والسياسي⁴ ، وقد انتشرت حركة بناء المساجد في أنحاء مصر المملوكية خاصّة القاهرة حيث أصبحت لا تحصى⁵ ، ويعود كثرة المساجد في العهد المملوكي إلى رغبة السلاطين والأغنياء في الحصول على الثواب مصداقاً للحديث الشريف: "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"⁶ ، لذلك قلّ ما نجد سلطاناً لم يُؤسّس

¹ ببيرس الدوادار، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 21.

² المقرزي، الخطط، نفسه، ج2، ص 382- حياة ناصر حاجي، نفسه، ص 187

³ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 349.

⁴ محمد عبد الستار عثمان، نفسه، ص 32- أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في

نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر 1999م ، ص 23.

⁵ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ص 366.

⁶ الإمام أحمد ابن حنبل، المسند، ج1، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص 241

مسجدا لذلك تعدّت الألف مسجد في مصر والقاهرة¹.

وقد كانت هذه المساجد تجمع بين الدور الديني كإقامة الصلّاة والتعليمي كالتدريس حيث كان السلاطين يرتبون فيها دروسا في مختلف العلوم، ومن أبرز مساجد مصر:

الجامع العتيق: والذي يعرف بجامع عمرو بن العاص وهو أوّل مسجد بالديار المصرية بعد الفتح الإسلامي، وقد بُني هذا المسجد سنة 21 هـ وقد أدخلت عليه إصلاحات عديدة في عهد المماليك².

جامع ابن طولون: أنشأه أبو العباس أحمد بن طولون سنة 263هـ/877م وأوقف عليه عدّة أوقاف وزوّده بخزانة كتب وتمّ تجديده في العهد الفاطمي ثمّ المملوكي ورتبت فيه دروس للفقهِ والحديث³.

الجامع الأزهر: يُعتبر من أهمّ مساجد مصر فقد شيّده القائد جوهر الصّقلّي بعد بناء القاهرة سنة 358هـ/969م ليكون مركزا لتعليم الفقهِ الشيعي، وقد قام السلطان الظاهر بيبرس بترميمه وإصلاحه وأقيمت على يمين المدخل مدرسة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وعلى يسار مدخله المدرسة الأقبغاوية 734هـ/1331م⁴، وقد استمر هذا المسجد في أداء دوره التعليمي والتربوي عدّة عدّة قرون، فرغم أنّ الأيوبيين عطلوا صلاة الجمعة فيه إلا أنّه ظلّ محتفظا بصفته كمعهد للدراسة،

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، المرجع السابق، ص320.

² المقرئزي، الخطط، ج2، المصدر السابق، ص246، الحميري، الروض، ص441، جلال الدين السيوطي، حسن

المحاضرة، ج2، المصدر السابق، ص299، ابن جبير، الرحلة، المصدر السابق ص24.

³ ابن العراقي ولي الدين، الذّيل على العبر في خبر من عبر، تح: صالح محمدي عباس، القسم الأول، مؤسسة الرسالة، 1989م، ص20، المقرئزي، الخطط، ج2، ص263، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي، المرجع السابق، ص410.

⁴ أحمد عبد الرزاق، المرجع السابق، ص226، ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص345.

وقد أعيدت له صلاة الجمعة ومكانته السابقة في عهد السلطان بيبرس¹ ، وكان هذا المسجد يستقبل الطلبة من أنحاء العالم الإسلامي وكان لكل طائفة منهم رواق خاص بهم، وقد اهتم به المماليك اهتماما كبيرا من حيث تحييس الأوقاف عليه لضمان استمرار وظيفته.

الجامع الحاكمي: بُني هذا المسجد في العهد الفاطمي من طرف العزيز بالله ابن المعز لدين الله الفاطمي 380هـ/980م، ثم أمته ابنه الحاكم بأمر الله سنة 393هـ/1003م² ، وتم تجديد هذا المسجد في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من طرف الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وأوقف عليه عدّة أوقاف ورّب فيه دروسا أربعة وزوّده بخزانة كتب³ ، ومن المساجد الهامة أيضا في العهد الأيوبي مسجد الرّوضة بقلعة الفسطاط الذي عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ووسعه الملك المؤيد الشيخ محمودي⁴ ، وكذلك مسجد الظافر الذي عمره الخليفة الفاطمي الظافر بنصر الله وسط القاهرة والذي واصل عملية التدريس في لعهد المملوكي، حيث جدّده السلطان الظاهر جقمق سنة 844هـ/1440م⁵ .

أمّا في العهد المملوكي فقد تمّ بناء العديد من المساجد حتّى أنّ هناك بعض السلاطين من بنى أكثر من جامع في البلد، ومن أشهر السلاطين الذين أنشأوا المساجد السلطان الظاهر بيبرس والسلطان

¹ ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص172- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج12، ص257- المقرئزي، الخطط، ج2، المصدر السابق، ص273- مؤلف مجهول، تاريخ مصر وفضائلها، تح علي عمر، ط1 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002م ص 140 - السيد النشار، تاريخ المكتبات في مصر المملوكية، المرجع السابق، ص84.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص277- القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج3، ص360- ابن حجر، رفع الإصر، المصدر السابق، ص236- أحمد عبد الرزاق، المرجع السابق، ص237- بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ محمودي، تح: فهيم محمد علوي، دار الكتب المصرية، القاهرة 1988 م ، ص75.

³ السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص253- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج14، ص36.

⁴ المقرئزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص297.

⁵ أحمد عبد الرزاق، تاريخ وآثار مصر، المرجع السابق، ص257

الناصر محمد بن قلاوون الذي أقام حوالي ثمانية وعشرين مسجداً¹، ونظراً لكثرة المساجد التي بنيت في العهد المملوكي فسنحاول التركيز على الأهمّ منها.

مسجد الظاهر: الذي أنشأه الظاهر بيبرس خارج القاهرة والذي كان يشبه المدرسة الظاهرية حيث زينه بالرخام والأخشاب واعتمد في بنائه على عدد كبير من المهندسين، وأقام على محرابه قبة وجلب إليه الرخام من يافا عندما هدم قلعتها واستولى عليها، وقد بنى الجامع سنة 665هـ/1266م² وعين له خطيباً حنفي المذهب سراج الدين أبو حفص عمر بن علي المصري المتوفي سنة 829هـ/1426م³، والفقير ولي الدين أبو زرعة أحمد بن حافظ العراقي⁴

مسجد السلطان قلاوون: بناه السلطان قلاوون سنة 684هـ/1285م ضمن مجموعة ضمّت المارستان والمدرسة والقبة ورتّب فيه دروس الفقه الحنفي والحنبلي⁵.

مسجد آق سنقر: بناه الأمير آق سنقر سنة 748هـ/1346م واهتمّ في بنائه اهتماماً كبيراً من حيث السهر على الإتقان والزخرفة وقد أنشأ بجانبه مكتبا للأيتام وحنوتا لسقي الناس وأوقف عليه أرضاً زراعية بقري حلب، وقرر فيه درسا للشافعية وولي خطابته الفقيه شمس الدين اللبان الشافعي⁶.

جامع القلعة: أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل سنة 718هـ/1318م والذي اختار له عشرين مؤدّناً وجعل به قراء ودرسا وقارئ مصحف وأوقف عليه العديد من الأوقاف⁷

¹ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 203.

² المقرئ، الخطط، ج2، ص299- ابن شداد عز الدين، تاريخ الملك الظاهر، المصدر السابق، ص360- حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 276.

³ ابن عماد، شذرات، ج9، المصدر السابق، ص 276- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 276.

⁴ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، المصدر السابق، ص 363- ابن عماد الحنبلي، شذرات، المصدر السابق، ص 251.

⁵ المقرئ، الخطط، ج2، ص380- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 278.

⁶ المقرئ، نفسه، ص 303- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 139

⁷ المقرئ، الخطط، ج2، ص 325- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 280- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص

جامع الملك الناصر حسن: يعرف بمدرسة السلطان حسن يقع بميدان صلاح الدين اتجاه القلعة في الجهة الغربية أنشأه السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سنة 757هـ/1356م، وجعل فيه دروساً للمذاهب السنية الأربعة وأوقف عليه أوقافاً كثيرة، يعتبر من أضخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنياناً وأحسنها شكلاً¹.

الجامع المؤيدي: أنشأه السلطان المؤيد شيخ المحمدي الظاهري بجوار باب زويلة بالقاهرة سنة 819هـ/1416م وأوقف عليه عدّة أوقاف وزوّده بخزانة كتب، وكانت تقام فيه دروس الشافعية والمالكية والحنابلة، ويمتاز هذا المسجد بكثرة الزخرفة².

أما الجوامع الأميرية فهي كثيرة كذلك نذكر منها:

جامع الخطيري: يقع خارج أسوار القاهرة أنشأه الأمير عز الدين أيدير الخطيري سنة 737هـ/1336م وهو من مماليك الناصر محمد وجعل فيه خزانة كتب ورتّب فيه دروساً للشافعية ومن جملة ما أنفق في هذا الجامع أربعمئة ألف درهم³.

جامع أينال: أنشأه الأمير سيف الدين أينال السيفي سنة 794هـ/1392م ورتّب فيه قراء لقراءة القرآن الكريم⁴.

جامع ألماس: خارج باب زويلة أنشأه الأمير سيف الدين ألماس أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون سنة 730هـ/1329م⁵.

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص312- حمدي عبد المنعم، ص282.

² ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص310- المقرئزي، الخطط، ج2، ص328- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص195، بدر الدين العيني، المصدر السابق، ص272- عبد الرحمن محمود عبد التواب، المرجع السابق، ص187.

³ المقرئزي، الخطط، ج2، المصدر السابق ص312- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص140.

⁴ المقرئزي، نفسه، ص401.

⁵ المقرئزي، نفسه ص307- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص487- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص

جامع آل ملك في الحسنية: خارج باب النصر أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك وأقيمت فيه الخطبة سنة 732هـ¹.

مسجد تمرز الأحمدي: أنشأه الأمير تمرز في عهد السلطان الأشرف قايتباي سنة 876هـ/1471م².

وقد اشتملت هذه الجوامع على قاعات يرتب فيها درس للفقهاء وقراءة القرآن الكريم، كما ضمت بعض هذه الجوامع على مكاتب لتعليم الأيتام، كما كان السلاطين حريصين أشد الحرص على اختيار من يقوم بالتدريس في هذه المساجد، وقد زدوا بعض هذه الجوامع بخزائن للكتب.

ومن خلال هذا العدد الكبير للجوامع والمساجد في عهد سلاطين المماليك نستطيع أن نؤكد أنّ مصر شهدت نشاطا دينيا وثقافيا وتعليميا واسعا، خاصّة وأنّ هذه الجوامع لم تكن أماكن عبادة فقط بل مراكز للتدريس.

2-1 المدارس:

كان المسجد أو الجامع هو المركز الأساسي لتلقي العلوم ثم انتقل هذا الدور ليشمل المدارس التي كان الهدف من وجودها هو ممارسة ونشر التعليم، وذلك بعد ظهورها في العالم الإسلامي بداية من العهد السلجوقي ثمّ العباسي³، أمّا في مصر فيرجع تاريخ إنشاء المدارس إلى أواخر العصر الفاطمي ثمّ توسّعت في العهد الأيوبي حيث زاد الاهتمام بإنشاء المدارس لتدريس العلوم ومحاربة المذهب الشيعي⁴، ومن أبرز المدارس الأيوبية في مصر:

¹ المقرئزي، الخطط، ج3، ص 305.

² السيد النشار، المرجع السابق، ص 87- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 490.

³ حسين أمين، المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطور التعليم، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م، ص 105

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 363- أمين شاهين سلام، المرجع السابق، ص 55.

المدرسة القمحية: أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي بجوار الجامع العتيق سنة 566هـ/1170م وسميت بالقمحية لأن صلاح الدين الأيوبي أوقف عليها أرضاً من الفيوم تغل القمح، وقد خصّصت هذه المدرسة للمذهب المالكي¹، وقد درس بها عبد الرحمن بن خلدون عندما رحل إلى مصر².

المدرسة الصالحية: أنشأها صلاح الدين الأيوبي بجوار مقام الإمام الشافعي سنة 572هـ/1176م وهي من أعظم مدارس مصر وقد خصّصت للمذهب الشافعي³.

المدرسة الناصرية: بناها صلاح الدين سنة 566هـ/1170م بجوار الجامع العتيق⁴ وتعرف هذه المدرسة بمدرسة ابن زين النجار نسبة إلى الفقيه الشافعي المعروف بابن زين النجار⁵. أمّا المدارس التي جمعت بين المذاهب الأربعة فمنها:

المدرسة الصالحية النجمية: أنشأها نجم الدين أيوب سنة 639هـ/1241م وهي أول مدرسة بمصر يعمل بها دروس للمذاهب الأربعة فكان بها أربعة أواوين لكل طائفة إيوان خاصّ بها⁶. وهناك وهناك المدرسة الكاملة التي أنشأها الملك الكامل سنة 615هـ/1218م والتي سميت بدار الحديث لأن واقفها جعلها لتدريس الحديث، وقد تخصصت في المذاهب الأربعة كذلك⁷. و المدرسة الفاضلية

¹ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، المصدر السابق، ص256- ابن خلدون، الرحلة، ص279- المقرئ، الخطط، ج2، ص364، أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص104- علي بن داود الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسين حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1970 م، ص92.

² ابن خلدون، الرحلة، ص279.

³ السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة، ج2، ص257- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص104- أمين شاهين، المرجع السابق، ص87.

⁴ السيد النشار، المرجع السابق، ص69- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص140- أمين شاهين، المرجع السابق، ص76.

⁵ هو أبو العباس أحمد بن المظفر ابن الحسين الدمشقي أحد علماء الشافعية هو أول من قام بالتدريس في المدرسة النصرية الأولى حتى وفاته سنة 591هـ/1115م، ينظر: ابن تعري بردي، النجوم، المصدر لسابق ج6، ص51- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص207.

⁶ ابن خلدون، الحلة، ص254- المقرئ، الخطط، ج2، ص374- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص261.

⁷ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص415.

الفاضلية التي أنشأها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني،¹ وخصصها لتدريس فقهي مالك والشافعي وبذلك فهي أول مدرسة توقف على مذهبين وقد بدأ التدريس بها سنة 580هـ/1184م².

أما في عهد المماليك فقد استمر السلاطين على نفس السياسة سواء في بناء المدارس أو محاربة المذهب الشيعي والعمل على استقرار المذاهب السنية، لذلك حرص السلاطين والأمراء على بناء المدارس في مختلف المدن المصرية حتى أصبح عددها لا يحصى، كما قال ابن بطوطة،³ وقد تنافس السلاطين والأمراء في إنشاء المدارس حتى أصبح معروفا عن هذا العهد أن يكون من آثار كل سلطان مدرسة أو أكثر بداية من السلطان عز الدين آيبك إلى السلطان قانصوه الغوري وكأن هذه المدارس من مظاهر السلطة،⁴ وقد كان لكل مدرسة مذهب خاص بها وبعض المدارس كانت تشتمل على أربعة كليات للمذاهب الأربعة، وكانت المدرسة أشبه بمعاهد التعليم العالي اختصت في البداية بالعلوم الشرعية ثم تطوّرت إلى باقي العلوم الدنيوية مثل النحو واللغة والعلوم العقلية.⁵

أما الدراسة في المدارس المملوكية فكانت حرة بمعنى اختيار التلاميذ للشيخ الذين يتحلّقون حولهم ويدرسون عليهم، أما عدد التلاميذ فكان يتفاوت من مدرسة لأخرى حسب ضخامة البناء وسعتها، فمدرسة الناصر حسن بن قلاوون بلغ عدد تلامذتها آنذاك في المذاهب الفقهية الأربعة أربعمئة تلميذ،⁶ أما المواد التي تُدرس فهي متنوعة وتأتي علوم القرآن والحديث وأصول الشريعة

¹ أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين العسقلاني المولد المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل وزير الملك الناصر صلاح الدين، توفي سنة 596هـ، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 158- ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص 139.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص 366- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 162.

³ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر، تح: محمد عبد المنعم العريان، ص 56.

⁴ ابن خلدون، الرحلة، ص 279- السيد النشار، المرجع السابق، ص 79.

⁵ عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر المماليك، المرجع السابق، ص 221.

⁶ محمد كمال الدين عز الدين، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1990 م، ص 56.

الإسلامية في المرتبة الأولى إلى جانب العلوم العقلية من الطب وعلم الأعشاب والفلك وغيرها، وكان السلاطين أو صاحب المدرسة يقوم بتوفير المسكن والراتب للمدرس، وله الحرية الكاملة في اختيار العلماء والمدرسين للعمل في مدرسته من بين المعروفين بالعلم والفضل،¹ ونظرا لكثرة المدارس المملوكية فسناحول التركيز على أهم هذه المدارس.

المدرسة الظاهرية: بناها السلطان الظاهر بيبرس البندقداري سنة 660هـ/1263م²، يخط بين القصرين بالقاهرة وأوقف عليها خزانة كتب وهي تسمى بالمدرسة الظاهرية القديمة تميّزا لها عن المدرسة الظاهرية التي أنشأها السلطان برقوق،³ وقد رتب فيها لتدريس الشافعية القاضي تقي الدين محمد بن حسين بن رزين ولتدريس الحنفية مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر بن عديم ولتدريس الحديث الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الدمياطي.⁴

المدرسة المنصورية: أنشأها السلطان المنصور قلاوون الصالحي سنة 688هـ/1283، ضمن مجموعته التي تضمّ المارستان والقبة والمدرسة بين القصرين بالقاهرة وجعل بها خزانة كتب ورتب بها دروسا للمذاهب الأربعة.⁵

المدرسة الناصرية: بجوار القسبة المنصورية شرع في بنائها السلطان زين الدين كتبغا المنصوري ثم انتزعها منه الناصر محمد بن قلاوون وأتمّ بناءها سنة 703هـ/1303م وجعل بها خزانة كتب وأوقف عليها عدّة أوقاف وعيّن بها مدرسين للمذاهب الأربعة.¹

¹ محمد عبد الستار عثمان، ص119- حياة ناصر حاجي، صورة من الحضارة، المرجع السابق، ص 165.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص 378- ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 120. - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 117، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 264.

³ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص189- ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 120- مجهول، تاريخ مصر و فضائلها، المصدر السابق ص 140 .

⁴ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج13، ص246- ابن شداد عز الدين، تاريخ الملك الظاهر، المصدر السابق، ص 344..

⁵ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 264- بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 85- ابن حجر، رفع الإصر، المصدر السابق، ص65، عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ج5، ص462- مجهول، تاريخ مصر، المصدر السابق ص144.

المدرسة الظاهرية البرقوقية: أنشأها السلطان الظاهر برقوق كتب وجعل فيها مدافن أهله وقد درس بها عبد الرحمن بن خلدون وكانت أول مدرسة تنشأ في عهد المماليك الجراكسة.²

المدرسة الناصرية: أنشأها السلطان فرج بن برقوق على أنقاض المدرسة الجمالية بعد أن هدمها وكان ذلك سنة 812هـ/1409م وجعل بها خزانة كتب، وقد دار صراع كبير حول هذه المدرسة بين آل جمال الدين الأستادار والسلطان فرج بن برقوق.³

المدرسة الأشرفية برسباي: أنشأها السلطان أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري سنة 826هـ/1423م بالقاهرة والحق بها خزانة كتب وجعل بها درسا للمالكية للشيخ عبادة بن علي المالكي.⁴

المدرسة الأشرفية قايتباي: أنشأها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي الحمودي سنة 877هـ/1475م وجعل بها خزانة كتب، كما أنشأ عدّة مدارس أخرى في مدن مختلفة.⁵

المدرسة الغورية: أنشأها السلطان قانصوه الغوري من أواخر السلاطين المماليك بين 908هـ-922هـ/1501م-1516م

وجعل فيها خزانة كتب،⁶ ولم تقتصر عملية إنشاء المدارس على السلاطين فقط بل قام الأمراء أيضا بإنشاء الكثير من المدارس ومنها:

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص380- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص265- ابن تغري بردي، النجوم، ج08، ص208، السيد النشار، المرجع السابق، ص60- حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص281.

² السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص271- ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص113- ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص285، حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص153.

³ المقرئزي، الخطط، ج2، ص401- السيد النشار، المرجع السابق، ص92.

⁴ عبيد الله الشرقاوي، تحفة الناظرين، المصدر السابق، ص109- السخاوي، الضوء، ج3، ص09.

⁵ ابن الوكيل، المصدر السابق، ص68- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ج6، ص310- عبد الرحمان محمود عبد التواب، المرجع السابق، ص150.

⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، المصدر السابق، ج4، ص52- ابن الوكيل، المصدر السابق، ص69- عبد الله الشرقاوي، تحفة الناظرين، المصدر السابق، ص111.

المدرسة المنكوتيرية: أنشأها سيف الدين منكوت الحسامي نائب السلطنة بالقاهرة سنة 698هـ/1298م وجعل بها خزانة كتب وجعل لها وقفا ببلاد الشام.¹

المدرسة الصرغتمشية: أسسها الأمير صرغتمش الناصري سنة 757هـ/1356م بجوار جامع ابن طولون لدراسة المذهب الحنفي، وقد درس بها ابن خلدون.²

مدرسة جمال الدين الأستادار: التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود سنة 797هـ/1395م، خارج باب زويلة وألحق بها خزانة كتب لا يعرف بديار مصر والشام مثلها.³

المدرسة الاستدارية: أنشأها الأمير جمال الدين يوسف بين القصرين بين سنتي 810هـ- 811هـ/1407م-1408م وألحق بها خزانة كتب وأوقف عليها عدّة أوقاف وجعل بها دروس للمذاهب الأربعة وقد هدمها الناصر فرج ابن برقوق وأقام مكانها المدرسة الناصرية.⁴

ومن المدارس التي أنشأها الأمراء المدرسة البهائية التي أنشأها بهاء الدين ابن محمد بن حنا سنة 654هـ/1256م قرب الجامع العتيق⁵، والمدرسة الملكية التي أنشأها سيف الدين آل ملك الناصري سنة 719هـ/1319م،⁶ والمدرسة الطبرسية أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الخزنداري سنة 709هـ/1309م بجوار الجامع الأزهر.⁷

كما قامت الأميرات بإنشاء المدارس مثل المدرسة الحجازية التي أنشأتها خوندتتر الحجازية ابنه السلطان محمد بن قلاوون وجعلت لها خزانة كتب ودروسا للفقهاء الشافعية ودروسا للفقهاء المالكية،

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص387- السيد النشار، المرجع السابق، ص94.

² السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص268- المقرئزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص403- ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص293.

³ المقرئزي، الخطط، ج2، ص395.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص401- المقرئزي، السلوك، ج6، المصدر السابق، ص197- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص468.

⁵ المقرئزي، الخطط، ج2، ص370- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص152.

⁶ المقرئزي، نفسه، ص392.

⁷ السيد النشار، المرجع السابق، ص94- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص159.

¹ وإلى جانب الأمراء فقد شارك بعض العلماء والتجار في إنشاء المدارس والأنفاق عليها، فالشيخ مجد الدين الخليل أنشأ مدرسته الخاصة سنة 663هـ/1265م، أما الشيخ سراج الدين عمر البلقيني فقد أنشأ مدرسته سنة 795هـ/1392م، أما رئيس التجار برهان الدين إبراهيم فقد أنشأ مدرسة المحلى وأنفق على بنائها خمسين ألف دينار.²

إنّ بناء المدارس لم يقتصر على القاهرة فقط بل أنشئت الكثير من المدارس في معظم المدن من أسوان جنوباً إلى الإسكندرية شمالاً، ففي أسوان أنشئت ثلاثة مدارس وفي قوس ست عشرة مدرسة³، وبالإسكندرية 25 مدرسة.⁴

لقد عرفت مصر في العهد المملوكي ظهور العديد من المدارس وقد كان الهدف الأساسي من وراء سياسة الإكثار من المدارس هو خدمة الدين الإسلامي بالدرجة الأولى ثمّ خدمة العلم والعلماء، وقد كان لهذه المدارس دور بارز في ازدهار الحياة العلمية، وبالإضافة إلى هذا الدور العلمي والتعليمي كانت تستخدم لإقامة الشعائر الدينية والوعظ والإرشاد

3-1 الخوانق والربط والزوايا:

الخوانق جمع خانقاه وهي كلمة فارسية تعني محلاً أو بيتاً للتعبّد والزهد والبعد عن الناس، وقد دخلت هذه الكلمة العربية منذ أن انتشر التّصوّف،⁵ وقد كانت الخوانق أماكن للعبادة والتعليم حيث كان يدرس فيها الفقه والحديث والقراءات ومعظم العلوم الشرعية وعلم التّصوف والطّب وغيرها نظراً لما كانت توفره للوافدين والغرباء من مسكن ومأكل وطاقم إداري وتربوي يُشرف على هذه المؤسسات. وقد انتشر هذا النوع من المؤسسات نتيجة لانتشار التّصوّف واتّساع نطاقه في عصر المماليك حيث

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص382.

² السيد النشار، المرجع السابق، ص98- عمر سي عبد القادر، العلاقات الثقافية بين الأندلس ومصر المملوكية، المرجع السابق، ص64.

³ السيد النشار، المرجع السابق، ص100.

⁴ عبد الرحمان بن الأعرج، المرجع السابق، ص194.

⁵ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، المرجع السابق، ص66- المقرئزي، الخطط، ج2، ص414

ازدادت رعاية سلاطين المماليك للصوفية خاصة مع توافد العدد الكبير من رجال التصوّف على مصر واتخاذهم من الخوانق والربط والزوايا مراكز لنشاطهم وتعليمهم لمبادئ الصّوفية.¹

كما أنّ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الصّعبة التي مرّت بها مصر شجّعت أكثر على انتشار الخوانق، حيث كانت تكتظّ أيام الغلاء والقحط لما كانت توفره من الإقامة والغذاء والكساء وكان يُشرف على الخانقاه طاقم إداري مكون من شيخ وإمام مع عدد من الصوفية لخدمة الطّلبة والوافدين على الخانقاه وقد يحدث أن يعين أكثر من شيخ كما فعل السلطان الغوري الذي عين شيخين في مشيخة التصوف بالخانقاه التي أنشأها ولكل موظّف منهم أجره،² وعادة ما كانت الخوانق تنسب إلى السلاطين الذين شاركوا في إنشائها مثل البرقوقية، الناصرية، الأشرفية، الغورية، أو تنسب إلى الأمراء مثل الجمالية وغيرها.³

يعود الفضل إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في إنشاء أوّل خانقاه في مصر حيث حول دار سعيد السعداء إلى خانقاه سنة 569هـ/1173م،⁴ وتولى مشيخة الشيوخ فيها حسن بن علي بن اسماعيل بن يوسف القوي.⁵

كانت الخانقاه مخصصة لتدريس المذهب الشافعي وممن تولى التدريس بها صدر الدين بن حمويه الجويني وتاج الدين بن ينت الأعز، وعلاء الدين القوي، والشيخ صابر الدين حسن البخاري وبدر الدين بن جماعة، وكان يلقب الشيخ في هذه الخانقاه بشيخ الشيوخ.⁶

¹ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 168- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، المرجع السابق، ص 321.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص415- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 169.

³ محمد كمال الدين عز الدين، الحركة العلمية، المرجع السابق، ص 71.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 415- القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 281- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 160.

⁵ المقرئزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، المصدر السابق ص 13.

⁶ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 260.

في عهد المماليك انتشرت الخوانق بشكل واسع ففي عهد الناصر محمد بن قلاوون أنشأ ثمانية خوانق، وكان في القاهرة كما ذكر المقرئزي اثنين وعشرين خانقاه،¹ ومن أهم الخوانق:

خانقاه ركن الدين بيبرس: بناها الأمير ركن الدين بيبرس سنة 707هـ/1306م وبنى إلى جانبها رباطا كبيرا وجعل بجانبها قبة لضريحه وأوقف عليها عدة أوقاف في مصر والشام،² وممن تولّى مشيختها عبد الرحمن بن خلدون³ وهي من أوسع وأتقن الخوانق بالقاهرة.

خانقاه سرية قوس: أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خارج القاهرة وجعل فيها خلوة لمائة صوفي وبنى بجانبها مسجدا وحماما سنة 727هـ/1325م،⁴ ولقب شيخ هذه الخانقاه بشيخ الشيوخ بعد خانقاه سعيد السعداء في العهد الأيوبي.⁵

خانقاه شيخو: أنشأها سيف الدين شيخو⁶ سنة 757هـ/1324م قرب جامع شيخو ورتب فيها فيها أربع دروس على المذاهب الأربعة في الفقه والحديث والتفسير والقراءات وأول من ولي تدريس الشافعية بها بهاء الدين ابن الشيخ تقي الدين السبكي وأول من درس المالكية بها الشيخ خليل صاحب المختصر.⁷

¹ المقرئزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص414

² المقرئزي، الخطط، نفسه، ص416- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص365- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص160.

³ ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص312.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص420- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص260.

⁵ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص38- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص170.

⁶ شيخو بن عبد الله الناصري الأمير سيف الدين كان من كتابية الملك الناصر محمد بن قلاوون، وفي عهد الملك حاجي أصبح أصبح من أعيان الأمراء توفي سنة 758هـ/1357م، ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص257- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص196، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص124.

⁷ المقرئزي، الخطط، ج2، ص421- علي بن داود الصيرفي، المصدر السابق، ص52- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص160.

الخانقاه الظاهرية: أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة 786هـ/1384م وأوقف عليها عدّة أوقاف ورتب فيها عدّة دروس في فقه المذاهب الأربعة.¹

الخانقاه الناصرية: وتعرف بالبرقوقية أنشأها السلطان فرج بن برقوق سنة 813هـ/1410م تنفيذاً لوصية والده السلطان برقوق وكانت أضخم خانقاه بمصر حيث خصصت لتعليم العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير.²

الخانقاه الغورية: أنشأها السلطان قنصوه الغوري في نهاية العهد المملوكي فهو السلطان ما قبل الأخير، وأقام بهذه الخانقاه خزانة كتب.³

لقد جمعت الخوانق بين الدور الاجتماعية والدينية والثقافية وإن كان الهدف الأساسي هو التدريس وبالتالي فكانت تؤدي دور المدرسة ودور المسجد في نفس الوقت.

أما الربط فمفردتها رباط وهي في أصل اللغة الخيل المربوطة في أفنية الدور ثم أطلق على الإقامة في الثغور وملازمتها استعداداً للغزوات والجهاد،⁴ وعندما تراجع الجهاد تحوّل الرباط إلى الدور الديني ومأوى للزهاد والمنقطعين للعبادة والعلم.⁵

وقد اهتم المماليك بهذا النوع من المؤسسات الدينية والاجتماعية نظراً لما كانت تؤديه من خدمات اجتماعية وثقافية لفئات مختلفة من المجتمع، حيث وجدت أربطة خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال،⁶ ومن أبرز الأربطة التي أنشئت في العهد المملوكي رباط البغدادية الذي أنشئ سنة

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 418- ابن الوكيل، المصدر السابق، ص 65- السخاوي، الضوء، المصدر السابق، ج3، ص12- عبد الله الشوقاوي، تحفة الناظرين، المصدر السابق، ص 107.

² ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص168- السيد النشار، المرجع السابق، ص 105.

³ ابن الوكيل، تحفة الأحباب، المصدر السابق، ص 79- السيد النشار، نفسه، ص104- وليم موير، تاريخ دولة المماليك، المرجع السابق، ص 183.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص427- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 164.

⁵ السيد النشار، المرجع السابق، ص 104.

⁶ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 188.

684هـ/1285م للشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية بنت ابنة السلطان الظاهر بيبرس تذكّار باي خاتون بالقرب من خانقاه سرياقوس.¹

أمّا رباط ابن أبي منصور فقد أنشئ للشيخ الصوفي صفي الدين الحسين بن علي ابن أبي منصور المالكي،² ورباط الآثار الذي أنشأه الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب،³ وعرف بالآثار لأن فيه قطعتين من الخشب والحديد يُقال أنّهما من آثار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتراها الصاحب بمبلغ ستين ألف درهم، وقرر فيه السلطان الأشرف شعبان درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا كما أوقف عليه السلطان الظاهر برقوق قطعة أرض.⁴

وهكذا فإنّ الرباط جمع بين الوظيفة الدينية باعتباره مكانا لإقامة العبادات والوظيفة التعليمية باعتباره مدرسة ووظيفة اجتماعية لأنه مأوى للفقراء والطلاب والغرباء.

أمّا الزوايا فهي جمع زاوية وتعني الركن من الدار أو المكان، ثمّ أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي تتسع لأشخاص قليلين وتعد لإقامة بعض الصالحين من الصوفية والخدم والأيتام وغيرهم من أهل الصلاح والورع.⁵ وفي العصر المملوكي انتشرت الزوايا كنوع خاص من أنواع منشآت التصوف وكانت وكانت الزوايا تنشأ لشخص معيّن ينقطع فيها للعبادة وله أتباع ومريدون ، وقد كان لهؤلاء مكانة خاصة لدى بعض السلاطين الذين كان لهم اعتقادا كبيرا في رجال التصوّف ومنهم الظاهر بيبرس

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص428- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 165.

² المقرئزي، نفسه، ونفس الصفحة

³ الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدّين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ولد سنة 640هـ سمع من سبط السلفي وحدث وإليه انتهت رئاسة عصره، توفي سنة 707هـ يُنظر المقرئزي، السلوك، ج2، ص 419.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص429- السيوطي جلال الدّين، حسن المحاضرة، ج2، ص273- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 164.

⁵ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 430- السيد النشار، المرجع السابق، ص 104- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص

الذي كان يقدر الشيخ خضر بن أبي بكر،¹ ويلازمه ويستشيريه في أمور كثيرة وقد بنى له زاوية،² كما كان للسلطان قايتباي اعتقاد تام في المشايخ والصالحين، فقد كان له في الشيخ عبد القادر الدشطوطي غاية الاعتقاد، فكان السلطان يمثل أمره كما كان يقبل يده،³ ومن أبرز الزوايا في عهد المماليك زاوية الشيخ خضر التي أنشأها الظاهر بيبرس خارج القاهرة وأوقف عليها أوقافا كثيرة.⁴ ومنها زاوية الدمياطي أنشأها الأمير عز الدين أيك الدمياطي الصالح في أيام الملك الظاهر بيبرس ودفن بها سنة 676هـ/1277م⁵

وزاوية الركاكي للشيخ ابن عبد الله الركاكي المغربي المالكي والتي أقام بها وتبرك الناس به توفي سنة 794هـ/1393م.⁶

كما أنشأ الملك الظاهر عددا كبيرا من الزوايا في مصر وخارجها منها زاوية بالقدس، وزاوية بدمشق وزاوية بعلبك وزاوية حماة وأخرى بجمص وأوقف عليها الأوقاف.⁷

أما السلطان قايتباي فقد أنشأ زاوية للشيخ محمود العجمي وجعل بها فقراء مقيمين، ومن الزوايا المملوكية أيضا زاوية ابن منظور العسقلاني العوفي المتوفي سنة 696هـ/1296م⁸ ، وزاوية الشيخ

¹ الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى أبو العباس المهراي شيخ الملك الظاهر الذي كانت له معه صحبة وكان يلازمه ويستشيريه في أمور كثيرة توفي سنة 675هـ/1274م، ينظر: المقريري، السلوك، ج2، ص102- ابن شداد عز الدين، تاريخ الملك الظاهر، المصدر السابق، ص 272.

² ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص276- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج13، ص 282.

³ عبد الرحمن محمود عبد التواب، المرجع السابق، ص 41.

⁴ المقريري، الخطط، ج2، ص 430.

⁵ المقريري، الخطط، نفسه، ج2، ص 430.

⁶ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 134- شمس الدين السخاوي، وجيز الكلام، المصدر السابق، ج1، ص314- أحمد

أحمد بن محمد المقرري، روضة الآس العاظرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1983م، ص 315.

⁷ ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص173.

⁸ المقريري، الخطط، ج2، المصدر السابق، ص 432.

برهان الدين ابراهيم بن معطاه بن شدّدا الجعيري المتوفي سنة 687هـ/1288م،¹ وزاوية الحلاوي بالقرب من الجامع الأزهر أنشأها الشيخ مبارك الهندي السعودي الحلاوي سنة 688هـ/1286م وأقام بها حتى وفاته،² وقد كانت الزوايا تختلف باختلاف الشيوخ والطريقة الخاصة بها، فبعضها خاص بالتصوف وسماع القرآن الكريم والحديث، وأخرى اقتصرت على أصحاب الحاجة والمعوزين وكان هذا الاختلاف حسب وصية الواقف، وكان البعض الآخر يوصي بأن يدفن فيها، ومن هنا نستنتج أنّ الزوايا كانت تؤدي عدّة وظائف تعليمية واجتماعية لطلاب العلم والفقراء، كما كانت مركزا صوفيا لمن أراد الانقطاع للعبادة والزهد

1-5 المؤسسات الأخرى:

1 البيمارستانات: كلمة فارسية مركّبة من مقطعين "بيمار" بمعنى مريض و"ستان" بمعنى دار لمعالجة المرض أي مستشفى،³ وقد اهتمّ سلاطين المماليك بإنشاء هذه المؤسسات والإنفاق عليها وتزويدها بكل الوسائل مثل الأدوية والأطباء والكتب، باعتبار أنّ البيمارستان لم يقتصر دوره على علاج المرضى بل كان عبارة عن مدرسة لتدريس الطب⁴، وقد ظهرت هذه المؤسسات قبل قيام الدولة المملوكية إذ يرجع البعض منها إلى العهد الطولوني حيث أنشأ أحمد بن طولون البيمارستان الأعلى سنة 259هـ/871م،⁵ وقد كان بمثابة مستشفى وكلية للطب فقد زوّده بخزانة كتب ضمّت ما يزيد

¹ المقرئزي، السلوك، ج2، ص 209- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص523- ابن العماد، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 678.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص 432.

³ المقرئزي، الخطط، ج2، نفسه، ص 405- محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 41- أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص 241.

⁴ السيد النشار، المرجع السابق، ص 101.

⁵ ابن تغري بردي، النجوم، المصدر السابق، ج4، ص 101- أحمد عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 112- سيدة اسماعيل كاشف، موسوعة تاريخ مصر، المرجع السابق، ص 159.

يزيد عن مائة ألف مجلد وحبس عليه سوق الرقيق وأنفق عليه ألف دينار،¹ وقد استمر هذا اليمارستان في تأدية واجبه حتى العهد المملوكي.

أما اليمارستان الصالحي أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 384هـ/994م عندما حكم مصر حيث حوّل قاعة في القصر الفاطمي إلى يمارستان.²

أما في عهد المماليك فقد حرص السلاطين على إنشاء اليمارستانات ومن أبرزها:

اليمارستان المنصوري: الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون الصالحي سنة 683هـ/1284م وحبس عليه الأوقاف وجعل به خزانة كتب،³ أما سبب بناء هذا اليمارستان فيعود إلى أنّ المنصور قلاوون لما توجه وهو أمير إلى الشام لغزو الروم أيام الظاهر بيبرس مرض فعالجه الأطباء بأدوية أخذت من اليمارستان نور الدين بدمشق، وعندما شاهده أعجب به ونذر إذا أعطاه الله الملك بيني يمارستان،⁴ و اشترط أن يتخصص في تعليم الطب، وقد كان مكوناً من أجنحة يختص كل جناح بعلاج مرض من الأمراض، وكانت تشرف عليه هيئة طبية وإدارية، كما توجد به معامل كيميائية وصيدلية وحمامات،⁵ ويعتبر هذا اليمارستان من أجمل وأحسن اليمارستانات في مصر من حيث كثرة الأوقاف وتنوع الخدمات،⁶ وقد كان مفتوحاً للجميع حسب ما نصّت عليه وثيقة الوقف، "وهذا اليمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثريين والفقراء المحتاجين

¹ أحمد عيسى، تاريخ اليمارستانات في الإسلام، دار الرشد العربي، بيروت، 1981 م، ص 56.

² أحمد عيسى، نفسه، ص 76.

³ حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 206- ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 326- عبد الرحمان زكي، العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 15، مدريد 1970 م، ص 125.

⁴ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 406- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 211.

⁵ المقرئزي، نفسه، نفس الصفحة، - حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 278

⁶ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 206- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 56.

بالقاهرة ومصر وضواحيهما من المقيمين بهما والواردين إليهما من البلاد والأعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم...¹

البيمارستان المؤيدي: أسسه السلطان المؤيد الشيخ سنة 821هـ/1418م وجعل له أوقافا كثيرة.²

2 - التربة والمدافن والقباب:

التربة هي الأماكن التي خصصت لدفن سلاطين المماليك بعد موتهم، وكانت تقام بجوار المساجد والمدارس، ويزودونها بجميع المرافق الضرورية وقاعات واسعة، ولم تكن هذه المنشآت مجرد مدافن للسلطين وأسرههم بل تم استغلالها لخدمة العلم والدين فهي مكان لقراءة القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية بصفة عامة لذلك كانت تلحق بها مكتبات تشتمل على كتب دينية.³

ومن أشهر هذه التربة والقباب، القبة المنصورية التي أنشأها السلطان المنصور قلاوون سنة 683هـ/1284م وخصّها بدرس للحديث وآخر للتفسير وأوقف عليها خزانة كتب وعين لها من يقوم بخدمتها.⁴ وتربة السلطان برسباي الدقماقي الظاهري التي أوقف عليها عدّة أوقاف وخزانة كتب وقبة الناصر محمد بن قلاوون التي أنشأها بجوار المدرسة الناصرية،⁵ وقد تولّى مشيختها أبو عبد الله شمس الدين المالكي المتوفى سنة 848هـ/1466م.

هكذا فقد أدت هذه المنشآت دورا هاما في الحياة الثقافية في عصر المماليك خاصة وأنها كانت تلحق بها خزانة كتب وتخصص لها أوقافا للاعتناء بها.

¹ حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 218.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص 408- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310. - بدر الدين العيني، المصدر السابق، ص 272.

³ المقرئزي، الخطط، ج2، ص 380- السيد النشار، المرجع السابق، ص 107.

⁴ ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 325- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 210- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 279، عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 126.

⁵ حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 281

3 المكتبات: منذ أن ظهر الإسلام نشطت الحركة الفكرية وبدأت المكتبات في الانتشار في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد كان المسلمون مولعين باقتناء الكتب حيث ألحقت المكتبات بمنزل العلماء و قصور الخلفاء خاصة وأنها تزامنت مع ظهور المساجد لذلك أصبحت علامة مميزة للمساجد والمدارس ومن المرافق الضرورية لهذه المؤسسات.

وتذكر المصادر أن أول من أقام خزانة للكتب هو علي بن يحيى بن المنجم،¹ وسماها خزانة الحكمة وكان يقصدها الناس من كل مكان، وقد عرفت مصر في العهد الفاطمي نهضة مكتبية كان هدفها نشر الدعوة الشيعية، ففي عهد المعز لدين الله الفاطمي ظهرت أول مكتبة، أما في العهد الأيوبي فقد عمل صلاح الدين على القضاء على مكتباتهم وذلك في إطار محاربة المذهب الشيعي.²

وفي عصر المماليك اهتم السلاطين بإنشاء مكتبات بأنواعها الخاصة والعامة مثل مكتبة القلعة حيث مقر السلطة المركزية والتي كانت تضم مجموعة كبيرة من الكتب والمجلدات في مختلف العلوم.³

لقد كان السلاطين وحتى الأغنياء والعلماء والفقهاء وحتى عامة الشعب حارصين على امتلاك خزائن الكتب في قصورهم ومثال ذلك الأمير تغري برمش سيف الدين الجلاي الناصري المتوفى سنة 852هـ/1449م الذي كان يملك خزانة كتب عامة خاصة في علم الحديث.⁴

أما المؤسسات التعليمية والدينية فكانت مزودة هي الأخرى بمكتبات وخزائن للكتب حيث اهتم السلاطين والأمراء بوقف الكتب والمصاحف على المساجد والزوايا والمدارس، خاصة وأن الإسلام دعا إلى تعمير المساجد لذلك حرص الناس على تحبيس الكتب، الآية: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ

¹ علي بن يحيى بن المنجم أبو الحسن كان أبوه يحيى أول من خدم المأمون وكان ابنه من خواص المتوكل، كان شاعرا راوية علامة، وفي سنة 265هـ، ينظر: أيمن شاهين، المدارس الإسلامية، المرجع السابق، ص 24.

² عبادة كحيل، العقد الثمين، المرجع السابق، ص 298.

³ بيبس الدوادر، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 298.

⁴ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، المصدر السابق، ص 33.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ " 1

وقد كانت المساجد مركزا للتعليم حيث تُعقد فيها مجالس العلم وحلقات الدراسة والكتب تعتبر ركنا أساسيا في التعليم لحاجة الطلبة والأساتذة إليها ولم تقتصر خزائن الكتب على المساجد فقط بل تعدت ذلك إلى المدارس والزوايا والربط والخوانق والبيمارستانات وحتى التراب والقباب لما كانت تقوم به من وظيفة التعليم ومن أبرز مكتبات المساجد في مصر مكتبة جامع ابن طولون² ومكتبة جامع الأزهر التي جددت عدّة مرات كان آخرها ما أوقفه عليها المماليك ن كتب ومنها أيضا مكتبة الجامع الظاهر التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة 665هـ/1263م ومكتبة الجامع المؤيدي التي أنشأها السلطان المؤيد شيخ المحمودي والتي كانت تحتوي نفائس الكتب في مختلف العلوم.³

أما مكتبات المدارس فكانت تلحق بالمدارس لأنها تعتبر معاهد للتعليم لذلك كانت هي الأخرى تزود بالكتب المختلفة، ومن أبرزها مكتبة المدرسة الظاهرية،⁴ ومكتبة مدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد وكانت من أكبر مكتبات المدارس المملوكية، ومكتبة المدرسة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود سنة 797هـ/1395م وهي من أهم خزائن الكتب في مصر والشام لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة.⁵

أما خزانة الكتب في المدرسة الصرغتمشية فقد احتوت كثير من الكتب القيمة في الفقه الحنفي والحديث وغيرها من العلوم الشرعية واللغوية.⁶

1 سورة التوبة، الآية 18.

2 المقرئزي، الخطط، ج2، ص 267- أحمد عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 133

3 ابن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ص 310- السيد النشار، المرجع السابق، ص 86.

4 ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 120- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 17- حميدي عبد المنعم،

المرجع السابق، ص 275.

5 المقرئزي، الخطط، ج2، المصدر السابق، ص 395- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 158.

6 حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 190.

وكانت المكتبات تتحصل على جديد الكتب إما عن طريق الهدايا أو الهبات، وكان يتولى مصالح المكتبة أمينا أو خازن الكتب يقوم باقتناء الكتب وحفظها، وقد حرص الواقفون على أن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء ليكون عوناً للباحثين.¹

وهكذا فقد شهد عصر المماليك جميع أنواع المكتبات التي وفرت لها جميع الشروط والإجراءات الإدارية لتسهيل الاستفادة منها، هذا الاهتمام بخزائن الكتب دليل على ازدهار الفكري والعلمي الذي وصلت إليه بلاد المشرق في العهد المملوكي.

2 أصناف العلوم: تنقسم العلوم إلى مجموعتين: علوم نقلية تشتمل على العلوم الشرعية أو الدينية واللغة العربية، وعلوم عقلية تشتمل على الفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والعلوم الطبيعية، وقد كان ازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أثراً إيجابياً على الحياة العلمية والفكرية في دولة المماليك في ظل تشجيع السلاطين والأمراء ورعايتهم للعلم والعلماء والإنفاق على المؤسسات الثقافية والدينية.

2-1 العلوم النقلية:

2-1-1 العلوم الشرعية:

هي من أبرز العلوم النقلية التي عرفت ازدهارا وتطورا انتشارا كبيرا في مصر في عهد المماليك باعتبارها ضرورية في حياة الإنسان المسلم بل أنّ علماء الشريعة هم حياة الأمة، وتضمّ هذه العلوم عدّة فروع منها علم القراءات وعلم التفسير وعلم الحديث والفقّه وأصوله.²

لقد شهدت هذه الفروع تطورا كبيرا في عصر المماليك بعد أن أصبحت مصر مقصدا للعلماء والطلّاب بعد تراجع دور العراق بسبب الهجمات المغولية والصليبية ثم تراجع دور الأندلس بعد

¹ حاجي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة الإسلامية، دار العطاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999 م، ص 164- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 134.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 551- القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، المصدر السابق، ص 470.

سقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى،¹ وقد ظهر في مصر في هذه المرحلة عدد كبير من العلماء والفقهاء من أبرزهم:

الفقيه ابن رزين قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسن الشافعي، برع في الفقه والعربية والأصول وشارك في المنطق وعلم الكلام والحديث، أخذ القراءات عن السخاوي درس بالظاهرية توفي سنة 680هـ/1281م.²

عز الدين بن عبد السلام أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسليمان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد بدمشق زار بغداد ثم عاد إلى دمشق فتولّى الخطابة والتدريس بزواية الغزالي ثم الخطابة بالجامع الأموي، ثم رحل إلى مصر في عهد نجم الدين أيوب الذي بالغ في احترامه وولاه القضاء في مصر وكان جامعاً لعدة علوم توفي سنة 660هـ/1261م وشهد جنازته الظاهر بيبرس ومن مؤلفاته الإشارة والإيجار في بعض أنواع المجاز في القرآن، آمالي في تفسير القرآن، الإمام في أدلة الأحكام.³

¹ السيد النشار، المرجع السابق، ص 56.

² محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3، تح: أبو مهاجر محمد السعيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م، ص 345- ابن العماد، شذرات، المصدر السابق، ج3، ص 642- أبو محمد عبد الله بن سلمان، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة من يعتبر من حوادث الزمان، ج4، تح: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م، ص 192.

³ ابن قنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص 327- ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 208- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أساليب الكتب والفنون، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 438- ابن العماد، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 521، عبد الله الشرقاوي، تحفة الناظرين، المصدر السابق، ص 97.

ابن دقيق العيد تقي الدين: أبو الفتح محمد بن علي بن وهب كان إماماً محدثاً مجوداً عارفاً بالمذهبين درّس بدار الحديث الكاملة وتولى قضاء القضاة بمصر، من مؤلفاته شرح العمدة، الإمام في أحاديث الأحكام، الاقتراح في علوم الحديث، توفي سنة 702هـ/1302م.¹

ابن الصباغ الشافعي: شيخ القراء بالديار المصرية قرأ الشاطبية على كمال الغرير والكمال على مصنفه ابن فارس أخذ عنه خلق كثير وكان ذا دين وخير وفضيلة توفي سنة 725هـ/1325م.²

تقي الدين ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني: الحنبلي فقيه ومحدث اعتنى بطلب الحديث والفقهاء وعلم الكلام صاحب المؤلفات العديدة جدا من أبرزها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الجواب الباهر في زوار المقابر، جوامع الكلم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، فضائل أبي بكر وعمر توفي سنة 728هـ/1328م.³

محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي المصري أبو امامة بن النقاش، كان فقيهاً نحويًا شاعرا له عدّة مؤلّفات منها تفسير مطولا التزم ألا ينقل فيه حرفا من أحد، كما له شرح التسهيل، وشرح الألفية وشرح العمدة، توفي سنة 763هـ/1361م.⁴

جلال الدين بن أحمد بن يوسف التبريزي: الشهير بالتباني أخذ الفقه عن العلامة قوام الدين الكاكي والعريية عن جمال الدين ابن هشام والشيخ شهاب الدين بن عقيل، كان فقيهاً أصولياً نحويًا

¹ صلاح الدين ابن آبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، تح: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000 م، ص 194- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج16، ص 143- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 317.

² الذهبي محمد بن أحمد، ذبول العبر في خبر من عبر، ج4، تح: أبو مهاجر محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م، ص 73، ابن العماد، شذرات، ج8، ص 123.

³ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 541- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 142- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 144، الشوكاني، البدر الطالع، المصدر السابق، ج1، ص 46.

⁴ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 183- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج14، ص 306.

بارعا اشتغل بالفتوى وولي تدريس الصرغتمشية ومدرسة السيف الجاي،¹ من مؤلفاته شرح المنار وشرح مختصر على ايضاح ابن الحاجب ورسالة في البسمة وأخرى في الفرق بين الفرض العملي والواجب توفي سنة 763هـ/1361م.²

تقي الدين السبكي أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الفقيه المحدث الحافظ المفسر النحوي اللغوي والأديب أخذ الفقه على يد شرف الدين الدمياطي والنحو على أبي حيان الغرناطي له عدّة مصنفات منها الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، الابتهاج في شرح المنهاج، توفي سنة 756هـ/1355م.³

محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف أبو البقاء السبكي بهاء الدين أخذ الفقه على علاء الدين القونوي وأخذ النحو عن أبي حيان الغرناطي ولازمه وسمع الحديث على الحجار وناب عن قريبه الشيخ تقي الدين السبكي في الحكم ولي قضاء دمشق ثم دخل القاهرة وولي وكالة بيت المال وناب في الحكم عن عز الدين ابن جماعة ثم ولي قضاء العسكر، توفي سنة 777هـ/1376م.⁴

عز الدين بن جماعة بن أبي عمر عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدين بن عمر بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدمشقي المولد المصري الشافعي أخذ عن عدة شيوخ بلغ عددهم ألفا

¹ مدرسة الجاي خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل أنشأها الأمير سيف الدين جاي 768هـ/1367م وجعل بها درسا لفقهاء الشافعية وأخرى للحنفية وخزانة كتب، ينظر: المقرئ، الخطط، ج3، ص 528.

² أبو الفداء زين الدين، تاج التراجم، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، 1996 م، ص 148، الشوكاني، البدر الطالع، ص 129.

³ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 321- شمس الدين السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 82- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 320- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج32، ص 166- شمس الدين ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ص 487.

⁴ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص 173- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 152- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 437.

وثلاثمائة له عدة مؤلفات منها تخریج أحاديث الرافعي، المناسك الكبرى والصغرى، توفي سنة 767هـ/1365م.¹

ولي الدين أبي زرعة أحمد بن حافظ العصر شيخ الإسلام عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، رحل إلى الشام وأخذ عن عدد من العلماء أمثال جمال الدين الإسنوي وشهاب الدين بن النقيب، درس بالجامع الطولوني، وولي قضاء الديار المصرية، من مؤلفاته النكت على المختصرات الثلاثة، جمع فيها بين التوشیح للقاضي تاج الدين السبكي، وبين تصحيح الحاوي لابن الملتن وحاشية الروضة للبلقيني، توفي سنة 826هـ/1423م.²

محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن الحسن بن غانم الطائي: الفقيه المحدث تولى تدريس المالكية بمدرسة جمال الدين الاستادار ثم مشيخة تربة الملك الناصر ثم تدريس البروقية والشيخونية كما تولى القضاء بالديار المصرية أخذ عنه عدد كبير من العلماء منهم القلصادي وجمال الدين السيوطي وقاضي مكة محي الدين المالكي، من مؤلفاته، التقى في الفقه، وشفاء الغليل في شرح مختصر خليل، وشرح ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 842هـ/1438م.³

إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي: برهان الدين بن كمال الدين المعروف بابن عبد الحق، أخذ الأصول والعربية عن ظهير الدين الرومي، رحل إلى القاهرة وأخذ عن ابن دقيق العيد وأذن له بالإفتاء وسمع على أبيه كمال الدين وعمه نجم الدين إسماعيل وتصدر للتدريس بدمشق ثم ولاه الناصر محمد بن قلاوون القضاء بالديار المصرية من مؤلفاته شرح الهداية، وصنف المنتقى في

¹ ابن قنفذ، الوفيات، ص366- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 378- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 250، ابن العماد، شذرات، ج8، ص 358.

² ابن العماد، شذرات، المصدر السابق ج9، ص 251- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 51- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 336، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 363.

³ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 32- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ج1، ص 511- السخاوي، الضوء، ج7،

فروع المسائل، ونوازل الوقائع واختصر السنن الكبرى، للبيهقي، واختصر التحقيق لابن الجوزي توفي سنة 844هـ/1442م.¹

ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن محمد: الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر، أخذ عن علماء القاهرة ثم رحل وأخذ عن علماء بيت المقدس ودمشق واليمن ومكة، برع في الفقه والعربية درس بخانقاه ببيرس ودار الحديث الكاملية ثم ولي قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية، من مؤلفاته تطبيق التعليق، وشرح البخاري سماه فتح الباري، وكتاب تقريب الغريب، والإصابة في تمييز الصحابة، طبقات الحفاظ الدرر الكامنة وغيرها من المؤلفات الكثيرة جدا، توفي سنة 852هـ/1448م.²

علاء الدين أبو الفتوح علي بن أحمد بن إسماعيل ابن علي القلقشندي: الشافعي ولد بالقاهرة سنة 788هـ/1386م وحفظ القرآن وبرع في الفقه والأصول والعربية والقراءات، تصدر للإفتاء والتدريس وطلب إلى قضاء دمشق فامتنع ورشح لقضاء القضاة بالديار المصرية غير مرة، توفي سنة 856هـ/1452م.³

شمس الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمن السخاوي: القاهري الشافعي حفظ القرآن الكريم وأخذ عن جلال الدين البلقيني وسمع من الحافظ بن حجر الحديث رحل إلى الحجاز وبيت المقدس وبلاد الشام له عدة مؤلفات فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر،

¹ المقرئ تقي الدين، المقفى الكبير، ج1، المصدر السابق، ص 197- ابن حجر، الدرر، ج1، ص 46- أبو الفداء، تاج التراجم، المصدر السابق، ص 90.

² ابن العماد، شذرات، ج9، ص 395- خير الدين الزركلي، الاعلام، ج1، ص 178- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 61، القصادي، المصدر السابق، ص 153- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 64- السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص 622، السخاوي محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل الملوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (دت) ص 230

³ ابن العماد، شذرات، ج9، ص 422- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 161- جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتي، المطبعة العلمية، بيروت، 1927، ص 130.

شرح العمدة لابن دقيق العيد، كما ألف في التاريخ الضوء اللامع و التاريخ المحيط و وجيز الكلام، والأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل، توفي سنة 902هـ/1495م.¹

جلال الدين السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحضري: السيوطي ولد سنة 849هـ/1445م مؤرخ وأديب رحل لطلب العلم فزار الحجاز وبلاد الشام واليمن والتكرور، وكان على دراية بعدة علوم كالتفسير والفقه والنحو درّس بالجامع الطولوني والشيخونية وتولى مشيخة التصوف بتربة برقوق ومشيخة الخانقاه له نحو 600 مصنف منها الإتقان في علوم القرآن، تاريخ الخلفاء، طبقات الحفاظ، حسن المحاضرة، بغية الوعاة، توفي سنة 911هـ/1505م.²

2-1-2 التّصوّف:

انتشر التّصوّف في مصر في عهد المماليك انتشارا واسعا وأصبح ظاهرة اجتماعية ودينية استفاد منها الكثير من المجتمع المصري خاصّة الفقراء منهم، ومما ساعد على انتشار التيار الصوفي في مصر هو هجرة الكثير من رجال التصوف من المغرب والأندلس إلى مصر، من هؤلاء أبو الحسن الشاذلي المتوفي سنة 656هـ/1257م شيخ الطريقة الشاذلية³، وابن العباس المرسي نزيل الإسكندرية والمتوفي سنة 686هـ/1287م والذي أصبح شيخا للطريقة الشاذلية بعد وفاة شيخه أبي الحسن،⁴ وابن القاسم القباري المتوفي سنة 662هـ/1263م⁵، وعمل هؤلاء على نشر أفكارهم في أوساط المجتمع المصري، ومن العوامل المساعدة أيضا تقرب السلاطين من الصوفية، والعطف على الشيوخ وبناء

¹ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 2و، 3- السخاوي، وجيز الكلام، ص07- السيوطي جلال الدين، نظم العقيان، ص153، ابن العماد، شذرات، ج10، ص 23.

² السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج2، ص 335- أحمد بن القاضي، لفظ الفوائد في لفاظة حقق الفوائد، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 م، ص 819- ابن العماد، شذرات، المصدر السابق ج10، ص 74- ابن القاضي، درة المجال، ج3، ص 92.

³ ابن العماد، شذرات، المصدر السابق، ج7، ص 481- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 520- ابن قنفذ، الوفيات، ص 323.

⁴ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 190.

⁵ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 51.

الخانقاوات وتحييس الأوقاف عليها، فالسلطان الملك الظاهر بيبرس كان كثير الإحسان إلى مشايخ الصوفية سواء كانوا أحياء أو أمواتا فقد زار الشيخ أبا العباس المرسي في قبره وبني ضريحه، كما قام ببناء زاوية للشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراي¹.

أما السلطان برقوق فقد رتب بالمدارس التي أنشأها عددا من الصوفية وقرر لهم مرتبات،² هذا الاهتمام بشيوخ التصوف ساعد على انتشار التصوف وظهور طرقة المتعددة حيث كان لكل طريقة مجموعة من الزوايا، ومن أبرزها الطريقة الرفاعية التي تُنسب إلى الإمام أحمد الرفاعي المتوفي سنة 575هـ/1182م، والطريقة القادرية والأحمدية،³ ومن أشهر رجال التصوف في عصر المماليك:

أمين الدين بن عثمان بن علي بن سلمان المعروف بأمين الدين السلماني فقيه وشاعر وأديب صوفي، توفي سنة 670هـ/1271م.⁴

أحمد بن أبي بكر بن عوام بهاء الدين أبو العباس الأسواني: الإسكندري فقيه ومحدث ومتصوف، أخذ التصوف عن أبي العباس المرسي له عدة مصنفات في العربية والفقه وولي نظر الأعباس بالإسكندرية وأمه بنت الشيخ أبي الحسن الشاذلي توفي سنة 720هـ/1320م.⁵

ابن عطاء الله السكندري: تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري صاحب الشيخ أبا العباس المرسي، كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه وكانت له جلاله عجيبة ووقع في النفوس

¹ ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، المصدر السابق، ص 272.

² سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص 321.

³ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 185 - أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المرجع السابق، ص 04.

⁴ ابن تغري بردي، النجوم، ج 7، ص 223.

⁵ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 299.

ومشاركة في الفضائل، من مؤلفاته لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي، وشيخه الشاذلي أبي الحسن، وكتاب الحكم العطائية توفي سنة 709هـ/1309م.¹

طلحة المغربي المجدوب: كان للملك الظاهر برقوق فيه اعتقاد كبير، وكانت إقامته في قلعة الجبل عند السلطان توفي سنة 694هـ/1294م ودفن بالموضع الذي هو الآن تربة الملك الظاهر برقوق، و هو من أحد الشيوخ الذين أوصى السلطان برقوق أن يدفن تحت أرجلهم.²

محمد بن عبد الله بن إبراهيم المرشدي: كان أعجوبة زمانه وإمام عصره وحجة دهره، كان يقيم بزاوية بقربة المرشد قرب الإسكندرية، صاحب كرامات عديدة التقى به الشيخ أبو العباس أحمد بن

محمد بن مرزوق وابنه عبد الله الخطيب توفي سنة 737هـ/1337م.³

بو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي: الشافعي مصنف الامتناع في أحكام السماع والطالع السعيد في التاريخ الصعيد، والبدر السافر في تحفة المسافر، توفي سنة 748هـ/1347م ودفن بمقبرة الصوفية.⁴

عبد الله المنوفي عبد الله بن محمد بن سلمان: المغربي الأصل المالكي ثم المصري فقيه وعالم

زاهد متصوف، للناس فيه اعتقاد كبير ومحبة، أخذ عن الشيخ خليل صاحب المختصر توفي سنة 748هـ/1348م.⁵

¹ ابن العماد، شذرات، ج8، ص 36- الذهبي، ذيول العبر، ج4، ص 21- ابن حجر، الدرر، ج1، ص 273- محمد بن مخلوف، ج1، ص 204.

² ابن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر، ج6، ص 433- المقرئ، درر العقود الفريدة، ج2، ص 200- المقرئ، السلوك، ج5، ص 329.

³ أبو عبد الله ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 257- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 203- الذهبي، ذيول العبر، ص108- شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص 282.

⁴ السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 31- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص ???

⁵ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 90- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 205- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص119.

سيدي محمد المالكي: العارف بالله بن محمد بن محمد المالكي المذهب الشاذلي الطريقة طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، قدم مصر وسكن الروضة على شاطئ النيل، توفي سنة 765هـ/1361م.¹

علي بن محمد المعروف بسيدي علي: الإسكندري الأصل الشاذلي الطريقة له عدة أتباع من مؤلفاته، الباعث على الخلاص من أحوال الخواص، وكتاب تفسير القرآن وكتاب الكوثر المترع من الأجر الأربع في الفقه وله ديوان شعر توفي سنة 807هـ/1404م.²

جلال الدين نصر الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل: المعروف بالشيخ نصر الله العجمي الحنفي البخاري، برع في علم الحكمة والتصوف وشارك في عدة فنون وكان يتكلم في علم التصوف على طريقة ابن عربي، أوقف داره وجعلها رباطاً يأوي إليه الفقراء والغرباء والمريدون، أوقف عليه كتباً من مؤلفاته كتاب لطائف الغيوب في معرفة الأذكار المجلية للقلوب، وكتاب ميزان التحرير لما احتمل من القسم من المقادير، وكتاب مرآة النور ومرقاة الجمهور، وكتب أخرى كثيرة، توفي سنة 833هـ/1431م.³

أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن خالد الشيخ شهاب الدين الأبخطي القاهري الشافعي العلامة الصالح الزاهد الولي الكبير له تصانيف كثيرة ما بين منظومة ومنشورة، رحل إلى المدينة المنورة وأقام بها حتى وفاته سنة 888هـ/1484م.⁴

¹ ابن العماد، شذرات، ج8، ص 352

² المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج2، ص 473 - شمس الدين السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 379.

³ المقرئزي، درر العقود، ج3، ص 506 - السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص 198 - ابن العماد، شذرات، ج9، ص 299.

⁴ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 530 - السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 244 - المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج1، ص 385.

عرف التصوف في مصر على عصر المماليك تطورا كبيرا متأثرا بالتطور الحاصل في مجال العلوم والحياة الدينية والفكرية حيث أصبحت مصر ملتقى العلماء ورجال الفكر والدين، كما تأثر التصوف في مصر بشخصيات صوفية من بلاد المغرب كان لها دور بارز في حركة التصوف في المغرب والمشرق.

2-1-3 علوم الأدب واللغة:

عرفت مرحلة المماليك بمصر تطورا وازدهارا كبيرين في علوم اللغة والأدب كعلمي النحو و الصرف وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض وعلم قوانين الخطاب،¹ وكان أهل مصر وخاصة العلماء والطلاب يهتمون بهذه العلوم نظرا لدورها الكبير في فهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعلاقتها الوطيدة بباقي العلوم الشرعية، وقد كان لسلطين المماليك دور بارز في هذا التطور بفضل اهتمامهم بالجانب الأدبي وتنافسهم في تقريب الأدباء والشعراء من مجالسهم بل كان بعضهم يُجيد هذا الفن كما هو الحال للناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون الذي كان يجب أهل الأدب والشعر وقد قرب إليه الشاعر شهاب الدين ابن أبي حجلة المغربي وجعله في مجلسه.²

أما السلطان الغوري فكان يميل إلى الشعر العربي ويجب سماع الغناء وقراءة دواوين الأشعار، كما اشتغل بعض الأمراء باللغة العربية بل تصدى بعضهم للتدريس،³ هذا الاهتمام جعل الشعراء يتفننون في مدح السلاطين والأمراء ويخلدون انتصاراتهم في قصائدهم الشعرية، وقد تنوعت الأغراض الأدبية والشعرية وتناولت معظم مظاهر الحياة خاصة ما تعلق بالمديح النبوي ومدح السلاطين ثم وصف الأحداث التاريخية والسياسية.

ومن أشهر أدباء العصر المملوكي:

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 753

² محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر 1957 م، ص 65.

³ سعيد عبد الفتاح عاشور، عصر الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص 342.

شرف الدين البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد المغربي الأصل صاحب القصيدة المشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتسمى بالبردة وله قصيدة تعرف بالهمزية توفي سنة 695هـ/1295م.¹

- العلامة الشاعر القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمد الحلبي درس علوم الدين وأقبل على دراسة العربية وفنونها، تتلمذ على يد جمال الدين بن مالك النحوي، ولي رئاسة ديوان الإنشاء بدمشق والقاهرة ثماني سنوات، توفي سنة 725هـ/1325م.²

- الكاتب الشاعر محي الدين بن عبد الظاهر عبد الله بن رشيد جمع بين الأدب والعلم ونبغ في الكتابة ونظم الشعر وخدم في ديوان الإنشاء بمصر نحو عشرين سنة حتى أصبح رئيساً له، وكتب للظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، والأشرف خليل بن قلاوون، من مؤلفاته كتاب "الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة"، توفي سنة 692هـ/1291م.³

شهاب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد العزيز بن نعمة الإمام البارح المحقق النحوي الشافعي المصري المعروف بابن المرحل انتهت إليه وإلى الشيخ أبي حيان مشيخة النحو بالديار المصرية أخذ عنه جمال الدين بن هشام، كان إماماً في النحو عارفاً باللغة وعلم البيان والقراءات، توفي سنة 744هـ/1343م.⁴

عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام جمال الدين النحوي المعروف بابن هشام المصري، أخذ عن أبي حيان ولزم شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحل وحضر دروس تاج الدين التبريزي، وأتقن العربية

¹ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 570-المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص 661، - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج2 ص 126.

² المقريزي، السلوك، ج3، ص 86- محمود رزق سليم، المرجع السابق، ص 54.

³ المقريزي، السلوك، ج2، ص 243- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1 ص 570 - محمود رزق سليم، المرجع السابق، ص 53.

⁴ ابن العماد، شذرات، ج8، ص 244- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 408.

ففاق الأقران بل و الشيوخ ، له مصنفات كثيرة منها: شرح ألفية بن مالك ومغنى اللبيب عن كتب الأعراب ورفع الخصاصة عن قراء الخلاصة ، وشرح التسهيل توفي سنة 761هـ/1359م.¹

عمر بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس زيد الدين بن الوردى المصرى، كان إماما في الفقه والنحو والأدب له تصانيف عديدة منها شرح ألفية بن مالك واللباب في علم الإعراب توفي سنة 749هـ/1348م وله قصائد شعرية كثيرة ومن قوله:

لا تقصد القاضي إذا أدبرت دنياك واقصد من جواد كريم

كيف يُرجى الرزق من عند من يُفتي بأنّ الفلّس مال عظيم

ومن قوله أيضا:

سبحان من سخّر لي حاسدي يُحدثُ لي في غيبتى ذكرا

لا أكره الغيبة من حاسد يفيدني الشهرة والأجرا²

بن نباتة جمال الدين أبو بكر الخدامي المصري الشافعي الأديب الناظم النائر، كان حامل لواء الشعر في زمانه له تصانيف عديدة منها، القطر النبائي، وله مطلع الفوائد في الأدب وسجع المطوق في التراجم وزهر المنثور، وشرح رسالة ابن زيدون، وسوق الرقيق في الغزل وفوائد السلوك في مصائد الملوك، توفي بمصر سنة 768هـ/1366م.³

¹ ابن خلدون، الرحلة، ص 260- ابن خلدون، المقدمة، ص 755- ابن تغري بردي، المنهل اصافي، ج7، ص 131- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 308- الذهبي، ذيل العبر، ص 187- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 329.

² القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج2، ص 237- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 195.

³ السبكي تاج الدين، معجم الشيوخ، تح: رائد يوسف العنكي، مصطفى اسماعيل، بشار عواد، معروف فارس، أحمد الفطيم، مؤسسة الحباله، بيروت 1995م، ص 459- اسماعيل البغدادي، هدية العارفين، المصدر السابق، ج2، ص 164- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 216- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 571.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي: لازم أبا حيان والجلال القزويني، كان إماما في العربية والبيان ويتكلم في الأصول والفقه وولي قضاء الديار المصرية، درس في الخشائية والجامع الناصري وتولى التفسير في الجامع الطولوني، من مؤلفاته "الجامع النفيس في الفقه" والمساعد في شرح التسهيل، وشرح الألفية، أخذ عنه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، توفي سنة 769هـ/1367م ودفن بالقرب من الإمام الشافعي.¹

محمد بن أبي بكر بن عمر بن سلمان القرشي الإسكندراني بدر الدين المعروف بابن الدمياطي، برع في النحو والأدب وشارك في الفقه وتصدر الجامع الأزهر لإقراء النحو زار دمشق واليمن والهند، من مؤلفاته "جواهر البحور في العروض والفواكه البدرية ونزول الغيث وشرح التسهيل، توفي سنة 837هـ/1433م.²

تقي الدين بن حجة الحموي: شاعر وكاتب اشتغل بديوان الإنشاء ببلاد الشام ثم استقدمه السلطان المؤيد الشيخ وجعله منشئا في ديوان القاهرة، له أشعار كثيرة في أغراض عديدة كالملاح والوصف والتشوق إلى بلده حماة، من مؤلفاته، خزانة الأدب وثمرات الأوراق وكشف اللثام على التورية والاستخدام، و تأهيل الغريب وهو مجموعة شعرية توفي بحماة سنة 837هـ/1433م.³

¹ عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية الإمام مالك، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط1، ص60، السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص163- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص47- المقرئزي، السلوك، ج4، ص311- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص268.

² جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص66- السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص169.

³ ابن العماد، شذرات، ج9، ص319- محمود رزق سليم، المرجع السابق، ص56.

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله: نزيل القاهرة المعروف بابن الخراط، الأديب والشاعر أكثر من مدح الملوك والأمراء وتولى كتابة الإنشاء، توفي في محرم 840هـ/1436م.¹

وهكذا فقد تميز الوضع الأدبي في مصر المملوكية بالتطور والازدهار بفضل ذلك التشجيع الذي يلقاه الشعراء من السلاطين والأمراء ، ومن مظاهر التشجيع رفع منازل الشعراء وهذا ما دفع إلى المنافسة الأدبية والرغبة في الظهور ومدح السلاطين، إلا أن الشعر لم يكن حرفة رئيسية مرغوبا فيها لأنها لم توفر لصاحبها العيش الكريم لذلك اضطرّ البعض إلى احتراف حرف أخرى لسد الحاجة وفي ذلك يقول جمال ابن نباتة المصري:

لا عارٌ في أدبي إن لم ينل رتبا وإنما العارُ في دهري وفي بلدي
 هذا كلامي وذا حظي فيا عجبا مني لثروة لفظٍ وافتقارٌ يد
 أمّا الشاعر أبو الحسن الجزار فيقول:
 لا تعبني بصنعة القصابِ فهي أدكى من عنبر الآدابِ
 كان فضلي على الكلابِ فمد صرت أدبيا رجوت فضل الكلابِ²

ومن هنا هانت على الكثير من الشعراء صناعة الشعر وأقبل البعض على نظم الزجل والمقطوعات والتواشيح السهلة أو يقول الشعر لحاجة معينة أو لتحقيق هدف

¹ ابن العماد، نفسه، ج9- ص 342، الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 156- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 213.

² محمود رزق كريم، المرجع السابق، ص 61.

2-1-4 العلوم الاجتماعية :

يُعتبر التاريخ من أبرز العلوم التي ازدهرت في عصر المماليك فقد ظهر في هذا العهد عدد كبير من المؤرخين الذين خلفوا لنا تراثاً ضخماً ويرجع هذا الازدهار إلى اهتمام السلاطين بهذا العلم وتقريب المؤرخين من قصورهم لتدوين تراجمهم وسيرهم وأعمالهم، فالسلطان الظاهر بيبرس كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً وكان يقول سماع التاريخ أعظم من التجارب،¹ وكان يغلب على الكتابة التاريخية في العصر المملوكي النزعة الأدبية مع استعمال المحسنات البديعية من جناس وطباق وسجع خاصّة في كتب التراجم مع الميل إلى الألفاظ العامية السهلة والأعجمية.

لقد وصلت الكتابة التاريخية في ذلك العصر إلى قمته في ظل الظروف السياسية و العسكرية التي مرت بها مصر، وقد تنوّعت الكتابة التاريخية وشملت مواضيع مختلفة منها كتب السير مثل كتاب ابن عبد الظاهر في سيرة الملك الظاهر بيبرس، وسيرة الأشرف خليل بن قلاوون،² كما ألّف عز الدين محمد بن شداد تاريخ الملك الظاهر،³ كما ظهر في عصر المماليك كتب الطبقات والتاريخ العام والتراجم وغيرها وقد افرزت تلك الفترة عدداً من المؤرخين تجسدت في كتاباتهم فكرة التاريخ ومنهم .

المقريزي تقي الدين أحمد بن علي أبو العباس مؤرخ الديار المصرية ولد ونشأ في القاهرة صاحب المؤلفات الكثيرة منها، السلوك لمعرفة دول الملوك، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،

¹ السعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر و الشام المرجع السابق، ص 341

² السعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص 324 - السيد النشار، المرجع السابق، ص 57 - يسرى عبد الغني عبد الله،

المؤرخون المسلمون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ط1، ص 119

³ عز الدين ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، المصدر السابق، ص 10.

وكتاب المقفى الكبير ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة وكتاب تاريخ الأقباط وغيرها توفي سنة 845هـ/1441م.¹

ابن حجر العسقلاني: المتوفى سنة 852هـ/1449م صاحب كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، والإصابة في تمييز الصحابة وكتاب الأصر عن قضاة مصر.²

ابن خلكان شمس الدين: المتوفى سنة 681هـ/1382م والذي تولى القضاء بمصر والشام صاحب كتاب وفيات الأعيان.³

ابن تغري بردي، أبو العباس يوسف المتوفى سنة 874هـ/1469م وهو من أصل ممالكي صاحب كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وكتاب المنهل الصافي، المستوفى بعد الوافي⁴

ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد: مؤرخ الديار المصرية المتوفى سنة 809هـ/1406م صاحب كتاب نزهة الأنام وكتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، وكتاب سيرة الملك الظاهر برقوق وطبقات الحنفية.⁵

¹ الزركلي، الاعلام، المصدر السابق، ج1، ص 177- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 557- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 56- يسرى عبد الغني، المرجع السابق، ص171- رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام، في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة، ج2، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1983، ص 203.

² السخاوي، وجيز الكلام، ج2 ص622- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 61.

³ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، المصدر السابق، ج3، ص 223- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 7- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 203- محمود السيد، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية

1917 م، ص 207

⁴ السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص 817- يسرى عبد الغني، المرجع السابق، ص 155.

⁵ المقرئزي، درر العقود الفريدة ج1، ص101- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص145- السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة، ج1، ص 566- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 138.

الأدفودي أبو الفضل جعفر بن تغلب: الأديب الفقيه الشافعي المتوفى سنة 748هـ/1347م صاحب كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد، والبدر السافر في تحفة المسافر.¹

بيبرس المنصوري، المتوفى سنة 725هـ/1325م وهو أحد أمراء المماليك له كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة وكتاب التحفة المملوكية في الدولة التركية.²

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العمري: الأديب الشاعر والمؤرخ تنقل بين دمشق والقاهرة، صاحب ديوان الإنشاء بالشام وصار مدبر المملكة ومشير السلطان الناصر بن قلاوون صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف، توفي سنة 749هـ/1348م.³

السخاوي الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمان المحدث المؤرخ أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره صاحب كتاب التبر المسبوك في تاريخ الملوك، وكتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، وكتاب وجيز الكلام في ذيل على دول الإسلام، وكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، والتاريخ المحيط على حروف المعجم وغيرها، توفي سنة 902هـ/1498م.⁴

السيوطي جلال الدين المتوفى سنة 911هـ/1505م صاحب المؤلفات العديدة كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وقد أخبر عن نفسه أنه حافظ مائتي ألف حديث، من مؤلفاته حسن المحاضرة

¹ ابن العماد، شذرات، ج8، ص 263- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 126- السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 31، السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة، ج1، ص 556.

² الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص 219- بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، المصدر السابق، ص 5- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 555.

³ الذهبي، ذبول العبر، ج4، المصدر السابق، ص 152- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 273- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص 163.

⁴ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 02- جلال الدين السيوطي، نظم العقيان، المصدر السابق، ص 152- ابن العماد، شذرات، ج10، ص 22.

في أخبار مصر والقاهرة، وكتاب طبقات الحفاظ، ونظم العقيان في أعيان الأعيان، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.¹

ابن إياس زين الدين بن شهاب الدين أحمد الحنفي المتوفى سنة 928هـ 1522 م، مؤرخ عصر الانهيار المملوكي، من مؤلفاته بدائع الزهور في وقائع الدهور وكتاب جواهر السلوك في أخبار الأمم والملوك وكتاب نزهة الأمم في العجائب والحكم.²

كما تميّز عصر المماليك بتأليف الموسوعات الضخمة التي تحتوي على معلومات متنوعة ومن أبرز هذه الموسوعات كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي أبو العباس وله أيضا كتابة نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب،³ ومن الموسوعات أيضا كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري المتوفى سنة 732هـ/1332م يحتوي على ثلاثين مجلدا،⁴ وموسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل العمري.

2-2 العلوم العقلية:

إنّ اهتمام المماليك في مصر بالعلوم النقلية وتطوّرها لم يمنع من ازدهار العلوم العقلية حيث اهتم بها الكثير من العلماء وظهرت بها تخصصات مختلفة وألف فيها الكثير من المصنفات وفي جميع المجالات من الفلسفة إلى الطب والهندسة وعلم الفلك والحساب هذه المصنفات أصبحت تدرس في المؤسسات التعليمية في بلاد المشرق والمغرب وترجم منها الكثير إلى اللغات الأوروبية والعالمية، ومن

¹ ابن العماد، شذرات، ج10، ص 74- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 335- الزركلي، الاعلام، ج3، ص 301، السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 65.

² حسين عاصي، ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني، المرجع السابق ص 38.

³ السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص 452- سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 326- عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، المرجع السابق، ص 199.

⁴ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 556- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 198- سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 326.

تلك التخصصات الطب الذي برز فيه الكثير من الأطباء الذين أصبحت لهم مكانة خاصة عند سلاطين المماليك ولدى المجتمع المصري ومنهم:

ابن النفيس علاء الدين بن أبي حزم: شيخ الطب بالديار المصرية صاحب التصانيف الموجزة وشرح القانون وأحد من انتهت إليه معرفة الطب، لمع اسمه في بيمارستان المنصور قلاوون بالقاهرة، ألف في الطب ما لا يقل عن أربعة عشر كتاباً أهمها كتاب الشامل في الطبّ توفي سنة 687هـ/1282م.¹

شيخ الأطباء عز الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن ملوخان: من مؤلفاته الباهر في الجواهر والتذكرة في الطب، توفي سنة 690هـ/1291م.²

ابن صغير علاء الدين علي بن نجم الدين بن عبد الواحد: رئيس الأطباء بالديار المصرية كان أعجوبة الدهر في الفن ولى رئاسة الطب دهراً طويلاً طلبه السلطان العثماني بايزيد من سلطان مصر برقوق وقد توفي في الطريق سنة 795هـ/1394م.³

برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الاخلاطي الشريف: كان من أطباء السلطان برقوق اشتهر بالطب والكيمياء والصيدلة، من مؤلفاته وصف الأدوية للأمراض، توفي سنة 799هـ/1396م.⁴

أحمد بن إسماعيل بن عبد الله شهاب الدين الحريري: تولى رئاسة الأطباء في عهد الملك الظاهر برقوق كما درس بالجامع الحاكمي توفي سنة 809هـ/1406م.⁵

¹ المقرئزي، السلوك، ج2، ص 203 - جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 542 - الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3، ص 365 - ابن العماد، شذرات، ج7، ص 701 - عبد الرحمن زكي، من تراث مصر العلمي في العصر المملوكي، ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م، ص 134.

² الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3، ص 371.

³ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 151 - المقرئزي، السلوك، ج5، ص 361 - جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 547، الذهبي، العبر، ج4، ص 371 - عبد الرحمن زكي، العلم والعلماء، المرجع السابق، ص 123.

⁴ ابن العماد، شذرات، ج8، ص 607 - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 32.

⁵ المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج1، ص 182 - السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 240.

برهان الدين بن زقاعة إبراهيم بن محمد بن بهادر: كان إماما بارعا في علوم كثيرة لاسيما في معرفة الأعشاب، وكان أعجوبة زمانه في معرفة الأعشاب وأنواعها وفوائدها كان له حظ زائد عند الملك الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج توفى سنة 816هـ/1413م.¹

الشهاب أحمد بن المجد إسماعيل بن إبراهيم الحريري: الجوهري يُعرف بابن إسماعيل لازم الفقه والأصول والعربية والمنطق والطب درس بالمدرسة الجمالية والحسينية وتوفى سنة 893هـ/1487م.²

شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن: المصري مدرس الأطباء بجامع ابن طولون توفى سنة 776هـ/1375م.³

صلاح الدين يوسف بن عبد الله: المعروف بابن المغربي الطبيب رئيس الأطباء بالقاهرة ، توفى سنة 776هـ/1375م.⁴

أما في مجال الهندسة والحساب والفرائض فقد نالت هذه العلوم حظها قيما خلفه علماء عصر المماليك في مصر حيث برز الكثير من العلماء من بينهم:

شهاب الدين أحمد بن رجب بن طبيغا القاهري: الشهير بابن المجدي، برع في الفقه والفرائض والحساب وشارك في علوم كثيرة كالهندسة من مؤلفاته كتاب شرح الجعبرية في الفرائض، توفى سنة 850هـ/1446م.⁵

نجم الدين الأصفوي عبد الرحمن بن يوسف أبو محمد: فقيه وعالم في العربية والفرائض والجبر والمقابلة توفى سنة 751هـ/1350م.⁶

¹ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 165- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 130- المقريزي، السلوك، ج6، ص 360.

² السخاوي، وجيز الكلام، ج2، ص 1057- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 234.

³ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر لسابق ج1، ص 546- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 475.

⁴ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 546- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 464.

⁵ ابن العماد، شذرات، ج9، ص 390- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 300.

⁶ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 236.

محي الدين أحمد بن إبراهيم الدمشقي: المعروف بابن النحاس فقيه شافعي، كان عارفا بالفرائض والحساب والهندسة توفي شهيدا سنة 814هـ/1411م.¹

أما في علم الفلك فقد برز شهاب الدين العسقلاني الفقيه الأصولي كان بارعا في علم الفلك والعروض من مؤلفاته مقدمة في الفلك توفي سنة 919هـ/1513م.²

ومنهم أحمد بن عبد الخالق بن علي بن الحسين القاهري المالكي اشتغل بالأصول والفقه المنطق والفنون العقلية، توفي سنة 804هـ/1401م.³

أما المنطق والفلسفة فقد لقي اهتماما كبيرا من طرف علماء مصر في عهد المماليك وقد برز عدد من الفلاسفة وعلماء المنطق الذين خاضوا في مواضيع عديدة ومتنوعة ومن أبرز هؤلاء، الفيلسوف أفضل الدين الخونجي محمد بن تماموار بن عبد الملك الذي صنف في المنطق وولي قضاء الديار المصرية، توفي سنة 642هـ/1244م،⁴ ومحمد بن إبراهيم الطيب صلاح الدين المعروف بابن الدهان، قرأ الطب على ابن نفيس وكان طبيبا حكيما متفلسفا،⁵ وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الجزري المعري كان فقيها عارفا بالأصول والنحو والبيان والمنطق والطب، توفي سنة 711هـ/1311م،⁶ وسراج الدين القاسم بن مسافر بن زكريا، اشتغل بالفقه وعلم الكلام من مؤلفاته تلخيص الجامع للخلاطي كان يبالغ في التحذير من كلام ابن عربي توفي سنة 856هـ/1452م.⁷

¹ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 203- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 157.

² السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 316- ابن العماد، شذرات، ج10، ص 132.

³ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 323- السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 363- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص 112.

⁴ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المصدر السابق، ص 586.

⁵ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 545.

⁶ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 544.

⁷ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 243.

ومن خلال هذا العرض حول الحياة الثقافية في عصر المماليك نستنتج أن هذا العصر رغم أنه شهد صراعات عسكرية وسياسية كثيرة خاصة ذلك الصراع مع الصليبيين ومع المغول الذي أزهق الدولة اقتصاديا وعسكريا ، ضف إلى ذلك الصراعات الداخلية على السلطة وتدير المؤامرات إلا أن هذا لم يمنع من تطور وازدهار الحياة الفكرية في جميع العلوم النقلية منها والعقلية، وقد مثل هذا العهد أيضا أزهى العهود الفكرية التي مرت بها مصر وما يدل على هذا التطور هو ذلك الإنتاج الفكري الضخم الذي يرجع إلى تلك المرحلة والتي مازالت المكتبات في أنحاء العالم تحتفظ بالكثير من تلك المؤلفات والمخطوطات التي تناولت مختلف ألوان المعرفة العلمية والأدبية والدينية.

كما يعود الفضل في هذا التطور إلى سلاطين المماليك لحرصهم الشديد على أن تكون علاقتهم قوية بطبقة العلماء والفقهاء لكسب الدعم المعنوي والروحي لاستمرار حكمهم لذلك قربوا هذه الفئة إلى مجالسهم وقصورهم ومن جهة أخرى فقد مثل هذا العصر أرقى العهود في مجال العمارة الدينية من خلال كثرة المنشآت الدينية والعلمية من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب، وقد ضمت بعض هذه المؤسسات خزانة كتب تسهل على طلبة العلم الاطلاع على أمهات الكتب في مختلف العلوم خاصة الدينية منها، وقد ساهمت الأوقاف الكثيرة التي خصصها السلاطين لهذه المؤسسات في تنشيط حركة التعليم من خلال ما كانت توفره من أموال تستثمر في الإنفاق على الطلبة والعلماء.

الباب الثاني

عوامل ومظاهر العلاقات الثقافية

الفصل الأول

العلاقات السياسية والتجارية

1 العلاقات السياسية

1-1 العلاقات السياسية مع بلاد المغرب .

1-1-1 العلاقات الأندلسية الحفصية .

1-1-2 العلاقات الأندلسية المرينية .

1-1-3 العلاقات الأندلسية الزيانية

2-1 العلاقات مع بلاد المشرق

1-2-1 العلاقات مع المماليك في مصر .

2-2-1 العلاقات مع الدولة العثمانية .

2- العلاقات التجارية

1-2 مع بلاد المغرب .

2-2 مع بلاد المشرق

الفصل الأول: العلاقات السياسية والتجارية:

1- العلاقات السياسية:

1-1- العلاقات السياسية مع بلاد المغرب:

بعد تدهور أوضاع الدولة الموحدية وسقوطها تعرضت بلاد الأندلس إلى انتشار الفوضى والصراعات السياسية مما مكّن النصارى من استرجاع عددا كبيرا من المدن الأندلسية في غياب دولة قوية تحافظ على هذا الإرث الإسلامي، وفي هذه الأثناء ظهرت ببلاد المغرب دول إسلامية أخذت تتطور تدريجيا والتي حاولت أن تبقى على الوجود الإسلامي في الأندلس من خلال تلك المساعدات التي كانت تقدمها لنصرة المسلمين، هذا الموقف الذي تبنته دول بلاد المغرب جعلت المنطقتين ترتبط بعلاقات سياسية طيبة استمرت إلى غاية سقوط الدولة النصرية.

إن اختلاف مصالح هذه الدول والسياسة التوسعية التي انتهجتها بعضها لم تمكن من جهة من الحفاظ على ما بقي للمسلمين في الأندلس ومن جهة أخرى ساهم في تدهور وضعف هذه الدول سياسيا وعسكريا.

إنّ التقارب السياسي بين دول المغرب والأندلس كان له الأثر البارز على توثيق العلاقات الثقافية بين البلدين.

1-1-1- العلاقات الأندلسية الحفصية

تعود صلة الحفصيين بالأندلس إلى العهد الموحدى حيث تولى عدد من أفراد الأسرة الحفصية الولاية على بعض المدن الأندلسية، وكان من أبرزهم أبو سعيد بن أبي حفص عمر الذي تولى ولاية جيان ثم بلنسية، أما أبو عمران موسى بن أبي حفص فقد تولى ولاية ألمرية،¹ ونظرا لضعف الدولة الموحدية عملت دويلات الأندلس أمام الضغط النصراني على كسب عطف الدول الإسلامية خاصة تلك التي ظهرت في بلاد المغرب، فكانت الاتصالات الأولى بين الأندلسيين والدولة الحفصية سنة 636هـ/1238م بعد أن ضيق العدو على بلنسية اضطر زيان بن مردينش صاحب بلنسية إلى

¹ ابن الأثير، الحلة السيرة، ج2، المصدر السابق، ص279.

الاستغاثة بالسلطان الحفصي أبي زكرياء ، فوجه إليه بيعته مع جماعة من أهل بلنسية ومعهم الكاتب الفقيه الشهير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي الذي قدم بين يدي السلطان الحفصي قصيدته المشهورة ومطلعها:

ادرك بخيلك خيل الله أندلساً إنَّ السبيلَ إلى منجأتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمسْت فلم يزل منك عز النصر ملتمسا.¹

فبادر السلطان الحفصي أبو زكرياء إلى إرسال بعض السفن مشحونة بالمال والعتاد إلا أن هذا الأسطول الحفصي لم يستطع النزول قرب بلنسية بسبب الحصار المضروب عليها من طرف النصارى فعاد إلى دانية ، وهناك ترك المؤن والعتاد وعاد بالمال إلى تونس وقد بلغت قيمة هذه المساعدات ألف دينار، لكن هذه المساعدات جاءت متأخرة فقد سقطت المدينة قبل أن تصل إليها.²

وبعد ظهور دولة بني نصر تجدد التواصل مع الدولة الحفصية فقد بادر السلطان محمد الأول بالولاء والطاعة لبني حفص قبل أن يتخذ من غرناطة عاصمة له،³ وعندما تحرك أبو زكرياء إلى تلمسان واستولى عليها سنة 640هـ/1242م سارع محمد بن الأحمر إلى كسب ود حاكم تونس فأمر بأن تلقى خطبة الجمعة في غرناطة باسم أبي زكرياء الحفصي، وبالمقابل تلقى مساعدات مالية،⁴ وفي سنة 643هـ/1245م وصلت بيعة إشبيلية وشريش وطريف والمرية وخضعت لسلطة الأمير الحفصي، فأرسل هذا الأخير أحد أبناء عمومته لإنقاذ إشبيلية وهو أبو فارس بن يونس ورغم المقاومة المستميتة إلا أنه لم يستطع أن يحول دون سقوطها سنة 646هـ/1248م،⁵ لقد تميّز عهد أبي

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 386- الزركشي أبو عبد الله، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص27- ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص 35- روبر بارنشفيك، ج1، المرجع السابق، ص 62- عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، المرجع السابق، ص 342.

² ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص 35- ابو عبد الله المسعودي، المصدر السابق، ص61- الزركشي، المصدر السابق، ص 28.

³ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 218.

⁴ ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص 109- الزركشي، المصدر السابق، ص 29.

⁵ روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص 62.

زكرياء بتقديم الدعم المادي والعسكري لإنقاذ المدن الأندلسية خاصة تلك التي قدمت له الولاء والبيعة، وقد استمر هذا الدعم إلى غاية وفاة أبي زكرياء سنة 647هـ/1249م.¹

وعند بداية حكم المستنصر الحفصي تأثرت العلاقات بين البلدين بعد تخلي محمد الأول عن الدعوة للحفصيين وتسمى بأمر المسلمين،² ويظهر من هذا التصرف أن ولاء بني الأحمر للدولة الحفصية كان مقرونا بشخص أبي زكرياء، كما أن هذا الولاء كان وفق مصالح معينة، اقتضتها ظروف الأندلس وحاجة الدولة إلى المساعدات المالية والعسكرية.

وبداية من سنة 651هـ/1253م انجلى الجمود في العلاقات السياسية بين المستنصر الحفصي ومحمد الثاني سلطان غرناطة وذلك بسبب لجوء الأمير أبي إسحاق إلى غرناطة بعدما ثار على أخيه المستنصر، وقد لقي أبو إسحاق رعاية خاصة من السلطان الغرناطي الذي أكرمه وقد شهد وقائع ضدّ النصارى وأبلى بلاء حسنا فاشتهر اسمه،³ وهذا ما جعل السلطان الحفصي يبعث بالهدايا مع كبار رجاله إلى بني الأحمر من أجل أن يجرد أخاه أبا إسحاق من خطورته ويكفه عنه ويمنعه من الرجوع والقيام بثورة مجدداً، وقد استمر الوضع على هذا الحال إلى نهاية عهد المستنصر حيث عاد أبو إسحاق إلى إفريقية وملكها،⁴ وهكذا فإن مكانة الأمير أبي إسحاق استغلها السلطان النصري لخدمة مصالح بلاده.

ثم استمرت العلاقات الطيبة بين غرناطة والدولة الحفصية من خلال تبادل المراسلات كما حصل في عهد السلطان محمد الثالث النصري أبي عبد الله المخلوع مع السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد الوثائق بن يحيى المستنصر.⁵

¹ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، ص 34- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 380.

² ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج 6، ص 400- برنشفيك، المرجع السابق، ص 70

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 316- برنشفيك، ج 1، المرجع السابق، ص 106

⁴ ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق ص 118.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج 1، ص 551.

إلا أن العلاقات الحسنة بين البلدين لم تتوقف عند هذا الحد بل تعدّت إلى التضامن بين القوى الإسلامية عندما تحالفت الدول النصرانية ضدّ مسلمي غرناطة، فبادرت الدولة الحفصية إلى المساهمة بأسطول بحري من ست عشرة سفينة ساهمت من خلاله في تمكين المرينيين وبني نصر من تحقيق الانتصار على التحالف النصراني سنة 740هـ/1339م.¹

وفي عهد السلطان الغرناطي محمد الخامس بعث السلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم الثاني سفيره أبا الحسن البناء،² إلى مملكة غرناطة لتقديم هدية من الخيول والرقيق وقد استقبل بحفاوة كبيرة من السلطان النصراني،³ وقد عبر لسان الدين بن الخطيب عن هذا الشعور في رسالة بعث بها باسم السلطان الغني بالله إلى السلطان الحفصي أبي إسحاق يشكره عن تلك الهدية.⁴ ويبين عراقة تلك العلاقات بين الدولتين وفضل أهل إفريقية على بلاد الأندلس ويخبره كذلك على الدور الذي تقوم به غرناطة في الدفاع عن أرض الإسلام في الأندلس.

أمّا في عهد السلطان الغرناطي محمد السابع فقد ظهر من جديد التحالف النصراني ضدّ مملكة غرناطة مما دفع به إلى طلب المساعدة من دول المغرب، فكان موقف السلطان الحفصي أبي فارس هو تقديم مساعدة سنوية من القمح والسلاح والأموال للمساعدة على الجهاد ضدّ القشتاليين،⁵ وقد استمرت العلاقات بعد ذلك على ما هي عليه من الدعم المتواصل للمملكة لمساعدتها على ردّ الهجمات النصرانية.

وفي عهد السلطان الحفصي أبي فارس أيضا فرّ السلطان النصراني محمد الأيسر (محمد الثامن) بعد الانقلاب عليه سنة 831هـ/1437م إلى تونس حيث استقبله السلطان الحفصي وأكرمه،⁶

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 346.

² هو أبو الحسن بن محمد بن علي بن البناء من أهل وادي آش توفي بالطاعون سنة 751هـ/1350م ولم يتعدى عمره الثلاثين، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص167- المقري، نفع الطيب، المصدر السابق ج6، ص131.

³ ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق ص174- برنشفيك، ج 1 المرجع السابق، ص215

⁴ الرسالة، ينظر الملحق رقم 2. ص.344.

⁵ الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص116- ابن الشماخ، الادلة البينة، المصدر السابق، ص 114.

⁶ السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج10، ص68.

وهي المرة الأولى التي يلجأ فيها سلطان غرناطة إلى مملكة بني حفص، وهذا يعيد إلى الأذهان استقبال مملكة غرناطة لأبي إسحاق أخ المنتصر الحفصي وحمايته، ويرى البعض أن لجوء السلطان محمد الثامن إلى إفريقية كونه متزوج من أميرة حفصية هي زهر الرياض بنت أبي السرور مفرج،¹ وقد ساعد أبو فارس السلطان النصري على العودة إلى غرناطة على رأس جيش صغير يضمّ خمسمائة جندي لاسترجاع ملكه.²

أمّا في عهد السلطان محمد المنتصر خليفة أبي فارس فقد استمرت المساعدات والدعم المالي لمملكة غرناطة حيث خصّص إعانة وصدقة سنوية لأهل الأندلس لمساعدتهم على جهاد النصاري.³ وعندما اشتدّ الضغط النصري على مملكة غرناطة بعث السلطان النصري محمد الحادي عشر قاضي الجماعة بغرناطة محمد بن علي بن الأزرق إلى السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان لطلب النجدة والمساعدة إلا أن هذه السفارة لم تحقق ما أرسلت من أجله حيث ما إن وصل ذلك المبعوث إلى تونس حتى توفي السلطان أبو عمرو عثمان سنة 893هـ/1488م.⁴

لقد كانت سياسة الدولة الحفصية اتجاه بني نصر مبنية على الدعم والمساعدة لنصرة المسلمين في الأندلس إلا أنّ هذه المساعدات لم تكن كافية لإنقاذ مملكة غرناطة خاصّة وأنّ الدولة الحفصية كانت هي الأخرى تعاني الضغط الخارجي والداخلي، وبعد سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس وفرار عدد كبير من الأندلسيين إلى إفريقية تعرضت هذه الأخيرة إلى هجمات الإسبان والبرتغاليين.

1-1-2- العلاقات مع الدولة المرينية:

لقد بنيت العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة وبني مرين في المغرب الأقصى على التضامن الإسلامي الذي فرضته الأخوة في العقيدة والأخوة في الهدف، كما يعتبر هذا التضامن فريضة شرعية

¹ عبده بن محمد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة السعودية 1998م، ص 124.

² برنشفيك، المرجع السابق، ص 259.

³ ابن الشماع، المصدر السابق، ص 120.

⁴ السخاوي، الضوء اللامع، ج 9، ص 20 - برنشفيك، المرجع السابق، ص 306.

تحتم الوقوف صفا واحدا أمام الاعتداء الأجنبي خاصة وأن مملكة غرناطة كانت تعيش ظروفًا معقدة وصعبة ويحيط بها الأعداء من كل جانب، هذه الظروف حتمت على المرينيين التضامن مع إخوانهم في العدو الأخرى، إضافة إلى أن بني مرين هم الأقرب جغرافيا مع مملكة غرناطة وأن الخطر النصراني ليس بعيدا على أراضيهم، فهو يمثل تهديدا مباشرا في أية لحظة، وهذا ما أدركه مؤسس الدولة النصرانية عندما نصح وأوصى ولي عهده بضرورة التحالف مع بني مرين في حالة ظهور خطر النصارى على المملكة.¹

هذا الوضع دفع بالسلطان محمد الثاني الفقيه إلى الاستنجد بالمرينيين حيث بعث برسالة إلى السلطان أبي يوسف يعقوب يدعو إلى المشاركة في الجهاد،² فلبّى السلطان المريني هذه الدعوة ورد برسالة جوابية إلى السلطان محمد الثاني تضمّنت رغبة بني مرين في التضامن ومساعدة مملكة غرناطة على ردّ العدوان النصراني،³ فجاء العبور الأول إلى الأندلس، إلا أن المرينيين تبين لهم عند نزولهم بالأندلس أنّ الخلافات الشخصية بين بني نصر وبني أشقيلولة حكام مالقة قد تؤدي إلى إضعاف الجهاد، خاصّة وأنّ محمد الثاني لم يشر في رسالته إلى المرينيين لهذه الخلافات،⁴ وهذا ما جعل بعض الخلافات تظهر بين المرينيين وبني نصر، ورغم ذلك فقد خاض أبو يوسف يعقوب معركته الأولى بالأندلس معتمدا على قوته فقط،⁵ وتمكن من تحقيق انتصارات كبيرة حتى وصل إلى أحواز قرطبة وبياسة،⁶ وفي هذه المعارك انهزم الجيش القشتالي شمال غرب غرناطة وقتل قائدهم الدوق "نونيو"

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 253.

² ابن أبي زرع، الذخيرة السنينة، المصدر السابق، ص141- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج7، ص 71.

³ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 142.

⁴ ابن أبي زرع، نفسه، ص142- الناصري، الاستقصا، المصدر السابق ج3، ص 40.

⁵ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص315- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 227.

⁶ بياسة مدينة تبعد عن جيان بعشرين ميلا، استولى عليها النصارى سنة 623هـ، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص57.

وذلك سنة 674هـ/1275م وعاد بعدها السلطان المريني إلى الجزيرة الخضراء ليتلقى التهاني وكان من أهم الوفود المهنئة السلطان النصري محمد الثاني.¹

ورغم أن العلاقات النصرية المرينية ساءت مرة أخرى خاصة عندما قام محمد بن أشقيلولة بالعبور إلى المغرب بعد وفاة والده عبد الله سنة 676هـ/1277م وتنازل عن مالقة للسلطان المريني فبعث يعقوب بن عبد الحق ولده أبا زيان لاستلامها منه رغم محاولة محمد الفقيه استعادتها إلا أنه فشل في ذلك.²

وعندما عبر السلطان المريني العبور الثاني سنة 676هـ/1277م ونزل بمالقة جرى لقاء بين محمد الفقيه والسلطان المريني غلب عليه طابع اللوم والعتاب ورغم ذلك تمكن السلطان المريني من الوصول إلى الجزيرة الخضراء ورندة واتجه إلى إشبيلية وفتحها ثم أخذ في ترتيب قواته تمهيدا لغزو مدينة قرطبة،³ وفي هذه الأثناء انضم السلطان الغرناطي محمد الفقيه بجيشه إلى القوات المرينية وتمكن الجيش المريني و الغرناطي من تحقيق انتصارات كبيرة دفعت بالملك القشتالي إلى طلب الصلح،⁴ وحتى يُعبّر أبو يوسف يعقوب عن حسن نيته فقد ترك للسلطان الغرناطي مهمة إبرام المعاهدة مع ملك قشتالة ، ثم تنازل عن جميع الغنائم التي غنمها الجيش المريني في معركة قرطبة لصالح الجيش الغرناطي.⁵

إلا أن هذا التضامن و التعاون لم يدم طويلا ، فبعد هذه الانتصارات عادت الخلافات من جديد بين الدولتين عندما قام السلطان محمد بن الأحمر بالاستلاء على مالقة التي ترك بها السلطان المريني ألف فارس حيث قام بشرائها من عمر بن يحيى بن محلى عامل المرينيين عليها،⁶ أمّا السبب الثاني الذي أدّى إلى تجدد الخلاف هو تحالف محمد الفقيه مع ملك قشتالة وملك أراغون لمنع السلطان المريني من العبور إلى الأندلس، وفي الوقت نفسه اقترب من يغمراسن حاكم تلمسان وشجّعه

¹ الناصري، الاستقصا، ج3، ص41- ابن أبي زرع، الذخيرة، ص150- ابن خلدون، العبر، ج7، ص256.

² الناصري، الاستقصا، ج3، ص48- ابن خلدون، العبر، ج7، ص261.

³ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق ص323.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص565- ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق ص44.

⁵ الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3، ص48.

⁶ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص329.

على الإغارة على الحدود الشرقية للدولة المرينية لمنع السلطان المريني من العبور إلى الأندلس وتبادل الهدايا بينهما حيث أرسل يغمراسن إلى محمد الفقيه هدية تمثلت في ثلاثين من الخيول العربية والثياب.

أمّا ابن الأحمر فبعث إلى يغمراسن مبلغا ماليا قدره عشرة آلاف دينار فلم يرض به يغمراسن ورده إليه،¹

ومن خلال هذه التطورات يظهر أن ابن الأحمر كان يستغل الصراع التقليدي القائم بين المرينيين والزيبانيين لخدمة مصالحه السياسية، كما تبين هذه السياسة انعدام ثقة بني الأحمر في السلطان المريني رغم ما قدمته الدولة المرينية من مساعدات لبني الأحمر، إلا أن العلاقات بين البلدين عادت إلى طبيعتها الأولى عندما عبر السلطان المريني إلى الأندلس وكان ذلك سنة 684هـ/1285م وزحف على أراضي النصارى وغزا مدينة شريش بينما تمكن ولده أبو يعقوب من الاستلاء على إشبيلية وبعد هذا الانتصار بعث ابن الأحمر إلى السلطان المريني مددا من غرناطة حيث اشتركت البحرية الغرناطية إلى جانب القوات المرينية وتمكنت من تحرير الجزيرة الخضراء،² ولما رأى ملك قشتالة أنه يستحيل المقاومة طلب الصلح وبعث إلى السلطان المريني بوفد للتفاوض، فاشتراط عليه السلطان منع النصارى من الاعتداء على أراضي المسلمين وأن ترفع الضريبة عن التجار المسلمين، فقبل النصارى بهذه الشروط وقدموا هدايا للسلطان المريني منها الكتب العربية التي استولى عليها النصارى والمقدرة بثلاثة عشر حملا والتي أرسلت إلى فاس.³

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 266- الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3، ص50- يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 27.

² ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 273- الناصري، الاستقصا، المصدر السابق ج3، ص60- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق ص341.

³ ابن خلدون، العبر، ج7، ص277- عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق ج4، ص 106.

ومما يدل على استمرار العلاقات الحسنة هو إسناد السلطان الغرناطي قيادة الغزاة¹ والمتطوعين من المغرب إلى موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، فكان أول من تولى هذا المنصب من قرابة المرينيين، ولقد كان لشيخوخة الغزاة من بني مرين دور هام في تاريخ العلاقات بين البلدين.²

وبعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 685هـ/1286م استمر السلطان الجديد يوسف بن يعقوب في دعم الجهاد في الأندلس فاجتمع بالسلطان الغرناطي في مريلة³ واتفقا على أن يحتفظ المرينيون بالجزيرة الخضراء وطريف وزندة ووادي آش وأحوازها.⁴

إلا أن العلاقات الطيبة لم تصمد طويلا حيث تنكر ابن الأحمر للمساعدات المرينية وعاد إلى سياسة الخوف والتشكيك في نوايا المرينيين حيث اقترب من ملك قشتالة وعقد معه تحالفا ونقض ملك قشتالة الاتفاقية المبرمة مع سلطان المرينيين وتمكن من السيطرة على طريف وعدة حصون نصرية.⁵

بعدها أدرك ابن الأحمر خطأه في التحالف مع النصارى خاصة عندما رفض ملك قشتالة منحه طريف فعاد إلى طلب ودّ المرينيين فأرسل ابن عمه إلى السلطان المريني يوسف بن يعقوب ، و رغم ما قام به السلطان النصراني من أعمال عدائية ضد المرينيين ، إلا أن السلطان المريني لم يتردد في عقد الصلح وقبول الاعتذار وكان من نتائج هذا الصلح أن تنازل ابن الأحمر عن الجزيرة ورندة والأراضي

¹ عبارة عن قوات مرينية تواجدت بشكل دائم في الأندلس مهمتها جهاد النصارى وقد تولى بنو العلاء من بني مرين قيادة مشيخة الغزاة لفترة طويلة، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 349-المقري، نفع الطيب، ج1، ص452.

² ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص45.

³ مريلة مدينة صغيرة بالأندلس بقرب مرسى سهيل و مرسى مالقة، ينظر الحميري، ص 534 - ياقوت الحموي، معجم البلدان ج5 ص99 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص278- المقري، نفع الطيب، ج1، ص452- الناصري، الاستقصا، ج3، ص66- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص376.

⁵ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق ص42- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص285- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق ص380.

الغربية وعدد من الحصون، ومن جهة أخرى أرسل السلطان المريني حملة لغزو طريف،¹ واستمرت العلاقات بعد ذلك في هذا الاتجاه إلى غاية وفاة محمد الفقيه سنة 701هـ/1301م، ثم شهدت العلاقات بعد ذلك فتورا بين البلدين، واقتصرت على المساعدات المالية ومما عكّر هذه العلاقات هو قيام السلطان النصري محمد الثالث الملقب بالمخلوع بالسيطرة على سبتة والقبض على حاكمها ابن العزني، في الوقت الذي كان فيه السلطان المريني محاصرا لتلمسان، وبعد وفاة السلطان أبي يعقوب تمكن خليفته أبو ثابت من استرجاع سبتة،² وقد استمرت العلاقات بين المد والجزر إلى غاية اعتلاء عرش المرينيين أبو الحسن الذي أبدى رغبة قوية في الجهاد ومساعدة إخوانه ضدّ ضغط النصاري خاصة عندما انتقل محمد الرابع النصري إلى العُدوة الأخرى سنة 732هـ/1231م وحل بالبلاط المريني وطلب العون والمساعدة واتفق الطرفان على استعادة جبل الفتح الذي يعتبر حلقة وصل بين العدوتين.³

ولتحقيق ذلك جهّز السلطان المريني جيشا اسند قيادته لابنه أبي مالك وجهز أيضا محمد بن إسماعيل جيشا واتجه به إلى مضيق جبل طارق وتمكن الطرفان من استعادة جبل الفتح من النصاري سنة 733هـ/1332م،⁴ وبعد هذا النصر اتجه السلطان المريني إلى تلمسان وحاصرها، و مرة أخرى أخذ السلطان المريني يستعد لمساعدة مملكة غرناطة رغبة منه في الجهاد فبدأ بتحصين الثغور بالأندلس وكان ينفق من أجل ذلك خمسين ألف دينار من الذهب شهريا،⁵ وفي الوقت نفسه أخذ السلطان يوسف الأول الذي خلفه أخوه محمد الرابع يستعد لخوض الحرب خاصة وأن تحالفا صليبيا تشكل في هذا الوقت بين قشتالة واراغون، هذه الظروف دفعت بأبي الحسن إلى تكليف ابنه الأمير أبي مالك

¹ الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3، ص 75- ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق ص 384- عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق ج4، ص110.

² ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص388- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 114.

³ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص80- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 536- الناصري، الإستقصا، ج3، ص 121.

⁴ الناصري، الاستقصاء، نفسه، ص 122- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 346.

⁵ ابن مرزوق، المسند الصحيح، المصدر السابق، ص 391.

بالدخول إلى دار الحرب ومواصلة الجهاد ضد النصارى، إلا أنه قتل من طرف النصارى وكان ذلك سنة 740هـ/1339م.¹

وفي هذه الأثناء عزم أبو الحسن على أخذ الثأر لمقتل ابنه فسار إلى الأندلس سنة 741هـ/1340م ونزل بسهل طريف ولحق به السلطان يوسف النصري في قوات أندلسية ونشبت بين المسلمين والنصارى معركة هامة انتهت بهزيمة الجيش الإسلامي وعاد أبو الحسن إلى المغرب،² وعاد السلطان يوسف الأول إلى غرناطة، ورغم هذه الهزيمة إلا أن الدعم المغربي تواصل فقد كان السلطان أبو الحسن يجهز في كل سنة أسطولاً لمساعدة الأندلسيين وفي الوقت نفسه يجهز الغزاة ويرسل الهدايا والأموال.³

بالإضافة إلى هذه المساعدات قام المرينيون بتحسين جبل طارق وأحاطوا به سور من كل جانب ووفر السلطان أبو الحسن كل أسباب الرخاء والمعيشة في جبل الفتح حيث انتعشت الحياة الاقتصادية وساد الأمن والاستقرار.⁴

وهكذا فقد تميزت فترة أبي الحسن بتقديم الدعم والتضامن الكامل مع مملكة غرناطة. وعند تولية السلطان أبي عنان فارس سنة 749هـ/1348م بدأت مرحلة جديدة من العلاقات الطيبة بين السلطان يوسف الأول والسلطان أبي عنان بنيت على التفاهم والتضامن فقد أرسل يوسف الأول وزيره لسان الدين بن الخطيب إلى السلطان المغربي معزيا بوفاة والده ومهنئا له بتوليه الحكم⁵، ثم استمرت المراسلات بين غرناطة وفاس منها رسائل التهئة و رسائل الشفاعة كما هو

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 345- الناصري، الاستقصاء، ج4، ص 135- عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج4، ص 127، يوسف شكري، المرجع السابق، ص 36.

² ابن خلدون، العبر، ج7 ص 347- عبده بن محمد، المرجع السابق، ص 77.

³ ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 388.

⁴ ابن مرزوق، المسند، نفسه، ص 392.

⁵ ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 57 - الناصري، الإستقصاء، المصدر السابق ج3، ص 191- علي حامد الماحي، المغرب في عصر السلطان أبي عنان، المرجع السابق، ص 114

الحال سنة 754هـ/1353م عندما بعث السلطان يوسف الأول برسالة إلى أبي عنان يعرض الشفاعة والعفو عن الفقيه ابن مرزوق التلمساني.¹

لقد كانت الصراعات السياسية أحد الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقات بين الدولتين ومنها لجوء الأميرين المرينيين أبو الفضل وأبو سالم إلى الأندلس فاستقبلهما السلطان يوسف الأول وكرم مقامهما كإخوة لسلطان المغرب، إلا أن أبا عنان بعث برسالة إلى السلطان النصري يطلب منه أن يرسل أبا الفضل وأبا سالم فرفض السلطان أبو الحجاج يوسف هذا الطلب،² وبعد خروج أبي الفضل من غرناطة ولجؤه إلى ملك قشتالة عادت المراسلات بين غرناطة وفاس حيث اعتذر السلطان النصري لأبي عنان كما بعث له برسالة أخرى يهنئه بالانتصار على أبي الفضل والقضاء على فتنته.³

وبما أن السلطان الغرناطي كان قد لعب دورا حاسما في وصول أبي سالم إلى عرش المرينيين بعد وفاة أبي عنان، لذلك عندما تعرض محمد الخامس إلى مؤامرة انقلاب سنة 760هـ/1358م من طرف أخيه أبي الوليد إسماعيل بن يوسف فر الغني بالله مع وزيره ابن الخطيب إلى المغرب فخرج السلطان أبو سالم لاستقباله واحتفل بقدمه.⁴

وعندما عاد السلطان محمد الخامس إلى ملكه بغرناطة بمساعدة مملكة قشتالة تجددت الخلافات السياسية بين الدولة المرينية والنصرية خاصة عندما فر وزير السلطان النصري لسان الدين بن الخطيب إلى الدولة المرينية واستقبله السلطان عبد العزيز،⁵ مما دفع بالسلطان الغرناطي محمد الخامس إلى إرسال رسالة مع الهدايا إلى السلطان المريني يطلب فيها تسليم الوزير ابن الخطيب لكن السلطان

¹ ابن الخطيب، نفسه، ص123- ينظر الرسالة في الملحق رقم 07

² ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 133- علي حامد الماحي، المرجع السابق، ص 117.

³ ابن خلدون، العبر، ج7 ص 430 - الناصري، الإستقصا، ج3، ص 191.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص27- ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص109- الناصري، الإستقصا، ج4، ص 90.

⁵ الناصري، الإستقصا، ج4، ص 57- عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج4، ص 145.

رفض ورد عليه بقوله: "هلا انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه، وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى".¹

وبعد وفاة السلطان عبد العزيز استغل محمد الخامس الوضع السياسي المضطرب في المغرب وألقى منصب شيخ الغزاة وبدأ يتدخل في أمور الدولة المرينية، و بالتالي ساهم في زعزعت استقرارها خاصة عندما استخدم عبد الرحمن بن يفلوسن أحد الطامعين في الوصول إلى السلطة المرينية وبمساعدة حاكم سبتة محمد بن عثمان للتحريض على خلع طاعة السلطان المريني السعيد وتولية أبا العباس أحمد بن أبي سالم وفعلا تمكّن هذا الأخير من الاستيلاء على فاس سنة 776هـ/1374م.²

وبذلك تمكّن سلطان غرناطة من السيطرة على الأوضاع السياسية في الدولة المرينية، ومن أهم نتائج هذا التدخل هو إلقاء القبض على لسان الدين بن الخطيب ومحاكمته، وقد قتل في السجن خنقا وأحرق بعد موته وذلك سنة 776هـ/1374م.³

ورغم الخلافات العديدة والتدخل الغرناطي في شؤون الدولة المرينية خاصة في عهد السلطان محمد الخامس إلا أن العلاقات بصفة عامة تميزت بالاستقرار والاحترام المتبادل وما يدل على ذلك هي تلك المراسلات والسفارات العديدة بين البلدين والتي تنوعت بين طلب المساعدة أو طلب الإقامة كما هو الحال للسفير المريني أبي عبد الله المقري الذي بعثه أبو عنان إلى غرناطة سنة 755هـ/1354م والذي فضّل الإقامة بالأندلس فأرسل السلطان يوسف الأول رسالة إلى أبي عنان للشفاعة للمقري،⁴ كما أرسل السلطان النصري إلى سلطان بني مرين رسالة يشفع فيها للفقير أبي عبد الله بن مرزوق، ويطلب من السلطان السماح له بمغادرة المغرب والانتقال إلى الأندلس وقد نجح السلطان الغرناطي في هذا المسعى حيث سمح لعائلة الفقيه بالانتقال إلى الأندلس،⁵ ولم تقتصر

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 445.

² الناصري، الاستقصاء، المصدر السابق ج4، ص 62 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 451 - يوسف شكري، المرجع السابق، ص 40.

³ الناصري الاستقصاء، ج4، ص 64- ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص 08- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 453.

⁴ ابن الخطيب، ريجانة الكتاب، المصدر السابق ج1، ص 353.

⁵ ابن الخطيب، ريجانة الكتاب نفسه، ص 342- ابن مرين، البستان، المصدر السابق ص 201.

الاتصالات بالمراسلات فحسب بل تعدت إلى الزيارات المتبادلة فالسلطان محمد الفقيه زار طنجة سنة 693هـ/1293م كما زار السلطان محمد الرابع المغرب سنة 732هـ/1331م.¹

أما سلاطين بني مرين فقد تعددت زيارتهم للأندلس وكان معظمها من أجل الجهاد، ومما لا شك فيه ورغم أن مواقف بني نصر كانت متذبذبة تجاه المرينيين فإن المساعدات المرينية كان لها الأثر البارز في استمرار الدولة النصرية ووقوفها ضد القوى النصرانية، و من جهة أخرى فإن سياسة بعض سلاطين بني الأحمر قد ساهمت في إضعاف الدولة المرينية، هذا الضعف كانت له نتائج سياسية على الدولة النصرية نفسها، إذ فقدت ذلك التضامن والسند القوي المتمثل في جهاد المرينيين ضدّ النصارى، ولم تستغل تلك الجهود الكبيرة التي بذلها سلاطين بني مرين وذلك الدعم العسكري المتواصل لينتهي بها الأمر إلى السقوط سنة 898هـ/1492م ونهاية الوجود الإسلامي في الأندلس.

1-1-3- العلاقات مع الدولة الزيانية:

لقد تزامن قيام دولة بني نصر في الأندلس مع قيام دولة بني عبد الواد بتلمسان على يد يغمراسن بن زيان ورغم قرب المسافة بين البلدين إلا أنّ العلاقات السياسية لم تتوطّد إلا بعد موت محمد الأول مؤسس الدولة النصرية، وربما يرجع هذا التباعد إلى انشغال محمد الأول بتثبيت أركان دولته خاصة وأنها قامت في وقت اشتدّت فيه ضربات النصارى وتعددت الثورات المناهضة له، كما أن هذا السلطان المؤسس كان يميل في سياسته إلى بني مرين أكثر من الزيانيين، ولهذا جاءت نصيحته لولي عهده بالتقرب وطلب المدد من السلطان المريني.²

وفي عهد السلطان محمد الفقيه بدأت الاتصالات السياسية بين البلدين، ويرجع هذا التقارب إلى خوف محمد الفقيه من النفوذ المريني ويحدث له كما حدث للمعتمد بن عباد مع يوسف بن تاشفين في عهد المرابطين،³ لذلك اتجه إلى يغمراسن للتخلص من ذلك النفوذ، فبدأت المراسلات وتبادل الهدايا بين الدولتين ومن ذلك هدية بعث بها يغمراسن إلى السلطان النصرى تمثلت

¹ ابن الخطيب، الملححة البدرية، المصدر السابق ص 71- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج 1، ص 537.

² ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج 7، ص 253.

³ الناصري، الإستقصا، المصدر السابق ج 3، ص 49.

في مجموعة من الخيول والثياب، وبالمقابل بعث محمد الفقيه بهدية إلى يغمراسن تمثلت في مبلغ من المال قدره عشرة آلاف دينار إلا أنها لم تعجب السلطان يغمراسن فردّها إليه،¹ وكانت مطالب بني الأحمر تتمثل في ضرورة تعاون بني عبد الواد معهم لضرب قوة المرينيين بالمغرب، واتفقا الطرفان على أن يهاجم يغمراسن الحدود الشرقية للدولة المرينية وإشغالهم عن العبور والجهاد في الأندلس، وفعلا فقد دخل يغمراسن في صراع مع المرينيين ودارت معارك كثيرة على الحدود بالرغم من طلب يعقوب المريني الصلح ومما قاله ليغمراسن: "إلى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادي في الغرور؟ أما أن أن تنشرح الصدور وتنقضي هذه الشرور؟" إلا أن يغمراسن رفض الصلح، ورد عليه بقولة "ليس له عندي إلا الحرب" وخرج يعقوب لقتال يغمراسن وانتهى هذا الصراع بهزيمة يغمراسن وغنم المرينيون أموالا كثيرة.²

وقد أشارت العديد من الرسائل إلى هذا التحالف الزياني النصري ومنها الرسالة التي كتبها ابن خطاب إلى السلطان النصري والمؤرخة في شوال 678هـ/ماي 1280 م وفي هذه الرسالة يخبر عن وصول مبعوث نصري إلى تلمسان،³ هذا التقارب بين الأندلس وتلمسان ربما جعل يغمراسن يصدر ظهيرا يسمح للمهاجرين الأندلسيين بالاستقرار بتلمسان.⁴

وقد استمر هذا التقارب حتى بعد وفاة يغمراسن بن زيان وتولي أبو سعيد عثمان الإمارة سنة 681هـ/1283م ويظهر ذلك من خلال رسالتين بعثهما أبي سعيد عثمان إلى السلطان النصري جوابا عن رسالة تعزية كان قد بعثها السلطان النصري إلى الأمير الزياني وفي هذه الرسالة يقول أبو سعيد عثمان: "... فإنه وصل كتابكم يتضح بيانا ويجلو مصافاتكم صورا حسانا، وعزيتم في المولى الوالد.. إلى أن يقول... "ولئن كنتم فقدتم محل والد لقد أبقى لكم منا محل أخ معاضد في كافة

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص267- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص335.

² النصري، الإستقصا، المصدر السابق ج3، ص54- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص270- ابن أبي زرع، الأنيس، ص336- خالد العربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص168.

³ أحمد عزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، مطبعة ريبانيت، المغرب 2008 م، ص160.

⁴ ينظر الظهير في الملحق رقم 12. ص375 ...

الأحوال مساعد يقاسمكم في المر والحلو...¹، وهذا ما يؤكد رغبة السلطان الزياني أبو سعيد عثمان في تمديد التحالف و التعاون مع حكام بني نصر بعد وفاة والده .

وفي عهد أبي حمو موسى الثاني تجددت المراسلات بين البلدين ففي سنة 763هـ/1361م أرسل السلطان محمد الخامس برسالة إلى السلطان الزياني يطلب منه التضامن ومساعدة مسلمي الأندلس على مواجهة النصارى فأمدهم أبو حمو الثاني بخمسين قدحا من الزرع وثلاثة آلاف دينار ذهبي،² ثم توالى الدعم الزياني لمملكة غرناطة مما شجعهم على الصمود كما وجّه السلطان أبو عبد الله الغني بالله نداء إلى السلطان الزياني لنصرة الأندلسيين وهي عبارة عن قصيدة للفقير أبي البركات محمد بن إبراهيم البليقي جاء فيها:

هل من مجيبٍ دعوةَ المستنجد

أم من هجيرٍ للغريب المفرد

هل من وليّ ناصرٍ دين الهدى

أو ذي حمىٍ يحمي حنيفة أحمد³

كما بعث لسان الدين بن الخطيب برسالة لسلطان تلمسان أبي حمو موسى الثاني ومع هذه الرسالة قصيدة سينية يعبر عن شكره للمساعدات التي كان يقدمها للأندلس ومنها:

أنت الذي افتك السفين وأهلُهُ

إذ أسعت سبل الخلاص طموسَ

أنت الذي أمددت ثغر الله بالصا

دقات تُبلسُ كرة إبلِيسًا

وأعنتَ أندلسًا بكل سبيكةٍ

مرسومة لا تعرف التدينيسًا⁴

وقد استمر أبو حمو في تقديم المعونة لأهل الأندلس حيث خصص لهم مساعدة سنوية، وبفضل هذا الدعم حققت مملكة غرناطة انتصارات على النصارى ومن ذلك تحرير الجزيرة الخضراء وقد عبر لسان الدين بن الخطيب على تلك المساعدات في قصيدة يشكر فيها أبا حمو موسى الزياني على تضامنه الكبير مع مسلمي الأندلس إذ يقول فيها:

¹ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص 163 - باقي الرسالة ينظر إلى الملحق رقم 3.

² يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق ج2، ص 114.

³ يحيى ابن خلدون، نفسه، ج2، ص 167 - عبده بن محمد، المرجع السابق، ص 112.

⁴ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج6، ص 199.

لقد زار الجزيرة منك بحر
يمد فليس نعرف منه جزراً
أعددت لها بعهدك عهد موسى
سميك فهي تتلو منه ذكراً
أقمت جدارها وأفددت كنزا
ولو شئت اتخذت عليه أجراً¹

وقد استمرت العلاقات النصرية الزيانية على ما كانت عليه من الدعم المتواصل إلى غاية بداية القرن التاسع الهجري حيث عرفت بعض الفتور وتوقفت المراسلات وربما يرجع هذا التراجع إلى ظروف البلدين فالدولة الزيانية أصابها الضعف بسبب الصراعات الكثيرة ولم تعد قادرة على تلبية مطالب أهل الأندلس خاصة مع اشتداد العدوان الصليبي على مملكة غرناطة، ورغم هذه الظروف فقد رحل الفقيه ابن الأزرق إلى تلمسان وتونس لطلب النجدة عندما غلب العدو على ما بقي للمسلمين في الأندلس.²

وبصفة عامة فإن العلاقات السياسية بين بني نصر والدولة الزيانية كانت متميزة ولم تحدث خلافات أو صراعات بينهما ونظراً لهذا التميز فقد حرص سلاطين بنو زيان على الاستقبال الجيد للمهاجرين الأندلسيين ومنحهم حق الإقامة في المدن التي يريدون الاستقرار بها.

إلا أن العلاقات الزيانية النصرية لم تصل إلى ما وصلت إليه العلاقات المرينية النصرية لأن الدعم الزياني اقتصر على المساعدات المادية ولم يصل إلى القيام بحملات عسكرية والعبور إلى الأندلس وربما يرجع هذا إلى انشغالهم بالصراعات مع المرينيين والحفصيين ومع بعض القبائل الأخرى.

لقد كان للسفارة دور كبير في تمتين العلاقات السياسية بين الأندلس وبلاد المغرب وعادة ما كانت تسند هذه المهمة للعلماء ويرجع اختيار العلماء بالدرجة الأولى إلى قدرة هؤلاء على التحاور والتخاطب، إضافة إلى حرصهم الدائم على الإصلاح وتوحيد المسلمين، وقد مثل ابن الخطيب أهم نموذج للسفارة بين الأندلس وبلاد المغرب وقد كان ينجح كل مرة في الحصول على المساعدات لأهل الأندلس.

¹ لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، المصدر السابق، ص542.

² المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق ج3، ص318-المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج2، ص699-القلصادي، الرحلة المصدر السابق ص27.

كما كان للسفارة دور كبير في توثيق العلاقات بين الحكام من جهة أو بين الحكام والعلماء من جهة أخرى خاصة وأن بعض الحكام اشتهروا بحبهم للعلم والعلماء، كما كانت السفارة وسيلة للقاء الشيوخ والأخذ عنهم فابن خلدون يقول عكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين في عرض السفارة وحصلت من الإفادة منهم،¹ كما كانت هذه السفارة أحد الأسباب الرئيسية في ربط علاقة ود وصداقة بين العلماء والأمثلة على ذلك كثيرة، منها العلاقة بين ابن الخطيب وابن مرزوق أو بين ابن الخطيب وابن خلدون.

لقد كانت للمراسلات والسفارة دور كبير في توثيق الصلات بين الأندلس وبلاد المغرب وبالتالي توطيد العلاقات السياسية التي ساهمت في خلق جوّ من التضامن والتعاون بين دول المغرب الإسلامي وساهمت أيضا في تمتين العلاقات الثقافية بين الأندلس وبلاد المغرب.

1-2- العلاقات مع بلاد المشرق:

إن ارتباط الأندلسيين بالمشرق ارتباط وثيق فرضته حتمية العقيدة الإسلامية باعتبار أن المشرق الإسلامي يضمّ الأماكن المقدّسة لدى المسلمين، ونعني بها مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس لذلك كان الأندلسيون تواقين للهجرة نحو المشرق لزيارة تلك الأماكن وأداء الركن الخامس للإسلام، كما توفّرت المدن في المشرق الإسلامي على العديد من المدارس والمراكز العلمية مما جعل الأندلسيين يرتحلون إلى هذه المراكز للقاء المشايخ والأخذ منهم وبالتالي فعلاقة الأندلس بالمشرق علاقة قديمة تعود إلى الفتح الإسلامي ثمّ تطوّرت أكثر بعد ذلك بعد أن تحول المشرق إلى مركز الخلافة الإسلامية.

1-2-1- العلاقة مع المماليك:

عندما اشتدت الحرب الصليبية ضدّ المسلمين في مملكة غرناطة اتجهت إلى جيرانها الأقربين فاس وتلمسان وتونس إلا أن هذه الدول لم تكن قادرة لوحدها على حماية الأندلس خاصة وأنّ النصارى ركّزوا على عزل المدن الأندلسية عن السواحل المحاذية للعدوة وذلك لمنع المتطوعين من الوصول إلى

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 400.

غرناطة، وإلى جانب ذلك فإن دول المغرب الإسلامي لم تتفق على أي عمل جهادي مشترك بل ساد بينهم الخلاف والصراع واستنزفت قواتهم في تلك الحروب المتبادلة.

هذه الظروف دفعت أهل غرناطة إلى التوجه نحو مصر رغم أن مصر تباطأت عن تقديم الدعم والمساعدة إلى الأندلس عندما انشغلت بدفع خطر المغول عن أرضها، وقد كانت علاقة مصر بالأندلس وثيقة للغاية طيلة العهد الإسلامي، وهناك عوامل عديدة ساهمت في توثيق هذه العلاقة نذكر منها التضامن الإسلامي حيث الشعور بالأخوة الدينية إضافة إلى رحلة الحج فقد كانت مصر المعبر الأساسي للحجاج سواء عن طريق البر أو البحر، ومن العوامل الأخرى أيضا مكانة مصر الاقتصادية والاستراتيجية من خلال موقعها الذي أهلها لأن تكون الوسيط التجاري بين العالم الإسلامي وأوروبا.¹

أما في المجال العلمي فقد برز دور القاهرة والإسكندرية كمراكز علمية هامة بعد سقوط بغداد والمدن الأندلسية مما جعل مصر محط أنظار العلماء والطلاب وأهل الحرف والصناعات.²

ومن مظاهر تلك العلاقات الطيبة بين البلدين المراسلات العديدة والتي كان أساسها طلب الأندلسيين المساعدة من إخوانهم في مصر أو إخبارهم عن انتصاراتهم ضدّ النصارى، ومنها رسالة بعث بها أبو الوليد إسماعيل الأول الذي حكم في الفترة الممتدة بين 713هـ-741هـ/1309م-1340م إلى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ليخبره عن انتصاراته على مملكة قشتالة سنة 719هـ/1319م.³

¹ سحر عبد العزيز سالم، بحوث مغربية ومشرقية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1 مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997 م، ص 195.

² محمد الطوخي، المرجع السابق، ص 320.

³ حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 262.

ومنها تلك الرسالة التي بعث بها السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول 732هـ-755هـ/1333م-1359م إلى السلطان المملوكي الصالح عماد الدين إسماعيل 743هـ-746هـ/1342م-1345م يستنصره ضد نصارى إسبانيا.¹

أما في عهد السلطان محمد الخامس 755هـ-760هـ/1354م-1359م فقد تطورت العلاقات السياسية أكثر حيث أرسل هذا الأخير عدة رسائل إلى سلاطين المماليك الذين عاصروه لطلب النجدة والمساعدة ومنها رسالة من إنشاء لسان الدين بن الخطيب،² بعث بها إلى السلطان المملوكي المنصور أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون يخبره فيها عن عودته إلى غرناطة واسترجاع ملكه ويصف له الحالة السيئة التي كان يتعرض لها الإسلام والمسلمون في الأندلس،³ كما بعث محمد الخامس برسالة أخرى إلى بليغا الجاصكي الذي كان يمسك بزمام السلطة في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الذي كان صبيا لا يزيد عمره عن عشر سنوات، وفيها يصف انتصاراته على القشتاليين ويطلب المعونة وأن يبقى أبواب مصر مفتوحة وملجأ للإسلام والمسلمين.⁴

ومن مظاهر التضامن تلك الحملة التي قام بها محمد الخامس على المسيحيين الإسبان في مدينة جيان التابعة لملك قشتالة وذلك سنة 769هـ/1367م وكان شعار المسلمين في هذه الغارة يا لثارات الإسكندرية انتقاما لغزو بطرس صاحب قبرص لمدينة الإسكندرية،⁵ هذه الغارة تعبر عن

¹ سحر عبد العزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبل وبعد سقوطها، أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية حول الذكرى 500 لسقوط غرناطة، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، زغوان، ج2، 1993م، ص 89.

² المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج1، ص321- سحر عبد العزيز سالم، بحوث ومغربية ومشرقية المرجع السابق، ص 203- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 261.

³ انظر الرسالة في الملحق رقم

⁴ سحر عبد العزيز سالم، علاقات مصر المملوكية، المرجع السابق، ص 89- سحر عبد العزيز سالم، بحوث مغربية ومشرقية المرجع السابق، ص204- عبد الله عنان، دول الإسلام، ج4، ص 147.

⁵ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج8، ص 107- ابن الخطيب، رجحانة الكتاب، ج1، ص 295- أحمد مختار العبادي، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد رقم 23، ص 113- أحمد مختار العبادي و عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، المرجع السابق ص 316 .

اهتمام سلاطين غرناطة بما كان يجري في مصر وتدعيمهم للروابط السياسية والتضامن مع إخوانهم المسلمين.

أما في عهد السلطان الغرناطي محمد الأيسر فقد تجددت الاتصالات بعد أن توقفت فترة زمنية طويلة حيث لم تشر المصادر إلى أية رسالة بعد السلطان محمد الخامس وربما يرجع هذا الانقطاع إلى مشاكل المماليك الداخلية وانتقال الحكم إلى الشراكسة.

ففي سنة 844هـ/1440م وجه محمد الأيسر رسالة إلى السلطان المملوكي الظاهر جقمق،¹ كان هدفها طلب النجدة والعون ويشتكى فيها ما أصابه من النصارى إلا أن السلطان المملوكي اعتذر ببعده المسافة ووعد بتقديم معونات مالية.²

ورغم أن هذه الرسالة قد نصت على طلب المساعدة إلا أنه لا يوجد ما يؤكد أو ينفي وصول هذه المساعدات إلى غرناطة باستثناء ما أورده حمدي عبد المنعم في كتابه دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك أنه عثر على رسالة بالمكتبة الأهلية بباريس بعثها محمد الأحنف بن عثمان إلى الظاهر جقمق يشكره على ما قدمته مصر من مساعدات للأندلس،³ كما أن استمرار المراسلات وطلب المساعدة وعدم اليأس ربما يدل على أن المساعدات قد وصلت فعلا إلى غرناطة.

فالسلطان الغرناطي سعد المستعين بالله بن علي⁴ أرسل سنة 868هـ/1463م رسالة إلى السلطان المملوكي الظاهر خشقدم⁵ يستنجد به من ضربات ملك قشتالة الذي استولى على عدد

¹ هو ابو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري سلطان مصر الرابع والثلاثون من ملوك الترك والعاشر من الشراكسة، ينظر، ابن العماد، ج9، ص 425.

² سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص216- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 264- السير وليام، تاريخ دولة المماليك في مصر، المرجع ص156.

³ حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 265.

⁴ سعد المستعين بالله هو سعد بن محمد بن يوسف حكم مدة قصيرة ثم ثار عليه ولده أبو الحسن وطرده من غرناطة، ينظر: عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج4، ص 167.

⁵ هو سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري الرومي اشتراه المؤيد شيخ وأعتقه، تولى السلطة سنة 865هـ، ينظر ابن العماد، شذرات، ج9، ص 467- السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 176.

من المدن والقرى الأندلسية وكان رد السلطان المملوكي عبارة وعد بتقديم العون المادي إلا أن هذا الدعم لم يجد نفعا في ظل الصراع القائم والفتن الداخلية خاصة بين سعد المستعين وابنه أبي الحسن¹ ورغم هذا إلا أن بني الأحمر لم ييأسوا من نجدة إخوانهم في المشرق فبعث أبو عبد الله الزغل رسالة برفقة سفيره أبي علي بن محمد بن الأزرق إلى السلطان المملوكي الأشرف أبي النصر سيف الدين قيتباي سنة 892هـ/1487م يستنصره لرد الهجمات الإسبانية على مملكة غرناطة التي تعاني حصارا طويلا وتكاد تسقط في أيديهم،² إلا أن السلطان المملوكي ونظرا للأخطار الخارجية التي كانت تهدد مصر والمتمثلة في الدولة العثمانية لجأ إلى الوسائل الدبلوماسية حيث وجّه سفارة مصرية إلى البابا وملك نابولي وملك قشتالة وأراغون وفي هذه الرسائل يعاتب ملوك النصارى على ما ينزل بأبناء المسلمين في مملكة غرناطة في حين يتمتع النصارى في الدولة المملوكية بالأمن والحرية والحماية وهددهم أنه في حالة عدم رفع العدوان سيضطر إلى العمل بالمثل ويمنع النصارى من دخول الأراضي المقدسة وإغلاق كنيسة القيامة أو يهدمها إذا اقتضى الأمر، فكان رد الملكين الكاثوليكين سلبيا حيث أكدوا فقط أنهما لا يفرقان في المعاملة بين الرعايا المسلمين والمسيحيين ولكنهما يعملان على استرجاع أرض الأجداد،³ وهكذا اكتفت مصر بالدور الدبلوماسي ولم تنفذ تهديداتها تاركة المسلمين في الأندلس لمصيرهم، ونجح الملكان الكاثوليكيان في ضم ما بقي من مملكة غرناطة وتحقيق هدفهما القديم.

إن هذا الدور السلبي الذي تبنته دولة المماليك ربما يرجع بالدرجة الأولى إلى بعد المسافة حيث كان من الصعب إرسال مساعدات عسكرية إلى الأندلس إضافة إلى انشغال المماليك في رد الخطر

¹ سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 218

² ابن أبياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1402، ج3، ص244- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 268.

³ ابن أبياس، المصدر نفسه، ص245- عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص 221- سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 222.

المغولي من جهة ومواجهة القوة العثمانية الناشئة من جهة أخرى والتي كانت تسعى الى السيطرة على معظم مناطق المشرق.¹

ورغم ذلك فقد بقي أهل الأندلس يطمعون في مساعدة المماليك فحتى بعد سقوط غرناطة استنجد الموريسكيون بالسلطان المملوكي الغوري بعد ظهور حركة التنصير وقد استجاب السلطان وأرسل إلى ملكي قشتالة وأراغون توعدهم بأنه سوف يجبر المسيحيين على اعتناق الإسلام فكان رد الملكين أن المسلمين في الأندلس يقون رعاية ومعاملة جيدة في ظل الحكم الإسباني²، ومن خلال هذا الرد يبدو أن النصارى كانوا متأكدين من عدم قدرة المماليك أو أية قوة إسلامية أخرى من نجدة أهل الأندلس.

وهكذا استمرت العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة ومصر المملوكية قائمة طوال عصر دولة المماليك وقد ساندت مصر -رغم ظروفها الصعبة- بقدر امكاناتها، إلا أن هذا لم يمكن من ردّ الخطر المسيحي على الأندلس وظهر تخلي المسلمين في المشرق كما هو الحال في المغرب عن إخوانهم في الأندلس وتركهم يواجهون الخطر الصليبي الذي قاد في النهاية إلى سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس " فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ " ³

1-2-2- العلاقة مع الدولة العثمانية:

لقد تمتعت الدولة العثمانية بقوة كبيرة خاصة بعد فتح القسطنطينية وأصبحت من أكبر القوى السياسية والعسكرية في العالم، هذه الدولة قدمت دعماً وخدمات كبيرة للعالم الإسلامي من خلال حروبها الطويلة مع النصارى .

إن العلاقات بين الأندلس والدولة العثمانية لم تتحدث عنها المصادر والمراجع إلا قليلاً خاصة قبل سقوط غرناطة، فقد كان اعتماد أهل الأندلس بالدرجة الأولى على بلاد المغرب ثم على مصر

¹ سحر عبد العزيز سالم، بحوث مشرقية، المرجع السابق، ص 217- عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص 220.

² تحليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2004، ص 309.

³ سورة محمد، الآية 21.

المملوكية، إلا أن قلة الإمدادات والمساعدات جعلت أهل الأندلس يتجهون إلى طلب المعونة من الأتراك فقد أشارت بعض المراجع إلى رسالة وهي عبارة عن قصيدة بعث بها أهل الأندلس إلى السلطان بايزيد الثاني¹ 886هـ-918هـ/1481م-1512م ومما جاء فيها:

سَلامَ عليكم من عبيدٍ تخلفوا بأندلس الغرب في أرض غربية
أحاط بهم بحر من الروم زاجر وبحر عميق دون ظلام ولجة²

و القصيدة تصف أهل الأندلس و ما أصابهم من ظلم واستبداد كما تشير أيضا إلى اتصال أهل الأندلس بالمماليك في مصر مع الإشارة كذلك إلى رد النصارى على تهديدات السلطان المملوكي.³ ولكن السلطان العثماني بايزيد لم يستجب لهذا الطلب خاصة وأنه كان يعاني من مشاكل داخلية وأخرى خارجية تمثلت في صراعه مع البابوية ومع الدول الأوروبية، وقد أشارت بعض المراجع إلى إرسال بايزيد الثاني بعض العساكر إلى سواحل إسبانيا فأغاروا على بعض الجهات من الأندلس، ولكن هذا احتمال ضعيف نظرا لكثرة الأحداث التي عاشها العثمانيون في عهد هذا السلطان.⁴

ومن مظاهر العلاقات بين الأتراك والأندلس في هذه المرحلة هو استقبال الدولة العثمانية لبعض المهاجرين الأندلسيين ومنهم أسرة البلوي وهو علي بن أحمد بن داود البلوي وولده أبو جعفر هذه الأسرة التي هاجرت إلى تلمسان ومنها انتقلت إلى القسطنطينية،⁵ ومن مظاهر العلاقات أيضا

¹ هو بايزيد خان بن محمد بن مراد بن محمد بن بايزيد ولد سنة 855 هـ و تولى السلطة سنة 886 هـ وهو الثامن من ملوك بني عثمان ، كان مجاهدا مرابطا محبا لأهل العلم محسنا اليهم ،افتتح عدة قلاع للنصارى توفي سنة 918 هـ، ينظر الشوكاني ،البدر الطالع ج1 المصدر السابق ص 109 - ابن العماد ،شذرات ج10 ،المصدر السابق ص 123 .

² محمد بن حسن بن عقيل موسى ، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء، جدة 1415هـ، ص78- فتحي زغروت، العثمانيون ومحاولة إنقاذ مسلمي الأندلس، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2011م ، ص56 - جمال يجاوي ،سقوط غرناطة ،المرجع السابق ،ص 115 .

³ ينظر إلى الرسالة في الملحق رقم 10 ص 370 .

⁴ إبراهيم بك حلیم، تاريخ لدولة العثمانية العلية، التحفة الحليمية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1988م ، ص71.

⁵ السخاوي، الضوء اللامع ،المصدر السابق ج5، ص 167- محمد مخلوف، المصدر السابق شجرة النور الزكية، ج1، ص273- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص138- عبده بن محمد عواجي، المرجع السابق، ص 138.

رسالة من أهل الأندلس إلى السلطان سليمان القانوني يطلبون منه تقديم المساعدة وإنقاذهم من النصارى.¹

ورغم الاختلاف حول هذه المراسلات إلا أن ما هو مؤكد أن الأتراك قد ساهموا في تقديم الدعم والمساعدة لأهل الأندلس وساهموا أيضا في نقل الكثير من المهاجرين إلى سواحل الدول الإسلامية،² فبعد أن أصبحت الجزائر تابعة للدولة العثمانية قام خير الدين بتوجيهه 36 بارجة إلى السواحل الإسبانية لنقل الموريسكيين إلى سواحل بلاد المغرب وقد عاملت الدولة العثمانية الأندلسيين معاملة الرعايا العثمانيين ومنحتهم امتيازات خاصة بهم.³

2- العلاقات التجارية:

2-1- مع بلاد المغرب الاسلامي

بعد سقوط دولة الموحدين تشتتت الوحدة الاقتصادية للمغرب والأندلس وظهرت توازنات جديدة أثرت على الحركة التجارية، ومن أهم العوامل الجديدة التي كان لها تأثير على الحياة الاقتصادية أن الأندلس في عهد دولة بني نصر كانت قد فقدت الكثير من المناطق حيث أن الزحف المسيحي قد تمكّن من الاستيلاء على عدد من المدن، وبالتالي على الطرق والموانئ التجارية التي كان يستخدمها أهل الأندلس في علاقاتهم التجارية، ولم يبق لمملكة غرناطة إلا الجبهة الجنوبية التي تتجه منها نحو الشمال الإفريقي، أمّا بالنسبة لبلاد المغرب فإن الانقسام الذي حصل جعل كل دولة تسعى لتأمين الطرق التجارية وتوفير وسائل الراحة والتموين، ويضاف إلى كل هذه العوامل الصراع السياسي والعسكري بين دول المغرب الاسلامي الذي استمر فترة زمنية طويلة جعل الطرق التجارية تعاني من عدم الاستقرار.

¹ محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 104- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 267- ينظر الرسالة في الملحق رقم 11.

² عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج4، ص 386.

³ محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 103.

ورغم هذه الصعوبات فإن مملكة غرناطة وبلاد المغرب كانت تمتلك إمكانيات اقتصادية كبيرة تمثلت في ملاءمة الظروف الطبيعية وتوفر المياه مما أدى إلى تنوع الإنتاج الزراعي من الفواكه والحبوب¹.
لقد تمتعت غرناطة بإمكانات هائلة فهي أطيب البقاع نفعا وأكرم الأراضين تربة كما يقول الحميري²، كما توفرت الأندلس وخاصة غرناطة على مواد أولية معدنية مختلفة منها الرصاص والذهب والفضة والحديد وغيرها³، هذه الإمكانيات جعلت مملكة غرناطة ترتبط بعلاقات تجارية مع دول المغرب ويرجع هذا الترابط إلى وحدة العقيدة والمصير المشترك، ومن العوامل المساعدة أيضا على هذا الترابط التجاري توفر الطرفين على مجموعة من الموانئ الهامة التي كان لها الدور البارز في تنشيط الحركة التجارية خاصة وأن الأندلس لم يكن لها طريق بري يربطها بدول المغرب الإسلامي لذلك سعت إلى الاهتمام بصناعة السفن وتجهيز الموانئ، ومن أبرز تلك الموانئ:

- **المرية:** يعتبر من أكبر الموانئ وأحصنها تمتد منه خطوط بحرية كثيرة إلى مختلف موانئ المغرب حيث أصبحت المنفذ الوحيد لبلاد الأندلس بعد سقوط باقي الموانئ الهامة الأخرى، وقد ساعد موقعها البحري على اتخاذها قاعدة بحرية و تجارية في آن واحد⁴.

- **مالقة:** تقع جنوب الأندلس على شاطئ البحر المتوسط على الغرب من مدينة المرية⁵ وكان لمرساها دور كبير في ربط الأندلس ببلاد المغرب من حيث التجارة وحركة المسافرين.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص 98.

² الحميري، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار، ط1 دار الجبل، بيروت، 1988م، ص 24.

³ ابن الخطيب، الملححة البدرية، المصدر السابق، ص 13.

⁴ ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 119- محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في

العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996م، ص 182.

⁵ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف 1993 م، ص422- محمد أحمد أبو

الفضل، المرجع السابق، ص 32.

- المنكب: من اهم موانئ الأندلس حيث يحتل مكانة هامة من حيث قُربه من العاصمة غرناطة ومالقة على البحر المتوسط اشتهرت هذه المدينة بصناعة السفن،¹ ولهذا الميناء أيضا دور هام في الحركة التجارية مع بلاد المغرب وإلى جانب هذه الموانئ الهامة توجد موانئ أخرى أقل أهمية منها ميناء الجزيرة الخضراء وهو الأقرب إلى المغرب ويقابله بالعدوة مدينة سبتة²، ومريلة قرب مالقة وجبل طارق ولو أن هذا الميناء كان في معظم الأوقات تحت سيطرة بني مرين حيث استغل لتسهيل عملية العبور إلى الأندلس لغرض الجهاد.

أما بلاد المغرب فهي الأخرى توفرت على موانئ ومراسي هامة ساهمت في تنشيط الحركة التجارية ومن أبرز تلك الموانئ:

ميناء سبتة: وهي أقرب مدينة مغربية من الأندلس بها ميناء حصين وكبير يستقبل السفن على اختلاف أحجامها،³ أما طنجة التي تقابل جزيرة طريف على البر الأندلسي فبها ميناء هام وحصين يسع العديد من السفن، ثم القصر الصغير وهو ميناء قريب من الأندلس يتوسط بين ميناء سبتة وطنجة.

أما موانئ المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي فهي أسبلا والقصر الكبير وآسفي وأغادير،⁴ وقد كانت هذه الموانئ تساهم بشكل كبير ورئيسي في تجارة المغرب الأقصى مع الأندلس.

- أما موانئ الدولة الحفصية فأهمها ميناء طرابلس له موقع هام جدا بين تونس والإسكندرية به

¹ القلصادي، رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص 95،- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص216- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 218.

² الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 74.

³ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص182- الحميري، الروض المعطار، ص 303- محمد بن القاسم السبي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنن الآثار، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط 1983 م، ص 64.

⁴ ياقوت الحموي، نفسه، ص180- توفيق مزاري، النشاط البحري بالمغرب الاسلامي عهد الموحدين و المرابطين، ج 1 جسور للنشر والتوزيع الجزائر 2011م ص 263 .

أحواض لصناعة السفن وتجهيزها، ثم جزيرة جربة وهي محطة هامة في طريق المشرق،¹ أما ميناء تونس فيمتاز بموقع طبيعي وممتاز فهو ملجأ أمين للسفن من الرياح والأمواج العاتية، أما ميناء المهدية على ساحل القيروان فله أهمية تجارية كبيرة خاصة عم بلاد الشام وصقلية والمدن الإيطالية².

- أما المغرب الأوسط فقد اشتهرت به مجموعة من الموانئ ومنها ميناء هنين الذي يقع في مستوى مدينة المرية الأندلسية و رغم صغره إلا أنه همزة وصل مع الأندلس،³ ثم ميناء وهران الكبير الحجم باستطاعته استقبال العديد من السفن ويعتبر أهم موانئ الدولة الزيانية، كما يعتبر ميناء المرسي الكبير من أهم الموانئ فهو قريب من وهران يمتاز بأنه آمن من الرياح ويسهل دخول السفن إليه⁴.

لقد ساهمت هذه المراسي في تنشيط حركة التبادل التجاري مع بلاد المغرب ومنها كان التجار يتجهون نحو السودان الغربي للحصول على الذهب، ومن أبرز الخطوط البحرية، الخط الرابط بين غرناطة وهنين أو وهران ثم تلمسان ومنها إلى سجلماسة و أودغست، وطريق ثان من جبل طارق إلى طنجة ومنها إلى فاس وولادة، هذه الطرق قد عرفت تطوراً كبيراً خاصة في عهد المرابطين والموحدين،⁵ ومن الطرق البحرية أيضاً الخط الرابط بين ميورقة وجزائر بني مزغنة استعمله الناصر الموحدي أثناء صراعه مع بني غانية⁶، ومن الخطوط المباشرة الخط الرابط بين مدينة المنكب و وهران وهو الخط الذي الذي استعمله القلصادي في رحلته،⁷ وهناك طريق آخر أيضاً بين ميورقة وبجاية هذا الخط الذي كان له أثر كبير في تجارة الرقيق أيام دولة الموحدين⁸.

¹ القلصادي، الرحلة، المصدر السابق ص113.

² ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 60- توفيق مزاري، المرجع السابق ص 264.

³ الإدريسي أبو عبد الله، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 153.

⁴ حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق ص31- مارمول كاربخال، إفريقيا، المصدر السابق، ص 327.

⁵ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ط1 دار الشروق، 1403هـ، ص 319.

⁶ ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص232.

⁷ القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 95.

⁸ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 21.

لقد تأثرت هذه الطرق في مطلع القرن السابع الهجري بعد استيلاء النصارى على جبل طارق وبعض المدن الأندلسية فأحكموا السيطرة على هذه الطرق، كما تدخلت الدول الأوروبية في تجارة البحر المتوسط، وتحكمت قشتالة في مداخل المحيط الأطلسي، هذه الأوضاع أثرت بصفة مباشرة على حركة التجارة بين المغرب والأندلس وجعلت التجار يبحثون عن الطرق الآمنة خاصة عبر صقلية، هذا وقد تعرض العديد من التجار للأسر من طرف القراصنة أو السفن الحربية النصرانية.

وعبر هذه الطرق البحرية كان يتم التبادل التجاري بين الأندلس وبلاد المغرب، فقد كانت مملكة غرناطة تصدر إلى المغرب المصنوعات الفخارية والمعدنية والعطور والورق،¹ إضافة إلى المنتوجات الزراعية مثل القطن وزيت الزيتون والصوف والحبر وبعض الفواكه مثل التين الذي عرف بالتين المالقي.²

أما المعادن فكانت الأندلس تصدر الزئبق والرصاص والفضة،³ ومن المصنوعات كانت تصدر السكاكين والأقمص المذهبة والأحواض الرخامية المصنوعة في ألميرية وكان الهدف من تصديرها هو تزيين المساجد والمدارس كما هو الحال في المدرسة المصباحية بفاس.⁴

أما صادرات بلاد المغرب إلى الأندلس فتمثلت في القمح من ميناء وهران وهنين وتنس ومن الموانئ المرينية ونظرا لتضامن المرينيين مع الدولة النصرانية فقد كان السلطان المريني أبو الحسن يعمل على إرخاص سعر القمح حتى يكون في مقدور الغرناطيين شراؤه أثناء فترة الحصار.⁵

من الصادرات المغربية الأخرى المكسرات مثل اللوز والفسق من قفصة الحفصية وقصب السكر والذهب والعاج الذي كان التجار المغاربة يجلبونه من السودان الغربي.¹

¹ عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2008م، ص 97.

² المقرئ، نوح الطيب، ج 1، ص 200- توفيق مزاري، المرجع السابق ص 243.

³ عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق ص 448.

⁴ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الإسكندرية 1984م، ص 171.

⁵ ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 395.

إن موضوع التبادل التجاري ليس من صلب موضوعنا إلا أن هذا التبادل ساهم في توثيق الصلات الثقافية بين المغرب والأندلس فمن خلال هذه الخطوط البحرية وهذه الطرق انتقل العديد من العلماء والطلبة والمهاجرين من الأندلس إلى دول المغرب فقد كان العلماء ينتظرون حركة تلك السفن نحو موانئ المغرب وبالتالي فإن العلاقات التجارية كان دورها لا يقل أهمية عن العوامل الأخرى في تحقيق الترابط الثقافي.

2-2- العلاقات التجارية مع المشرق:

رغم بعد المسافة بين المشرق والأندلس إلا أن العلاقات التجارية عرفت تطورا وازدهارا بفضل امتلاك البلدين لمقومات تجارية عديدة منها الموقع الجغرافي على البحر المتوسط مع توفر الرؤوس والخلجان المساعدة على إقامة الموانئ والمراسي، وقد سبق وأن تحدثنا عن مراسي الأندلس في العلاقات مع بلاد المغرب، أما مصر فقد امتلكت مجموعة من المراسي الهامة وأبرزها على الإطلاق ميناء الإسكندرية ودمياط و عيذاب على البحر الأحمر إضافة إلى وقوع مصر على طريق الحجاج القادمين من أرجاء المغرب الإسلامي، كما أن تحكمها في البحر الأحمر والبحر المتوسط جعلها تتحكم في الطرق التجارية،² بالتالي مثلت منطقة عبور نحو باقي العالم الإسلامي ونحو آسيا وبلاد الهند.

هذه الظروف جعلت مصر تلعب دور الوسيط التجاري بين تجار الشرق والغرب هذا الدور كان يتطلب تأمين الطرق التجارية وحراستها من قبائل الأعراب الذين اعتادوا على سلب ونهب القوافل التجارية، ومن جهة أخرى إغراء التجار على التردد على الموانئ المصرية ومن ذلك ما قام به السلطان قلاوون الذي بعث إلى نوابه بالثغور يأمرهم بحسن معاملة التجار.³

ومن العوامل المساعدة على ازدهار التجارة في مصر هو توفر وتنوع الإنتاج الزراعي، فقد اهتم سلاطين المماليك بالزراعة اهتماما كبيرا حتى أصبحت الحرفة الأولى لغالبية السكان خاصة وأن

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 192.

² شوقي عبد القوي عثمان، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة 2000 م ، ص 61.

³ عبد العزيز سالم، العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 299.

الأراضي في مصر تمتاز بخصوبة التربة وتوفر المياه، ومن أهم المحاصيل الزراعية في مصر - أيام المماليك- القمح الذي كان يفوق حاجة البلاد، إضافة إلى الكتان الذي كان يصدر منه كميات كبيرة ثم قصب السكر وأنواع أخرى من الخضر والفواكه¹.

أما أبرز الصناعات فتمثلت في الصناعات الحربية وأبرزها صناعة السفن، وصناعة المنسوجات المتنوعة وصناعة الأواني النحاسية واستخدام النحاس لتغطية بعض أبواب المساجد، إضافة إلى صناعة الزجاج والصناعات الخشبية وصناعة السكر.²

ومن خلال هذه الإمكانيات فقد ارتبطت مصر بعلاقات تجارية واسعة بدول العالم الإسلامي والدول غير الإسلامية، وقد كانت المبادلات التجارية تتم مع الأندلس من خلال عدة طرق ومن أبرزها الطريق البحري الرابط بين الإسكندرية والمرية مروراً ببنين والجزائر وبجاية ثم تونس وقبرص إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة فمكة المكرمة،³ وهناك طريق بري وهو نفسه الذي سلكه ابن بطوطة والذي يمر على سواحل المغرب من طنجة إلى تلمسان والجزائر وتونس وطرابلس ومنها للإسكندرية⁴ ، أما الطريق الثالث فهو طريق بحري مباشر إلى بلاد الشام عن طريق جزيرة كريت إلى ساحل عكا ثم باقي موانئ بلاد الشام،⁵ إلا أن هذه الطرق التجارية تعرضت لصعوبات وأخطار كبيرة خاصة بعد أن سيطر النصارى على معظم المدن الأندلسية وحصولهم على امتيازات واسعة من طرف الدولة النصرانية فقد عقد السلطان النصري محمد الثاني اتفاقية تجارية مع الملك الأرغوني قدم من خلالها

¹ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 287- شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية، هامبورغ 1965 م ص 222- المقري، نفع الطيب، ج2، ص348.

² عبد العزيز سالم، نفسه، ص295،- حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص201.

³ ابن جبير، رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ص 10- شوقي عبد القوي ضيف، التجارة بين مصر وإفريقيا، المرجع السابق، ص 75.

⁴ ابن بطوطة، الرحلة، المصدر السابق، ص 14.

⁵ علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 120.

تسهيلات تجارية للتجار النصارى،¹ فأصبح لهم مراكز تجارية في المدن الغرناطية خاصة ألميرية والمنكب ومالقة².

ومن جهة أخرى فقد عانت هذه الطرقات من ظاهرة القرصنة حيث استباح النصارى دماء المسلمين وسرقوا أموالهم،³ إضافة إلى صعوبات أخرى منها المعاملة السيئة للتجار المغاربة والأندلسيين في بعض مدن المشرق خاصة ميناء الإسكندرية من خلال فرض ضرائب مرتفعة على الأغنياء وطرد وسجن الفقراء،⁴ ومن العوامل التي أثرت على المبادلات التجارية تحول التجارة العالمية من مصر إلى رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين إلى الهند عبر هذا الطريق سنة 1498م وبالتالي حرمان مصر ودول البحر المتوسط من موارد مالية هامة.⁵

ورغم الصعوبات إلا أن التبادل التجاري بين الأندلس ومصر لم يتوقف خاصة وأن كل طرف كان يملك ثروات متنوعة، وعليه فمملكة غرناطة كانت تصدر إلى مصر الكروم والورق وزيت الزيتون والتين المالح، وفي هذا المنتج قال الشاعر أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالحقي:

مالقة حييت يا تينها فالفلك من أجلك يأتينها

فهي طيبتي عنك في علة ما لطيبتي عن حياتي نها⁶

كما كانت الأندلس تصدر الحديد والنحاس والكتان والصوف والحرير،⁷ ومن الصادرات أيضا أيضا الجلد المدبوغ والأواني الفخارية⁸.

¹ عبده بن محمد العواحي، المرجع السابق، ص 340.

² أحمد مختار العبادي، مشاهدات ابن الخطيب، المرجع السابق ص 34.

³ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 669.

⁴ ابن جبير، الرحلة، ص 38، المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 348.

⁵ فاروق عثمان أباطة، اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط، ط 2 دار المعارف، القاهرة، (د ت). ص 64.

⁶ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، المصدر السابق، ص 179.

⁷ الحميري، نفسه، ص 24 - أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 81.

⁸ أحمد مختار العبادي، مشاهدات ابن الخطيب، ص 59.

أما مصر فكانت تصدر إلى الأندلس الأرز والذرة والسمسم وقصب السكر والقطن والتوابل الآتية من الهند وذلك بسبب تحكم مصر والشام في هذه التجارة.¹

لقد كانت العلاقات التجارية بين البلدين من العوامل التي ساعدت على الاتصال والتقارب الثقافي فقد رحل عدد كبير من العلماء والطلاب على ظهر هذه السفن التجارية المتوجهة نحو المشرق رغم ان المبادلات التجارية بين مملكة غرناطة ومصر تراجعت في المرحلة الأخيرة ويرجع ذلك إلى ضعف الدولتين الأولى أمام النصارى حيث سقطت معظم المدن الإسلامية في الأندلس، بينما الثانية كانت تعاني الزحف العثماني المتواصل على المنطقة.

¹ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 75.

الفصل الثاني

الرحلة العلمية وتبادل الرسائل والإجازات .

1 الرحلة العلمية الى بلاد المغرب الاسلامي .

1-1 الرحلة الى المغرب الأقصى .

2-1 الرحلة الى المغرب الأوسط .

3-1 الرحلة الى المغرب الأدنى .

2 الرحلة الى بلاد المشرق الاسلامي .

1-2 الرحلة العلمية .

2-2 رحلة الحج .

3 الهجرة الأندلسية .

1-3 دوافعها

2-3 مراحلها

4 المراسلات العلمية وتبادل الإجازات .

1-4 بين الأندلس و بلاد المغرب .

2-4 بين الأندلس و بلاد المشرق .

1 - الرحلة العلمية الى المغرب الاسلامي

الرحلة لغة بمعنى الترحيل والارتحال والسير والضرب في الأرض فجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، وجاءت أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها المسافر، فالرحلة هي السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يُراد السفر إليه.¹

وتسعى الرحلة لتحقيق هدف معين ماديا كان أو معنويا ولهذا فقد كان للرحلة دوافع وعوامل مختلفة ومنها ما تعلق بالجانب الدّيني كأداء فريضة الحج ومجاورة المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومنها ما تعلق بالجانب التجاري والاقتصادي، أو ما تعلق بطلب العلم وزيارة المراكز العلمية،² ومن خلال هذه العوامل يمكن أن نستنتج أنواع الرحلات ومنها، رحلات طلب النجاة ويقصد بها الهجرة والخروج من أرض الكفر أو التي غلب عليها النصارى، وكانت بداية هذا النوع مع ظهور الإسلام حيث جاءت هجرة الحبشة الأولى والثانية ثم الهجرة النبوية نحو المدينة، كما ينطبق هذا النوع أيضا على أهل الأندلس عندما سقطت هذه البلاد في يد النصارى بعد حروب الاسترداد.

أما الرحلات لطلب الدّين فيدخل فيها الرحلة في طلب العلم والرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة، إضافة إلى الرحلة للجهاد أو الرباط في سبيل الله، أما النوع الثالث فهو رحلات طلب الدنيا وهي الخاصة بالتجارة وكسب الرزق والبحث عن الثروات،³ وقد عرف العرب هذا النوع قبل الإسلام من خلال رحلتي الصيف والشتاء والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: "إِلْيَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾" ⁴.

كما يمكن أن نضيف نوعا آخر من الرحلات والذي نسميه بالرحلات السفارية أو السياسية وهي سفر صاحب الرحلة كمبعوث أو رسول إلى دولة أخرى لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية،

¹ ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج 11، ص 276 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، ص 07.

² عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية المرجع السابق، ص 72.

³ زكي حسين، المرجع السابق م، ص 10 - عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام، أنواعها وآدابها، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996 م، ص 24.

⁴ سورة قريش، الآية 2، 1

¹ ومن أمثلة هذا النوع رحلة ابن الأزرق إلى تلمسان وتونس كمبعوث من طرف السلطان النصري محمد بن سعد الزغل وكذلك رحلة أبي عبد الله ابن الآبار إلى إفريقية كمبعوث لطلب المساعدة من السلطان الحفصي أبي زكرياء، ورغم تعدد أنواع الرحلات إلا أنها لا تختلف كثيرا من حيث الأهداف العامة للرحلة حيث كان طلب العلم هو الهدف الأساسي لأنه يبقى من المسائل الهامة والشاقة التي يسعى لتحقيقها كل متعلم حيث لم تقف الصعوبات والحدود أمام حرص طالب العلم في الوصول إلى منابع العلم الأصلية لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء الشيوخ ومباشرة الرجال، لأنها الطريقة الأكثر تأثيرا في ترسيخ المعارف في ذهن الطالب وفي هذا الاتجاه يقول ابن خلدون، "إنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلّما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكما وأقوى رسوخا"² وكانت قيمة طالب العلم تحدد من خلال ما قام به من رحلات ومن خلال عدد المدرسين الذين تلقى عنهم فيشار إلى ذلك في التعريف بالعلماء والفقهاء، ومن العلماء من يذكر شيوخه الذين أخذ عنهم ومن ذلك أبو عبد الله المجاري الأندلسي في كتابه برنامج المجاري حيث يترجم لشيوخه الذين أخذ عنهم أثناء رحلته العلمية في غرناطة وتلمسان وبجاية ومصر.³

أمّا أبو جعفر أحمد بن علي البلوي فيترجم لشيوخه أيضا في كتبه، ونفس الشيء ينطبق على ابن غازي أبو عبد الله الذي يذكر في فهرسته ثمانية عشر شيخا أخذ عنهم،⁴ و الحال نفسه ينطبق على القلصادي الذي تطرق إلى شيوخه الذين أخذ عنهم خلال رحلته إلى المشرق، فإذا كانت الرحلة مطلبا ضروريا لاستكمال الفوائد وتصحيح المعارف وأخذ العلم من منابعه فإن كثرة الشيوخ تؤدّي إلى حصول الملكات ورسوخها وتنوّع المصادر التي يُؤخذ منها،⁵ ولهذا فقد كان الطلبة يشدّون الرحال إلى مختلف الأقطار الإسلامية، خاصّة وأنّ الدين الإسلامي حثّ على طلب العلم والخروج لتعلم ما

¹ محمد الكحلوي، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1985 م، ص 16.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 744.

³ للاطلاع أكثر ينظر المجاري أبو عبد الله، برنامج المجاري، ت: محمد أبو الأحنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

⁴ أبو عبد الله بن غازي، فهرس ابن غازي، تح: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 745.

أنزل الله على نبيه لقوله تعالى: " فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " ¹. ومن الدوافع الأخرى للرحلة أيضا الميل إلى الإستطلاع واكتشاف المجهول والتعرف على المظاهر الكونية وهو ميل حث عليه تعاليم الدين الإسلامي قال تعالى: " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ².

وبعد تراجع دور المدن الأندلسية وسيطرة النصارى على بعضها وظهور الصراعات السياسية والحروب المستمرة مع النصارى، وتدهور الأوضاع الاجتماعية زادت الرغبة إلى الرحلة بحثا عن الاستقرار والأمن، وبالمقابل فقد حظيت بلاد المغرب بظهور مراكز علمية مثلت مناطق جذب رئيسية بالنسبة للأندلسيين ومنها عواصم المغرب الإسلامي فاس وتلمسان وبجاية وتونس والقيروان. ³ هذه المراكز وفرت كل ما يحتاجه طالب العلم، من إمكانية التنقل بحرية بين بلدان المغرب والأندلس، وحسن الاستقبال وتوفير أماكن الإقامة وتسهيل إجراءات الالتحاق بالمؤسسات التعليمية وحرية الطلبة في اختيار الشيوخ و عدم التفرقة بين الطلبة المحليين والوافدين. ⁴

وبفضل هذه التسهيلات كان طلبة الأندلس يرحلون إلى الحواضر العلمية ببلاد المغرب للاتصال بالعلماء والأخذ عنهم حرصا على الإسناد العالي وتصحيح منهج التفكير وبنائه على أثبت القواعد، ⁵ مع الحرص على الإكثار من الإجازات العلمية من عدة شيوخ وفي عدة تخصصات علمية لتدعيم المصادقية العلمية للطلاب وتأهله لتولي الوظائف، ⁶ حيث كانت الإجازة بمثابة شهادة علمية تؤهله إلى صف الشيخ، هذا الحرص الشديد على تنوع الإجازات ساهم في تطور العلوم، وخلق الصلات الثقافية بين المغرب والأندلس وبين الطلبة والشيوخ أوبين الشيوخ أنفسهم حيث تبادلوا الكتب والرسائل والإجازات، ونظرا لكثرة الرحلات بين الأندلس وبلاد المغرب والمشرق فقد اتخذوا من مكان خاص لمغادرتهم أراضي غرناطة سمي بجور الوداع، وقد خلده عدد من الشعراء في قصائدهم ومنهم

¹ سورة التوبة ، الآية 123

² سورة العنكبوت ، الآية 20.

³ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، ط1 دار المدار الإسلامي، بيروت 2005 م ، ص 74.

⁴ عاشور بوشامة، علاقة الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1991، ص 467.

⁵ القلصادي، رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص 60.

⁶ عبدلي لخضر، الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان، المرجع السابق، ص 245.

الشاعر أبو جعفر بن أحمد الرعيبي البيري، رفيق ابن جابر شمس الدين الضير، اللذين رحلا إلى المشرق وعرفا بالأعمى والبصير،¹ ومن قوله:

بجور الوداع لنا موقف أذاب الفؤاد لأجل الوداع
فما أنا أنسى غداة النوى وحادي الركائب للبين داعي²

حيث كان السكان يودّعون أقاربهم وأصدقاءهم بهذا المكان وقد وصف هذا المكان عدد من الرحالة ومنهم القلصادي الذي يصف لحظة الوداع في هذا المكان بقوله:

ودعتهم والدموع تجري لما دعا للوداع داع³

وقد كانت رحلة الأندلسيين في اتجاهات مختلفة من بلاد المغرب وخاصة إلى المدن والمراكز العلمية.

1-1 الرحلة إلى المغرب الأقصى:

من أهمّ المراكز التي استقطبت الأندلسيين عاصمة الدولة المرينية حيث وقرّ السلاطين المرينيون كل الظروف المناسبة لاستقرار الطلبة حيث كثرة المدارس بفاس والمكتبات وخزائن الكتب، لقد أوقف السلطان المريني أبو يوسف يعقوب على مدرسته التي بناها بفاس ثلاثة عشر حملاً من الكتب أخذها من نصارى إسبانيا بعد انتصاره على قشتالة،⁴ إضافة إلى وجود عدد كبير من الزوايا والتي مثلت ملجأ ملجأ للطلاب، هذه الظروف شجعت العلماء والطلبة على التنقل بين المغرب والأندلس دون وجود حواجز سياسية تمنعهم من تحقيق رغبتهم في الاستقرار بالبيئة التي يشعرون بها بالراحة والأمان.

لقد أوردت كتب التراجم العديد من الأندلسيين الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى في العهد المريني فاشتغل بعضهم بطلب العلم وتولّى البعض الآخر التدريس أو وظائف سياسية لدى سلاطين بني مرين ومن أبرز هؤلاء:

¹ المقرئ، نفع الطيب، ج2، المصدر السابق، ص 675.

² المقرئ، نفسه، ج7، ص347- أحمد مختار العبادي، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة من رسائله، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1983، ص 91.

³ القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 90

⁴ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 277 - الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المصدر السابق، ص 111، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 156.

- ابن الحاج النميري أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الغرناطي القاضي النحوي، الذي عاش مدة طويلة في بلاد المغرب بين فاس وبجاية وقد عمل ضمن كتاب الإنشاء في عهد السلطان المريني أبي الحسن والسلطان ابن عنان المريني، ومن مؤلفاته: ايقاظ الكرام بأخبار المنام، ونزهة الحدق في ذكر الفرق وكتاب اللباس والصحبة في جمع طرق المتصوفة، وكتاب روضة العباد المستخرجة من الإرشاد، وكتاب الوسائل ونزهة المناظر والخمائل.¹
- أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري من أهل مالقة صاحب العلامة العلية والقلم الأعلى بالمغرب رحل من بلده إلى المغرب وتولى وظيفة الإنشاء لدى السلطان أبي الحسن ثم ولده أبي عنان له مراسلات مع لسان الدين بن الخطيب توفي سنة 789هـ/1382م.²
- محمد بن علي بن عمر بن يحيى العربي الغساني من أهل ألمرية رحل إلى المغرب وأخذ بمكناسة على يد القاضي وارياشي ثم سمع بفاس من أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي ثم انتقل إلى سبتة ودرس بها على يد أبي إسحاق الغافقي، والقاضي أبي عبد الله القرطبي.³
- محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي كان كاتباً للسلطان أبي الحجاج يوسف ثم رحل إلى فاس وكلفه السلطان أبو عنان بكتابة رحلة ابن بطوطة توفي سنة 757هـ/1356م.⁴
- محمد ابن إبراهيم بن إسحاق الأنصاري من أهل ألمرية ولد سنة 646هـ/1246م رحل إلى سبتة واستقر بها، كان فقيهاً عالماً قرأ بالقراءات السبع.⁵
- إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي الإشبيلي نزىل مدينة سبتة له تقاليد حسنة في علم العربية، قرأ بالروايات وشرح كتاب الجمل وصنف كتاباً في قراءة نافع توفي سنة 716هـ/1315م.⁶

¹ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج7، ص 108- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 342- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص 46.

² المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج6، ص 106- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 443- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، المصدر السابق، ص254- أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 435.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 97

⁴ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص170- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 186- المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص 189، ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 223.

⁵ ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ص 59.

⁶ ابن القاضي، نفسه، ج1، ص 176- ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج1، ص 13- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 133- السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 405.

- محمد بن أحمد بن رضوان بن أرقم النميري، الشاعر الأديب مشاركاً في الفرائض والحساب رحل من بلده وادي آش ونزل بسبته وأخذ عن ابن أبي الربيع، توفي سنة 694هـ/1295م، وقد كتب على قبره:

أتيت إلى خالقي خاضعاً ومن خده في الثرى يخضعُ
وإن كنت وافيته مجرماً فأبني في عفوه أطمعُ
فاخلص دعاءك يا زائري لعلَّ الإله به ينفعُ¹.

- أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن القباب إمام وفقهيه ولي الفتيا بفاس والقضاء بجبل الفتح له مع العقباني مناظرات جمعها العقباني وسمّاها لباب اللباب في مناظرة القباب، توفي سنة 779هـ/1378م.²

- محمد بن محمد بن إبراهيم بن خلف بن سلمان المكنى بأبي البركات البلقيني من أهل ألمرية رحل الى مدينة فاس ثم عاد إلى الأندلس وتولى القضاء بشلش ثم قصد مجلس الإقراء بمالقة، أخذ عن ابن خميس وأبي الحسن الصغير وعن ابن العباس بن البناء، توفي سنة 771هـ/1370م.³

ومن الأندلسيين الذين رحلوا إلى فاس ابن زمرك الذي أخذ العلوم العقلية عن الشريف أبي عبد الله التلمساني،⁴ ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي تمتع باللجوء السياسي في الدولة المرينية المرينية وأنتج عدداً من المؤلفات وهو في المغرب الأقصى ومنها اللوحة البدرية في الدولة النصرية وكتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، وكناسة الدكان وغيرها، كما تبادل مجموعة من الرسائل والقصائد مع ابن مرزوق الخطيب،⁵ ورسائل أخرى سياسية وشخصية مع ابن خلدون، وقد مثلت هذه الرسائل أروع ما كُتب من نثر في هذا العصر،⁶ كما ساهمت هذه المراسلات بين العلماء والفقهاء في توثيق الصلة الثقافية بين الأندلس وبلاد المغرب.

¹ السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، نفسه، ج1، ص42.

² أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص102- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص235- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص187.

³ ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص127- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص164- أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص292، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص207.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص302.

⁵ السلاوي الناصري، الاستقصاء، المصدر السابق، ج2، ص207.

⁶ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص26.

ومما شجّع على التبادل الثقافي ورغبة علماء الأندلس في الرحيل إلى المغرب الأقصى هي تلك المجالس السلطانية التي كان يقيمها سلاطين الدولة المرينية والتي مثلت بحق ندوات علمية ومجالس للمناظرة والمحاضرة ومحاوره الشعراء والأدباء¹، وقد بذل سلاطين بني مرين جهوداً كبيرة لضمّ عدد أكبر من الفقهاء والعلماء من مختلف الأقطار المغرب الإسلامي، خاصة وأنّ الكثير من السلاطين كان محباً للعلم ومنهم على سبيل المثال السلطان أبو عنان المريني الذي كان فقيهاً عارفاً بالمنطق والحساب وشاعراً وكاتباً بليغاً وهذا ما أهله إلى عقد مجالس العلم بحضوره والمشاركة فيها،² أمّا السلطان أبو الحسن المريني والذي عرفت الدولة المرينية في عهده أعظم مجالس العلم فقد كان يعقد مجالس العلم ويختار من العلماء من يقرأ بين يديه بعض كتب الفقه والحديث، فكان ابن مرزوق الخطيب يقرأ بين يديه صحيح البخاري، وصحيح مسلم وكتاب الشفاء وتهذيب ابن هشام وجملة من كتب الوعظ والحديث،³ وما يدلّ على قيمة مجالس العلم في عهد السلطان أبي الحسن هو ذلك العدد من العلماء الذين استشهدوا بسبب غرق الأسطول الذي كان يقفهم عند رحيل أبي الحسن في إفريقية، والذي بلغ أربعمئة عالم، وقد كان هذا السلطان حريصاً كل الحرص على الاهتمام بالجانب العلمي لا من حيث المؤسسات العلمية فحسب بل من خلال اهتمامه الكبير بالعلماء وتتبّع أخبارهم في أنحاء دولته فيضمّ أبرزهم إلى مجلسه ويأمر لهم بالنفقات التي تكفيهم،⁴ فاجتمع لديه عدد كبير من العلماء من جميع مناطق بلاد المغرب والأندلس خاصة وأنّ سلاطين بني مرين لم يضعوا أمام العلماء الأندلسيين أو باقي المغاربة، أية عوائق تمنعهم من الإقامة في دولة بني مرين.⁵

لم تقتصر الرحلة بين البلدين على الأندلسيين فقط بل رحل أيضاً عدد من المغاربة إلى الأندلس ومنهم عيسى بن علي بن واصل من أهل مراكش دخل الأندلس واستقر بجيان، كما رحل عمران بن موسى بن ميمون الهواري من سلا متجهاً إلى غرناطة وكان مفسراً أديباً نحويّاً حيث اشتغل

¹ الكتاني، سلوة الأنفاس، الصدر السابق، ج3، ص 168 - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 338.

² الكتاني، سلوة الأنفاس، نفسه، ص 225 - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 315 - المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق ج5، ص 87.

³ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 339.

⁴ ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 141.

⁵ عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 338.

بتدريس اللغة العربية،¹ إلا أنّ الرحلات من المغرب إلى الأندلس كانت أقلّ عددا مقارنة بالرحلة من غرناطة إلى المغرب نظرا للظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة بني الأحمر.

لقد وفد على المغرب في العهد المريني شخصيات أندلسية ذات مكانة علمية واجتماعية فكان لوجودها فائدة على الطلبة بصفة خاصّة وجميع الطبقة المثقفة بصفة عامّة وبالتالي فقد ساهمت في ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب في العهد المريني.

1-2 الرحلة إلى المغرب الأوسط:

استقبل المغرب الأوسط منذ العهد المرابطي والموحدي أعدادا ضخمة من الأندلسيين وقد زاد هذا العدد في عهد الدولة الزيانية بعد سقوط المدن الأندلسية وخاصّة غرناطة عاصمة بني الأحمر، وقد كانت تلمسان من أهمّ المدن التي استقطبت أعدادا كبيرة من هؤلاء المهاجرين، هذه المدينة تحولت إلى مركز علمي هام أيام الدولة الزيانية، حيث كان يقصدها العلماء والأدباء والطلاب من كل الأقطار الإسلامية نظرا لتوقّرها على العديد من المؤسسات العلمية من مدارس ومكتبات، ومن جهة أخرى كانت المدينة تعجّ بالعلماء في مختلف التخصصات العلمية، ضف إلى ذلك اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم وأهله فقد كان يغمراسن بن زيان يبحث عن أهل العلم ويستقدمهم إلى تلمسان، ومنهم ابراهيم بن عبد السلام التنسي الذي استقدمه للتدريس بتلمسان.²

كما رحب يغمراسن بالمهاجرين الأندلسيين وسمح لهم بالاستقرار بالمدن الزيانية، وأصدر في ذلك ظهيرا يسمح لهم باستيطان مدينة تلمسان.³

أمّا السلطان أبو حمّو موسى الثاني فقد كان محبّا للعلم وقد أبدى تضامنا كبيرا مع أهل الأندلس من خلال تلك المساعدات الكبيرة التي قدّمها لنصرة الإسلام في الأندلس،⁴ هذه الظروف جعلت الكثير من طلاب العلم الأندلسيين يشدّون الرحال إلى تلمسان لملاقاة الشيوخ والأخذ عنهم أو للتدريس والاستقرار بها بعد توقّف عوامل الاستقرار والراحة،⁵ وفي نفس الوقت كانت المدن

¹ عبده بن محمد عواجي عبد القهار، المرجع السابق، ص 118.

² التنسي، المصدر السابق، ص 125.

³ انظر الظهير في الملحق رقم 12

⁴ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج2، ص 172.

⁵ عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للحضارة للحضارة الإسلامية، وهران، العدد 01، 1993 م، ص 39.

الأندلسية تعاني الضغط النصراني وتسقط الواحدة تلو الأخرى فأدرك العلماء هذا الخطر المحقق فحاولوا تجنيد المسلمين لمواجهة حروب الاسترداد لكن صيحاتهم لم تجد آذانا صاغية مما دفع بعضهم إلى ترك الأندلس والاستقرار بدول المغرب الإسلامي.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين اتجهوا إلى تلمسان وكان لهم دور بارز أسرة بني الملاح من أهل قرطبة، ومنهم عبد الرحمان بن محمد بن ملاح الذي تقلد وظيفة صاحب الأشغال لدى السلطان يغمراسن،¹ ومن الذين نزلوا بتلمسان أبو عبد الله محمد بن الأزرق أخذ عن كبار رجال التصوف وهو صاحب كتاب بدائع السلك في طبائع الملك.² ومنهم شمس الدين عبد الله الوادي آشي درس بتلمسان الحديث والفقه والمنطق والفرائض،³ ومن الأندلسيين الذين استقروا بتلمسان أسرة بن موسى الأنصاري فقد رحل عبد الله بن موسى إلى تلمسان واستقر بها ومن أبنائه الذين كان لهم دور علمي بارز إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري يعرف بأبي إسحاق التلمساني فقيها عارفا بالفرائض أديبا وشاعرا عاش بين تلمسان وغرناطة وسبته نظم في الفرائض وهو ابن الثامنة والعشرين سنة، من مؤلفاته أرجوزة في الفرائض ومنظومة في السير ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 690هـ/1289م.⁴

ومنهم أسرة العقباني ومن أبرزهم سعيد بن محمد بن محمد العقباني ولد بتلمسان سنة 716هـ وقد كان والده محمد هو الذي رحل إلى تلمسان، وهو من أبرز علماء تلمسان يكنى رئيس العقلاء خاتمة قضاة العدل بتلمسان، وقد أخذ عن علماء تلمسان أمثال إبي الإمام والآبلي ومحمد سليمان والشريف التلمساني وغيرهم، توفي سنة 811هـ/1408م.⁵

ومن الذين رحلوا إلى تلمسان واستقروا بها محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي الفقيه والشاعر عمل بديوان الإنشاء في مملكة بني نصر ثم رحل إلى تلمسان وتولى الكتابة للسلطان الزياني

¹ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص226- عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 02، 2011 م، ص 41.

² المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق ج3، ص 318- المقرئ، النفح، المصدر السابق ج2، ص 699.

³ شمس الدين جابر، برنامج ابن الجابر، المصدر السابق ص14- المقرئ، نفح، المصدر السابق ج5، ص 200.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 326- رفيق خليف، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2008 م، ص 163.

⁵ أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص365- أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 114- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 250.

يغمراسن بن زيان، توفي بتلمسان سنة 686هـ/1287م،¹ ومن الذين نزلوا بتلمسان الزاهد أبو عمرة بن غالب المرسي،² ومن الوافدين على تلمسان ابن عباد الرندي الفقيه الخطيب البليغ الإمام العالم المصنف سليل الخطباء ونتيجة العلماء نشأ ببلده رندة ثم رحل إلى تلمسان وأخذ بها الفقه والأصول والعربية عن أبي عبد الله المقري وأبي عبد الله الأبلبي وغيرهم، من مؤلفاته الرسائل الكبرى والصغرى،³ ومنهم أيضا أبو الحسن علي بن داود البلوي الذي هاجر إلى تلمسان قبل سقوط غرناطة بوقت قصير مع أسرته وقد اشتغل أبو الحسن بالتدريس في تلمسان،⁴ أما ابنه أبو جعفر فقد انتقل مع والده إلى تلمسان وأخذ عن علمائها ومنهم ابن مرزوق الكفيف ومحمد بن عبد الله بن الجليل التنسي، وابن سعد الأندلسي وأحمد بن زكري التلمساني ومن مؤلفاته، أرجوزة في الفرائض وفهرسة لشيخه بعنوان ثبت أبي جعفر.⁵

ومن الراحلين إلى تلمسان القلصادي أبو الحسن علي بن محمد القرشي البسطي انتقل إلى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة ثم ارتحل إلى المشرق ومر بتلمسان وأخذ عن علمائها،⁶ ومنهم محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي، اشبيلي الأصل روي ببلده عن أبي بكر محمد بن يوسف وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي، كان أديبا بارع الكتابة شاعرا مجيدا فسر القرآن الكريم وشرح الأسماء الحسنى وله كتاب في أصول الفقه و التصوف توفي بتلمسان سنة 911هـ 1505 م.⁷

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج2، ص 427- عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات، المرجع السابق، ص 41- يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 168- الطاهر توات، المرجع السابق ص 12 .

² مختار حساين، الحواضر والأمصار الإسلامية، ص 87.

³ المقري، نفع الطيب، ج5، ص 341- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير. المصدر السابق، ص 79- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 427- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 40.

⁴ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 71- البلوي، ثبت البلوي، ص 24.

⁵ ابن غازي، فهرس ابن غازي، المصدر السابق، ص 25- محمد مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 273- أحمد بابا، النيل، ص 138.

⁶ القلصادي، الرحلة، ص 96- المقري، نفع الطيب، ج2، ص 692- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 226- بدر الدين الدين القرافي، الدياج المذهب وذبوله، توشيح الدياج وحلبة الابتهاج، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الجزائر 2011 م ، ص 88.

⁷ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 579- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ص 138- ابن مريم، البستان، البستان، المصدر السابق، ص 252 .

ومن كبار علماء غرناطة الذين حلّوا بتلمسان لسان الدين بن الخطيب الوزير الأديب والمؤرخ والشاعر الذي قدم إلى تلمسان أيام استيلاء السلطان المريني عبد العزيز فأخذ عنه كثير من علماء تلمسان.¹

لم تقتصر الرحلة على تلمسان فقط بل انتقل الكثير من الأندلسيين إلى مدن أخرى من المغرب الأوسط وخاصة المدن الساحلية مثل هنين وندرومة والجزائر وشرشال التي أُعيد بناؤها من قبل الغرناطيين الذين استقروا بها، وكان من نتائج رحلة الأندلسيين إلى تلمسان والمدن الأخرى ازدهار الحركة الفكرية حيث ساهم هؤلاء في ممارسة عدة أنشطة فكرية وسياسية واقتصادية، كما شكلت تلمسان وغرناطة أحسن مثال عن التأثير والتأثر والتبادل الثقافي والحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس.

1-3 الرحلة إلى إفريقية:

تسبب العدوان الصليبي على المدن الأندلسية في هجرة الآلاف من الأندلسيين إلى جهات مختلفة من العالم الإسلامي، ومنها المغرب الأدنى في العهد الحفصي والذي كان محطّ أنظار الراحلين وذلك لأسباب كثيرة منها تشجيع حكام الدولة الحفصية للعلماء الأندلسيين والترحيب بهم لا سيما وأنّ الدولة الحفصية كانت بحاجة إلى الاستفادة من هؤلاء اللّاجئين في مختلف المجالات خاصة في المجال العلمي، لذلك وفر لهم الحكام كل ما يحتاجون إليه، ومن الأسباب أيضا موقع تونس فهي البوابة نحو المشرق الإسلامي فكان يقصدها كل من يريد التوجه إلى الإسكندرية أو القاهرة خاصة في موسم الحج حيث كانت محطة رئيسية للوافدين من الأندلس وباقي دول المغرب، فقد كان ركب الحجيج ينطلق من المغرب الأقصى وقد ضمّ حجاج الأندلس والمغرب ثمّ يمر بالمغرب الأوسط ثمّ الدولة الحفصية ومنها إلى مصر والحجاز،² وكان هذا الركب يضمّ العديد من الطلبة والعلماء وكان بعضهم يستقر سنوات عديدة لطلب العلم بعد أداء الفريضة، ومن الأسباب الأخرى وجود عدد كبير من الزوايا والمدارس التي كانت تأوي الطلبة والعلماء خاصة وأنّ العديد من الأندلسيين اتخذوا من التعليم مهنة للارتزاق.³

¹ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج5، ص 07- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 17- عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات، المرجع السابق، ص 41.

² ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص 383.

³ جميلة المسعودي، المرجع السابق، ص 217.

ويمكن أن نضيف أيضا الاستقرار السياسي والأمني الذي تمتعت به تونس أيام الدولة الحفصية والذي ساعد على استقرار الجاليات الأندلسية، ضف إلى ذلك متانة العلاقات بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس، حيث كانت هذه الأسرة قد استقرت بغرب الأندلس وتولى والد أبي زكرياء يحيى الأول الحفصي ولاية إشبيلية بغرب الأندلس وحينما نشأت الدولة الحفصية أحاط أبو زكرياء نفسه بالأندلسيين وأكرمهم،¹

لهذه العوامل رحل الكثير من الأندلسيين إلى الدولة الحفصية وخاصة الحواضر الكبرى تونس وبجاية وقسنطينة وطرابلس وقد ذكرت كتب التراجم أعدادا كبيرة من الأندلسيين لا يمكن إحصاء عددهم وسنكتفي بذكر بعض النماذج من هؤلاء الذين قصدوا مدن الدولة الحفصية لأسباب علمية أو ثقافية ومن هؤلاء:

الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري، من أهل بلنسية يُعرف بابن محرز، الفقيه المحدث والأديب اللغوي قرأ بالأندلس ولقي بها أفاضل من أهل التحصيل ورحل إلى سبتة وأخذ عن علمائها ثم رحل إلى المشرق واستوطن بجاية وكان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية كلُّ يأتي إلى منزله توفي سنة 655هـ/1256م.²

الفقيه الأديب أبو المطرق أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي من أهل جزيرة شقر سكن بلنسية وولي القضاء بشاطبة بالأندلس وسلا ومكناسة رحل إلى بجاية واستوطنها مدة طويلة وأقرأ بها الفقه والأدب ثم رحل إلى حاضرة إفريقية واتصل بالخليفة المستنصر وولي قضاء قابس، له عدّة قصائد منها واحدة في رثاء بلنسية، توفي سنة 658هـ/1259م.³

الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله يعرف بابن سيد الناس الإشبيلي كان فقيها محدثا حافظا لغويا خطيبا أخذ عن والده أبي العباس أحمد ثم رحل إلى بلاد المغرب وأخذ عن علمائها وأجازته من أهل المغرب الأوسط عبد الله بن أحمد بن الخطيب البجائي وأبو بكر بن محرز الزهري، وقد بلغ من أجازته فقط أربعمائة شيخ، وعندما حل ببجاية تولى الخطابة بالجامع الأعظم وكان يقصد مجالس الدرس

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6 ص 393.

² الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 134 - أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 259 - محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 194.

³ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 140 - ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، ص 122.

والعلم في معظم أوقاته وأخذ عنه عدد من طلبة بجاية، ويذكر أنه كان يستظهر ستة آلاف حديث بأسانيدها توفي سنة 659هـ/1260م.¹

الفقيه النحوي اللغوي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عرف بابن عصفور من أهل إشبيلية قرأ بها على جماعة من أكابر العلماء ثم رحل إلى بجاية وسكن بها في عهد الأمير أبي زكرياء وكان معلماً للمستنصر لذلك قربه إلى مجلسه، قرأ عليه عدد كبير من طلبة العلم له عدّة مؤلفات منها شرح المتنبي ومختصر المحتسب، وشرح جمل الزجاجي وشرح الإيضاح وله تفسير جزء من القرآن الكريم، توفي سنة 669هـ/1271م.²

ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد القضاعي البلنسي، أديب وشاعر أصله من رندة رحل بعد سقوط بلنسية إلى بجاية وأقام بها ثم استدعاه أبو زكرياء الحفصي وولاه خطة الكتابة في بلاطه وكانت نهايته القتل في عهد المستنصر الحفصي سنة 658هـ/1259م.³

الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقي رحل من مدينة ألمرية ونزل بجاية وأخذ عن علمائها منهم أبو علي بن منصور وعبد الحق المشدالي وحضر مجالسه.⁴

حازم بن محمد بن حسين بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي من قرطاجنة الأندلس حبر البلغاء وبجر الأدباء صنف كتاب سراج البلغاء وكتاب القوافي وقصيدة في النحو على حرف الميم رحل إلى تونس وتولى ديوان الإنشاء في عهد المستنصر الحفصي، توفي سنة 684هـ/1285م.⁵

¹ الغبريني، نفسه، ص 137- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج 5، ص 654، - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 381- أحمد بابا، كفاية المحتاج، ص 260- ابن قنفذ، الفارسية، ص 123، - بدر الدين القوافي، الديباج المذهب وذويله توشيح الديباج، المصدر السابق، ص 174.

² الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ص 149- السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج 2، ص 210- ابن قنفذ، الفارسية، ص 123- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 223- ابن العماد، شذرات، ج 7، ص 575- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 22، ص 165.

³ ابن قنفذ، الفارسية، ص 126- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج 6، ص 253- الزركشي، تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص 35.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، المصدر السابق ص 144- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 164.

⁵ السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 491- ابن القاضي، درة المجال، ج 1، ص 254- ابن العماد، شذرات، ج 7، ص 676.

أبو العباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي الفقيه العالم المحدث المؤرخ المفتي المدرس رحل إلى تونس ودرس بالمدرسة المعرضية كما درس في الجامع الكبير ببجاية، من مؤلفاته المشرق في علماء المغرب والمشرق، توفي بتونس سنة 692هـ/1291م.¹

علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف الغرناطي يُعرف بابن سعيد الأديب والشاعر له رحلتين الأولى مع أبيه إلى المشرق والثانية كانت سنة 666هـ ولقي في رحلته أعلاما واخذ عنهم منهم أبي الحسن بن عصفور وأبي الحسين الدباج، وأبي علي الشلوبين وغيرهم، ثم رجع لتونس واتصل بخدمة صاحبها الأمير المستنصر له تأليف كثيرة منها المرقصات والمطربات، والطالع السعيد والمغرب في حلى المغرب توفي بتونس سنة 675هـ.²

أبو محمد عبد الله بن هارون الطائي القرطبي الفقيه العالم المحدث الراوية رحل إلى تونس وأخذ عنه عدد كبير من الفقهاء منهم ابن رشيد وابو عبد الله الوادي آشي وابن زيتون وابن عبد السلام، توفي سنة 702هـ/1402م.³

أبو محمد عبد الحق بن برطلة الآزدي من أهل مرسية أخذ عن أبي إسحاق والقاضي أبي الربيع الكلاعي وابن حوط الله وغيرهم، وهو الحامل لبيعة أهل مكة لأمير تونس أبي عبد الله المنتصر الحفصي، توفي سنة 661هـ/1361م.⁴

وهكذا استقطبت إفريقيا في العهد الحفصي العديد من الأندلسيين الذين كان لهم الدور البارز في ازدهار الحياة العلمية وأكبر الأثر في تمتين الروابط الثقافية بين إفريقيا والأندلس النصرية.

¹ الغبريني، عنوان الدراية، ص 169 - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1 ص 199.

² محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق ج1 ص 197 - ابن القاضي، درة المجال، المصدر السابق ج3، ص 240 - السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 209 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج4، ص 152 - المقرئ، النفع، ج2، ص 162.

³ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 199.

⁴ محمد مخلوف، نفسه، ص 197.

2 - الرحلة بين الأندلس وبلاد المشرق الإسلامي:

2-1 الرحلة العلمية:

لقد كان أهل المغرب والأندلس يشدون الرحال إلى بلاد المشرق خاصة القاهرة والإسكندرية التي كانت تروج بالأساتذة والطلاب وتزخر بالمكتبات والمدارس،¹ بفضل جهود سلاطين المماليك في توفير كل الظروف المناسبة لطلبة العلم فأصبحت مصر أم العلوم وديوان الإسلام وينبوع العلم،² ومحل سكنى العلماء ومحط الرحال الفضلاء،³ كما حظيت أماكن أخرى باهتمام طلبة العلم باعتبارها مراكز علمية أو دينية مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة أو بيت المقدس، وعادة ما كان طلبة العلم يجمعون في رحلتهم العلمية بين عدّة مراكز فقاصد البقاع المقدسة لأداء فريضة الحجّ كان يزور القاهرة والإسكندرية وهناك من يتعدى هذه المدن إلى بغداد والموصل والبصرة والكوفة وغيرها.⁴

وكان الهدف الأول هو لقاء العلماء والأخذ عنهم وتسجيل ما أخذوه عنهم من كتب وإجازات، وقد كان من عادة بعض الرحالة الأندلسيين والمغاربة تسجيل مشاهداتهم والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة،⁵ ومن أبرز الرحالة الذين سجلوا رحلاتهم العالم القرطبي محمد بن علي بن محمد بن هشام الأنصاري الأوسي الذي رحل مرتين إلى المشرق، وجمال ببلاد المشرق وبلاد الشام والعراق ودخل بغداد وتكرت والموصل.⁶

ومنهم أبو حامد الغرناطي الذي زار مصر والعراق وبلاد فارس،⁷ و ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد رحل إلى المشرق وقد سجل رحلته منذ خروجه من غرناطة إلى أن عاد إليها سنة 581هـ، ومن الرحالة أيضا ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد المغربي رحل إلى المشرق وسجل رحلته في عدّة مصنفات منها النفحة المسكية في الرحلة المكية،⁸ ومنهم أبو عبد الله العبدري الذي

¹ أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص 321.

² ابن خلدون، المقدمة، ص 618.

³ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 86.

⁴ عبد الواحد دنون طه، الرحلات المتبادلة بين المغرب الإسلامي والمشرق، المرجع السابق، ص 74.

⁵ عواطف محمد يوسف، المرجع السابق 1996، ص 72- زكي حسن، الرحالة المسلمون، المرجع السابق ص 12.

⁶ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، ص 337- عبد الواحد دنون طه، المرجع

السابق، ص 178.

⁷ المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 235.

⁸ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 م، ص 172.

ينحدر من بلنسية رحل إلى المشرق سالكا الطريق البري إلى الإسكندرية ثمّ الحجاز وقد سجل رحلته في كتابه الرحلة المغربية،¹ ومنهم الرحالة البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى الذي قام برحلة من الأندلس سنة 736هـ/1335م إلى الحجاز مارا بتونس ومصر ودون رحلته في كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق،² ومن الرحالة المتأخرين القلصادي علي بن محمد بن علي القريشي البسطي أبو الحسن الذي رحل إلى المشرق مارا بتلمسان وتونس ثمّ الإسكندرية وقد أخذ في هذه الرحلة العلوم من عدّة علماء وقد سجّل رحلته هذه في كتابه رحلة القلصادي.³

هذا بالنسبة لبعض الرحالة الأندلسيين الذين سجّلوا رحلاتهم في عدّة مصنفات وأصبحت من أهمّ مصادر تاريخ بلاد المشرق.

أمّا طلبة العلم فقد شدّوا الرحال إلى بلاد المشرق بعد أن تراجع دور المدن الأندلسية وسقوط بعضها في يد النصارى وتدهور الأوضاع السياسية فزادت الرغبة إلى الرحلة إلى المراكز العلمية بالمشرق،

وفي ذلك يقول المقرئ في كتابه نفع الطيب " أعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال ولو أطلقنا عنان الأفلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطلال الكتاب وكثر الكلام"⁴. ومن خلال الرجوع أيضا إلى كتب التراجم يتأكد هذا العدد الهائل من أهل الأندلس الأندلس الذين رحلوا إلى بلاد المشرق وعادة ما كانت الإشارة إلى صاحب الرحلة بعبارة له رحلة أو رحل في طلب العلم أو شرق وهذا للدلالة على الرحلة إلى بلاد المشرق، وقد كان أغلب هؤلاء يستقرون بمصر نظرا لحرص سلاطين المماليك على توفير كل الظروف المناسبة لأهل الأندلس خاصة المؤسسات التعليمية من مدارس وخانقاوات وزوايا حتى أنه قد خصص للمغاربة بالجامع الأزهر رواق خاصّ بهم⁵

¹ العبدري، الرحلة المغربية، المصدر السابق ص 08- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 54.

² ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج 1، ص 324- المقرئ، نفع الطيب، ج 2، ص 532.

³ ابن مريم، البستان، المصدر السابق ص 141، - أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 226.

⁴ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج 2، ص 06

⁵ المقرئ، الخطط، المصدر السابق، ج 2، ص 276.

أما في القدس فقد وجدت حارة يكثر فيها المغاربة عرفت بحارة المغاربة، وهذا ما يدلّ على المكانة والعناية التي كان يحظى بها أهل الأندلس والمغاربة بصفة عامّة في مصر، هذه المكانة أيضا جعلت الكثير من الأندلسيين يتولون مناصب سياسية وإدارية وعلمية في مصر المملوكية.

اغتمم الأندلسيون هذه الظروف المناسبة، فشدّوا الرحال إلى مصر وبالدرجة الأولى الإسكندرية والقاهرة ومنها إلى باقي الأقاليم الإسلامية في المشرق ونظرا للأعداد الكثيرة سنقتصر على بعض النماذج ومنهم:

محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سراقة شرف الدين أبو القاسم الأنصاري الشاطبي، كان فاضلا مجتهدا في تحصيل العلم رحل إلى مصر وتوفي بالقاهرة سنة 660هـ/1262م.¹

ضياء الدين أبو جعفر محمد بن صابر الأندلسي المالقي أخذ عن علماء بلده ثمّ رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر والشام له مشاركة جيدة في عدّة علوم توفي بالقاهرة سنة 662هـ/1264م.²

عبد الله محمد بن سلمان المعافري الشاطبي قرأ ببلده بالقراءات السبع على يد أبي عبد الله محمد الشاطبي ورحل إلى المشرق وأخذ بدمشق عن أبي الحسن ابن ماسوية الواسطي، ثمّ استقرّ بمصر وانقطع للعبادة في رباط سوار بتربة أبي العباس المرسي من مؤلفاته المسلك القريب الطريب وكتاب الحرقة في لباس الخرقّة، توفي بالإسكندرية سنة 673هـ/1273م.³

¹ المقرئزي، المقفى الكبير، المصدر السابق ج5، ص249-المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج2، ص63،- ابن العماد، شذرات ج7، ص538.

² الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر السابق ج1، ص163.

³ الصفدي، الوافي بالوفيات، نفسه ج3، ص108- المقرئزي، المقفى الكبير، ج5، ص696،- المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج2، ص140.

أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي البلنسي، أخذ عن أحمد بن مسعود الشاطبي الأزدي وكان إمام عصره في اللغة تصدر للتدريس بالقاهرة وأخذ الناس عنه توفي سنة 1286هـ/684م.¹

محمد بن أحمد بن حسن بن عامر أبو القاسم من أهل بَلَش،² أخذ عن عبد الله بن مفرج والقاضي علي بن أبي الأحوص كان أديبا وشاعرا رحل إلى المشرق واستوطن القاهرة وكان يحضر دروس المالكية توفي سنة 1297هـ/695م.³

أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنصاري المالقي أبو بكر كان نحويا ماهرا ومقرئا مجودا فقيها وشاعرا رحل إلى المشرق ولما دخل مصر عظم صيته بها فمرض بها وعاده سلطانها ومات قبل أن يحج سنة 1281هـ/652م.⁴

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين إشبيلي الأصل، انتقل سلفه إلى رندة، رحل إلى مصر والحجاز والشام وأخذ عن عدد من العلماء أمثال النحوي أبي الحسن بن يوسف العبدري، وأخذ بالقاهرة عن أبي الصفاء خليل وأبي محمد بن عبد المؤمن، توفي سنة 1308هـ/708م.⁵

محمد بن غالب بن يونس بن غالب بن سعد الأنصاري الأندلسي الجياني، رحل إلى مصر وحج فأخذ النحو عن ابن مالك وسمع من أحمد بن عبد الدائم وكان ورعا زاهدا توفي سنة 1303هـ/703م.⁶

محمد بن أبي بكر الوابلي جمال الدين الشريشي مالكي ولد بشريش ثم رحل فسمع بالإسكندرية من أبي عمار الحراني، وبدمشق وحلب وبغداد وأقام بالقاهرة مدة يفيد الناس، وتخرج على يده جماعة

¹ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 135 - جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص194 - ابن الحزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص 188 - إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 134.

² بلش: بالفتح وتشديد اللام بلد بالأندلس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 484.

³ المقرئزي، المفقى الكبير، ج5، ص156 - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص 99.

⁴ محمد بن الطيب القادري، الإكليل والتاج، في تذييل كفاية المحتاج، ط 1 دار الأبحاث للترجمة و النشر الجزائر 2011 م ص 08 - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 194.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 444.

⁶ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص 133 - سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 200.

وولي مسجد القدس وأقام بدمشق يفتي ويدرس، متبحر في العربية والفقهاء، صنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن معط، توفي سنة 685هـ/1284م.¹

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشي الفهري الغرناطي، أخذ عن أبي جعفر بن الزبير، رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها ثم استقر بالمدينة المنورة وتوفي بها سنة 729هـ/1328م²

أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي شهاب الدين، تفقه في بلده ثم رحل إلى المشرق وحيج ثم سكن طرابلس الشرق ثم حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين في العدالة، كان عارفا بالنحو والعروض ويشغل فيهما، توفي سنة 739هـ/1338م.³

الطيب أبو تمام غالب بن علي اللخمي الشقوري من أبناء غرناطة رحل في شبابه إلى المشرق فحيج ثم طلب الطب بالمارستان المنصوري في القاهرة ومنها رجع إلى بجاية ثم غرناطة توفي سنة 741هـ/1341م.⁴

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن فرتون الأنصاري من أهل مالقة يكنى أبا القاسم رحل إلى الحجاز فاستكثر من الرواية أخذ عن أكابر علماء أهل المشرق والمغرب، توفي سنة 764هـ/1364م.⁵

إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن هاني اللخمي الغرناطي المالكي شرف الدين، أخذ عن جماعة من أهل بلده منهم أبو القاسم بن جزري ثم رحل إلى القاهرة وزار بلاد الشام وولي قضاء المالكية بحماة ثم دخل مصر وتوفي بها سنة 771هـ/1370م.⁶

الشاعر أبو عبد الله بن أحمد الغرير يعرف بشمس الدين من أهل ألمرية صاحب البديعية

¹ شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، ج2، المصدر السابق، ص 209- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 244- محمد بن الطيب، الإكليل والتاج، المصدر السابق ص 247.

² المقري، نفع الطيب، ج2 ص 63.

³ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ص 182- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 91- المقري، نفع الطيب، ج2، ص 653.

⁴ جلال السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج1، ص 166- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج4، ص 240.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 226.

⁶ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 380.

المعروفة ببديعية العميان وله مدائح نبوية كثيرة، وشرح ألفية ابن مالك توفي سنة 780هـ/1380م،¹ وصديقه أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي رافق ابن جابر فحجا معا ودخلا القاهرة ثم دمشق وسمعا من ابن عبد الهادي ومحمد بن ابي بكر وكان أبو جعفر مقتدرا على النظم والنثر عارفا بالنحو وفنون اللسان، من مؤلفاته شرح البديعية لصديقه ابن جابر وشرح ألفية بن معطي شرحا حافلا في أحد عشر مجلدا توفي سنة 779هـ/1377م.²

أبو عبد الله محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الأندلسي الغرناطي يعرف بالراعي ولد بغرناطة وأخذ عن علمائها الفقه والعربية ثم رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها منهم ابن حجر، شرح الأجرومية والألفية والقواعد، درس بالقاهرة وانتفع به عدد كبير من الطلبة، توفي سنة 853هـ/1449م.³

إنّ الرحلة العلمية إلى المشرق لم تقتصر على الرجال فقط بل كان للنساء نصيب منها، فقد رحلت خديجة بنت أبي محمد بن عبد الله السنجالي إلى المشرق مع أبيها حضرت معه في مكة نفس الدروس التي حضرها وتحصلت على عدة إجازات علمية، كما رحلت أيضا فاطمة بنت سعد الخير بن محمد مع والدها وحضرت معه دروس كبار علمائه.

كما أنّ الرحلة لم تقتصر على الأندلسيين فقط بل رحل أيضا عدد من المشاركة إلى الأندلس خاصة من العلماء إلا أنّ عددهم قليل جدّا في هذه المرحلة عكس المرحلة التي أعقبت الفتح الإسلامي حيث شهد الأندلس توافد الكثير من الأندلسيين ومن الذين زاروا الأندلس في عهد الدولة النصرية. عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ من أهل مصر يكتي أبا القاسم رحل إلى الأندلس وتحوّل في بلادها واعظا سمع منه الناس بقرطبة وإشبيلية ومرسية وبلنسية سنة 608هـ/1208م.⁴

عمر بن داود بن عمر الفارسي البخاري يكتي أبا البركات تعلم اللغة العربية والفقه وهو من أبناء

¹ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 664- السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص 241- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 34. - ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 330.

² ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ص 340- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 449- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 35- ابن القاضي، درة المجال، ج1 ص 62- السخاوي، وجيز الكلام، ج1 ص 222.

³ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص 203- ابن العماد، شذرات، ج9، ص 407- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 694، القلصادي، الرحلة، ص 27.

⁴ المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص 139.

الملوك انتقل إلى المغرب ودخل الأندلس ونزل مالقة ثم دخل إشبيلية وكان من أهل التصوّف والتحقق بعلم الكلام، توفي بمراكش سنة 640هـ/1239م.¹

محمد بن أحمد بن أمين التركي جلال الدين الأقسهري رحل إلى مصر ثم انتقل إلى المغرب واستوطن بعض المدن وأخذ عن مروان بن عبد الملك الشريشي وعن أبي بكر محمد بن محمد بن منصور المومنانى أبو إبراهيم الماجري، ثم رحل إلى الأندلس وسمع من أبي جعفر بن الزبير، توفي بالمدينة المنورة سنة 731هـ/1330م.²

الولي الصالح سيدي يوسف الدمشقي الشاذلي الطريقة قدم الأندلس ودخل مدينة وادي آش كان حيا سنة 895هـ/1493م.³

عبد الباسط بن خليل قرأ بجلب ودمشق وأخذ عن العلاء الرومي قاضي قضاة العسكر بدمشق والبرهان البغدادي واخذ بمصر عن يونس الرومي نزيل الخانقاه الشيخونية، ثم رحل إلى بلاد المغرب مارا بطرابلس وتونس وبها أخذ عن علماء الزيتونة ثم أخذ ببجاية عن الشيخ أبي القاسم محمد المشدالي ومنها التحق بتلمسان ودخل الأندلس وزار مالقة سنة 870هـ/1465م، ثم زار غرناطة ثم عاد إلى مصر وتوفي سنة 920هـ/1514م.⁴

ومن اهم النتائج المتوصل اليها : أنّ الرحلة العلمية كانت ضرورية لتدعيم الرصيد العلمي لذلك لم تقف لا المسافة البعيدة بين الأندلس وبلاد المشرق ولا مخاطر البحر وصعوبة الطريق أمام هؤلاء الراغبين في التحصيل العلمي.

أدت الرحلة إلى بروز مراكز وأقطاب ارتبطت شهرتها بالنشاط التعليمي لكونها شكلت قبلة للعلماء والمدرسين والطلبة سواء في المغرب أو المشرق.

إنّ الرحلة العلمية لم تقتصر كذلك على طلب العلم بل رحل الكثير من العلماء لأجل بذل العلم حيث تولّى الكثير من الأندلسيين مهمة التدريس أو القضاء وحتى الخطابة في بعض مساجد مصر وبلاد الشام.

¹ المقرئ، نفسه، ص 144.

² ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 309 - محمد المنوني، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، مطابع الأطلس، المغرب 1970 م ، ص 205، - عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 266.

³ المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص 148.

⁴ السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق ج4، ص 27.

إنّ حركة الرحلة كان معظمها في اتجاه واحد من الأندلس إلى المشرق بينما رحلة المشاركة إلى الأندلس كانت ضعيفة في هذه المرحلة وهذا ما يؤكّد التباين العلمي بين الأندلس والمشرق، ويرجع هذا بالدرجة الأولى إلى الأوضاع السياسية التي عاشتها الأندلس.

إنّ الرحلة لم تقتصر على فئة دون أخرى بل ضمت كل الفئات الاجتماعية حتّى أصحاب البيوتات العلمية المشهورة في الأندلس أمثال ابن العربي، وبنو سيد الناس، وابن خلدون.

كما أنّ الرحلة العلمية لم تقتصر على مجال علمي واحد بل شملت كل أنواع العلوم حيث رحل المحدثون والفقهاء والمفسرون والقراء واللغويون والأطباء وغيرهم من طلاب العلم.

وفي الأخير فإنّ الرحلات العلمية ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية في الأندلس ونقل الكتب المشرقية وقيام علاقات ثقافية بين المؤلفين زادت في تمتين الروابط الثقافية بين علماء الأندلس والمشرق.

2-2 رحلة الحج:

كان حرص الأندلسيين كبير جدا على أداء الركن الرابع من أركان الإسلام كبقا المسلمين في أنحاء العالم، وقد مثلت رحلة الحج أقوى الروابط التي تربط الأندلس بدولة المماليك لأن المرور بمصر والمكوث فيها بعض الوقت كان ضروريا للانتقال إلى الحجاز،¹ ومن أبرز المدن المصرية التي كان الحجاج الأندلسيين يحطون بها الرحال القاهرة والإسكندرية خاصة وأنهم كانوا يفضلون الرحلة البحرية إلى الإسكندرية ومنها ينتقلون إلى القاهرة والفسطاط،² ليركبوا السفن في نهر النيل ومنها إلى ميناء عيذاب،³ على البحر الأحمر ومنه إلى ساحل جدة ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة، هذا الطريق جعل تلك المدن المصرية تكتسي أهمية بالغة لدى الأندلسيين فإذا كان الحج الهدف الأول والأساسي من الرحلة فإن طلب العلم هو الهدف الثاني بعد الفريضة،⁴ هذا ما جعل الكثير منهم يستقر بعض الوقت للقاء العلماء والآخذ عنهم والحصول على الإجازات العلمية بأنواعها المختلفة،⁵ ومما شجّع

¹ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 34- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، ص 284.

² القلصادي، الرحلة، المصدر السابق ص 125، - علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق 1989 م، ص 119.

³ عيذاب: مدينة على الساحل الغربي للبحر الأحمر ومرسى للمراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 171- ابن جبير، الرحلة، ص 45.

⁴ بنعيس بويوزان، المرجع السابق، ص 242.

⁵ القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص 222- حياة ناصر حاجي، المرجع السابق، ص 186.

الأندلسيين على الاستقرار بمصر توفر وسائل الراحة والأمن التي حرص السلاطين على توفيرها للحجيج هذه الخدمة تعتبر جزءاً من خدمة الحرمين الشريفين، ومن مظاهر هذه الخدمة أيضاً كسوة الكعبة كل سنة،¹ وكان يخصص لهذا الغرض يوم في شهر رجب يُعرف بالمحمل حيث يلتقي القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب والفقهاء والأمراء وأمير الحج وبحضور السلطان يطفون به القاهرة استعداداً للحج.²

ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالحرمين زيارة السلطان الظاهر بيبرس للحجاز سنة 1269/667م وقيامه بغسل الكعبة بيده وتعيين الأمير شمس الدين مروان نائباً عنه في مكة ليكون الحل والعقد على يديه،³ كما كان سلاطين المماليك يخصصون سنوياً كميات من الإنتاج الزراعي تحمل إلى الحرمين وتوزع على الفقراء.⁴

ومن جهة أخرى فقد كان السلاطين يقررون دروساً في الحرمين نظراً لأهميتهما عند المسلمين ومنهم السلطان الأشرف شعبان بن حسين الذي قرر دروساً للمذاهب الأربعة ودرساً للحديث وأنشأ مكتباً للأيتام،⁵ أمّا السلطان الظاهر جقمق فقد قرر لأهل الحرمين مساعدات ورواتب سنوية ودرساً ودرساً في الحرم المكي لإقراء صحيح البخاري.⁶

أمّا السلطان قايتباي فقد اعتنى بالحرمين حيث حفر بمنى صهريجاً وأصلح المسجد وأجرى عين عرفة وأصلح بئر زمزم، كما كان يرسل للكعبة كسوة كل سنة، وأنشأ بجانب المسجد الحرام مدرسة عظيمة لتدريس المذاهب السنية الأربعة وزودها بمكتبة وبجانبها رباط ومكتب للأيتام، كما أنشأ بالمدينة النبوية مدرسة بديعة.⁷

¹ المقرئبي، السلوك ج1، ص 445- ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص300- سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 237.

² ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق ص293- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 310- بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص41.

³ سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 239.

⁴ ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص300.

⁵ ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق ج2، ص 190- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق ج1، ص 118.

⁶ السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق ج3 ص 73- ابن العماد، شذرات، ج9، ص425.

⁷ ابن العماد، شذرات، ج10، ص 12- عبد الرحمن بالأعرج، علاقات دول المغرب، المرجع السابق، ص 233.

كان ركب الحجيج يتكوّن من عدّة فئات منهم الطلبة والعلماء والأطباء والفقهاء الذين كان هدفهم الثاني بعد أداء الفريضة هو لقاء المشايخ والأخذ عنهم في المدن التي يمرون عليها في مصر مثل الإسكندرية والقاهرة أو مدن أخرى خارج مصر منها القدس وبغداد ومكة والمدينة المنورة، وكان هؤلاء العائدين إلى الأندلس بعد هذه الرحلة يتحدثون عن الشيوخ الذين أخذوا عنهم والإجازات التي تحصلوا عليها وكان هذا يشجّع أكثر الطلبة على الارتحال.¹

كان لرحلة الحج دور بارز في ازدهار الحركة العلمية وإيصالها إلى ما وصلت إليه في المغرب والأندلس وخاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين أمّا مع بداية القرن التاسع الهجري فقد تراجع عدد الحجّاج الأندلسيين بسبب الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الأندلس من تدهور سياسي واقتصادي ناتج عن سيطرة النصارى على معظم المدن الأندلسية هذه الظروف جعلت العلماء والفقهاء يدعون للجهد وإيثاره على الحج بسبب ما أصاب الأندلس،² ورغم هذا التراجع إلا أنّ رحلة الحج ظلت من أهمّ دوافع حركة الأندلسيين نحو المشرق، وهي فرصة يلتقي فيها العلماء ويتم التعرف بعضهم على بعض، فيتم تبادل الأفكار والمؤلفات بين علماء المغرب والمشرق وبالتالي فالرحلة تزيد من تمتين الروابط الثقافية التي تجمع بين الأندلس وبلاد المشرق.

3 - الهجرة الأندلسية:

اعتبرت الهجرة الأندلسية من أهمّ الأحداث التي شهدتها الأندلس قبل نهاية الوجود الإسلامي في هذه المنطقة نظرا للكم الهائل من المهاجرين وفي اتجاهات مختلفة وتأثيراتهم الثقافية والاجتماعية على البلدان التي هاجروا إليها. وحركة الهجرة تختلف عن مفهوم الرحلة بمدلولها الاجتماعي لأن المهاجرين خرجوا دون نية العودة إلى الأندلس، وأطلق عليها البعض الجلاء، وقد ضمتّ الهجرة فئات اجتماعية مختلفة منهم العلماء والحرفيون وعمال الزراعة والمعماريون بينما الرحلة العلمية اقتصرت على فئة أهل العلم.

كانت الهجرة الأندلسية حتمية فرضتها مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية خاصة في المرحلة التي أعقبت سقوط الدولة الموحدية بعد هزيمة العقاب حيث فضّل الأندلسيون ترك بلدهم والانتقال إلى مناطق أكثر أمنا واستقرارا ومن أبرز دوافع الهجرة الأندلسية:

¹ القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 149 - المقري، نفع الطيب، ج2 ص 371.

² القلصادي، الرحلة، ص 66 - بنعيس بويوزان، فضل الحج على العلم، المرجع السابق، ص 309 - عبد الرحمن علي حجي، هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، ظروفها وآثارها، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات 2003 م، ص 144.

3- 1 دوافعها

1 حروب الاسترداد: تمكن المسلمون من السيطرة على الأندلس لفترة زمنية طويلة منذ الفتح الإسلامي وشهدت في هذه المرحلة الاستقرار والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلا أن هذا الازدهار سرعان ما تراجع بعد ضعف الدولة الموحدية وانهزامها في موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م،¹ التي مثلت بداية نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس حيث كثرت الفتن والصراعات السياسية الداخلية كما هو الحال في ثورة بني مردينش² وثورة ابن هود بألمرية،³ هذه الظروف الصعبة استغلها النصارى وتمكنوا من استرداد عدد من المدن الأندلسية منها ماردة سنة 627هـ/1230م ثم قرطبة 634هـ/1236م، بلنسية 638هـ/1238م ثم إشبيلية 646هـ/1248م،⁴ كما سقطت مدن أخرى في غرب الأندلس مثل شاطبة 644هـ/1246م، وجيان سنة 649هـ/1251م وهكذا فقد شهد القرن السابع الهجري سقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى،⁵ هذه الظروف جعلت الكثير من سكان الأندلس يضطرون إلى البحث عن مناطق أكثر أمناً سواء بالمغرب أو المشرق خاصة بعد أن تأكّدوا أن أيام الإسلام في الأندلس أصبحت معدودة بعد أن انقطع الدعم والمساعدة من بلاد المغرب خاصة من المرينيين بعد هزيمتهم في موقعة طريف سنة 741هـ/1340م.⁶

2 تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة بني نصر: لقد تمكنت دولة بني نصر من الحفاظ على المناطق الجنوبية للأندلس من خلال تصديها لضربات النصارى لفترة زمنية طويلة مما أدى إلى ضعفها العسكري والاقتصادي خاصة بعدما ظهرت الاضطرابات والثورات الداخلية كتلك التي

¹ المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق ج4، ص 383- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1982، ص 68.

² لسان الدين ابن الخطيب، أعلام الأعلام، المصدر السابق، ص 271- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، المصدر السابق، ص 126، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 213.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 130- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 216- عبد الله عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، المرجع السابق ص458.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج4 ص 219- محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق 1991 م، ص 29.

⁵ مونتغمري وايت، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 157- عبد الله عنان، دولة الإسلام، القسم الرابع، ص 20.

⁶ ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق ص35- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص 347.

قام بها أبو الجيوش نصر ضد أخيه أبي عبد الله محمد الملقب بالملخوع وذلك سنة 708هـ/1308م،¹ أو كما حدث في عهد السلطان الغني بالله سنة 760هـ/1359م،² وعهد السلطان محمد الثامن بن يوسف الثالث الملقب بالصغير حيث ثار عليه الأمير محمد التاسع بن نصر المعروف بالأيسر سنة 866هـ/1459م،³ هذه الأوضاع السياسية المضطربة أثرت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فارتفعت الضرائب بسبب كثرة الحروب وزاد غلاء المعيشة،⁴ إضافة إلى الازدحام بسبب تضاعف عدد السكان في غرناطة نظرا للهجرة الواسعة من باقي المدن التي تعرضت للغزو المسيحي،⁵ هذه الظروف الصعبة جعلت العديد من الأندلسيين يفضلون الهجرة إلى الأقطار الإسلامية.

3 المعارضة السياسية: لقد كان بعض الفقهاء والعلماء يعارضون الحكام في اتخاذ مواقف

معينة، كما كان البعض الآخر يلقي معارضة شديدة من طرف السلطة الحاكمة خاصة الفلاسفة بسبب أفكارهم وبعض مؤلفاتهم كما حدث لابن مسرة القرطبي الذي اضطر إلى الهجرة عن وطنه،⁶ وأبي الوليد محمد بن عبد الله القرطبي الذي هاجر إلى الإسكندرية ثم مكة حيث توفي سنة 581هـ/1156م بسبب خوفه من بطش الحكام،⁷ فقد كان حكام الدولة الموحدية ينظرون إلى من خالفهم على صعيد العقائد والمبادئ نظرة معادية اتسمت بالحقن والكرهية.

ومن العلماء الذين هاجروا بسبب الخوف من الحكام ابن سعيد المغربي الذي رحل إلى المشرق خوفا من ابن عمه أبي عبد الله محمد بن سعيد الذي كان يشتغل وزيرا لدى السلطان الحفصي ابن زكرياء⁸، أما أبو حيان الغرناطي الذي هاجر إلى المشرق بسبب خلافه مع شيخه ابن الطباع الذي

¹ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 222- ابن الخطيب، ديوان الحبيب والإيهام، المصدر السابق، ص 26.

² حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 200- سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، المرجع السابق، ص 372.

³ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 252.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص 455.

⁵ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 322.

⁶ انجيل بالييا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 326- جودت هلال ومحمد محمود، المرجع السابق، ص 126.

⁷ عبد الرحمن علي حجي، هجرة علماء الأندلس، المرجع السابق، ص 57- علي أحمد، المرجع السابق، ص 88.

⁸ علي أحمد، المرجع السابق، ص 89.

الذي رفع أمره إلى الأمير محمد بن نصر الفقيه¹ ، وبالتالي فإنّ المعارضة السياسية والاضطهاد بسبب اختلاف الأفكار والمواقف كانت أحد العوامل التي دفعت بالكثير من الأندلسيين إلى الهجرة نحو مناطق أكثر أمناً.

4 الاستقرار السياسي والاجتماعي لدول المغرب والمشرق: لقد شهدت الدول الإسلامية في بلاد المغرب والمشرق مرحلة من الاستقرار وانتشار الأمن، فدولة المماليك في مصر عاشت الاستقرار بفضل ما وفره السلاطين من قوّة عسكرية تمكنت من خلالها من ردّ الهجمات الصليبية والمغولية خاصّة في بلاد الشام، كما استطاعت دولة المماليك أن تفرض سيطرتها ونفوذها على مناطق واسعة من بلاد المشرق خاصة في عهد الظاهر بيبرس الذي تمكن من بسط نفوذه على الشام والحجاز،² وتأمين طريق الحجيج، كما انتعش الوضع الاقتصادي بسبب العلاقات التجارية الواسعة مع الدول الإسلامية وحتى المسيحية بفضل موقعها الاستراتيجي على البحر المتوسط والبحر الأحمر وتوفرها على موانئ هامة ومراكز تجارية مثل القسطنطينية ودمياط والاسكندرية،³ هذا الوضع ساعد على الازدهار الثقافي وتوفر المنشآت الثقافية من مدارس ومساجد وزوايا، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ونحن لهذا العصر نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لِمَا أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة من آلاف السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملة تعليم العلم..."⁴ .

أما بلاد المغرب فرغم الصراعات العديدة بين دول المغرب إلا أن هذا لم يمنع من تمتع هذه الدول بالاستقرار السياسي والأمني، فقد كانت العلاقة التي تربط الأندلس بهذه الدول جيدة للغاية، لذلك كان الأندلسيون يلقبون بالترحيب والمعاملة الحسنة عند هجرتهم لهذه الدول.

وقد كانت هذه الهجرة في فترات زمنية مختلفة لذلك يمكن أن نميز فيها مرحلتين أساسيتين:

¹ المقري، نفع الطيب، ج2، ص585- جوليان ريبوا، المرجع السابق، ص 124.

² ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 222- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص94- أنور زقلمة، المرجع السابق، ص 51.

³ أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 46.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص548.

3 - 2 مراحلها

1 المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة:

وتبدأ هذه المرحلة مع بداية تدهور الأوضاع السياسية في الأندلس بسبب حروب الاسترداد وضعف دولة الموحدين وانحزامها في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م،¹ حيث أخذت قواعد المسلمين والحصون تنهار الواحدة تلو الأخرى أمام ضربات النصارى² وأمام تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضل كثير من أهل الأندلس الهجرة على البقاء تحت سيطرة النصارى، وقد كانت هذه الهجرة في اتجاهات مختلفة كان أبرزها المغرب الإسلامي ثم بلاد المشرق خاصة مصر والشام والحجاز، فبالنسبة لبلاد المغرب ونظرا للقرب الجغرافي والعلاقات السياسية الحسنة فقد هاجرت أعداد كبيرة من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب حيث تزخر كتب التراجم والمصادر التاريخية بأسماء العديد من الأسر والشخصيات الأندلسية التي فضلت بلاد المغرب ومن أبرزها، أسرة العقباني التي هاجرت إلى تلمسان وقد أنجبت العديد من العلماء أمثال سعيد العقباني المتوفي سنة 811هـ/1408م وقاسم بن سعيد العقباني المتوفي سنة 854هـ/1450م،³ وأسرة الآبلي ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الذي رحل أبوه إبراهيم وعمه أحمد من قرية آبله ببلاد الأندلس في اتجاه تلمسان وتزوج بنت القاضي ابن غليون⁴.

بلغت الهجرة الأندلسية نحو تلمسان ذروتها أيام السلطان أحمد العاقل، 834هـ- 862هـ/1431م-1453م بسبب ما وقره للأندلسيين من أماكن للإقامة حيث أنزل كل فرد في المكان الذي يليق به، فأنزل العلماء في العاصمة وقربهم منه بينما باقى المهاجرين من الحرفيين والتجار

¹ عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، المصدر السابق، ص 164.

² ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 213.

³ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 161- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 247- ابن مريم، البستان، ص 148.

⁴ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 282- يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 157- ابن مريم، البستان، ص 214، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 304.

فقد أنزلهم في أحياء خاصة عرفت فيما بعد بدرب الأندلسيين،¹ وانتشر عدد منهم في باقي المدن الزبانية خاصة هنين ووهران وشرشال ومستغانم.²

أما إلى إفريقية الحفصية فقد هاجرت مجموعات كبيرة جدا بسبب العلاقة الجيدة بين بني حفص والأندلس وقد بدأت الهجرة في البداية من شرق الأندلس بعد وقوع بلنسية ومرسية وشاطبة في يد النصارى الذين عمدوا إلى إجلاء السكان عن تلك المدن،³ ثم جاءت هجرة ثانية من غرب الأندلس بعد سقوط إشبيلية سنة 646هـ/1248م، وأبرز الذين هاجروا إلى إفريقية في هذه المرحلة أبو عثمان سعيد بن علي بن زاهر الأنصاري البلنسي المتوفي سنة 654هـ/1256م ارتحل من بلده بلنسية بعد سقوطها واستوطن بجاية وتصدر للتعليم بها،⁴ ومنهم الطيب أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المتوفي سنة 674هـ/1275م من أهل إشبيلية المعروف بابن اندراس رحل إلى بجاية واشتغل بتدريس الطب والفقه والعربية ولما ذاع صيته استدعاه المستنصر الحفصي إلى تونس وضمه إلى سلك أطبائه،⁵ ومن الذين هاجروا إلى تونس الشاعر أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني صاحب قصيدة من ألف بيت في مدح المستنصر الحفصي، توفي بتونس سنة 684هـ/1285م⁶، ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن الصديفي الشاطبي الفقيه المقرئ أبو زكرياء يحيى بن عصفور العبدي التلمساني وأبو العباس ابن فرتون الفاسي، توفي ببجاية سنة 674هـ/1275م.⁷

ولم تقتصر الهجرة إلى إفريقية على تونس وبجاية بل حلت العديد من العائلات الأندلسية في بنزرت وسوسة والمنستير و صفاقس.

أما المغرب الأقصى فقد شهد توافد عدد كبير من الأسر الأندلسية في هذه المرحلة بحكم الارتباط الوثيق بين المغرب والأندلس حيث تحققت الوحدة السياسية أيام المرابطين والموحدين، أما في العهد المريني فلم ينقطع الدعم العسكري للأندلس إلا بعد ضعف الدولة المرينية، هذه العلاقة الجيدة

¹ ابن مريم، البستان، المصدر السابق ص 127.

² علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص 400.

³ ابن الأبار، الحلة السيرة، المصدر السابق ج 2، ص 303.

⁴ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق ص 137 - ابن قنفذ، الوفيات، ص 322.

⁵ الغبريني، نفسه، ص 37.

⁶ السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، ج 1، ص 491 - ابن القاضي، درة الحجال، ج 1 ص 254 - المقرئ، أزهار الرياض،

ج 2، ص 350.

⁷ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 43.

جعلت الأندلسيين ينتقلون بكل حرية إلى المغرب الأقصى، ومن أبرز المدن المغربية التي استقطبت الأندلسيين فاس وتطوان والرباط، ومازالت هذه المدن تحتفظ بالتراث الأندلسي إلى اليوم،¹ كما شهدت مدن أخرى تدفق المهاجرين الأندلسيين مثل سلا ومكناس ومراكش والحسيمة وشيفشاون ومازالت بعض العائلات تحتفظ بأصولها الأندلسية ومن أبرزها أسرة الدباغ من غرناطة وابن عاشر والسراج من رندة وابن سودة والأحمر والأموي والبيطار وابن زعمون وغيرها، ومن أبرز الشخصيات الأندلسية التي كان لها دور بارز في المجتمع المغربي علال الفاسي الفهري صاحب الدور البارز في الحركة الوطنية المغربية، وأحمد بن سودة مستشار الملك الراحل الحسن الثاني والحاج أحمد بلافريج أمين عام سابق لحزب الاستقلال.²

أما بلاد المشرق فقد كان لها نصيب من الهجرة الأندلسية رغم بعد المسافة، وقد ترجم المقري لعدد كبير من هؤلاء الذين هاجروا إلى مصر والشام والحجاز في كتابه نفع الطيب، ومما زاد في تدفق المهاجرين على مصر هو وقوعها على طريق الحج مما دفع بالسلطين إلى الاهتمام بهذا الطريق وتوفير كل التسهيلات للحجاج القادمين من كل أنحاء العالم الإسلامي،³ ومن أبرز الشخصيات الأندلسية التي هاجرت إلى المشرق ابن وثيق أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأموي الإشبيلي رحل إلى المشرق بعد سقوط إشبيلية زار بلاد الشام ثم استقر بمصر وتوفي بالإسكندرية سنة 654هـ/1256م،⁴ ومنهم فتح الدين بن سيد الناس هاجر إلى مصر وتوفي سنة 734هـ/1336م،⁵ ومنهم محمد بن محمد بن أحمد الشريشي رحل إلى مصر وتوفي سنة 705هـ/1305م ومنهم علي بن حديدة الأندلسي عاش بمصر وعمر بها عدة زوايا توفي ببيت المقدس سنة 719هـ/1319م⁶ ومنهم

¹ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، المرجع السابق ص 389.

² الكتاني، المرجع نفسه، ص 393.

³ القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ص 107 - سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام، المرجع السابق، ص 249.

⁴ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 501

⁵ جلال الدين السيوطي، نفسه، ص 162.

⁶ الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 17، ص 432 - سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 201.

إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي المالكي المعروف بالحري، رحل إلى مصر وأقام بها والتقى بشمس الدين السخاوي وتناظرا علميا، توفي سنة 839هـ/1487م.¹

كما فضل عدد من الأندلسيين إلى الهجرة نحو الحجاز والاستقرار بها لمجاورة الحرمين ومن هؤلاء أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن خلف الغافقي الإشبيلي الفقيه المحدث رحل إلى تونس واشتغل بالتدريس ثم غادرها إلى الحجاز وجاور المدينة حتى وفاته سنة 704هـ/1304م،² ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الأندلسي الغرناطي أخذ عن علماء الأندلس وسمع الموطأ بتونس ورحل إلى مصر وحج واستقر بمكة والمدينة وكان إماما فاضلا، توفي سنة 715هـ/1314م،³ ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد القرشي الفهري الغرناطي رحل إلى المدينة المنورة واستوطنها حتى وفاته سنة 729هـ/1328م.⁴

أما خارج المناطق العربية فإن الهجرة كانت شبه معدومة باستثناء العدد القليل جدا ومنهم أسرة بن داود البلوي من وادي آش هاجرت من غرناطة إلى تلمسان قبل سقوط غرناطة حيث رحل أبو جعفر أحمد بن داود إلى تونس ومنها إلى تركيا حيث استقر في مدينة غلطة في ضواحي استانبول توفي سنة 908هـ/1502م،⁵ ومنهم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالطويجن من أهل أهل غرناطة كان أبوه أمين العطارين بغرناطة رحل إلى المشرق فحج ثم سار إلى بلاد السودان فاستوطنها، وتوفي بتمبكتو سنة 747هـ/1346م.⁶

2_ المرحلة الثانية: بعد سقوط غرناطة :

¹ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 51.

² ابن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، المصدر السابق، ص 67- السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، المصدر السابق ج1، ص 555

³ ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق ج4، ص 96 - المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص 661.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، نفسه، ص63.

⁵ المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق ج1، ص71- المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق ج2، ص 703- أبو جعفر البلوي، ثبت أبو جعفر، ص 30، السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص167- عبد الرحمان علي حجي، المرجع السابق، ص 140.

⁶ المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص 194- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 329.

هي المرحلة التي أعقبت سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م حيث انتهى الوجود الإسلامي في الأندلس فبمجرد أن تم التوقيع على معاهدة التسليم وشروط الصلح¹ حتى بدأ النصارى في نقضها وسلطوا على المسلمين من أهل غرناطة أبشع أنواع التعذيب، خاصة بعد إنشاء محاكم التفتيش التي أرغمتهم على التخلي عن الدين الإسلامي،² ورغم أنّ المسلمين لم يستسلموا بل قاموا بعدة ثورات لاسترجاع حقوقهم المسلوبة إلا أن هذه الثورات لم تحقق الأهداف المرجوة منها رغم المساعدات الكبيرة من دول المغرب والمشرق،³ ونتيجة لهذه الظروف خرج الكثير من الأندلسيين بدينهم وهاجروا إلى الأراضي الإسلامية سواء في المغرب أو المشرق، ومما شجّع على الهجرة هي فتاوى بعض العلماء بضرورة الهجرة من الأراضي التي يتحكم فيها النصارى ومنهم الونشريسي الذي أصدر فتوى تلزم كل مؤمن بالله واليوم الآخر في حفظ رأس الإيمان بالبعد والفرار عن مساكن أعداء حبيب الرحمن،⁴ وقد اعتبر هذه الهجرة فريضة واجبة على كل مسلم مستطيع.⁵

هذه العوامل شجعت الأندلسيين على الهجرة بعدما أصبحت الأرض الأندلسية لا توفر ضروريات الاستقرار في وسط كثر فيه التعذيب والتشريد وفي ذلك يقول الشاعر ابن العسال

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس فما المقام بما إلا من الغلطِ
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منشورا في الوسطِ
من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سفطِ.⁶

¹ المقرئ، نفع الطيب، ج1 ص 452- حسن الشطاط، المرجع السابق، ص 67.

² مؤلف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص 44- محمد لبيب البتوني، المرجع السابق، ص 212.

Juan Antonio Llorente, Historia critica de la inquisición Españoles, Barcelona 1835, P 146.

³ علي عبد الرحمان حجي، المرجع السابق، ص 57 - حسن الشطاط، المرجع السابق، ص 98.

Joseph Persez, L'Espagne de la 16 siècle, Paris 1973, P 168.

⁴ محمد المنوني وآخرون، التاريخ السياسي من خلال نصوص، المرجع السابق، ص 263.

⁵ الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية في الأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، ج2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 م، ص 121- حسين مؤنس، سنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر لأبي العباس الونشريسي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 1 و2 1975 م، المجلد الخامس، ص 23.

⁶ محمد بن حسن بن عقيل، المرجع السابق، ص 50.

وقد ساهمت الدول الإسلامية في نقل العديد من المهاجرين وخاصة الدولة العثمانية وبعد النجاح الكبير الذي حققته هذه الدولة وسيطرتها على البحر المتوسط حيث تمكن خير الدين من مهاجمة السواحل الشرقية لإسبانيا عدّة مرّات ونقل الكثير من الراغبين في الهجرة وقد تمكن خلال سبع سنوات من توجيهه 36 بارجة إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف موريسكي،¹ وهكذا فقد شهدت المرحلة التي أعقبت سقوط غرناطة هجرة ما تبقى من المسلمين في غرناطة خاصّة أولئك الذين رفضوا التنصّر والتخلّي عن الدين الإسلامي وفضّلوا الفرار بدينهم نحو المناطق الآمنة.

4 المراسلات العلمية وتبادل الإجازات:

4 - 1 بين الأندلس وبلاد المغرب:

لقد ساعدت سيادة المذهب المالكي في كل من بلاد المغرب والأندلس في هذه المرحلة على تنشيط حركة التبادل العلمي والمراسلات خاصّة ما تعلق منها بالفتوى والاستفسار عن الأمور الدينية، فكان الكثير من علماء الأندلس يستفتون علماء المغرب كلما استعصت عليهم مسألة معيّنة ومن ذلك كان الفقيه أبو سعيد بن لب الغرناطي يستفتي أبا عبد الله الشريف التلمساني في بعض المسائل الفقهية التي أشكلت عليه، كما كان أيضا لسان الدين بن الخطيب يطلب من الشريف التلمساني أن يكتب له بخطّه ويبيدي رأيه فيما كان يؤلّف من مؤلفات.²

والشيء نفسه حصل بين ابن الخطيب وأبي عبد الله بن مرزوق حيث كان يطلب منه التعليق على مؤلفاته وذلك ما يؤكّده المقرئ أنه رأى تعليقات بخطّ يد ابن مرزوق في كتاب الإحاطة لابن الخطيب.³

وفي هذا الإطار وجّه بعض فقهاء الأندلس ومنهم أبو إسحاق الشاطبي استفسارا إلى علماء فاس حول صحة طريق الصوفية دون شيخ، وكان القصد من علماء فاس ابن عباد الرندي والقباب،⁴

¹ عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق ص 388- محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب، ص 85- فتحي

زغروت، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس المرجع السابق، ص 291.

² ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 175.

³ المقرئ، نفح الطيب، ج 7، ص 106.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، ج 5، ص 341.

ومن جهة أخرى كان علماء المغرب يستشيرون علماء فاس ويطلبون منهم إبداء الرأي حول قضية فقهية معينة، ومن ذلك ما كتبه ابن مرزوق الخطيب عندما شرع في شرح كتاب الشفا للقاضي عياض إلى علماء وشعراء الأندلس ليكتبوا له مدحا فيه، فجاءه أبو عبد الله بن زمرك وابن الخطيب بقصيدة يمدح فيها كتاب الشفا.¹

كما كان طلبة الأندلس يطلبون الفتوى في المسائل الفقهية من علماء المغرب ومن ذلك أنه عندما حصل نزاع حول أمور تتعلق بالطهارة كتب أحد الطلبة إلى ابن مرزوق الخطيب للاستفسار عن هذا الخلاف.²

وإلى جانب هذه المراسلات العلمية كانت هناك مراسلات إخوانية بين علماء الأندلس والمغرب ومنها تلك الرسائل المتبادلة بين لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون سواء تعلق الأمر برسائل الترحيب أو الشكر أو الشوق وحب اللقاء،³ ورسائل أخرى بين ابن الخطيب وابن مرزوق ومن ذلك ما كتب ابن مرزوق إلى لسان الدين بن الخطيب وهي عبارة عن قصيدة شعرية مطلعها.

يا قادما وافي بكل نجاح
أبشر بما تلقاه من أفراح

هذه ذرى ملك الملوك فلذ بها
تنل المنى وتفز بكل سماح

وقد ردّ عليه ابن الخطيب بقصيدة مطلعها:

راحت تذكرني كؤوس الراح
والقرب يخفض للجنوح جناح

وسرت تدل على القبول كأنها
دل النسيم على انبلاج صباح.⁴

وكتب ابن الخطيب رسالة أخرى إلى ابن مرزوق لما أصبح بيده زمام الأمور في الدولة المرينية أيام السلطان أبي سالم وهي نوع من رسائل الشفاعة.⁵

¹ المقري، نفسه، ص 409- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 236.

² بوحسون عبد القادر، العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 134.

³ ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق ص 99 - المقري، نفع الطيب، المصدر السابق ج 6، ص 174.

⁴ الناصري، الاستقصاء، المصدر السابق ج 3، ص 95- المقري، نفع الطيب، المصدر نفسه ج 6، ص 65 - ابن الخطيب،

الإحاطة، المصدر السابق ج 3، ص 108.

⁵ المقري، نفع الطيب، ج 6، ص 204.

ثم أخذت المراسلات اشكالا أخرى منها طلب المساعدة والحث على الدفاع عن الأندلس مما كانت تعانيه من الخطر النصراني، ومنها رسالة شيخ الصوفية أبي الحسن بن المحروق إلى المغرب يطلب الإمداد ويحض على الجهاد،¹ ومنها أيضا رسائل الشفاعة التي كان يبعثها العلماء والفقهاء أو الوزراء لأحد السلاطين لتحقيق الشفاعة لأحد أصدقائهم أو أحد العلماء ومنها ما كتبه لسان الدين بن الخطيب إلى السلطان المريني أبي عنان للشفاعة للفقير أبي عبد الله بن مرزوق الذي استقر بالأندلس ورفض الخدمة لدى السلطان المريني.² ومنها الرسالة التي كتبها ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان فارس حملها إلى المغرب الفقيه أبو القاسم الحسيني وأبو البركات ابن الحاج للشفاعة للفقير محمد بن أبي بكر المقرئ قاضي الجماعة بفاس وتلمسان عندما رحل إلى الأندلس وترك الخدمة لدى السلطان المريني.³

إنّ هذه المراسلات العلمية وتبادل المصنفات كان تأثيرها إيجابيا على الحياة العلمية في بلاد المغرب والأندلس، كما ساهمت من جهة أخرى في ازدهار الحركة العلمية وكثرة التأليفات وهي دليل على متانة العلاقة بين العلماء والاحترام المتبادل رغم ما شهدته هذه المرحلة من كثرة الصراعات السياسية وعدم الاستقرار.

أما الإجازة هي إعطاء الإذن بالإفتاء أو الرواية. أجاز له أي أذن له،⁴ وهي المرتبة الثالثة بعد السماع من الشيخ والقراءة عليه فيأذن الشيخ لتلميذه بأن يروي عنه ما سمعه أو مؤلفاته، والإجازة تكون شفوية وتُعرف بإجازة السماع وهي أقوى الإجازات حيث يداوم الطالب على الحضور إلى شيخه وعندما ينتهي مما أراد أخذه يمنحه وثيقة يشهد فيها على ما يجيزه به الطالب،⁵ وتكون هذه الإجازة فردية أو جماعية، أي يمكن للشيخ أن يجيز مجموعة من الطلاب، أما النوع الثاني فهو

¹ ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، المصدر السابق ج2، ص61.

² ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص160- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص125.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص197.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص326.

⁵ ابن جابر، برنامج الوادي آشي، المصدر السابق، ص12- ابن مريم، البستان، ص18.

إجازة المكاتبه حيث يقوم المستجيز إلى مراسلة الشيوخ فيطلب منهم إجازة في بعض أو في كل ما يحملونه من المعارف ومثال ذلك أن ابن جابر الوادي آشي حصل على أكثر من مائتي إجازة بالمكاتبه.¹

كما يمكن للإجازة أن تطلب لبعض الأصحاب أو أفراد العائلة ومثال ذلك فقد استجاز ابن رشيد السبتي أبا إسحاق بن الحاج الأندلسي بتونس لأولاده وبعض أصحابه، والإجازة وثيقة تدلّ على المستوى العلمي الذي بلغه الطالب وهي أنواع خاصة بالتدريس أو الإفتاء أو الرواية،² ومن شروطها أن الشيخ لا يمنحها إلا لطالب واسع المعرفة متمكّنًا في مادته محيطًا بالتخصص الذي يريد أن يجازي فيه إجازة تكون إذنا له بالرواية عن شيخه والسماح له بالدخول في ميدان التعليم أو الفتوى أو القضاء.³

وقد كان الطلبة يرتحلون من مكان لآخر للحصول على هذه الإجازات والتي تؤهلهم لتولي منصب علمي معيّن، لذلك كان الطلبة يحصلون على الإجازات من عدّة علماء لأنّ كثرة الإجازات تدل على المستوى العلمي ويذكر ابن عماد الحنبلي أن أبا حيان الغرناطي سمع الحديث فقط من أربعمئة وخمسين شيخا أجازوه كلهم،⁴ وتبادل الإجازات يعد مظهرا من مظاهر التواصل الثقافي بين الأندلس وبلاد المغرب والأمثلة عن هذه الإجازات كثيرة جدا سوف نقتصر الحديث على بعضها. من علماء الأندلس الذين حصلوا على اجازات من علماء المغرب إسماعيل بن الأحمر الذي تحصّل على إجازة من الشيخ محمد بن عبد الرحمن المومنانى الحسيني أحد علماء فاس وأجازه أيضا فقيه فاس محمد بن سعيد الرعيني المتوفى سنة 779هـ/1377م.⁵

¹ ابن جابر، المصدر نفسه، ص 99.

² ابن رشيد السبتي، ملئ الغيبة، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 م، ص 127.

³ ديب صافية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، المرجع السابق، ص 177.

⁴ ابن عماد، شذرات، المصدر السابق، ج 8، ص 251.

⁵ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 1، ص 235.

ومنهم محمد بن جابر بن حيان الوادي آشي الذي أخذ عن مجموعة من شيوخ بلاد المغرب ومنهم الخطيب قاضي الجماعة بتونس أبو القاسم بن أبي بكر ابن زيتون الذي أجازته عامة، كما أجازته أيضا أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني قاضي الجماعة ببحاية.¹

ومن الأندلسيين الذين تحصلوا على إجازات من فقهاء المغرب أبو جعفر أحمد بن علي البلوي المتوفى سنة 938هـ/1532م فقد أجازته الفقيه ابن مرزوق الخطيب إجازة تامة وذلك سنة 895هـ/1490م،² كما أجازته إجازة تامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد الله المغراوي التنسي ونص هذه الإجازة، " وأجزته في جميع ما يتعاطاه من العلوم إجازة تامة لما صحّ عندي من أهليته لذلك...".³

أمّا عبد الله المجاري فقد تحصل على إجازات من شيوخ تلمسان منهم أبو عثمان سعيد العقباني والفقيه المفسر أبو عبد الله ابن مرزوق،⁴ وفي تونس أجازته الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي.⁵

أمّا القلصادي فقد أخذ عن عدة شيوخ أثناء مروره ببلاد المغرب منهم ابن مرزوق الخطيب وأحمد بن زاغو وفي تونس أخذ عن القلشاني أبو العباس الذي قرأ عليه جميع صحيح البخاري وصحيح مسلم ومختصر المدونة وأجازته في ذلك.⁶

كما رحل بعض طلبة المغرب إلى الأندلس وأخذوا عن علمائها فأجازوهم، ومنهم علي بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الفاسي يعرف بابن قطرال أجازته من إشبيلية أبو العباس بن الرومية،⁷ ومنهم ومنهم عبد الرحيم بن عيسى بن الملحوم من أهل مدينة فاس يكنى أبا القاسم أخذ عن علماء فاس

¹ ابن جابر، برنامج الوادي آشي، ص 47.

² أبو جعفر، ثبت أبو جعفر، المصدر السابق، ص 315.

³ أبو جعفر، نفسه، ص 319.

⁴ المجاري، برنامج المجاري، المصدر السابق، ص 135.

⁵ المجاري، نفسه، ص 138.

⁶ القلصادي، الرحلة، المصدر السابق، ص 118.

⁷ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 486.

ثم رحل إلى الأندلس وأخذ عن أبي القاسم ابن بشكوال وأبي عبد الله بن حفص وأبي بكر بن خير وأجازوه جميعهم،¹ ومنهم أبو عبد الله بن الفخار الذي أخذ عن أبي إسحاق الغافقي ببلنسية وأبي القاسم بن الشاط والقاضي أبو عبد الله القرطبي وأجازوه في ذلك.²

2-4 بين الأندلس والمشرق:

تعتبر الإجازة من أعلى الشهادات التي يتحصل عليها الطالب، فهي الوثيقة التي من خلالها يصل إلى مستوى الإفتاء أو التدريس أو الرواية، والإجازة ثلاثة أنواع، إجازة العرضية وهي شهادة يمنحها أحد الشيوخ لأحد طلبته بعد أن يعرض عليه أحد الكتب العلمية ويتأكد من أنه حفظه جيدا، وإجازة الفتوى أو التدريس، وهي شهادة يمنحها أحد الشيوخ لأحد الطلبة بعد أن يختبره في مادته العلمية ويتأكد من أنه فهمها جيدا يؤهله للتصدي للإفتاء أو التعليم وهي أعلى الإجازات حيث كان الطلاب يحرصون على الإكثار منها، وأخيرا إجازة رواية الحديث وهي إجازة يمنحها أحد شيوخ الحديث وحفاظه لأحد الطلبة يجيزه فيها برواية ما أخذه عنه من الأحاديث النبوية ويجيزه أيضا أن يجيز غيره.³

وللإجازة شروط منها أن يكون عالما لما يجيز به وثقة في دينه وروايته معروفا بالعلم وأن يكون المستجيز من أهل العلم ومتسما بسماته حتى لا يعطى العلم لغير أهله.⁴

ولهذا كان الطلاب يترددون على المراكز العلمية للحصول على هذه الإجازات فقد رحل العديد من الأندلسيين إلى مصر وبلاد الشام للحصول على الإجازات العلمية فالقاصدي يذكر في رحلته أنه تحصل على عدة إجازات من شيوخه سواء في الحجاز مثل أبي الفتح الحسيني المراغي الذي أجازته

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 202- السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 174.

² ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 415.

³ محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر 1957 م، ص 31.

⁴ جوليان ريبوا، المرجع السابق، ص 121- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 101.

على كتب الحديث،¹ أما في مصر فقد أجازته الشيخ عبد السلام بن عبد المنعم البغدادي في جميع الكتب التي قرأها عليه.²

أما ابن الأثير فقد حصل على إجازة من عمر مودود بن عمر الفارسي البخاري عند حلول هذا الشيخ بالأندلس،³

أما محمد بن جابر الوادي آشي فقد تحصل على إجازة عامة من جماعة من الفقهاء منهم الشيخ الفقيه المدرس علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الشافعي الدمشقي صاحب دار الحديث النورية.⁴

إن الإجازة العلمية لم تقتصر على الرجال إنما سعت إليها المرأة كذلك فقد ذكر السخاوي أنه أخذ إجازة عن آمنة ابنة الشهاب أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر، وقد أخذت هي أيضا إجازة عن حسن البصري،⁵ كما أخذ السخاوي إجازة عن أسية ابنة جابر الله بن أبي المنصور، وعن بلقيس ابنة الشيخ أحمد بن محمد بن محمد المطوي.⁶

هذه الأمثلة تدلّ على أنّ هدف الطلبة والعلماء كان هو الإكثار من الإجازات في رحلتهم العلمية حيث يأخذ الطالب من كلّ شيخ قرأ عليه وفي كلّ المدن التي يمر بها وذلك لتدعيم المصادقية العلمية وعادة ما كان يذكر على الإجازة اسم الطالب واسم الشيوخ وتاريخ الإجازة وتمنح الإجازة بكل حرية دون تدخل أي جهة.⁷

ومن هنا يمكن اعتبار الإجازات العلمية من العوامل التي قربت بين العلماء وساهمت في توثيق الصلات الثقافية بين الأندلس ومصر.

¹ القلصادي، الرحلة، ص 135.

² القلصادي، نفسه، ص 152.

³ المقرئ، نفع الطيب، ج 3، ص 589.

⁴ ابن جابر، برنامج الوادي آشي، ص 19.

⁵ السخاوي، الضوء اللامع، ج 12، ص 04.

⁶ السخاوي، نفسه، ص 14.

⁷ جوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 123.

الفصل الثالث

مظاهر العلاقات الثقافية

1- التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب

1-1 في الميدان السياسي والإداري

2-1 في الميدان العلمي

3-1 في الميدان الفني والمعماري.

1-3-1 في المجال الفني .

2-3-1 في المجال المعماري.

2- التأثيرات الأندلسية في بلاد المشرق .

1-2 في المجال الديني .

2-2 التأثيرات العلمية .

1-2-2 في مجال التدريس.

2-2-2 في مجال القضاء.

3-2-2 في مجال الطب .

3-2 التأثيرات الفنية والمعمارية .

1-3-2 التأثيرات الفنية .

2-3-2 التأثيرات المعمارية.

1- التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب الاسلامي:

إنّ التواصل بين الأندلس وبلاد المغرب يرجع إلى المراحل الأولى أيام الفتح الإسلامي ثمّ تطوّرت أكثر عبر المراحل التاريخية التي مرت بها الأندلس، ومع بداية تراجع مكانة الأندلس بعد ضعف الدولة الموحدية بدأت الحضارة الأندلسية تعمّر بلاد المغرب بعد أن اضطر الكثير من سكان الأندلس - تحت تهديد النصارى- إلى الهجرة نحو بلاد المغرب لأسباب مختلفة تتعلق بتدهور الأوضاع السياسية وسقوط المدن الأندلسية في يد النصارى وتعرض المسلمين إلى أنواع الاضطهاد والتنصير بفعل محاكم التفتيش.

هذه الهجرة ضمّت فئات مختلفة من العلماء والطلبة والحرفيين وأصحاب الصنائع، وقد مارس هؤلاء وظائف مختلفة فالعلماء مارسوا التعليم والخطابة ومارس البعض الآخر الكتابة لدى الملوك بينما مال البعض إلى الزهد والتصوف والإعراض عن الدنيا، ومارست فئة أخرى القضاء والطب، أما فئة الحرفيين فكان هدفهم هو ضمان معيشتهم الأساسية فأتجهوا إلى العمل في ميادين مختلفة معمارية زراعية وصناعية، ومهما يكن من أمر فإن الجالية الأندلسية قدمت الكثير لبلاد المغرب من خلال الوظائف والمناصب التي تقلدتها خاصّة وأن هذه الشخصيات ليست بالعدد القليل لذلك كان تأثيرها واضحاً في كل الواجهات العلمية والثقافية والمعمارية والفنية.

إنّ تواجد هذا العدد الكبير من الأندلسيين دليل على التواصل الثقافي الذي جاء بطريقة تلقائية دون تدخل الهيئات الرسمية.

1-1 في الميدان السياسي والإداري:

شهد المغرب الأقصى توافد العديد من الأندلسيين خاصّة أيام الدولة المرينية بسبب القرب الجغرافي بين العدوتين وسهولة الطريق ضف إلى ذلك الترحيب الذي لقيه الوافدون من السلاطين مما سهّل عملية الاندماج في المجتمع المغربي، لهذه الأسباب فقد تأثر المغرب المريني أكثر من غيره من بلدان المغرب الاسلامي.

ففي الميدان السياسي والإداري كان التأثير واضحاً جداً من خلال قرب الأندلسيين من سلاطين بني مرين، فقد كان في البلاط المريني عدد لا يستهان به من الأندلسيين خدموا الدولة وتقلدوا مناصب عليا نظرا لثقافتهم وشهرتهم، ومن ابرز هؤلاء:

- الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي كان حيّاً سنة 674هـ/1275م من أهل مرسية رحل إلى سبتة أديبا شاعرا ثم استدعاه السلطان يوسف المريني إلى فاس وتولّى الكتابة.¹

- الأديب إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري، المتوفى سنة 768هـ/1366م من أهل غرناطة يُعرف بإبن الحاج رحل إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس ومنها رحل إلى بجاية واستقر بها ثم انتقل إلى خدمة السلطان المريني أبي الحسن وارتسم في كتابة الإنشاء وله أشعار كثيرة يتحدث فيها عن خدمته للمرينيين بفاس:

أيا عجبا كيف تهوى الملوك محلي وموطن أهلي وناسي

وتحسدني وهي مخدومة وما أنا إلا خلدسم بفاس²

- ابن رضوان أبو القاسم عبد الله يوسف المالقي الغرناطي رحل إلى سبتة والتقى السلطان المريني أبا الحسن فمدحه وأجازه السلطان ثم ضمّه إلى مجلسه وتولى وضع العلامة ورافق السلطان إلى إفريقية وفي تونس التقى بابن خلدون وفي عهد السلطان أبي فارس أصبح ابن رضوان كاتب الدولة المرينية ورئيس كتابها.³

- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن جزى الكلبي من أهل غرناطة كتب عند السلطان أبي الحجاج يوسف ثم رحل إلى المغرب وكتب للسلطان المريني المتوكل على الله أبي عنان وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة، توفي سنة 757هـ/1357م.⁴

¹ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ج1، ص 18- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق ج1، ص 472

² ابن الخطيب، نفسه، ج1، ص 50- المقرئ، نفع الطيب، ج7، ص 108- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 91.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 435- ابن خلدون، الرحلة، ص22- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص254.

⁴ المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص 189- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، نفسه، ص223- محمد الشريف، من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب المريني وغرناطة النصرية، معرض مثلث الأندلس، وزارة الثقافة المغربية والحكومة الإسبانية، الرباط 2002م، ص 100.

لم يقتصر دور الأندلسيين على هذا الميدان فقط بل تجاوز إلى ميادين أخرى منها القضاء هذا الأخير عرف تطورا كبيرا في الأندلس، فقد كان قاضي الجماعة في الأندلس هو قاضي العاصمة وبقية القضاة مستقلون عنه بمعنى اللامركزية عكس ما كان في المشرق حيث كان قاضي القضاة هو قاضي الدولة بينما باقي القضاة في الأقاليم نوابا عنه، أما في المغرب فقد انتشر نفس النظام السائد في الأندلس، ولهذا التشابه فقد ولي عدد من الأندلسيين القضاء في المغرب ومن أبرزهم:

- القاضي أبو محمد عبد الله بن حوط الأنصاري المالقي الذي ولي القضاء بعدة مدن أندلسية منها إشبيلية وميورقة ومرسية ثم رحل إلى المغرب وولي قضاء سبتة وسلا، توفي بغرناطة سنة 1212/هـ¹

- القاضي أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن مخلد الأموي من أهل قرطبة رحل إلى المغرب وولي قضاء مراكش، توفي سنة 1226/هـ².

- القاضي علي بن عبد الله محمد بن احمد الأنصاري يُعرف بابن قطران من أهل قرطبة أخذ عن علماء بلده ثم عن علماء غرناطة وولي القضاء بشريش وجيان وقرطبة وشاطبة ثم رحل إلى المغرب وتولى القضاء بمدينة فاس، توفي بمراكش سنة 1252/هـ³.

- القاضي محمد بن يحيى بن محمد بن ابراهيم الغساني البرجي، من أهل غرناطة أديبا فقيها قره أبو عنان من مجلسه وفي عهد ابنه أبي زيان ولي القضاء بمدينة فاس، توفي سنة 1384/هـ⁴.

- القاضي أبو عبد الله محمد الكراسي الأندلسي كان كاتباً أديبا شاعرا أخذ عن أبي الحسن

البياض

¹ النباهي، أبو الحين، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 112.

² النباهي، نفسه، ص 117 - أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص 77 - محمد بن جابر الوادي آشي، برنامج بن جابر، المصدر السابق، ص 56.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 2، ص 486.

⁴ ابن القاضي، نفسه، ج 1، ص 312 - أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص 149 - ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 250 - أبو عبد الله المجاري، برنامج المجاري، تح: محمد أبو الاجفان، ط 1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م، ص

وعن مشايخ فاس أمثال، الوانشريسي وابن غازي وابن الزقاق، تولى القضاء بتطوان حتى وفاته سنة 964هـ/1557م.¹

- القاضي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرون الأموي الأندلسي الفاسي الدار، ولي القضاء بفاس بعد وفاة والده أبي زيد بن عبد الرحمن توفي سنة 961هـ/1556م.²

- القاضي أبو عبد الله الرزيني الأندلسي فقيه نوازل كان أول قاضي بمدينة تطوان، توفي سنة 934هـ/1528م.³

- القاضي مفضل بن محمد بن إبراهيم العذري يُعرف بالدلاي نسبة الى دلالية من أعمال ألمرية كان من أهل الفضل والمعرفة رحل إلى المشرق ثم ولي القضاء بألمرية ووادي آش ومالقة ثم رحل إلى المغرب فولاه يعقوب بن عبد الحق المريني قضاء الجماعة بفاس وجعل له النظر على صاحب الشرطة وصاحب الحسبة وهو أول من سن سنة بناء المدارس، وهكذا فإنّ السلطان المريني أوكل لأندلسي مهمة السهر على أمن مدينة فاس.⁴

إن التأثير السياسي والقضائي لم يقتصر على المغرب بل تأثر الأندلس أيضا بما كان يجري في المغرب من خلال تولي عدد من المغاربة منصب القضاء أو الكتابة لدى سلاطين بني نصر ومنهم:

القاضي أبو القاسم الحسيني العزفي الذي تولى القضاء بغرناطة كما قام ابنه أبو العباس بخدمة ملوك بني نصر، و تولى أبو محمد عبد المهين الحضرمي الكتابة لدى سلطان غرناطة،⁵ أمّا الأديب محمد

¹ محمد بن عسكر الشنشاوني، المصدر السابق ، ص21، سلوى الزاهري، البيوتات الأندلسية الموريسكية بتطوان، الجذور ولامتدادات، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 58، ص 283.

² محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص400- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 133- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص 167.

³ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص152- السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص 227

⁴ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص399- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص19- ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 298، محمد الشريف، المرجع السابق، ص 99.

⁵ عبد السلام شقور، بيوتات سبتة في القرن الثامن الهجري، مجلة دعوة الحق، العدد 286، أكتوبر 1991 م ، ص 107.

بن علي بن العابد الأنصاري فقد تولى الكتابة في الدولة النصرية وتوفي بغرناطة سنة 762هـ/1360م.¹

لقد تأثر المغرب الأوسط كباقي بلدان المغرب الاسلامي بالجالية الأندلسية التي استقرت به في العهد الزياني رغم قلة عدد هذه الجالية مقارنة بالدولة الحفصية والمرينية حيث كان التواجد الأندلسي ضعيفا، فقد اتخذها البعض محطة انتقال وعبور نحو باقي دول المغرب أو بلاد المشرق، وربما يرجع هذا الضعف إلى عدم الاستقرار السياسي الذي ميز الإمارة الزيانية بفعل وجود خطرين: غربي مثلته الدولة المرينية وشرقي مثلته الدولة الحفصية، ضف إلى ذلك خطر الطريق الذي لم يكن آمنا بالنسبة للمهاجرين حيث تسلط عليهم بعض الأعراب كما يذكر المقرئ،² ورغم هذا فإن العلاقات السياسية بين غرناطة النصرية وتلمسان الزيانية كانت وثيقة جدا وشهدت عدة تحالفات.

و في ظلّ هذه الظروف انتقل العديد من الأندلسيين إلى موانئ الدولة الزيانية واستقروا ببعض المدن في ظل العناية التي حظي بها هؤلاء المهاجرون من طرف ملوك بني زيان خاصة فئة العلماء، وقد ترك هؤلاء آثارا واضحة في مختلف الميادين التي اشتغلوا بها.

ففي المجال السياسي كان للجالية الأندلسية بتلمسان دور بارز خاصة في المرحلة الأولى لنشأة الدولة الزيانية أي في عهد يغمراسن بن زيان الذي استقدم أبا بكر بن خطاب الغافقي المرسي نزيل تلمسان، وقد كان كاتباً بارعاً وشاعراً، اشتغل كاتباً لملوك بني نصر بغرناطة ثم عاد إلى بلده مرسية إلا أنّ عدم الاستقرار الذي ميزها جعله يغادر الأندلس إلى تلمسان في عهد يغمراسن الذي استخدمه كاتباً له ثم لولده أبي سعيد عثمان، توفي بتلمسان سنة 686هـ/1287م.³

منهم أسرة بني الملاح وهم بيت من قرطبة كانوا يحترفون سكة الدنانير والدرهم وصياغة الذهب والفضة ولما نزلوا بتلمسان احترفوا حرفتهم الأولى وزادوا عليها الفلاحة، وقد تولت هذه الأسرة

¹ ابن القاضي، جدوة الاقتباس، المصدر السابق ج1، ص 231.

² المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص 328.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 426 - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 168 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص

الحجابه لدى سلاطين بني زيان ومنهم محمد بن ميمون الذي تولى الحجابه في عهد السلطان أبي حمو الأول وبقيت الحجابه في هذه الأسرة حتى وفاة السلطان.¹

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي اصله من آبله بالأندلس رحل أبوه إلى تلمسان وقد عاش في كفالة جده ابن غليون وقد خدمت عائلته عدة سلاطين من الدولة الزيانية، أمّا أبو عبد الله فقد عاش بتلمسان ثم رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب الأقصى وانضمّ إلى مجلس السلطان المريني أبي الحسن وانتقل معه إلى تونس ثم استدعاه السلطان أبو عنان المريني وتوفي بفاس سنة 757هـ/1356م.²

ومن الذين خدموا البلاط الزياني الطبيب الأندلسي افريم (إبراهيم) بن إسرائيل عنقاوة الذي يعود أصله إلى أسرة يهودية أندلسية رحل إلى المغرب الأوسط حيث نزل بهنين ثم انتقل إلى تلمسان وكان له الفضل في علاج ابنة السلطان الزياني أبي العباس أحمد بن أبي حمو الثاني، فقربه السلطان وأصبح مستشارا في البلاط الزياني، توفي سنة 846هـ/1442م.³

أمّا إفريقية في العهد الحفصي فقد تأثرت هي الأخرى بالجالية الأندلسية حيث استقبلت عددا معتبرا من المهاجرين، وقد تشكلت جالية أندلسية ليست بالقليلة في معظم المدن الحفصية خاصة الساحلية منها، وقد ساعد على هذا التواجد العلاقات الجيدة مع الأندلس، فقد كانت الأسرة الحفصية قد استقرت بالأندلس قبل انتقالها إلى إفريقية لذلك كانوا يميلون إلى أهل الأندلس، فكان هؤلاء المهاجرون يجدون مجالا واسعا لنشاطاتهم المختلفة خاصة وأن إفريقية تمتاز بقلّة السكان، ضف إلى ذلك الاستقرار النسبي الذي عاشته الدولة الحفصية كما مثلت آخر محطة للانتقال إلى بلاد المشرق.⁴

¹ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص217- عبد الحميد حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، المرجع السابق ص41.

² ابن مريم، البستان، ص214- أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، ص282- ابن خلدون، الرحلة، ص40.

³ فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2011 م، ص173- بالاعرج عبد الرحمن، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك، المرجع السابق، ص177.

⁴ محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، المرجع السابق ص28.

وقد ضمت موجات المهاجرين عددا كبيرا من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء الذين كان تأثيرهم قويا وشديدا في ميادين مختلفة حيث وصل البعض منهم إلى العمل في قصور السلاطين، وتولى البعض منهم الكتابة بينما اشتغل بعضهم بالتدريس والطب والقضاء.

ففي الميدان السياسي ونظرا للعلاقة الطيبة فقد تمتع الأندلسيون بمكانة خاصة وتولى البعض منهم مناصب عليا في الدولة، ففي عهد أبي زكرياء أصبح أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن المسير لشؤون الدولة، كما تقلد أندلسي آخر خطة العلامة وهو محمد بن علي بن عمر العبدري الشاطبي الذي رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج ثم عاد إلى الأندلس وبعدها انتقل إلى تونس واستقر بها حتى وفاته سنة 770 هـ / 1368م.¹

أما الأديب محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار البلسي فقد أسندت له كتابة العلامة وهو الذي أرسله ابن مردنيش إلى السلطان الحفصي أبي زكرياء لطلب النجدة والمساعدة،² ورغم هذه الخدمة التي قدمها للسلطة الحفصية إلا أن نهايته كانت على يد السلطان الحفصي المستنصر، ويرى المقري أن سبب قتله وحرق كتبه هو وجود كتاب لتاريخ الدولة الحفصية يسيء للمستنصر.³ ومن الأندلسيين الذين خدموا البلاط الحفصي حازم بن محمد بن الحسن بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني الذي ولد سنة 608 هـ ثم هاجر إلى المغرب الأقصى ومنها إلى تونس وقد قره المستنصر الحفصي وتولى ديوان الإنشاء، له عدة مؤلفات منها قصيدة في مدح الخليفة المستنصر، توفي سنة 684 هـ / 1285م.⁴

¹ ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق ج4، ص 80.

² ابن الأبار، الحلة السيرة، المصدر السابق ص35- ابن قنفذ، الوفيات، ص324.

³ المقري، نفع الطيب، المصدر السابق ج2 ص 589- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 195- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 207.

⁴ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 137- السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، ج1، ص 324- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 171.

ومنهم علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي ولد سنة 610هـ ثم رحل لأداء فريضة الحج نزل بالقاهرة ودمشق ثم بغداد ورجع إلى تونس واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله بن المستنصر فنال مكانة مرموقة توفي سنة 685هـ/1284م.¹

ومن مظاهر تحكم بعض الأندلسيين في دواليب السلطة أنّ أبا الحسن بن سيد الناس تولى أمور بجاية وصار إليه الحل والعقد ثم خلفه أندلسي آخر وهو أبو القاسم بن أبي جبي الذي تمتع بنفس النفوذ، كما تولى الحجابة ببجاية أندلسي من أهل شاطبة وهو أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي بكر.² ومن خلال هذه الأمثلة يتضح لنا الدور البارز الذي مارسه الجالية الأندلسية رغم أنها تعتبر غريبة عن البلد وتمكنت من المساهمة في استمرار الحكم الحفصي، وليس بعيدا عن المجال السياسي نجد بروز دور آخر للأندلسيين والذي تمثل في القضاء، ومن الذين تولوا القضاء في المدن الحفصية: -أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو جعفر فقيه ومحدث تولى القضاء في الأندلس وإفريقية ثم استعمل في الإشراف على المجابي السلطانية توفي سنة 646هـ/1248م وهو متوجه إلى الحج.³

-أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي تولى القضاء بشاطبة ومكناس ثم نزل إفريقية وتولى القضاء بقسنطينة وقابس ثم بجاية، توفي بتونس سنة 618هـ/1269م.⁴

- أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن الخزرجي بن الغماز الفقيه المحدث انتقل إلى تونس وتولى القضاء حمدت سيرته وعرف بالعدالة والنزاهة توفي وهو في منصب القضاء سنة 683هـ/1283م.⁵

¹ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص 240 - السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، ج2، ص 209.

² عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 463 - محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 33.

³ بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر01، القسم01، ص 293.

⁴ الغبريني، عنوان الدراية، ص140 - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر01، القسم01، ص 150.

⁵ ابن قنفذ، الوفيات، ص334 - الغبريني، المصدر السابق، ص 57 - أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص15 - ابن قنفذ،

الفارسية، ص 151 - بن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر01، القسم01، ص 409.

- القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن سليمان الأزدي يُعرف بابن برطلة فقيه مالكي من أهل مرسية انتقل إلى المغرب الأوسط فسكن بجاية وولي الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم ثم ولي القضاء بمدينة الجزائر ومنها رحل إلى تونس واستقر بها حتى وفاته سنة 661هـ/1262م.¹
- القاضي أبو عبد الله محمد بن يعقوب المرسي رحل إلى البلاد الحفصية واستقر بباجة وتولى القضاء بها ثم انتقل إلى تونس وتولى بها القضاء أيضا حتى وافته المنية سنة 690هـ/1291.²
- الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن الفخار البلمسي فقد رحل إلى قسنطينة وتولى بها القضاء كما تولى القضاء ببجاية والخطابة بمسجدها وبعدها تولى قضاء الجماعة بمدينة تونس.³

2-1 في الميدان العلمي:

عاشت بلاد المغرب في هذه المرحلة ازدهارا كبيرا في الحياة العلمية وقد كان للجالية الأندلسية الدور الكبير في هذا الازدهار بعد هجرتهم إلى بلاد المغرب واستقرارهم في معظم المدن حيث كان تأثيرهم في شتى أنواع العلوم.

ففي مجال العلوم الدينية كان التأثير واضحا جدا خاصة وأن هذه العلوم كانت الأكثر انتشارا في البلاد الإسلامية باعتبارها أساس الشرع وعلماء الشريعة هم حياة الأمة.

عرف المغرب الأقصى في العهد المريني توافد العديد من علماء وفقهاء الأندلس الذين كان لهم الفضل في تنشيط الحركة العلمية خاصة في العلوم الشرعية.

ففي التفسير سادت مدرسة التفسير بالمأثور في الأندلس مع وجود بعض بوادر مدرسة التفسير بالرأي، أما في المغرب الأقصى في عهد الدولة المرينية فقد اعتمد علماء التفسير اعتمادا كبيرا على

¹ ابن قنفذ، الوفيات، ص 30- الغبريني، المصدر السابق، ص 151- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 146.

² النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 130.

³ ابن جابر، برنامج بن جابر الوادي آشي، المصدر السابق، ص 39.

الحديث وهو الذي يعتمد على المأثور وبهذا يكون علماء التفسير في هذا العهد قد اتبعوا النهج نفسه الموجود في الأندلس.¹

أما في مجال القراءات فقد تأثر أهل المغرب بالأندلس في هذا العلم الذي يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن وقد كان لهذا العلم في الأندلس شخصية مميزة وصناعة مخصصة وعلم مفرد.²

ألف الأندلسيون في هذا العلم الكثير ونبغ منهم عدد من القراء انتقل البعض منهم إلى المغرب الأقصى فأفادوا أبناء المغرب بعلمهم، وقد اعتمد أهل المغرب في العصر المريني على مصنفات أبي عمرو عثمان بن سعيد المتوفى سنة 444هـ³، خاصة كتابه التيسير الذي لخصه بعد ذلك أبو القاسم بن فيرة الشاطبي⁴ ونظمه في قصيدة حرز الاماني ووجه التهاني اشتهرت بالشاطبية رتب فيها أسماء القراء على حروف الأبجدية تسهيلا لحفظها،⁵ ومن أبرز القراء الأندلسيين الذين تركوا آثارا بارزة في المغرب.

-المقرئ محمد بن علي بن عدة العدي الأندلسي أبو عبد الله ولد بالأندلس وقدم غلى فاس، أخذ عنه جماعة من أهل فاس، توفي سنة 675هـ/1273م.⁶

¹ محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية، المرجع السابق، ص 99.

² ابن خلدون، المقدمة، ص 552.

³ عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني الأموي: شيخ من شيوخ القراء ولد سنة 371هـ رحل إلى المشرق ودخل مصر ثم عاد إلى الأندلس وسكن سرقسطة وقرطبة ثم استوطن دانية حتى وفاته سنة 444هـ من مؤلفاته كتاب التيسير وكتاب التلخيص في قراءة ورش وكتاب المقنع، ينظر: ابن الجزري، طبقات القراء، المصدر السابق ج1، ص 447.

⁴ أبو محمد قاسم بن فيرة بن خلف الرعيبي الشاطبي العزيز الفقيه المفسر ولد بشاطبة 531هـ رحل للحج ودخل القاهرة وزار بيت المقدس درس بالمدرسة الفاضلية حتى وفاته سنة 590هـ ينظر: ابن الجزري، ج2 نفسه، ص 20- ابن قنفذ، الوفيات، ص 296.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 552- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 159.

⁶ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق ج1، ص 324- الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص 473- أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تح: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط 1976 م، ص 14.

- المقرئ عبد الله بن محمد بن كبير الإشبيلي استوطن فاس تلا بالسبع على أبيه أبي عبد الله محمد بن كبير وتلا عليه بفاس غير واحد من أهلها كما تصدر القراءة بفاس له عدة تصانيف منها الإتقان لمخارج حروف القرآن.¹

- المقرئ أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 1329/هـ 730م، من أهل قرطبة نزيل فاس أحد أبرز شيوخ القراءات في عصره له عدة مؤلفات منها التجويد المنافع في قراءة نافع، وبيان الجمع في الروايات في الإقراء.²

- المقرئ أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير أبو جعفر القزاز الغرناطي، تلا بالسبع على أبي الحجاج بن يحيى بغرناطة وأجازه عبد المجيد الرندي بمالقة ولم يكن في عصره ولا بعده من يضاهيه في تجويد القرآن والاعتناء بحفظ رواياته، توفي سنة 1263/هـ 665م³

- محمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأموي الشريشي الأندلسي الشهير بالخرز المتوفى سنة 1415/هـ 718م من أشهر أعلام القراءات في فاس له عدة مؤلفات منها مورد الظمان في رسم أحرف القرآن.⁴

ومن الخطاطين الأندلسيين الوافدين على فاس ابن حزب الله محمد بن محمد الوادي آشي معاصر لسان الدين بن الخطيب.⁵

أمّا في مجال الحديث فقد كان للأندلسيين دور بارز من خلال تنقلهم إلى المغرب ومساهماتهم في تدريس علم الحديث ومن أبرزهم:

¹ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص 382- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 429.

² الكتاني، نفسه، ص 182- ابن الجزري، طبقات القراء، المصدر السابق ج1، ص 481.

³ بن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص 118- الجزري، طبقات القراء، ج1، ص 55.

⁴ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 128- ابن الجزري، طبقات القراء، ج2، ص 208.

⁵ محمد المنوني، نماذج من التكامل الثقافي بين المغرب والأندلس عبر عصر غرناطة، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة 1989م، ص 152.

العالم المحدث خطيب غرناطة أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن رشيد الفهري الأندلسي نزيل فاس وهو شيخ المحدثين في عصر بني مرين، توفي سنة 721هـ/1321م.¹

الفقيه محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي المتوفى سنة 778هـ/1376م صاحب كتاب تحفة الناظر ونزهة الحاضر في غريب الحديث والجامع المفيد وكتاب المغرب في صلاة المغرب.²

وفي مجال الفقه فقد انتشر المذهب الأوزاعي في الأندلس في عهد الأمويين إلا أنه تراجع أمام المذهب المالكي الذي أصبح في عهد بني نصر المذهب الرئيسي للدولة وقد أنجبت الأندلس عددا من علماء المالكية كان منهم محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي الفقيه العالم تولى الفتوى بغرناطة وأخذ عنه خلق كثير وكان أحفظ الناس لمذهب مالك، توفي سنة 856هـ/1463م.³

ومن الأسر العلمية الأندلسية التي برزت في هذا المجال والتي كانت لها تأثيرات بارزة في المغرب أسرة الزقاق التي توارث أبناؤها العلم ومنهم أبو الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي الشهير بالزقاق وهو أندلسي استوطن غرناطة ثم رحل إلى فاس و تولى الخطبة بجامع الأندلس بفاس، توفي سنة 912هـ/1511م،⁴ ثم ابنه أحمد بن علي أبو العباس فقيه ومحدث له تأليف كثيرة منها شرح منظومة أبيه عن القواعد، توفي سنة 932هـ/1530م،⁵ والحفيد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق التجيبي أخذ العلم عن عمه أبي العباس وكان مشاركا في الأدب والطب، توفي سنة 961هـ/1590م،⁶ وقد كان لهؤلاء دور كبير في انتشار المذهب المالكي بالمغرب حيث استعاد

¹ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 216- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص216- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 289.

² الكتاني، سلوة الأنفاس، المصدر السابق ج3، ص 446- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص235- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص 270.

³ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص539- الفلصادي، الرحلة، ص37- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص387.

⁴ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص 252- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 476.

⁵ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص93- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص56.

⁶ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص277- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 283- عبد الرحمن علي حجي، المرجع السابق، ص 195.

مكائنه بعدما كانت مضطهدا كثيرا في العهد الموحدى حيث تعرضت كتب الفقه المالكي للمصادرة والحرق.¹

عرف العهد المريني ازدهار المذهب المالكي حيث ظهر العديد من العلماء منهم عبد الرحمن بن عفان الجزولي الذي كان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه مالكي، ومنهم محمد بن محمد بن أحمد المقري الكبير، توفي سنة 751هـ/1349م وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الشهير بالقباب الذي تولى الفتوى بفاس وولي القضاء بجبل الفتح، توفي بفاس سنة 779هـ/1377م.² ومنهم مصباح بن عبد الله الياصواتي أبو الضياء فقيه صالح نوازليا يُعرف بالكراس تنسب إليه المدرسة المصباحية الكائنة بجوف جامع القرويين والتي بناها أبو الحسن المريني لأنه كان أول من درس بها، توفي سنة 750هـ/1350م.³

لقد اشتغل الفقهاء الأندلسيون بالمغرب الأقصى بالتدريس والخطابة ومنهم الفقيه ابن عياد محمد بن يحيى بن إبراهيم الرندي المتوفى سنة 792هـ/1390م تولى الخطبة بجامع القرويين لمدة خمس عشرة سنة،⁴ والفقيه علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي نزل بمدينة آنفا⁵ واشتغل مدرسا للتفسير.⁶ للتفسير.

أما في ميدان الأدب والعلوم الأدبية فقد كان لانتقال الأندلسيين إلى بلاد المغرب أثره البارز في تطور علوم اللغة العربية، سواء قبل سقوط غرناطة أو بعدها، ومن النحاة الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى وساهموا في ازدهار علم النحو:

¹ ابن مرزوق، المسند، ص205- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 115.

² أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص102- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 235.

³ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 64،- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 338- إبراهيم أنوار، نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية، المرجع السابق ص96.

⁴ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 148.

⁵ آنفا: مدينة صغيرة على المحيط الأطلسي تشتهر بالزراعة وهي التي أقيمت مكانها مدينة الدار البيضاء الحالية، ينظر: ابن الخطيب، معيار الأخيار، ص 156.

⁶ ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 116.

علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي أقرأ العربية بإشبيلية وفاس له شرح عن كتاب سيويه، تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب.¹

محمد بن علي بن أحمد الخولاني المتوفى سنة 754هـ/1363م الذي عُرف بسيويه العصر،² وعلى يد هؤلاء تخرج العديد من النحاة في المغرب منهم عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي إمام النحاة بفاس، وهو آخر من درس كتاب سيويه، توفي سنة 807هـ/1404م له كتاب شرح مقدمة بن آجروم وشرح المقصود والممدود لابن مالك.³

لقد كان لعلماء الأندلس الذين رحلوا إلى المغرب وخاصة إلى فاس الدور البارز في وضع نواة أولى لتطور علوم اللغة وخاصة النحو حيث برزت مدرسة فاس النحوية، كما ساهموا أيضا في تطور فروع أدبية أخرى منها الشعر، فقد نظم الأندلسيون في أغراض شعرية مختلفة خاصة وأنّ شعرهم تأثر بالأوضاع السياسية التي مر بها الأندلس فازدهر الرثاء خاصة للمدن التي سقطت في أيدي النصارى، كما ظهر شعر الاستغاثة عندما أصبحت المدن مهددة من طرف الخطر الإسباني، فطلب عدد من الشعراء المساعدة من إخوانهم المسلمين.

كما أنّ ظروف الهجرة أدّت إلى تطور أغراض شعرية أخرى تمثلت في الشوق والحنين إلى الوطن، ومن أبرز هؤلاء الشعراء ابن الخطيب، ومن الشعراء الأندلسيين الذين أثروا في البيئة المغربية بكثرة أشعارهم الشاعر ابن الحاج النميري الغرناطي المتوفى سنة 768هـ/1366م صاحب قصيدة يهنئ فيها السلطان المريني أبا عنان عند شفائه من مرضه يقول فيها:

شفاء أمير المؤمنين وأنه لا كرم من تحدي إليه الركائب⁴

كما كان للسان الدين بن الخطيب أثر بارز في تطور المدح في المغرب باعتباره من وسائل التقرب إلى السلاطين وقد نظم قصيدة يمدح فيها السلطان المريني أبا سالم بعد دخوله تلمسان مطلعها.

¹ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 484.

² السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 83- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 23.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 403

⁴ المفري، نفع الطيب، ج7، ص 119.

أطاع لساني في مديحك إحساني وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان¹
ومن الشعراء الأندلسيين الذين كان لهم تأثير في بلاد المغرب مالك بن عبد الرحمن بن فرج بن المرحل
المالقي نزيل سبتة وفاس، توفي سنة 669هـ/1270م ومن قوله:

أخطر على سبتة وانظر إلى جمالها تصب إلى حسنة²
وقد تأثر شعراء فاس بهذا الفن فظهر لديهم ميل نحو وصف مدينة فاس وطبيعتها الخلابة ومن
ذلك قصيدة للشاعر المغيلي الفاسي المتوفى سنة 619هـ/1221م مطلعها.

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسيل³
أما العلوم العقلية مثل الطب والحساب والهندسة ورغم أنها لم يكن لها نفس مكانة العلوم
الشرعية إلا أن تأثيرها كان واضحا من خلال انتقال العديد من العلماء إلى فاس واستقرارهم بها
ومنهم:

أحمد بن علي بن عبد الله بن الحاج من مدينة إشبيلية انتقل إلى فاس على عهد السلطان المريني
أبي يوسف بن عبد الحق واستقر بها ومن أعماله الدولاب الضخم بفاس الحديد ودار الصنعة
بسلا، توفي سنة 714هـ/1314م.⁴

علي بن علال بن حسن الحضرمي من أهل بلنسية المعروف بأبي الحسن أخذ العدد عن أبي
عبد الله البلالي والهندسة عن أبي محمد الخولاني كان مهندسا وطيبيا بارعا سديد الرأي، توفي
بسبتة سنة 670هـ/1271م،⁵

¹ المقرئ، نفسه، ج5، ص32.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص304- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص327.

³ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص315- إيمان بنت دخيل الله، المرجع السابق، ص297.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص80- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص288.

⁵ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، السفر 05، ص420.

كما برز في علم الفلك خطيب جامع القرويين محمد بن عبد الرحمن الشلي المتوفى سنة 629هـ/1327م، وابن البناء العددي المتوفى سنة 727هـ/1323م.¹

وفي مجال الرياضيات رحل عدد من الأندلسيين إلى المغرب الأقصى وأخذ عنهم الكثير من المغاربة وساهموا في تطور علم الحساب ومنهم أحمد بن إبراهيم بن علي بن منعم العبدري أبو جعفر أصله من دانية الأندلسية رحل إلى مراكش وفيها ألف كتابه "فقه الحساب، توفي بمراكش سنة 626هـ/1225م.²

أما في مجال الطب فقد كان للأندلسيين دور بارز في تطور هذا المجال ففي العهد المرابطي رحل إلى المغرب الطبيب أبو العلاء زهر بن عبد الملك الذي ينتهي إلى أسرة بني زهر المشهورة بالطب، وقد ألف كتابا للأمير المرابطي أبي إسحاق بن يوسف بن تاشفين والمسمى "الاقتصار في فن الأجساد"،³ وفي العهد المريني رحل إلى المغرب الطبيب محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي سكن بغرناطة ثم رحل إلى المغرب وتولى النظر على المارستان في فاس من مؤلفاته كتاب "تحفة الأريب عند من لا يحضره طبيب"، توفي سنة 757هـ/1356م،⁴ ومنهم الطبيب أبو عبد الله محمد الشفرة الذي يُعرف بالقربلياني نسبة إلى بلدته "قربليان" بشرق الأندلس، كان طبيبا خاصا لسلطان غرناطة أبي الجيوش ثم رحل إلى المغرب وألف كتابه "الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام".⁵

أما المغرب الأوسط فقد استقطب منذ عهدي المرابطين و الموحدين أعداد من الأندلسيين ثم اعداد اخرى في العهد الزياني وخاصة بعد سقوط غرناطة وبداية حملات الطرد الجماعية ، وقد استفاد

¹ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 148- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 278- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 108.

² ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر 01، القسم1، ص 59- محمد إبلاغ، الرياضيات في الأندلس، ما بين 905هـ/10-15م، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون، ط1 ، مطبوعات الملك عبد العزيز، الرياض، 1999 م ، ص45.

³ ابن أبي أصيبعة، عيون الأطباء، المصدر السابق، ص 517.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 415- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 143

⁵ أحمد مختار العبادي، العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس، ندوة الكتاب الذهبي، المرجع السابق، ص 199.

المغرب الأوسط من هجرة الجالية الأندلسية إلى تلمسان و باقي المدن الأخرى ، حيث كان لهم دور كبير في تنشيط الحركة الثقافية من خلال ممارستهم لعدة نشاطات ومنها التدريس، ومن أبرز هؤلاء. محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سلمان التجيبي من أهل إشبيلية أخذ عن علماء مرسية ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج والأخذ عن علماء المشرق ثم عاد إلى تلمسان واستوطنها وأخذ عنه خلق كثير منهم أبو العباس بن العزفي، وابن فرتون، وابن الأبار، توفي بتلمسان سنة 610هـ/1213م¹.

أحمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالرصافي، الفقيه المحدث رحل إلى سبتة وأخذ عن علمائها ثم انتقل إلى تلمسان ومنها لتونس، توفي سنة 736هـ/1335م.² أبو العباس بن عبد الرحمن الخزرجي، إشبيلي الأصل كان أديبا بارعا في الكتابة شاعرا مجيدا له مشاركات في فنون العلم، فسّر القرآن الكريم، وشرح الأسماء الحسنى وصنف عقائد اصولية في الدين، توفي بتلمسان ودفن خارج باب كشوط.³

أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد الأوسي من أهل مالقة يُعرف بابن المرأة، أخذ عن علماء الأندلس بمالقة ومرسية أمثال أبي الحسن بن حنين، وأبي الحسن بن علي بن حرزهم، ثم زار تلمسان وأخذ عن أبي عبد الله الشوذري الحلوي، توفي بمرسية سنة 611هـ/1214م. أبو جعفر أحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجيبي من أهل يرشانة بالأندلس، سكن مراکش كانت له عناية تامة بالأدب وكاتب بارع الخط اشتغل بالقضاء في سبتة وتلمسان، توفي سنة 6298هـ/1291م.⁴

¹ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص379- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص276.

² ابن القاضي، درة المجال، ج1، ص33.

³ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص160- يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص138- ابن مريم، البستان، ص252.

⁴ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر 01، القسم 01، ص464- بوباية عبد القادر، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع هجري، مجلة عبور الجديدة، المرجع السابق، ص166.

أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن داود البلوي الوادي آشي الأندلسي الغرناطي أخذ عن علماء الأندلس الفقه والعربية وولي الإمامة والخطابة بجامع غرناطة ثم رحل مع أبنائه إلى تلمسان، توفي سنة 898هـ/1493م، أمّا ابنه أبو جعفر أحمد بن علي وهو صاحب الثبت، كان عالماً وكاتباً وأديباً رحل مع والده إلى تلمسان ومنها لتونس وبعدها إلى تركيا، توفي سنة 908هـ/1502م.¹

أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن يكرن الشهير بالقرعة، أخذ عن علماء الأندلس بقرعة منهم ابن منظور الأندلسي كما كان يحضر مجالس علم ابن مرزوق في تلمسان ومن المحتمل أن يكون القرعة قد رحل من الأندلس مع أسرة بن داود توفي بتلمسان سنة 894هـ/1489م.²

المؤرخ الأديب أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي ثم الغرناطي نزىل تلمسان أخذ بالأندلس عن ابن الأزرق وابن عاصم الذي أطلق عليه الوادي آشي لقب بابن الخطيب الثاني،³ وبعد سقوط غرناطة رحل إلى تلمسان وتزوج من أسرة ابن مرزوق إلا أنّ هذا الزواج انتهى بالطلاق وفي ذلك يقول:

يلومني الأقوام من بعد ما سطاً علي ابن مرزوق ومنّ بإنفاق
فقلت لهم كفوا الملام فإنني تركت ابن مرزوق وأمت أرزاق⁴

وقد توفي ابن الحداد الوادي آشي بتلمسان في تاريخ مجهول ولكنه بعد 914هـ/1512م.⁵

أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي من جزيرة شقر سكن مرسية ثم رحل إلى تلمسان وروى عن أبي الحسن بن قطران وأجاز له وأبي الربيع بن سالم وأجاز له وأبي مطرف بن عميرة وانتفع به، وروي عنه أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى الذي لقيه بتلمسان.⁶

¹ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص138- ابن غازي، فهرست ابن غازي، ص27- أبو جعفر البلوي، ثبت البلوي، ص20.

² أبو جعفر، ثبت البلوي، ص160- عبد الرحمن علي حجي، المرجع السابق، ص146.

³ المقرئ، أزهار الرياض، المصدر السابق ص55.

⁴ المقرئ، أزهار الرياض، نفسه، ج3، ص305.

⁵ عبد الرحمان علي حجي، المرجع السابق، ص188.

⁶ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر 04، ص155- بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص165.

كما أنّ هناك فئة أخرى من المهاجرين الأندلسيين الذين جمعوا في رحلاتهم بين المغرب والمشرق حيث زار بعضهم تلمسان في طريقه للمشرق ومن هؤلاء القلصادي بن محمد القرشي الذي زار تلمسان وبها أدرك من العلماء والصلحاء أبا عبد الله ابن مرزوق وأبا عبد الله محمد الشريف، وأبا العباس أحمد بن عبد الرحمن المغراوي الشهير بابن زاغو وغيرهم.¹

ومنهم خالد بن عيسى بن أحمد البلوي أبو البقاء صاحب الرحلة الذي حلّ بهنّين سنة 736هـ ثمّ اتجه إلى تلمسان ومنها لبجاية.²

ومن الذين زاروا تلمسان في طريقهم إلى المشرق أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي رحل من غرناطة إلى تلمسان لتلقي العلم ثمّ انتقل إلى تونس سنة 798هـ/ 1395م مارا ببجاية ومنها إلى مصر ثمّ عاد إلى بلاده وهو صاحب كتاب برنامج المجاري، توفي سنة 858هـ/ 1456م.³

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق الأصبحي الأندلسي المالقي ثمّ الغرناطي أخذ عن علماء الأندلس وبعد سقوط المدن الأندلسية رحل إلى المشرق مارًا بتلمسان ومدن إسلامية أخرى توفي وهو قاض على بيت المقدس سنة 896هـ/ 1491م.⁴

ومن أبرز رجال الفكر في الأندلس الذين حلّوا بتلمسان لسان الدين بن الخطيب الأديب والمؤرخ السياسي والشاعر الذي حل بتلمسان سنة 778هـ/ 1370م قادما من غرناطة فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم بتلمسان واستفادوا من علمه وأدبه وأقام بها ما يقارب سنتين ثمّ غادرها نحو فاس وله أشعار في مدح تلمسان و من ذلك قوله .

حيّاً تلمسان الحيا فربوعها صدفٌ يجود بدره المكنون

ما شئت من فضل عميم إنسقى أروى ومن ليس بالمنون .⁵

¹ القلصادي، الرحلة، ص96- ابن مريم، البستان، ص141- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص261.

² محمد مخلوف، نفسه، ج1، ص229.

³ أبو عبد الله المجاري، برنامج المجاري، ص42- أبو جعفر البلوي، ثبت أبي جعفر، ص199

⁴ المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص317- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص699- محمد الشفشاوني، دوحة الناشر، المصدر السابق، ص124.

⁵ المقرئ، النفع، ج7، ص129- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص438.

إنّ التواصل الثقافي بين الأندلس والمغرب الأوسط في العهد الزياني لم يقتصر على هجرة علماء الأندلس إلى تلمسان فحسب بل إنّ كثيرا من علماء وأدباء تلمسان رحلوا إلى الأندلس للقاء الشيوخ والأخذ عنهم أو لأغراض سياسية، ومن أبرزهم الشاعر أبو عبد الله ابن خميس الذي رحل إلى غرناطة وأقام بها في خدمة الوزير ابن الحكيم إلى غاية وفاته سنة 708هـ/1308م.¹

ومنهم ابن مرزوق الخطيب الذي استعمله السلطان المريني أبو الحسن في سفارة إلى الأندلس ثم عاد إلى فاس ومنها إلى تلمسان في خدمة الدولة الزيانية إلا أنّ السلطان أبا ثابت نفاه إلى الأندلس سنة 752هـ/1351م حيث عينه السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف مدرسا وخطيبا في جامع الحمراء وجامع غرناطة.²

هكذا فقد تأثر المغرب الأوسط بالجالية الأندلسية علميا نظرا لما قدمته هذه الأخيرة في مجال التدريس والقضاء حيث أخذ عنها عدد من طلبة المغرب الأوسط في العهد الزياني.

أما إفريقية الحفصية فقد توافد عليها أعداد هائلة من الأندلسيين خاصة من فئة العلماء وقد اشتغل الكثير منهم بالتدريس ومنهم:

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله ويُعرف بالمليلوط من أهل ألمرية رحل مع أبيه واستقر بالجزائر ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها وانكب على التدريس ثم قُدم للصلاة والخطبة بالجامع الأعظم، توفي سنة 728هـ/1327م.³

وفي مجال العلوم الشرعية والتي عرفت ازدهارا كبيرا في الأندلس فقد رحل الكثير من الفقهاء إلى إفريقية الحفصية ومن هؤلاء الذين كان لهم تأثير كبير.

¹ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص145- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص05.

² أبو عبد الله ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص307 - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص154 - أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص450.

³ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص74.

الصوفي الفقيه أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المرسي من أهل مرسية له علم وحكمة ومعرفة وبراعة وبلاغة رحل إلى بجاية وتصدر التدريس حتى وفاته سنة 669هـ/1270م.¹

الفقيه المقرئ أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري، من أهل بلنسية أخذ عن شيوخ الأندلس ثم رحل إلى بجاية بعد سقوط بلنسية وتصدر للتدريس بها توفي سنة 654هـ/1256م.²

محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد القيسي الوادي آشي الأصل من كبار المحدثين الفقهاء له معرفة بالنحو والأدب والقراءات جال في بلاد المغرب والمشرق أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب، توفي سنة 740هـ/1348م.³

الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن خضر الصدي الشاطبي له رواية واسعة ومعرفة بالقراءات يقول عنه الغبريني ما رأيت أتقن منه في القراءات ولا أضبط منه في طريق الروايات، توفي سنة 674هـ/1273م ببجاية.⁴

أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي فقيه مالكي مقرئ من أهل شاطبة، رحل إلى بجاية وولي الخطبة بجامعها الأعظم ما ينيف عن ثلاثين عاما، كان عالما بالقراءات وله معرفة بعلوم العربية كالنحو والأدب، توفي سنة 696هـ/1294م.⁵

ومن أهل التصوف، أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي، ولد ونشأ في قرطبة ثم خرج مهاجرا إلى الله مقبلا على العبادة، وفد على بجاية فأقام بها حتى وفاته سنة 662هـ/1263م.⁶

¹ الغبريني، عنوان الدراية، ص 110 - أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج، ص 176 - ابن العماد، شذرات، ج 7، ص 573، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 37.

² الغبريني، نفسه، ص 137.

³ أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرضاع، ص 84 - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص 418.

⁴ الغبريني، عنوان الدراية، ص 43.

⁵ ابن قنفذ، الوفيات، ص 335 - ابن الجزري، طبقات القراء، ج 2، ص 137.

⁶ الغبريني، عنوان الدراية، ص 79.

يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عقاب الجذامي الشاطبي أبو يعقوب الفقيه المحدث من أهل شاطبة أخذ عن سهل بن مالك وأبي عثمان الحفار رحل إلى تونس واستوطنها وتصدر للتدريس بها حتى وفاته سنة 692هـ/1292م.¹

أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي الإشبيلي أبو العباس، كان مقرئاً محدثاً نحوياً فقيهاً معظماً عند الخاصة والعامة زاهداً فاضلاً استوطن بجاية مدة من الزمان وأقرأ بها وانتفع به الناس، ثم رحل إلى تونس وعرض عليه القضاء فرفض ثم كرس باقي وقته للتدريس، توفي سنة 678هـ/1276م.² ومنهم الفقيه الصوفي أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الأنصاري له سند الشيخ أبي مدين شعيب رحل إلى قسنطينة واشتغل بالتعليم حتى وفاته سنة 747هـ/1346م.³

أمّا في مجال الأدب وعلوم اللغة فقد ترك أدباء الأندلس آثاراً واضحة في هذا المجال وذلك من خلال مشاركتهم في فنون أدبية كثيرة، ومن أبرز هؤلاء الأدباء:

أبو الحسن علي بن موسى الخضرمي المعروف بابن عصفور الإشبيلي درس بإشبيلية ثم رحل إلى بجاية واستوطنها ثم انتقل إلى تونس فقربه المستنصر وأصبح أحد خواص مجلسه فأخذ عليه خلق كثير، توفي سنة 670هـ/1268م.⁴

الأديب أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي أخذ عن علماء الأندلس ثم رحل إلى بجاية حجّ ثم استقر بتونس له مصنفات عدة منها تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، والإعلام بحدود قواعد الكلام، اشتغل بالتدريس حتى وفاته سنة 691هـ/1290م.⁵

¹ ابن القاضي، درة المجال، ج3، ص 343- ابن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، ص 57.

² ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص 286- الغبريني، عنوان الدراية، ص47.

³ ابن قنفذ، أنيس الفقير وعز الحقيير، المصدر السابق، ص 48.

⁴ الغبريني، عنوان الدراية، ص149- الزجاجي، شرح الجمل، تح، فواز السهار، منشورات محمد علي بيضون، ج1 دار الكتب العلمية، بيروت، ص 07.

⁵ أحمد بن يوسف، فهرست اللبلي، تح: ياسين يوسف عياش، وعواد عبد ربه، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م م، ص 06 - ابن جابر، برنامج ابن جابر، ص 57

اللغوي الأديب أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الزهري من أهل بلنسية ويُعرف بابن محرز قرأ بالأندلس ولقي بها أفاضل العلماء ثم ارتحل إلى بجاية واستوطنها وكان معظمًا عند أهلها، توفي بها سنة 655هـ/1257م.¹

الأديب والشاعر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني صاحب عدّة مؤلفات منها المقصورة وكتاب القوافي ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء، وله عدّة قصائد منها في مدح المستنصر الحفصي يقول فيها:

هو الناصر المنصور والملوك الذي أعاد شباب الدهر من بعد ما اشمطا
أصاحت له الأيام سمعا وطاعة وأحكمت الدنيا له عهدا ربطا

توفي بتونس سنة 684هـ/1285م.²

ورغم أن العصر الحفصي في تونس لم يشهد ازدهارا كثيرا في مجال الأدب والشعر إلا أنه لا يمكن إنكار دور المهاجرين الأندلسيين في المساهمة في تحقيق نهضة أدبية في إفريقية الحفصية.

أما في باقي العلوم والتي تعرف بالعلوم العقلية ومنها الطب والحساب والهندسة وعلم الفلك فقد كان تأثير الأندلسيين واضحا جدًا حيث اشتغل البعض منهم في ممارسة الطب، ومن جملة هؤلاء: الطبيب أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس من أهل مرسية المتوفي سنة 674هـ/1272م استوطن بجاية ثم رحل إلى تونس بطلب من السلطان المستنصر وانتظم في سلك أطبائه وجلسائه.³

- الطبيب غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري يكتى أبا تمام رحل إلى المشرق ودرس الطب بالقاهرة ثم انتقل إلى بجاية وزاول بها مهنة الطب ثم عاد إلى غرناطة ومنها ارتحل إلى المغرب الأقصى فولاه السلطان المريني أبو سعيد خطة الحسبة بفاس، توفي بسبتة سنة 740هـ/1340م.⁴

¹ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 162- أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 380- المقرئ، فح الطيب، ج2، ص 66.

² المقرئ، فح الطيب، ج2، ص 584- المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص 172- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 137.

³ الغريبي، عنوان الدراية، ص 37- روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 389.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 240.

- الطبيب الغرناطي أحمد بن علي بن محمد بن عبد البر الخولاني كان تاجرا فلقني بالمغرب وإفريقية جماعة من أهل العلم فأخذ عنهم ومنهم أبو عبد الله الآبلي ثم سكن تونس واشتغل بالطب حتى وفاته سنة 750هـ/1349م.¹

- الطبيب أبو الحسن يحيى بن إبراهيم محمد بن الحاج المعافري الشاطبي ارتحل إلى إفريقية وسكن تونس حتى وفاته سنة 718هـ/1318م.²

الطبيب أبو الحسن موسى بن علي بن عتيق بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 895هـ/1505م عالم بالطب وعارف بالتاريخ والفقهاء استقر مدة ببجاية.³

أما في علم الحساب والهندسة فيعتبر القلصادي علي بن محمد أهم رياضي أندلسي رحل إلى تونس وتوفي ببجاية سنة 891هـ/1486م، وقد ألف بعض كتبه في تونس منها "كشف الجلباب عن علم الحساب"، و"القانون في الحساب"،⁴ وإلى جانب القلصادي رحل إلى تونس أحمد بن محمد بن يونس الأنصاري أبو جعفر، له معرفة بالحساب وأحكام النجوم والطب، كان ذائع الصيت بغرناطة إلا أنه نالته محنة من صاحب غرناطة ونفي إلى تونس سنة 763هـ/1361م.⁵

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي المرسي المعروف بابن الرقام كان ضليعا في الحساب والهندسة والطب من أهل مرسية نزيل غرناطة حج وأقام بتونس وبجاية مدة ثم عاد إلى غرناطة وتوفي نهاية 715هـ/1315م.⁶

¹ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 219.

² ابن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، ص 68.

³ ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس، المرجع السابق، ص 98.

⁴ ابن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، ص30- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص210 - ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص 251.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 205- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 306.

⁶ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 69.

إنّ التأثير الأندلسي كان واضحاً في جوانب مختلفة خاصة العلمية منها، حيث أدخلت تغييرات على نمط التعليم من خلال ممارسة الأندلسيين لهذا النشاط إضافة إلى الوظائف الأخرى التي زاولوها أثناء استقرارهم ببلاد المغرب الإسلامي، هذا التواجد الأندلسي جعل بعض المدن أو الأحياء تأخذ صبغة أندلسية وتبوأت بعض هذه المدن مكانة علمية مرموقة مثل بجاية وتونس أو مدن أخرى مثل تلمسان وفاس وغيرها والتي تحوّلت إلى مراكز علمية عامّة في بلاد المغرب، حيث تخرّج منها جيل من العلماء والفقهاء، وهكذا فقد ساهمت الحالية الأندلسية في ازدهار الحركة الفكرية في هذه المناطق.

1-3 في الميدان الفني والمعماري.

ظهر التأثير الأندلسي في بلاد المغرب في عدّة ميادين منها الثقافية والفنية والمعمارية، خاصة وأنّ هؤلاء المهاجرين الأندلسيين نحو بلاد المغرب كانت لهم خاصيتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ولباسهم فحملوا معهم ثقافتهم وأنواع فنونهم وطرق بنائهم، فكان منهم أصحاب الحرف ومنهم المثقفون والمهندسون والفقهاء والأطباء لذلك كان تأثيرهم في المناطق التي هاجروا إليها متعدّد الاوجه

1-3-1 في المجال الفني: تأثرت بلاد المغرب بالأندلس في عدّة فنون كان أهمّها الفن

الشعري الذي ظهر في الأندلس بسبب اختلاط عرب الأندلس بالعجم والذي يعرف بـ"الموشح"، حيث اطلع العرب على الأغاني الشعبية المتحررة من القوافي، هذا الازدواج في اللغة هو الأصل في ابتكار طراز شعري مختلط فيه مؤثرات غربية وشرقية.¹

وقد كان هذا النوع يخدم فن الغناء لسهولة وسلاسته وتحرره من قيود الشعر التقليدي ومن القافية، ويعتبر الموشح فن أندلسي النشأة وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس كلما كثر الشعر في قطره استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه الموشح"²، وهو شعر شعبي ابتكره ووضع

¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ج1، ص 131 - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص213- عبد العزيز

سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص 92.

² ابن خلدون، المقدمة، ص817.

أوزانه حسب ابن خلدون مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني،¹ بينما يرى ابن بسام أن أول من وضع أوزان الموشحات واخترع طريقتها هو محمد بن محمود القبري.²

وبغض النظر عن مبتكر الموشحات فإن التراث الشعبي المشترك بين الثقافتين هو المصدر الذي انبثقت منه الموشحات الأندلسية والتي لا تزال تحافظ على الخرجة العامية أو الأعجمية ما يجعلها نمطا مختلفا عن الشعر العربي التقليدي،³ وقد ازدهرت صناعة الموشحات في قرطبة زمن دويلات الطوائف شأنها في ذلك شأن غيرها من حواضر الأندلس، ثم بلغت دروة ازدهارها في عصر دولتي المرابطين والموحدين، ومن كبار الوشاحين القرطبيين يحيى بن بقي القرطبي المتوفى سنة 540هـ/1146م،⁴ وأبو بكر بن الصانع التجيبي السرقسطي،⁵ وأبو الحسن سهل بن مالك وأبو الحسن بن الفضل وأبو بكر بن الصابوني، ومن قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ما الليل المشرق من فجر

جمد الصبح ليس يطرد ما ليل فيما أظن غد اصح يا ليل إنك الأبد

أما الرجل فهو شعر غنائي يصاغ في فقرات تسمى أبياتا ويمتاز بتكرار القافية في نهاية كل بيت وهو فن أندلسي أيضا حيث ظهر بعد ما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقتهم وبلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا

¹ ابن خلدون، نفسه، نفس الصفحة، المقري، نفح الطيب، ج7، ص 06.

² ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة المصدر السابق، ص 201.

³ عبد العزيز الأهواني، اللقاء الحضاري في الأندلس، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م، ص 120.

⁴ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص187- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس، دار الوعي، الجزائر 2009 م، ص 185.

⁵ المقري، نفح الطيب، ج07، ص17.

فيها إعرابا فنا سموه الزجل¹ وأوّل من ابتكر الأزجال أبو بكر قزمان القرطبي²، وقد برع من زجالي الأندلس عدد كبير منهم محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آشي الذي كان إماما في هذه الطريقة، ومنهم الأديب أبو عبد الله اللوشي.³

ويلاحظ أن الموشح والزجل فن شعري واحد مع فرق بسيط هو أن الموشح باللغة العربية بينما الزجل بالعامية، ومن الطبيعي أن تتأثر بلاد المغرب بهذا الفن الذي كان أسرع انتشارا وأقدر على التكيف خاصّة وأنّ المغرب والأندلس كانتا كتلة واحدة أيام المرابطين والموحدين،⁴ ولهذا فقد ظهر ببلاد المغرب عدد من الشعراء في هذا الفن ومنهم لسان الدين بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب ومنهم الشاعر ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة.

يد الإصباح قد قدحت زناد الأنوار من مجامر الزهر

ومنهم ابن خرز البجائي وله موشحة مطلعها

ثغر الزمان موافق جباك منه ابتسام⁵

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأشقر الفاسي، وأبو عبد الله القشتالي.⁶

ومن التأثيرات الأندلسية في المغرب ظهور نوع من الموشحات تسمّى عروض البلد وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد، وكان أوّل من استحدثه رجل من الأندلس نزل

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 829 - المقري، نفع الطيب ج 7، ص 15.

² هو محمد بن عيسى بن الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة يكتفى ابا بكر كان أديبا بارعا شاعرا حلوا الكلام، دخل غرناطة وتردد عليها غير ما مرة، توفي بقرطبة في رمضان 555هـ، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 494 - المقري، نفع الطيب، ج 4، ص 24.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 826.

⁴ مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، المرجع السابق ص 171.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ص 822 - المقري، نفع الطيب، ج 7، ص 11.

⁶ بن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 133.

بفاس يُعرف بـابن عمير، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم.¹

ومن شعراء بلاد المغرب في هذا الفن الجديد ابن شجاع من أهل تازا وعلي بن المؤذن بتلمسان.² ومن هنا نستنتج أنّ الفن الأندلسي وخاصة الموشحات والأزجال قد كان لها تأثير بارز في بلاد المغرب خاصة أن هذا النوع من الشعر لم يكن يتطلب ضوابط معينة بل كان متحررا من كل القيود التي تجدها في الشعر التقليدي، لذلك استخدمه المغاربة في تطور الغناء الأندلسي.

أمّا في مجال الموسيقى والتي هي معرفة بنسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد، وثمرته تلاحين الغناء،³ وقد شهدت الأندلس انتشارا واسعا لفن الموسيقى وذلك بسبب تفاعل عدة مؤثرات منها الشرقية التي انتقلت إلى شبه الجزيرة الإيبيرية مع العرب الفاتحين ثم المؤثرات البربرية والإفريقية من خلال انتقال العديد منهم إلى الأندلس سواء مع الفتح أو بعد ظهور الدول الإسلامية ويمكن أن نضيف إلى هذه المؤثرات التراث الموسيقي للشعوب التي سكنت المنطقة قبل الفتح الإسلامي،⁴ وقد تطوّرت الموسيقى في الأندلس أكثر مع قدوم "زرياب"⁵ الذي أنشأ مدرسة مدرسة خاصة بالموسيقى وأضاف الوتر الخامس للعود، وينسب إليه اختراع مضرب العود من ريش النسر بدل المضرب الخشبي، كما ساهم زرياب من جهة أخرى في ادخال بعض العادات الاجتماعية في اللباس و الأكل، وهكذا عرفت الأندلس حركة موسيقية متطورة ومزدهرة حتى أصبح للخلفاء

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 833.

² ابن خلدون، نفسه، ص 835.

³ ابن خلدون، نفسه، ص 630.

⁴ عبد العزيز عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978 م، ص 16.

⁵ زرياب فارسي الأصل ويسمى ابو الحسن علي بن نافع مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي وأطلق عليه زرياب لسواد لونه وفصاحة لسانه وحلاوة شمائله تشببها له بطائر أسود حسن الصوت، ينظر المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص 122.

والأمراء شغف خاص بالموسيقى والغناء وشاعت مجالس الطرب عند العامة والخاصة، خاصة في إشبيلية وأقبل الناس على الخلاعة.¹

ومن أبرز المدن الأندلسية التي اشتهرت بالموسيقى مدينة إشبيلية حتى قيل عنها إنها قاعدة صناعة الملاهي وآلات الطرب، وعنهما قيل أنه إذا مات عالم بإشبيلية وأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة وإن مات مطرب بقرطبة وأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية.²

ومن برع في فن الموسيقى في الأندلس الأديب أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الإشبيلي المتوفى سنة 523هـ/1128م كان عارفا بصناعة الطب والأدب وامتقنا للموسيقى جيد اللعب بالعود،³ ومنهم أبو الحسن علي بن الحمارة من أهل غرناطة برع في الألحان واشتهر عنه أنه كان يصنع العود بيده كما كان ينظم الشعر ويلحنه⁴، ومنهم أبو الحسن بن الحاسب المرسي وأبو بكر الرقوطي الذي كان يعلم الموسيقى في مدينة مرسية، وبفضل هؤلاء ازدهرت الموسيقى خاصة مع بداية القرن السابع الهجري وظهور دولة بني نصر في غرناطة فشاع الغناء وانتشر في كل مكان حتى في الدكاكين والمحلات،⁵ ومن المصنّفات التي ظهرت في هذا المجال كتاب الأغاني الأندلسية الذي ألفه يحيى الخديج المرسي،⁶ وهكذا أصبحت للموسيقى مكانة خاصة في حياة الأندلسيين فكان أهل غرناطة يحتفلون بأعيادهم بوسائل مختلفة أهمها الغناء والموسيقى والرقص، وقد حافظت غرناطة على التراث الموسيقي العريق.

¹ المقرئ، نوح الطيب، ج5، ص 324- باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 55- فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، ط1 دار قرطبة للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م ص 36 .

² ليفي برونسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان فرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 64- فوزي سعدالله، المرجع السابق ص23 .

³ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 501- المقرئ، نوح الطيب، ج2، ص 105.

⁴ المقرئ، نوح الطيب، ج5، ص 271- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص 114.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص36- فوزي سعد الله، المرجع السابق ص25 .

⁶ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ج2، ص 115.

هذا الرقي جعل الدول المجاورة لغرناطة تتأثر به بسبب العلاقات الوطيدة وانتقال عدد كبير من المغنين من الأندلس إلى بلاد المغرب ومنهم، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الإشبيلي الذي كان له دور بارز في إدخال الموسيقى الأندلسية إلى تونس عندما هاجر بعد سقوط طليطلة إلى الإسكندرية ثم استقرّ بتونس¹.

وبفضل المهجرات الأندلسية شاع الفن الأندلسي في المدن التي استقرت بها الجالية الأندلسية ومعظمها على السواحل منها بجاية التي تحولت إلى مدينة الموسيقى الأندلسية،² كما تأثرت تلمسان وشرشال وفاس وتطوان وشفشاون وغيرها من المدن.

لقد تأثر المغرب الأقصى بالمدرسة البلنسية والغرناطية بينما تأثرت الجزائر والمغرب الأوسط بمدرسة قرطبة في حين تأثرت تونس بالمدرسة الإشبيلية،³ ومازال هذا الفن يسمى إلى اليوم بالطرب الغرناطي كما هو الحال في تلمسان أو المالوف في قسنطينة وتونس أو الآلة في المغرب الأقصى أو الصنعة بالجزائر،⁴ وقد تميز هذا الطرب بطغيان النفس الحزين والإيقاع البطيء، ولاشك أنّ هذا الإيقاع ناتج في المعاناة القاسية التي كان يعانيها هؤلاء طيلة قرن من الزمن فأصبح الحزن من مميزات الوجدان الأندلسي⁵، كما تغمى هذا الفن بموضوعات عديدة مثل الحب والوصال، الفراق والجفاء، الخمر والسهرات، جمال الطبيعة خاصة وأنه ظهر في بيئة ذات الجمال الطبيعي الخلاب،⁶

¹ المقرري، نفع الطيب، ج2، ص105- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 501.

² حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص51- محمد طالي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975 م ص 73.

³ عباس الجارري، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي، الموريسكيون في المغرب، المرجع السابق، ص207- الحسن السايح، الحضارة المغربية، البداية والاستمرار، منشورات عكاظ، الرباط 2000 م، ص 33.

⁴ عبد العزيز ابن عبد الجليل، المرجع السابق، ص 241- عبد العزيز سالم، قرطبة، ج2، ص117.

⁵ مولاي أحمد الكامون، هاشم الصقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وحدة، المغرب 2010 م، ص 174.

⁶ فوزي سعد الله، المرجع السابق ص 29.

هذه الموسيقى تعتمد على الأداء الآلي وتنقسم إلى وحدات أو نوبات،¹ لكل منها نغمة خاصة تسمى الطابع، ويصل عدد الطبوع إلى ستة وستين وثلاثمائة على عدد أيام السنة الشمسية وقد وصل منها إلى بلاد المغرب إحدى عشرة نوبة،² وربما يرجع هذا إلى عمليات إحراق الكتب والمخطوطات التي قام بها الإسبان لطمس الهوية الإسلامية للأندلسيين.

وهكذا تأثرت بلاد المغرب بهذا النمو الغنائي الأندلسي الذي مازال متميزا إلى اليوم رغم ما أدخل عليه من تغييرات سواء في مجال الكلمات أو إدخال آلات جديدة مع بعض التغييرات البسيطة في الأداء والألحان، هذا التأثير يدلّ على أنّ الفئات الاجتماعية بمختلف طبقاتها كانت شديدة الإعجاب بالحضارة الأندلسية خاصة الجانب الفني.

1-3-2 في الميدان العمراني:

لقد حرص الأندلسيون على إعطاء الأهمية الكبرى للمنشآت المعمارية من خلال التخطيط وعناصر البناء المتعددة كالضوء والأعمدة والقباب والمآذن والزخرفة الراقية، وخير دليل على ذلك جامع قرطبة الذي تحوّل إلى نموذج احتذت به مساجد بلاد المغرب الإسلامي خاصة في العهد المرابطي والموحدي.

وفي عهد بني نصر حرص السلاطين على الاستمرار في بناء المساجد والقصور ومنها قصر الحمراء بغرناطة الذي كان له دور كبير في جميع الأحداث التي مرت بها دولة بني الأحمر إضافة إلى قصر جنة العريف،³ وما تزال هذه المنشآت شاهدة على ازدهار الحضارة الأندلسية ولا تزال تثير الإعجاب ليس من قبل المسلمين فقط بل ومن الغرب أيضا، وقد تسللت هذه الحضارة الأندلسية إلى بلاد المغرب طوال المراحل التي مرت بها بلاد المغرب خاصة في العهد المرابطي والموحدي.

¹ النوبة: هي نوع من التأليف الموسيقي يتناوب فيه التأليف الغنائي مع التأليف الآلي أي الجمع بين العزف وصوت المغني، وتتكون كل نوبة من خمسة حركات متتالية وكل حركة تعبر عن أحاسيس معينة أو مناظر، ينظر: عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16 و17، رسالة ماجستير، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 245.

² عبد العزيز بن عبد الله، الآلة الأندلسية، مجلة التاريخ العربي، العدد 24، 2002 م، ص 131

³ أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص 63.

ومن المناطق الأكثر تأثراً بالفن المعماري الأندلسي المغرب الأقصى حيث كان حكام المغرب يستخدمون رجال الفن والبناء في تشييد المساجد والقصور والقناطر ومن أمثلة ذلك جامع حسان بالرباط¹ الذي بني سنة 592هـ/1195م وجامع الكتبية بمراكش والذي بُني سنة 548هـ/1153م في عهد عبد المؤمن بن علي الموحيدي.²

ومن أبرز المهندسين الأندلسيين الذين قدموا خدمة للعمارة الموحيدين الشيء الكثير المهندس أحمد بن باسة الذي أشرف في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف على بناء جامع إشبيلية بالأندلس،³ أما المهندس الحاج يعيش،⁴ فقد شارك في بناء حصن جبل الفتح والمقصورة الموجودة بجامع مراكش كما أنشأ الدولاب القائم في مدينة فاس ودار الصنعة بسلا.⁵

وقد بدأت التأثيرات الأندلسية في العمارة تشتد أكثر بعد هزيمة الموحيدين في معركة حصن العقاب سنة 1212م وسقوط المدن الأندلسية خاصة قرطبة حيث هاجر الأندلسيون إلى بلاد المغرب، وقد كان منهم البنائون والنجارون والجباسون والرخاميون والزليجون والحدادون وغيرهم.⁶ وقد ظهرت هذه التأثيرات في المنشآت المعمارية، ففي المغرب الأقصى أصبح التأثير واضحاً في جميع المنشآت ومن أبرزها مدينة تطوان ذات الطابع الأندلسي الخالص، هذه المدينة أعيد بناؤها من طرف الوافدين الأندلسيين سنة 888هـ/1484م أي قبل سقوط غرناطة ويظهر التأثير في هندسة

¹ تذكر بعض الروايات أن حسان الذي سمي عليه المسجد هو مهندس أندلسي وأنه هو الذي وضع تخطيط الجامع والمنارة، ينظر: عبد العزيز صلاح سالم، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح، ط1 دار نشر المعرفة، الرباط 2001م، ص 114.

² عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، المرجع السابق، ص192- عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ج2، ص52.

³ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص54.

⁴ الحاج يعيش: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج، من أهل إشبيلية كان عارفاً بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال، توفي بفاس سنة 714هـ ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص288.

⁵ الناصري، الاستقصا، ج3، ص22- ابن السماك، الحلل المشوية، ص108.

⁶ عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دراسة أثرية فنية جمالية، دار الملكية، الجزائر 2006م، ص55.

البناء والدور المسقفة بالقرميد كما تمتاز هذه الدور بالفناء الأوسط الذي تتمحور حوله مختلف الغرف والمرافق، ومنه يتم التواصل بالخارج عبر مدخل غير مباشر نحو الباب الرئيسي مع انعدام النوافذ المطلة على الخارج أو قلتها،¹

كما يظهر التأثير أيضا في مدينة شفشاون حيث يرجع الفضل للمهاجرين الأندلسيين في بناء ريف الأندلس بالمدينة وحومة الخرازين وريف الصبانين.²

ومن التأثيرات أيضا المدارس المرينية في طريقة بنائها وشكلها وزخرفتها فمدرسة الصهريج تحتوي على حوض كبير يتوسط الصحن نقل إليها من الأندلس،³ إضافة إلى طريقة بناء القباب وزخرفتها كما هو الحال في جامع القرويين بفاس والتي هي مستمدة من نمط زخرفة قباب جامع قرطبة،⁴ كما كما أن المآذن ذات الشكل المربع والتي انتشرت في بلاد المغرب مثل معذنة مسجد الكتبية بمراكش ومعذنة مسجد حسان بالرباط مستمدة أيضا من النمط الأندلسي.⁵

أما في المغرب الأوسط فقد أخذت التأثيرات الأندلسية تتدفق على المنطقة في عهد المرابطين ومن أبرزها المسجد الجامع بتلمسان حيث يظهر التأثير في المحراب الذي يشبه محراب جامع قرطبة وخاصة اللوحتان الرخاميتان اللتان تكسوان واجهة المحراب، وكذلك في القوس والنقوش التي تعلو هذا القوس، وحتى الكتابة على الخشب الموجود في المحراب فهي بخط مغربي أندلسي.⁶

¹ محمد الشريف، تطوان بنت غرناطة، الحاضرة للحضارة الأندلسية في المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 58، جمعية المؤرخين المغاربة، ص 135.

Mohamed Razouk, Les effets de la chute de grenade sur la situation politique et sociale du Maroc, actas del 2 colloquai hispano maroquin de ciencias historica, Madrid 1992, P 51.

² عباس الجارري، المرجع السابق، ص 95.

³ عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 133 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 412.

⁴ Rachid Bouruiba, l'Art religieux musulman en 'Algérie, SNED Alger, P 193.

⁵ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج 2، ص 52.

⁶ صادق الحشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 2001 م، ص 97.

وفي العهد الزياني زادت التأثيرات الأندلسية أكثر وذلك من خلال المهاجرين الفارين من الأندلس مع حرص السلاطين على الاعتماد على الخبرة الأندلسية في تخليد أعمالهم عن طريق بناء القصور والمساجد ومن ذلك طلب أبي حمو الأول وابنه أبي تاشفين من سلطان غرناطة أبي الوليد إسماعيل أن يبعث إليهم

عددا من صناع الأندلس وفنانيتها لبناء القصور بحاضرة تلمسان، ومنها دار الملك ودار السرور ودار أبي فهر،¹ ويتجلى التأثير الأندلسي كذلك في مسجد أبي الحسن التنسي الذي أقامه أبو سعيد عثمان سنة 696هـ/1296م والذي هو صورة مماثلة لقصر الحمراء كما يمتاز هذا المسجد بسقف خشبي مزخرف ومحراب يظهر الاقتباس الأندلسي من محراب جامع قرطبة.²

أما مسجد أبي مدين بالعباد الذي شيده أبو الحسن المريني عند احتلاله تلمسان فتظهر فيه التأثيرات الأندلسية في بيت الصلاة والصحن الصغير والعقود المستديرة التي تمتد على دعائم مربعة من الحجر مزينة بزخارف جصية تشبه زخارف مسجد قصر الحمراء بغرناطة،³ والشيء نفسه ينطبق على مسجد المنصورة الذي بناه السلطان يوسف بن يعقوب المريني فالمئذنة أندلسية الطراز تشبه مئذنة جامع إشبيلية من حيث الزخرفة وتفصيلها المعمارية وتشكيلتها القائمة على تقاطع العقود.⁴

هذه بعض النماذج من التأثير الأندلسي الذي شهده المغرب الأوسط خاصة في مجال العمارة سواء الدينية التي شملت المساجد والزوايا أو المدنية مثل القصور أو العسكرية مثل القلاع والأسوار والأبراج، وما زالت بعض هذه التأثيرات واضحة جلية في بعض الآثار الباقية خاصة في تلمسان.

¹ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 60.

² حسين مؤنس، المساجد، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت 1981 م، ص 201- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 61.

³ صادق الخشاب، المرجع السابق، ص 99- حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص 201،- محمد حسن الحريري، المرجع السابق، ص 322.

⁴ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 61- عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة تاريخية أثرية أثرية في عمارتها وفنونها، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، 2006 م، ص 148.

أما إفريقية فلم تخل هي الأخرى من التأثيرات العمرانية الأندلسية خاصة تلك المدن التي استقطبت أعدادا من الجالية الأندلسية، هذه الجالية أعادت بناء عدد من المدن والقرى منها مدينة "تستور" التي بها ثلاثة مساجد تظهر فيها التأثيرات الأندلسية ثم مدينة زغوان وطبرية وسليمان وهي مدن قديمة عمرتها الطوائف الأندلسية،¹ و من التأثيرات الأندلسية تلك النقوش الحصية الموجودة في الجامع الموحد بالقبصة بتونس والذي بني سنة 629هـ/1231م في عهد أبي زكرياء الأول، كما تظهر أيضا في استخدام الخشب في السقوف والأبواب خاصة تلك الأبواب ذات المصراعين والمكسوة بطريقة محكمة بالمسامير وهي طريقة أندلسية خالصة.²

ومن خلال هذه الأمثلة يمكن أن نستنتج.

أنّ التأثير الأندلسي لم يكن وليد العهد النصري الذي هو محل الدراسة بل يعود إلى العهد المرابطي والموحد.

إنّ التأثير الأندلسي كان قويا جدا في بلاد المغرب وذلك بسبب التعاطف والتآزر الذي كان يجمع المغاربة بأهل الأندلس.

إنّ التأثير شمل ميادين عديدة ثقافيا وفنيا ومعماريا.

لقد ساهم الحكام في بلاد المغرب في حماية المهاجرين الأندلسيين واستغلال قدراتهم العلمية والفنية لخدمة بلادهم.

عدم تأثير الصراعات السياسية على حركة العلماء والحرفيين بين بلاد المغرب والأندلس.

¹ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 59.

G.Mançais, Testour et sa grande Mosqué contribution A l'étuds des andalous
Tunisie, direction general en
de relations culturelles, Madrid, P 271.

² محمد الباجي بن مامي، أوجه الحضور الأندلسي بمدينة تونس، التأثيرات الثقافية والفنية والمعمارية، مجلة التاريخ العربي، المرجع السابق،

2- التأثيرات الأندلسية في المشرق:

كانت علاقة الأندلس بالمشرق الإسلامي وثيقة للغاية طوال العصر الإسلامي فقد ظلت الأندلس تابعة للدولة الإسلامية في المشرق مدة زمنية طويلة إضافة إلى التبادل الثقافي والاقتصادي ونتيجة لهذا التقارب فقد حدث تأثير متبادل بين المشرق والأندلس في جوانب عديدة دينية وعلمية وفنية ومعمارية حيث استفاد الأندلس من المشرق في فترات متقدمة من خلال دور الفاتحين في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية إلا أن الأندلس سرعان ما صار مؤثرا في المشرق بعدما حقق ازدهارا حضاريا كبيرا جدا في مختلف المجالات العلمية و المعمارية والفنية .

2-1 في المجال الديني:**2-1-1 انتشار المذاهب السنية:**

لقد تميزت الأوضاع الدينية في مصر والأندلس في هذه المرحلة بوحدة المذهب السني وانتشاره فقد عرفت الأندلس بعد الفتح الإسلامي انتشار مذهب الأوزاعي،¹ الذي أدخله إلى الأندلس صعصعة بن سلام المتوفى سنة 192هـ/807م وهو فقيه أندلسي من أصحاب الأوزاعي.² أما في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فقد انتشر المذهب المالكي في الأندلس وكان أول من أدخله أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المتوفى سنة 193هـ/760م.³ إنَّ انتقال المذهب المالكي إلى الأندلس يعود بالدرجة الأولى إلى رحلة الأندلسيين إلى الحجاز وعودتهم بأخبار عن مالك بن أنس وفضله وجلال قدره، هذه الأخبار جعلت الأندلسيين يميلون

¹ الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، إمام أهل الشام ولد سنة 88هـ/707م بضواحي دمشق ورحل إلى اليمن والحجاز والعراق، توفي سنة 157هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص 123 - ابن العماد، شذرات، ج2، ص 156 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 127 - عبد العزيز سيد الأهل، الأوزاعي فقيه أهل الشام، دار التحرير، القاهرة 1966 م ، ص 28.

² الحميدي أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: صلاح الهواري، المكتبة المصرية، بيروت 2004 م ، ص 236.

³ المقرئ، نفع الطيب، ج4، ص 60- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج4 مطابع فضالة المحمدية، المغرب 1986 م ، ص 55.

أكثر إلى هذا المذهب، ومن أبرز الذين رحلوا إلى الحجاز وأخذوا عن الإمام مالك، الغازي بن قيس وهو أول من أدخل "الموطأ" وقراءة نافع إلى الأندلس، ومنهم سعيد بن أبي هند من طليطلة رحل ولقي مالكا وسمع منه.¹

أما في عهد الدولة الموحدية فقد عرف المذهب المالكي تراجعاً حيث عمل الموحدون على تشجيع المذهب الظاهري الذي ينسب إلى ابن حزم الأندلسي،² والذي أسس مذهبه على مبادئ أساسية أهمها الالتزام بالنص قرآناً وسنة ثابتة وإنكار القياس الشرعي ومعارضة الفرق الإسلامية،³ وبعد سقوط دولة الموحدين وقيام دولة بني نصر في الأندلس عاد المذهب المالكي للانتشار من خلال إقامة المؤسسات التعليمية واستقدام كبار فقهاء المالكية وأصبحت كتب المالكية هي أساس التدريس مثل الموطأ والتلقين لعبد الوهاب البغدادي والعتيبة للعتبي،⁴ والمدونة للإمام سحنون والرسالة لأبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386هـ/966م.

أما في مصر فقد سادت المذاهب السنية الأربعة منذ بداية عهد الدولة الأيوبية حيث عمل الأيوبيون على محاربة المذهب الشيعي الذي استمر في بعض المناطق رغم سقوط الدولة الفاطمية وذلك عن طريق إقامة العديد من المدارس التي اهتمت بتدريس المذاهب السنية.⁵

¹ أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت 1990 م، ص 32- حوالم عكاشة، جهود فقهاء المالكية بالأندلس إلى نهاية القرن الرابع هجري، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2007، ص 62.

² أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فارسي النسب ولد بقرطبة سنة 384هـ/914م صاحب المصنفات العديدة توفي مشرداً في بلده سنة 456هـ/1064م ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 565- ابن العماد، شذرات، ج 5، ص 239- عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي، زهرة الإعلام العربي، القاهرة 1988 م، ص 63- بكبير محمود، المرجع السابق، ص 35.

³ جودت هلال ومحمد صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 99.

⁴ العتبي: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتيبة، فقيه ومحدث له عدة كتب في الفقه توفي سنة 255هـ، ينظر: المقرئ، المقفى الكبير، ج 5، ص 206- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2، ص 30- الحميدي، جذوة المقتبس، ص 46.

⁵ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 68.

وفي عهد المماليك استمر سلاطينها في نفس السياسة المتمثلة في محاربة المذهب الشيعي فقد قام السلطان الظاهر بيبرس بإصدار مرسوم يحرم فيه كل المذاهب ما عدا المذاهب السنية الأربعة مع عدم قبول الشهادة ولا يتولى القضاء والخطابة أو التدريس إلا من كان على المذاهب السنية،¹ وفي نفس الوقت قام بتعيين أربعة قضاة للمذاهب الأربعة.²

ونتيجة لهذا الاهتمام بالمذاهب السنية فقد انتشرت عدة كتب لهذه المذاهب يتدارسها الطلبة في المدارس ومنها كتاب مجمع البحرين والجامع الكبير ومختار الفتوى لطلبة الحنفية،³ أمّا كتب المالكية فهي مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل⁴، وكتب الشافعية مثل الوجيز للغزالي والمحرر لرفاعي، والمسند للإمام الشافعي، والروضة لجمال الدين الأسنوي، أما كتب الحنابلة فأهمها النهاية الصغرى لابن رزين والمسند للإمام أحمد.

ونتيجة لهذه السياسة التي اتبعها الأيوبيون والمماليك في مصر أو تلك التي اتبعها أهل الأندلس فقد اختفت باقي المذاهب خاصة الشيعي رغم بعض المحاولات سواء في الأندلس أو مصر لنشر أفكار التشيع، إلا أن هذه الأفكار لم تلق تأييدا أو رواجاً مما فسح المجال أمام استحواذ المذاهب السنية هذه الوحدة المذهبية جعلت علماء الأندلس يرتحلون إلى مصر ويزاولون وظائف عديدة منها بالدرجة الأولى قضاء المالكية، كما ساهمت هذه الوحدة في تمتين الروابط الثقافية والدينية بين البلدين.

2-1-2 انتشار الطرق الصوفية: لقد نشأ التصوف في القرن الأول الهجري وهو بمعنى الزهد والانصراف عن الدنيا ومتاعها والعناية بأمور الدين وغايتها الظفر برضوان الله تعالى، وكان الزهد هو النواة الأولى للتصوف في القرن الثاني للهجرة، ثم تطور بعد ذلك حتى وصل في القرن السابع إلى

¹ المقرئزي، الخطط، ج2، ص344- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص 319.

² القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 36.

³ المقرئزي، الخطط، المصدر السابق ج2، ص312.

⁴ ألفه الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري، وهو مصنف في الفقه المالكي استغرق في تأليفه 25 سنة، ينظر: ابن مريم، البستان، ص56.

مفهوم اجتماعي بعد خروجه عن مفهومه الديني المحض، وقد استخدم المتصوفون المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا لنشر دعوتهم.¹

وقد دخل التصوف إلى الأندلس عن طريق المهاجرين المشاركة أو عن طريق الحجاج والرحالة الأندلسيين، فبعد اطلاعهم على حركة التصوف في المشرق نقلوا بعض مصنفات التصوف إلى الأندلس، وقد ازدهرت حركة التصوف في الأندلس بعد ضعف دولة الموحدين وقيام دولة بني نصر حيث زاد اعتقاد الناس برجال التصوف فوجد هؤلاء الظروف المناسبة لنشر دعوتهم خاصة وأن السلاطين قربوا إليهم هؤلاء المتصوفة وقاموا بتشييد الزوايا والربط وتحييس الأموال والغلات عليها.² ومن أبرز الطرق الصوفية التي انتشرت في مصر :

- الطريقة القادرية: التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني،³ والذي اعتمد على التصوف السني وقد تفرع عن هذه الطريقة طرق صوفية أخرى عديدة في المغرب والمشرق.

- الطريقة الرفاعية: أسسها الشيخ أحمد بن أبي الحسن بن أبي العباس المعروف بابن الرفاعي المتوفى سنة 578هـ/1191م بالعراق ثم أدخلت إلى مصر ولقيت رواجاً كبيراً خاصة في عهد المماليك.⁴

- الطريقة الأحمدية: أسسها السيد أحمد البدوي المتوفى سنة 675هـ/1276م ارتحل من المغرب واستقر بمصر وأسس طريقته.⁵

- الطريقة الشاذلية: أسسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي تعود أصوله إلى المغرب، رحل إلى مصر

¹ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 84.

² سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 321.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 268- ابن العماد، شذرات، ج4، ص198- عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 م، ص1310.

⁴ ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص92- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص171- ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص427.

⁵ ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص252- ابن العماد، شذرات، ج7، ص602- أحمد عيس، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981 م، ص04.

واستقر بالإسكندرية وأسس طريقته، توفي سنة 656هـ/1258م،¹ وقد عرفت هذه الطريقة رواجاً كثيراً في الأندلس حيث اعتنقها العديد من الفقهاء وقاموا بنشرها ومنهم أبو العباس المرسي أحد تلامذة أبي الحسن الشاذلي، وابن عباد الرندي صاحب كتاب غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية.²

إنّ انتشار التصوف بمصر ووجود كبار شيوخ التصوف جعل الكثير من الأندلسيين وخاصة رجال التصوف يفضلون زيارة مصر أو الاستقرار بها، ومن هؤلاء ابن سبعين من أهل مرسية وأبو الحسن الششتري صاحب كتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية،³ ومنهم كذلك أبو الحسن علي بن أحمد الحراني الأندلسي من أعمال مرسية كان أعلم الناس بمذهب مالك من مؤلفاته اللب المقفل على فهم القرآن المنزل توفي في بلاد الشام سنة 637هـ/1235م،⁴ ومن رجال التصوف الذين رحلوا إلى المشرق وكان لهم آثار بارزة، الفقيه علي بن أحمد بن حديدة الأندلسي الذي أخذ التصوف عن علماء الأندلس ثم رحل إلى بجاية ومنها إلى المشرق وقد عمل على وعظ الناس وإقامة الزوايا في أماكن عديدة، توفي ببيت المقدس سنة 719هـ/1319م.⁵

لقد أثر هؤلاء تأثيراً كبيراً في المجتمع المصري من خلال ممارستهم للتدريس في الزوايا والربط فزادت فكرة الاعتقاد في المشايخ والأولياء، ولم تقتصر ظاهرة التبرك على العامة بل حتى السلاطين أيضاً، ومثال ذلك الظاهر برقوق الذي كان له اعتقاد كبير في طلحة المغربي حيث أقامه في قلعة الجبل، توفي سنة 694هـ/1294م، ودفن في الموضع الذي هو الآن تربة الملك الظاهر برقوق،⁶ أمّا السلطان

¹ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 52- ابن قنفذ، الوفيات، ص 323- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 43.

² هو كتاب شرح فيه حكم ابن عطاء الله السكندري والتي ألفها تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ/1309م تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي، ينظر ابن العماد، شذرات ج8 ص 36- ابن حجر، الدرر الكامنة ج1 ص 273- الذهبي، ذبيل العبر، ج4 ص 21.

³ الغبريني، عنوان الدراية، ص110- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص185.

⁴ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص187- الغبريني، نفسه، ص68.

⁵ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص12.

⁶ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 433- المقرئ، العقود الفريدة، ج3، ص 200.

الظاهر بيبرس فقد كان له اعتقاد في الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني حيث بنى له زاوية وحبس عليها أرضاً زراعية،¹ أما السلطان الملك الناصر بن محمد بن قلاوون فقد أنشأ خانقاه سرياقوس وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبنى بجانبها مسجداً وحماماً،² أما في الأندلس فقد ساد هذا الاعتقاد أيضاً حيث كان السلطان محمد الأول بن الأحمر يتوجه إلى الصوفي ابن مروان الياجسي في وادي آش ليطلب منه أن يعينه بدعواته خلال نزاعه مع النصاري.³

ومما زاد في التقارب بين الأندلس والمشرق في مجال التصوف هو انتشار نفس الكتب الخاصة بالتصوف والتي تداولها الطلبة والمريدون في البلدين منها رسالة القشيري وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الشفاء للقاضي عياض.⁴

هذا الانتشار الواسع للتصوف في البلدين زاد من توثيق العلاقات الروحية والدينية حتى أن بعض المتصوفة الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق شاركوا وأتباعهم في الحروب الصليبية إلى جانب إخوانهم كما هو حال الششتيري الذي حارب الصليبيين في حملة لويس التاسع سنة 647هـ/1249م.⁵

إن التأثير الأندلسي والمغربي كان واضحاً في الحركة الصوفية في المشرق خاصة وأن كبار مشايخ التصوف ترجع نشأتهم إلى الأصل الأندلسي أو المغربي.

إن انتشار التصوف من الأندلس إلى المشرق كان عن طريق الهجرة بالدرجة الأولى ويؤكد عدم قدرة الحدود السياسية على الوقوف في وجه الانتشار الثقافي بصفة عامة والتصوف بصفة خاصة.

¹ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص206، - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص218.

² المقرئزي، الخطط، ج2، ص420

³ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص344.

⁴ عبد الرحمن بالأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك، المرجع السابق، ص286.

⁵ ابن الخطيب، للمحة البدرية، ص97- أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص310.

2-2 التأثيرات العلمية:

لقد مثلت التأثيرات العلمية أبرز مظاهر العلاقات الثقافية بين الأندلس وبلاد المشرق في عهد المماليك، وقد ظهر هذا التأثير في جوانب عديدة من خلال حركة العلماء الأندلسيين إلى مصر وبلاد الشام، حيث شارك العديد منهم في وظائف مختلفة فقلما نجد مجالاً يخلو من الأندلسيين الذين ترك بعضهم آثاراً علمية خالدة في عدد من العلوم ومن أبرز تلك المجالات:

2-2-1-1 مجال التدريس:

كانت مدينة القاهرة تشهد حركة تعليمية نشيطة مما دفع بالأندلسيين إلى الارتحال إليها للاستفادة من علمائها، كما كان من أبرز المرتحلين العلماء والفقهاء الذين أفادوا الطلبة بعلمهم الغزير ومعرفتهم الواسعة لشتى العلوم،¹ خاصة وأن الأندلس كانت قد شهدت نهضة علمية رائدة فأصبحت قرطبة وغرناطة مراكز علمية معروفة بعلمائها، ونظراً للعدد الكبير من الأندلسيين الذين اشتغلوا بالتدريس في بلاد المشرق نحاول الاقتصار على بعض النماذج ومنهم:

أبو عبد الله محمد بن سراقه الشاطبي، رحل في طلب العلم فزار بغداد وحلب وتولى مشيخة دار الحديث بحلب ومشيخة دار الحديث الكمالية بالقاهرة، توفي سنة 662هـ/1263م.²

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ارتحل إلى الإسكندرية وزار دمشق كان مفتياً تولى التدريس بالرباط الناصري كما درّس بالفاضلية بمصر وكان شيخاً بالترية الصالحية، توفي سنة 685هـ/1286م.³

الشاعر النحوي محمد بن عبد الله بن لب من أهل ألمرية رحل إلى المشرق واتخذ من القاهرة موطناً له تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ونال مكانة خاصة بين أهل العلم والصلاح حتى صار

¹ أحمد محمد الطوحي، المرجع السابق، ص 284.

² المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 63- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 167- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص533.

³ المقرئ، المفقى الكبير، ج5، ص 268- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص244.

يُدعى بأبي عبد الله النحوي، توفي سنة 734هـ/1324م.¹

فتح الدين بن سيد الناس الأندلسي الأصل رحل إلى مصر ودرس الحديث بالمدرسة الظاهرية، توفي بمصر سنة 734هـ/1333م.²

أما بلاد الشام فقد استقطبت عددا هائلا من الأندلسيين والذين تولوا وظائف مختلفة منها التدريس ومنهم:

محمد بن عبد الله بن مالك الطائي أبو عبد الله صاحب التسهيل والألفية أخذ عن علماء الشام العربية والنحو فامتزجت لديه الثقافة الأندلسية بالمشرقية كان على المذهب المالكي بالأندلس ثم تحوّل إلى الشافعية ببلاد الشام تولى التدريس بالمدرسة العادلية بدمشق، توفي سنة 672هـ/1273م.³

محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان الإمام العالم فخر الدين الشاطبي النحوي رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها ثم أقام بالشام وتحوّل إلى المذهب الحنفي وتولى التدريس بالمدرسة الإقبالية الحنفية بدمشق، توفي سنة 675هـ/1276م.⁴

زكي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز الإشبيلي المالكي محدث زاهد سمع بمصر ودمشق وحلب أفتى ودرّس وتولى مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق توفي سنة 687هـ/1288م.⁵

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج اللخمي الإشبيلي كان من كبار أئمة الحديث رحل إلى دمشق وتولى التدريس بالجامع الأموي وأخذ عنه خلق كثير، توفي سنة 699هـ/1299م.⁶

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 433.

² جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 358- ابن العماد، شذرات، ج8، ص 189.

³ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 222- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 271.

⁴ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 145 - المقرئ، المقفى الكبير، ج5، ص 675.

⁵ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 517- ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 699.

⁶ ابن جابر، برنامج الوادي آشي، ص 116- المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص 528- المقرئ، المقفى الكبير، ج1، ص 561،

الصفدي، الوافي، ج7، ص 187.

كما تولى بعض الأندلسيين ببلاد المشرق الإمامة والخطبة ومنهم الفقيه محمد بن أحمد بن أبي الوليد بن أبي عمرو الذي هاجر إلى بلاد الشام واستقر بدمشق وتولى إمامة المالكية بالزاوية المالكية بالجامع الأموي، توفي سنة 747هـ/1342م.¹

2-2-2- في مجال القضاء:

لم يقتصر دور الأندلسيين على التدريس والإمامة بل تولى البعض منهم منصب القضاء خاصة قضاة المالكية نظرا لان هؤلاء المهاجرين كانوا على المذهب المالكي المنتشر في بلاد الأندلس ومن هؤلاء:

عبد الرحمن بن خلدون والذي تولى منصب القضاء بمصر سنة 786هـ/1384م.²

أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الذي كان قاضيا للجماعة في كل من مالقة وقرطبة ثم رحل بعد سقوط هذه الأخيرة لطلب النجدة واستقر بمصر وتولى القضاء المالكي سنة 896هـ.³

إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني اللخمي القرطبي، أخذ عن شيوخ قرطبة ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن ابن حيان بالقاهرة ثم توجه إلى الشام وأقام بمدينة حماة وتولى القضاء المالكي بها، توفي سنة 771هـ/1369م.⁴

محمد بن يحيى الأندلسي اللبسي، أخذ عن الحافظ بن حجر إمام علوم الفقه والنحو وأصول الدين تولى قضاء المالكية بحماة وتوفي ببرسا من بلاد الروم سنة 884هـ/1487م.⁵

شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي سكن طرابلس الشام ثم رحل إلى حلب وأقام بها وتولى القضاء توفي سنة 739هـ/1340م.⁶

¹ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 351.

² ابن خلدون، الرحلة، ص 254- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 462.

³ القلصادي، رحلة القلصادي، ص 27 - أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 231.

⁴ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 380- أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 231.

⁵ المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص 617.

⁶ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 182- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 91 - المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص

2-2-3- في مجال الطب:

لقد اهتم الأندلسيون بالعلوم العقلية اهتماما كبيرا وبرز منهم العديد من العلماء وخاصة في مجال الطب والصيدلة، وقد هاجر الكثير من هؤلاء الأطباء إلى المشرق وساهموا بشكل كبير في ازدهار العلوم الطبية بل وصل بعضهم إلى رئاسة المستشفيات ومنهم من عمل كمعتمد عند السلاطين ومن هؤلاء:

الطبيب عبد المنعم الجلياني الذي خدم صلاح الدين الأيوبي لفترة زمنية طويلة،¹ ومن الأطباء الذين قدموا خدمة كبيرة للمجتمع المصري الطبيب ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار الذي كان أوحد زمانه في معرفة النبات،² و أبو تمام غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري الذي عمل بالبيمارستان بالقاهرة، وأبو العباس أحمد المعروف بابن الرومية من أهل إشبيلية أتقن علم النبات ومعرفة الأدوية خدم بمصر الملك العادل أبا بكر.³

ومن الاطباء الرئيس أبو مروان موسى بن ميمون القرطبي اليهودي الذي أسلم في المغرب وحفظ القرآن ثم رحل إلى مصر وخدم الملك الناصر صلاح الدين وولده الملك الأفضل علي⁴ ، ومنهم الطبيب يوسف بن يحيى الذي تحول إلى تاجر طاف بالعراق والهند وفارس وجمع أموال طائلة خصصها لبناء مركز لتعليم الطب والمداواة.⁵

إنّ دور الأندلسيين لم يقتصر على هذه الجوانب بل تعدّت اهتماماتهم إلى مجالات أخرى كالجانب السياسي ومن الذين ساهموا في هذا المجال سلمان بن عبد الله بن يوسف الإيبيري ثم الحلبي

¹ ابن سعيد المغربي، الغصون اليبانة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر 1987 م ،

ج2، ص 164- أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 282.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 178.

³ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص588- المقري، نفح الطيب، ج2، ص596.

⁴ ابن أبي أصيبعة، نفسه، ص 582.

⁵ أحمد الطوخي، المرجع السابق، ص 310

الشافعي من أصدقاء ابن جابر وأبو جعفر الرعيبي الغرناطي، انظم في خدمة الوزير الجمال الاستادار والسلطان يلبغا الناصري، ولما قبض على الوزير فر إلى اليمن وتوفي سنة 833هـ/1429م.¹

أما في الميدان العسكري فإن مساهمة الأندلسيين والمغاربة كانت كبيرة جدا، فقد شارك العديد منهم في محاربة النصارى من خلال الحملات الصليبية وحملات المغول، فقد شارك في جيش صلاح الدين أكثر من ثلاثة آلاف رجل،² أما في عهد المماليك فقد قاد حملة لفتح جزيرة قبرص في عهد الظاهر بيبرس قائد من أصول أندلسية وهو جمال الدين مكى بن حسون وذلك سنة 669هـ/1270م.³

إنّ التأثير الأندلسي في بلاد المشرق لم يقتصر على مصر وبلاد الشام بل تعدّاه إلى أقاليم أخرى إسلامية كانت تابعة للدولة المملوكية ومنها بالدرجة الأولى الحجاز خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبارهما أماكن مقدسة، وكان الأندلسيون يقصدون هذه الأماكن للمجاورة ونعني بها البقاء بجوار الحرمين الشريفين وكان أغلب هؤلاء من العلماء والطلبة وقد مارس بعضهم وظيفة التدريس والإمامة ومنهم أبو جعفر بن الزبير والفخري التوزري الفقيه الذي ناظر علماء مصر والحجاز استوطن المدينة المنورة حتى وفاته سنة 715هـ/1315م.⁴

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بابن غصن الإشبيلي الإمام الزاهد المقرئ العارف بمتون الحديث وأحكامه أقرأ القرآن بمكة والمدينة، توفي سنة 723هـ/1323م.⁵

ومنهم أبو بكر محمد بن يوسف ابن مسدي المتوفى سنة 677هـ/1274م رحل إلى الحجاز وتولى

¹ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 265.

² أحمد مختار العبادي، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس، مجلة الدراسات، المرجع السابق، ص 110.

³ أحمد مختار العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، بحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية 1976 م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م، ص 90.

⁴ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 96.

⁵ المقرئ، المقفى الكبير، ج1، ص 66- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 27.

التدريس بمكة والمدينة وتخرج على يده عدد من الفقهاء منهم علي بن خليل المالكي، له كتاب البشارة بثواب الحج والزيارة.¹

ومن الأندلسيين الذين درسوا بالمسجد الحرام أبو عبد الله محمد بن غالب بن يونس الحياتي المتوفى سنة 702هـ/1301م وأبو بكر محمد بن حجاج أبو مطرف الإشبيلي والذي كانت له حلقة بالمسجد الحرام توفي سنة 704هـ/1302م.²

لقد ساهم علماء الأندلس في الحياة العلمية في بلاد الحجاز خاصة وأنهم كانوا يرتحلون شهورا عديدة قبل الحج من أجل المجاورة والحرص على أخذ العلم ومجالسة العلماء. وبصفة عامة فإن الرحلة الأندلسية إلى بلاد المشرق لم تقتصر على مكان معين بل كان الهدف منها هو زيارة معظم المراكز العلمية.

لقد ضمت الهجرة الأندلسية إلى المشرق فئات مختلفة خاصة العلماء والطلبة وبالتالي فقد مارسوا وظائف مختلفة منها التدريس والقضاء والإمامة.

لقد أثروا هؤلاء الأندلسيون وتأثروا بالطبيعة التي نزلوا بها فمنهم من تحول إلى المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي المنتشرين بالمشرق.

إن تولى عدد منهم وظائف ذات أهمية كبيرة يدل على التسامح والتعاون والتعاطف الذي كان يتلقاه أهل الأندلس من اخوانهم في البلاد الإسلامية بسبب التهديد والضغط المتواصل من طرف النصارى.

2-3 التأثيرات الفنية والمعمارية:

2-3-1- التأثيرات الفنية: لقد عرف الأندلس تطورا كبيرا في المجال الفني خاصة في الموسيقى

والغناء وظهور الموشحات والأزجال.

¹ المقرئزي، نفسه، ج7، ص 516، - حسن الوركالي، أوهج وأزج مراجعات في التراث الأندلسي، دار البشائر الإسلامية، بيروت 2005 م، ص 97.

² حسن الوركالي، المرجع السابق، ص 100.

فالموشح هو فن جديد نشأ في الأندلس تخلص من الأوزان الشعرية والقافية المعهودين، وقد ظهر هذا النوع بعد اختلاط العرب بغيرهم من سكان الأندلس وتعرفهم على آدابهم وأغانيتهم الشعبية المتحررة من القوافي، وقد انتشرت الموشحات بعد أن لقيت الاستحسان والقبول من أهل الأندلس، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس كلما كثر الشعر في قطرهم استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه الموشح"،¹ هذا النوع الشعري رغم أنه أندلسي النشأة إلا أنه يحتوي على مؤثرات شرقية وغربية.²

لقد ظهر بالأندلس العديد من الوشاحين ساهموا في تطور هذا الفن وإخراجه من منطقتة الضيقة إلى باقي بقاع العالم الإسلامي، حيث انتقل إلى المشرق بعد بلوغه مرحلة النضج وذلك عن طريق المهاجرين الأندلسيين، وقد كان القاضي ابن سناء الملك الانطلاقة الحقيقية لفن الموشحات في المشرق ومن نظمه:

حبيبي ارفع حجاب النور عن المدار

تنظر المسك على كافور في جلنار³

هذا النوع من الشعر تطور أكثر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، ومن أبرز الوشاحين في مصر في العهد الأيوبي عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي الشاعر والمؤرخ اشتغل بتدريس النحو في مصر ومن مؤلفاته كتاب العروض الكبير وكتاب العروض الصغير،⁴ ومن الوشاحين في مصر السراج عمر بن مسعود الكناني الحلبي المتوفى سنة 740هـ/1339م والشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل ومن نظمه:

بجرّ الهوى يُعرق من فيه جهده عام

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 817- جودت هلال ومحمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 110.

² عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، المرجع السابق، ص 184- حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 215.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 825.

⁴ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 م، ص

وناره تُحْرِقُ من همّ أو قد هام

و ربما يُقْلِقُ فتيّ عليه نام¹

لقد تعدّدت أغراض الموشحات كما هو الحال في الأندلس إلا أن الغزل والطرب كانت هي الموضوعات الرئيسية ولهذا اقترن الموشح بالغناء والألحان ثم تطور ذلك إلى التصوف،² هذا التنوع جعل الموشحات تنتشر في بلاد المشرق انتشارا واسعا خاصة في بغداد ومصر رغم الاختلافات مع أهل الأندلس في الأغصان والأدبيات لأن لكل منطقة لهجتها ولغتها فالمشركي لا يشعر بالبلاغة التي في شعر الأندلسيين والعكس كذلك³.

أما الزجل فهو فن عالمي جديد ظهر بالأندلس يشبه الموشح ينظم باللهجة العامية ويُصاغ في فقرات تسمى أبياتا ويمتاز بتكرار القافية في نهاية كل بيت.⁴

ولما انتقل هذا الفن إلى المشرق وجد بيئة مناسبة للانتشار لذلك نشط الزجالون وزاحموا الشعراء في شتى أغراض الشعر فنظموا في الغزل والخمريات ووصف الحوادث العامة والحروب ورتاء الدول.⁵ ومن العوامل التي أدّت إلى رواج الزجل في مصر في عهد المماليك هو أن الملوك كانوا من العجم وهم أقرب إلى فهم الشعر العامي أكثر من الشعر الفصيح وبالتالي كانوا يشجعون الزجالين كما انتشر التصوف على نطاق واسع مما شجّع على تطور الزجل حيث أصبح التصوف أحد الأغراض الرئيسية له، ومن أشهر الزجالين في المشرق في هذه المرحلة خلف الغباري المتوفى أوائل القرن التاسع الهجري في عهد السلطان برقوق و من نظمه في مدح الأشرف شعبان:

ضم الأشرف قبر ليت شعري هو لقنديل نور ضياه جامع

¹ المقري، نفع الطيب، ج1، ص 632، - عمر موسى باشا، الأداب في بلاد الشام، ط1 مكتبة العباسية، دمشق، 1972 م ، ص 539

² عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 187.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 839.

⁴ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 187.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 826- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب

اللبناني، 1989 م ، ص 35- انجيل باليشيا، الفكر الأندلسي، المرجع السابق، ص 213.

أو صدف فيه خالص الجوهر أو فلك فيه غاب قمر طالع¹

ومن الرجالين علاء الدين بن مقاتل الحموي وبدر الدين الزيتوني الذي شهد عهد قايتباي والغوري، توفي سنة 924هـ/1527م،² ومنهم أحمد بن عثمان اللامشاطي الأديب شهاب الدين كان قيم الشام في وقته في الأزجال توفي سنة 725هـ/1426م.³

أما في مجال الغناء والموسيقى فقد كان للمشاركة دور بارز في تطور الموسيقى في الأندلس وذلك بعد انتقال عدد من رجال الموسيقى والغناء إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي وكان من أبرزهم "زرياب" الذي حل بالأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط حيث ساهم بشكل كبير في تطور الموسيقى خاصة بعد أن أسس مدرسة لتعليم الغناء ومعالجة الأصوات.⁴

ومع التطور الحضاري الذي شهدته الأندلس وخاصة في مجال الفن والموسيقى وبعد أن هاجر العديد من الأندلسيين إلى بلاد المشرق فإن التأثير الأندلسي انتقل أيضا إلى المشرق خاصة وأن بين هؤلاء المهاجرين عددا من أهل الفن والموسيقى، ورغم أنهم لم يتخذوا من الموسيقى مصدرا للرزق إلا أنهم ساهموا في تطورها في البلاد التي حلوا بها ومن هؤلاء الطبيب الأندلسي أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الحكيم والأديب من أهل ألمرية رحل إلى المشرق وإلى جانب مهنته الطبية كان يعزف الموسيقى ويضرب على آلة العود،⁵ ومنهم أبو زكرياء يحيى بن إسماعيل البياسي رحل إلى المشرق وسكن دمشق كان عارفا بالموسيقى وتمكن من صنع آلة تسمى الأرغن كما اشتغل بتدريس علم الموسيقى.⁶

إن بعد المسافة بين الأندلس وبلاد المشرق لم يمنع من وصول التأثير الأندلسي خاصة في مجال الموسيقى الأندلسية هذا النوع انتشر في مناطق الحوض البحر المتوسط بما فيها بلاد المشرق الإسلامي والذي أخذ صبغة عالمية.

¹ محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه المرجع السابق، ص 89.

² محمود رزق سليم، نفسه، ص 88.

³ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 201.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، ج3، ص 122.

⁵ المقرئ، نفسه، ج2، ص 133.

⁶ علي أحمد، الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام، المرجع السابق ص 253 .

2-3-2- التأثيرات المعمارية:

لقد تميزت العمارة في الأندلس وبلاد المشرق بالتطور والازدهار وذلك بفضل حركة البناء والتشييد في المجالات المختلفة كالقصور والمساجد والمدارس والقباب والأثرية وغيرها، حيث كان السلاطين يتنافسون في تخليد أسمائهم من خلال تلك المؤسسات وقد بدأ التأثير الأندلسي يتدفق على المشرق وخاصة مصر منذ بداية الهجرة الأندلسية.

فقد تحوّل ميناء الإسكندرية إلى محطة رئيسية للسفن القادمة من الأندلس بعد استيلاء النصارى على بعض المدن الأندلسية.¹

وقد انتقلت خصوصيات العمارة الأندلسية إلى المشرق عن طريق هؤلاء المهاجرين الذين كان هدفهم الزيادة في العلم أو زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج، أو الفرار بدينهم بعد سيطرة النصارى على مدّهم، كما كان للتجار الأندلسيين أيضا دور في نقل تلك الخصوصيات الأندلسية إلى بلاد المشرق الإسلامي من خلال رحلاتهم التجارية المتكررة.²

وقد زادت التأثيرات الأندلسية في عهد المماليك بعد أن نشطت حركة الهجرة و التي ضمّت عددا من الحرفيين والمهندسين والفنانين، ونظرا لاهتمام سلاطين المماليك بالعمارة فقد استخدموا هؤلاء المهاجرين في البناء والزخرفة والصناعات المختلفة مما ساعد على انتقال الخصوصيات المعمارية الأندلسية خاصة في مجال الزخرفة، ومن أهم التأثيرات الأندلسية في العمارة المملوكية العقود المنفوخة المتجاورة والعقود التوأمية في الواجهات والمآذن الموجودة في قبة فاطمة خاتون وضريح المنصور قلاوون وفي جامع جاي اليوسفي.³

¹ عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 62.

² محمد الغوثي بن سنوسي، الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية الإسلامية بالمغرب العربي، أطروحة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 2000 م، ص 277.

³ عبد العزيز سالم، قرطبة، ج2، المرجع السابق، ص 63

كما تظهر التأثيرات أيضا في القباب التي تظهر في جامع ابن طولون وكأنها منقولة من قرطبة و تظهر أكثر في الترميمات التي أجريت على هذا المسجد في العهد المملوكي خاصة المئذنة وهي نفس الطابع للعقود القرطبية.¹

ومن مظاهر هذا التأثير مئذنة مدرسة المنصور قلاوون التي تحتوي على بعض العقود المتجاورة وهي شبيهة بتلك الموجودة في مئذنة جامع إشبيلية وفي بعض مآذن الموحدين²، ومن التأثيرات الأندلسية في المساجد المملوكية نوع من القباب قسمت القبة إلى تقاسيم هندسية متعددة تشعبت خطوطها من كل ركن من أركان القبة وهذا الشكل يظهر في قباب قرطبة وسرقسطة وطليطلة.³

كما تظهر الزخارف الجصية الأندلسية في مئذنة الناصر محمد بن قلاوون وضريح الأميرين سلالر سنجر الجاولي.

إن التشابه المعماري يبرز تلك التأثيرات الأندلسية التي وصلت الى بلاد المشرق عن طريق المهاجرين الذين وظفوا مهارتهم الفنية في بناء المساجد والمدارس والقباب وتركوا فيها بصماتهم الفنية الأندلسية والتي تمثل مظهرا من مظاهر ذلك الترابط الثقافي بين المغرب والمشرق الاسلاميين .

ومن خلال هذه الدراسة للتأثيرات الأندلسية في بلاد المشرق يتضح لنا أن حركة التواصل كانت مستمرة ولم تقتصر على فترة زمنية معينة، إنما أصبحت ظاهرة متميزة لعلماء الأندلس في زيارة بلاد المشرق حيث استقر بعضهم يمارسون وظائف وحرفا بينما عاد البعض الآخر الى بلادهم.

إن هؤلاء المهاجرين وخاصة العلماء ساهموا في إثراء الحياة الفكرية في البلاد التي رحلوا إليها من خلال تقلدهم وظائف مختلفة في التدريس والقضاء والإمامة وغيرها.

ومن جهة أخرى فقد ساهم بعض الحرفيين في نقل بعض المهارات والمميزات الأندلسية في المجال الفني والمعماري الى بلاد المشرق وبالتالي فإن التأثير الأندلسي كان واضحا في جميع المناطق التي حلوا بها الاندلسيين فقد أثروا وتأثروا.

¹ سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 201.

² سحر عبد العزيز سالم، نفسه، ص 202.

³ عبد العزيز سالم، قرطبة، ج 2، ص 64.

الخلاصة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات الثقافية بين مملكة غرناطة و دول المغرب و المشرق ،استطعنا التوصل الى بعض النتائج التاريخية و أهمها .

- التشابه الكبير بين دول بلاد المغرب من حيث النشأة و التطورات السياسية التي أعقبت سقوط الدولة الموحدية ،واعتمادها على مؤسس قوي كان له الفضل في بناء صرح دولة قوية ،الا أن عدم الاستمرار في النهج نفسه أدى الى تراجع هذه الدول و ضعفها فتشابهت أيضا في الانهيار .

- أما المشرق الإسلامي فقد شهد ظهور دولة المماليك في الظروف نفسها التي ظهرت فيها دويلات المغرب ،وقد حملت هذه الدولة على عاتقها مهمة محاربة النصارى و المغول مما أدى الى انحائها عسكريا و اقتصاديا ،فتراجع دورها فاتحة المجال أمام الدولة العثمانية الناشئة التي واصلت نهج محاربة النصارى .

- عاشت دول المغرب مرحلة طويلة في الصراعات الداخلية والخارجية فيما بينها من اجل بسط نفوذها على بلاد المغرب و وراثة الدولة الموحدية ،فكان هذا من أسباب ضعف و سقوط هذه الدول - ارتبطت دول المغرب و المشرق بعلاقات سياسية حسنة في معظم الأوقات مع مملكة غرناطة رغم ما تخلل هذه العلاقات من فترات الصراع و عدم الثقة كما حدث بين بني الأحمر و المرينيين ،خاصة وأن هذه العلاقات تحكمت فيها المصالح الخاصة لكل دولة اضافة الى مصالح الحكام الشخصية .

- لقد كان هدف الدولة النصرية من التواصل الدبلوماسي مع دول المغرب و المشرق هو الحصول على المساعدة و الدعم العسكري كلما اشتد الضغط النصراني عليها ،فقد كانت معظم تلك المراسلات التي دارت بين حكام غرناطة و الدول الإسلامية هي طلب النجدة و إنقاذ المسلمين في الأندلس .

لقد أعتمد في هذه المراسلات على فئة العلماء و الفقهاء وهذا ما يؤكد مكانة أهل العلم لدى حكام الدول الإسلامية ، باعتبارهم أهل ثقة و قدرة في التأثير و التخاطب و الحرص الشديد على الإصلاح و جمع شمل الأمة الإسلامية.

لقد كان لاشتداد العدوان النصراني على مملكة بني الأحمر دور كبير في تحقيق التضامن الإسلامي مع هذه الدولة ، ويظهر ذلك من خلال المساعدات المالية و العسكرية التي قدمتها دول المغرب و مصر المملوكية أو من خلال حركة المتطوعين للجهاد في الأندلس .

إن المساعدات التي قدمتها الدول الإسلامية في المغرب و المشرق ، إلا أن هذه المساعدات بما فيها الحملات التي جهزتها الدولة المرينية لنجدة أهل الأندلس لم تحل دون سقوط مملكة غرناطة و إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية .

ومن الجانب الثقافي فقد شهدت هذه المرحلة نهضة علمية في بلاد المغرب و المشرق ، حيث ظهرت حركة واسعة في ميدان التأليف و أصبحت عواصم هذه الدول مراكز علمية ذات سمعة كبيرة مثل غرناطة وفاس و تلمسان وتونس والقاهرة التي شهدت إقبال كبير للعلماء و الطلاب .

تميزت هذه المرحلة بالانتشار الواسع للمؤسسات العلمية و الدينية من مدارس و مساجد و زوايا والتي تم إنشاؤها في مختلف المدن خاصة العواصم ، وقد تنافس الحكام في اختيار أحسن المهندسين و البنائين لإقامتها و زخرفتها وقاموا بتحييس العديد من الأوقاف عليها لضمان استمرارها .

لقد كان للحكام والسلاطين دور كبير في ازدهار الحياة الفكرية من خلال تشجيعهم و اعتنائهم بفئة العلماء و التنافس على استقدامهم الى عواصمهم و تقريبهم من مجالسهم ، فقلما نجد قصرا يخلو من فئة العلماء خاصة في بلاد المغرب ، وقد تولى الكثير منهم مهمات سياسية و إدارية .

ومن الملاحظات العامة حول تطور أصناف العلوم هو تفوق العلوم الدينية على سائر العلوم الأخرى ، فقد شهدت هذه العلوم اهتماما كبيرا سواء من طرف العلماء أو العامة والحكام باعتبارها الركيزة الأساسية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإسلامي .

كان للمهاجرين الأندلسيين أكبر الأثر في رفع مستوى الحياة العلمية و الثقافية و الحضارية في المناطق التي نزحوا إليها في المغرب و المشرق ، حيث نقلوا معهم خصوصيات الفكر الأندلسي من خلال حضورهم في حلقات الدرس و التعليم و مساهمتهم في ازدهار الحياة الاقتصادية و العمرانية .

لقد كان للرحلة العلمية أهمية كبيرة لدى الأندلسيين وحرصهم الشديد على زيارة مراكز العلم في المغرب و المشرق و مجالسة كبار العلماء و الشيوخ و الأخذ عنهم ، و السعي للحصول على الإجازات العلمية ،وقد مثلت الرحلة العلمية حلقة اتصال و تبادل للمعرفة و من جهة أخرى ساهمت في التقريب بين العلماء ،فقد انتشرت ظاهرة تبادل الرسائل والتي تعددت أغراضها من المدح و التهئة ورسائل الاستفسار عن قضايا دينية أو علمية ، و طلب الشفاعة لبعضهم لدى الحكام .

أما رحلة الحج فقد ساهمت هي الأخرى في تقوية الصلات الثقافية بين أهل الأندلس و بل المغرب و المشرق ، فقد كان ركب الحجيج ينطلق من الأندلس و المغرب الأقصى ثم يمر بالمغرب الأوسط ثم إفريقية الحفصية ومنها الى مصر ثم الحجاز ، وكان الركب يضم فئة العلماء و الطلبة لذلك كان الهدف الثاني بعد أداء فريضة الحج هو طلب العلم .

لقد ساهمت العلاقات التجارية وحركة تنقل التجار عبر المسالك البحرية و البرية في تمتين الروابط الثقافية من خلال تنقل العديد من العلماء و الطلاب على ظهر السفن التجارية التي تتحرك بين موانئ الأندلس و موانئ المغرب و المشرق ،

لقد أدى الاحتكاك بين الأندلسيين و بلاد المغرب و المشرق من خلال الهجرة و الرحلة العلمية الى تأثر هذه الدول بالتطور الحضاري الحاصل في الأندلس .

ففي المجال الديني يظهر التوافق في تشجيع المذاهب السنية سواء في المغرب أو المشرق حيث ساد المذهب المالكي في المغرب و الأندلس بينما انتشرت باقي المذاهب السنية في المشرق ، ومن جهة أخرى فقد كان الأندلسيين دور في ازدهار حركة التصوف في بلاد المشرق من رحلة بعض رجال التصوف من الأندلس .

وفي المجال العلمي كانت التأثيرات الأندلسية أكثر وضوحا من خلال ممارسة بعض الأندلسيين لوظائف التدريس و الخطابة و القضاء .

أما في المجال الفني فقد انتشرت الموشحات و الأزجال الأندلسية و مال إليها الكثير من الشعراء و رجال الأدب لتحررها من قيود الشعر التقليدي ، و نفس الشيء ينطبق على الموسيقى الأندلسية التي انتشرت في معظم المناطق التي استقرت بها الجالية الأندلسية ، و مازالت الى اليوم تنسب الى مكان نشأتها .

وفي مجال العمارة فإن التأثير كان أكثر وضوحا خاصة في المساجد و المدارس و القصور سواء في طريقة البناء أو في الزخرفة أو في الكتابات و النقوش التي تزين هذه المباني فهي بخط أندلسي .

إن بلاد الأندلس و رغم ما أصابها من محن و مصائب خاصة في مرحلتها الأخيرة إلا أنها حققت تطورا حضاريا كان الفضل للأندلسيين في نقله الى معظم مناطق العالم الإسلامي مغربا و مشرقا .

الملاحق

الملحق رقم: "1"

استغاثة أهل بلنسية بصاحب إفريقية أبي زكريا بن أبي حفص

قصيدة من نظم ابن الآبار القضاعي:

أدرك بجيلك خيل الله أندلسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمتست
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم
وفي بلنسية منها وقرطبة
مدائن حلها الإشرار مبتسما
يا للمساجد عادت للعدا ييعا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا
محا محاسنها طاغ اتيح لها
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما
إن السبيل إلى منجاتها درسا
فلم يزل منك عز النصر ملتتمسا
إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
جدلان وارتحل الإيمان مبتسما
وللنداء غذا أثناءها جرسا
عيث الدبى في مغانيتها التي كبسا
ما نام عن هضمها حين لا نعسا
ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا.

استجابات إسلامية لصرخات أندلسية ص75.

رسالة من لسان الدين ابن الخطيب باسم السلطان الغني بالله الى السلطان الحفصي أبي إسحاق.

المقام الإمامي الإبراهيمي المولوي المستنصري الحفصي ،الذي كرم فرعاً و أصلاً ، و شرف جنسا و فصلاً ، و تملى في ظل رعاية المجد ، من لدن المهدي ، كرمًا وخصلاً ، و صرفت متجرد الأعلام ، إلى مثابة خلافته المنصورة الأعلام ، وجوه عبارة الكلام فاتخذ من مقام إبراهيم مصلى ، مقام مولانا امير المؤمنين الخليفة الإمام أبي إسحاق ابن مولانا أبي يحيى أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين ، أبقاه الله تعالى مهوي إليه الأئمة كلما انتشت بذكره ، وتنافس الألسنة في إحراز غاية حمده و شكره ، وتتفل الأقدار بإنفاذ نهيته و أمره ، وتغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوه وعمره ، و يتبرع أسمر الليل و أبيض النهار بأعمال بيضه و سمره ، و لا زال حسامه الماضي يغني يومه في النصر عن شهره ، و الروض يحويه ياسم زهره ، و يرفع إليه رقع الحمد بينان قضبه الناشئة من معظم نهره ، وولي الدنيا و الآخرة يمتعنا بهما بعد الإعانة على مهره ، يقبل بساطه المعوّد الاستلام بصفحات الحدود ، الرافع عماده ظل العدل الممدود ، عبد مقامه المحمود ، و وارد غمر إنعامه غير المنزور ولا المثمود ، المثني على نعمه العميمة ، و منحه الجسيمة ، ثناء الروض الجود ، على العهود، ابن الخطيب ، من باب المولى الموجب حقه ، المتأكد الفروض ، الثابت العهود ، المعتد منه بالود الجامع الرسوم و الحدود ، و الفضل المتوارث عن الآباء و الجدود ، يسلم على مثابتها سلام متلو على مثلها إن وجد المثل في الثاني ، و يعوذ كمالها بالسبع المثاني ، ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشديد المباني ، و تيسير الأماني ، و ينهي إلى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة بمناسبة التوحيد ، المستولية من مدارك الآمال على الأمد البعيد ، أن مخاطبتها المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا ، مزعفرة الحلل و الحللى ، ذهبية المجلى ، تفيد العز الملكين ، و الدنيا و الدين ، و ترعى في الآباء و البنين ، على مر السنين [صفراء فاقع لونها تسر الناظرين] (البقرة:69) و قد حملت من مدحها الكريم ما أخفى للمملوك من قرّة عين ، و درة زين ، جبين الشرف الوضاح ، و مستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصراح ، و الغرر و الأوضاح ، و الأرج الفواح ، فاقتنى دره النفيس ، ووجد المروع في جانب الخلافة التنفيس، و قراه لما قراه التعظيم و التقديس ، و قال [يا أيها الملاء إني ألقى إلي كتابك كريم]

(النمل:29) و إن لم يكن بلقيس ، أعلى الله تعالى تلك اليد مطوقة الأيادي ، و مخجلة الغمام و الغواذي ، و أبقاها عامرة النوادي ، غالبية الأعاذي ، و جعل سيفها السفاح و رأيها الرشيد و علمها الهادي ، و وصل ما ألطف به رعيها من أشتات بر بلغت ، و موارد فضل سوغت ، أمدتها سعادة المولى بمدد لم يضر معه البحر الهائل ، و ال العدو الغائل ، و أقام أودها عند الشدائد الفلك المائل ، لا بل الملك الذي له إلى الله الوسائل ، و حسب الجفن رسالتكم الكريمة لحظاً فصان و أكرم ، و عودة فتعود بها و تحرم ، و تولى الملوك تنفيق عروضها بانشرح صدره ، و على قدره ، فوقعت الموقع الذي لم يقعه سواها ، فأما الخيل فأكرم مثواها ، و جعلت جنان الصون مأواها ، و لو كسيت الربيع المزهر حلا ، و أوردت في نهر الحجره علماً و نهلاً ، و قلدت النجوم العواتم صحلاً ، و مسحت أعطافها بمنديل النسيم ، و ألحفت بأردية الصباح الوسيم ، و افترشت لمرابطها الحشايا ، و أقضمت حبات القلوب بالعشايا ، لكان بعض ما يجب ، لحقها الذي لا يجحد فضله و لا يحتجب ، و ما عداها من الرقيق و الفتيان ، رعاة ذلك الفريق تكلفه الاستحسان و أطنب الاعتقاد و إن قصر اللسان ، تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر أما ما يختص بالمملوك فقد خصه بقبوله تبركا بتلك المقاصد التي سددها الدين ، و عددها الفضل المبين ، و أنشد الخلافة التي راق من مجدها الجبين:

من بحر جودك و هو ملتطم الثبج

قلدتني بفرائد أخرجتها

مما يلائم لوئها قطع السبج

و رعيت نسبتها فإن سبيكة

و المملوك بهذا الباب النصري أعزه الله تعالى على قدم الخدمة ، و قائم بشكر منة لكم نعمة ، و حاضر في جملة الأولياء بدعائه و حبه ، و متوسل في دوام بقاء أيامكم و نصر أعلامكم إلى ربه ، و إن بعد بجسمه فلم يتعد بقلبه ، و السلام الكريم ، الطيب البر العميم ، يخصها دائما متصلا و رحمة الله تعالى و بركاته . انتهى

- المقري ، نفع الطيب ص 131 .

الرسالة من انشاء ابن خطاب عن عثمان بن يغمراسن جوابا على رسالة من سلطان

غرناطة معزياً و مهنتاً للأمير عثمان و مؤكداً على استمرار المودة بين الطرفين.

(... أخونا الذي ابرمنا عقد اخوته في ذات الله اشد الإبرام , و صفينا الذي لا تحيل صفاءنا له حوادث الأيام , ولا تزال محبتنا تنمي على الاتصال و الدوام, الأمير الجل الأعز الأسنى الأرفع الأسمى الأجد , الأسعد الأوحده , الأطهر الأشهر الأكبر , الأحفل المظفر الأمضى الأعدل الأفضل, المعظم الموتر الأخلص الأصفى الأكمل , أبو عبد الله بن الأمير الأجل الأعلى الأعز الأسنى الأرفع الأجد الأسعد الأوحده الأطهر الأشهر الأكبر الأحفل الأرضى , المؤيد الأمضى الموقر المقدس المرحوم أبي عبد الله ابن نصر , وصل الله أسباب سعده و إسعاده , و عرفه من صنعه الأجل و عونه الأكفل و عضده الموصول بالمستقبل ما يزيد على عاده, معظم امارته الجليلة , العليم بما لها من المآثر الجليلة, العليم بما لها من المآثر الجميلة , المردد لمحامدها العريضة الطويلة , المبتهج بما يسني الله لها من مساعدة الأقدار الميسرة للأوطار المنيلة الأمير عثمان بن الأمير أبي يحيى يغمراسن بن زيان , سلام كريم عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته.

وبعد حمده الله مقدر الآجال , المحمود على جميع الأحوال , الحكيم الذي لا يرد قضاؤه , الكرم الذي وسع الأمة عطاؤه , قبل الاستنجد و السؤال, و الصلاة على محمد رسوله الذي انقذنا بهدايته من مهاوي الظلال, و علم و بصر و بشر و حذر و أوضح سبيل الرشد, و أعلمنا ان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد , فشفى بتعليمه و إعلامه القلوب من الاعتلال , و على اله و أصحابه ارباب اليقين , الفائزين في نصرة الدين بأشرف السوابق و أفضل الأعمال .

فكتبناه كتب الله لكم إعلاء الأمرة , و خولكم من هيئات العضد في الحل و العقد ما بيني عما لكم لديه من عظيم الأثرة , من تلمسان حرسها الله , وفضل الله تصفوا مشاريعه , وتصفوا مدارعه , وصنعه الأجل تتلاحق طلائعه , و الحمد لله كثيراً , وإخاؤه الكريم عقده وثيق , و وجهه سافر أنيق , و

الوفاء بأدمته المؤكدة لا يسلك غير طريقه طريق , ولا يتخذ غير فريقه فريق و التعظيم لجنابكم الرفيع
موصول ابدا , موقى قولاً و معتقداً , و إنه بكم لحقيق , و الشاء على مجدكم الأشهر و فضلكم الأوفر
مرسل العنان طليق, و الله يصله في ذاته بمنه. و إلى هذا وصل الله سعدكم فإنه وصل كتابكم الخطير
ينصع بيانا, و يجلو من مصافاتكم صوراً جسانا , و عزيتم في المولى الوالد المقدس المرحوم رضي الله عنه و
جدد الرحمة عليه تعزية مثلكم من الإخوان الذين تلاقى قبل الجسوم قلوبهم , و لم يكن إلا التواخي في
ذات الله مطلوبكم, و إنه لرزء لدينا جليل شغل الخواطر , لكن إذا كان الأسف لا يغني , و الوجد لا يرد
الفائت و لا يثني ,فالتسليم لحكم الله أولى بالمؤمن و أجدر , و ثوابه في التزام الصبر أجزل و أوفر , و
ذكرتم ما أصابكم لفقده من التفجع ,ونالكم من مصابه من التألم و التوجع , و كذلك الصفي يتوجع
لذهاب صيفه , و يتأسف لسماع نعيه , ولأن كنتم فقدتم محل والد لقد أبقى لكم منا محل أخ معاضد
, في كافة الأحوال مساعد, يقاسمكم في المر و الحلو , و يوردكم من موارد مصادقته في النمير الصفو ,
و هنأتم وصل اله سعدكم , بما هياً الله من الخير بأن حلنا في محل إمارته , و ملكنا زمام إيالته و إرادته
, و نحن نقبل الميسر من شكر الله تعالى بما نرجو أن يكون قيذا لأنعمه , و كفاءً لمنه الجزيلة و كرمه , و
لا نشك بودادكم الأصفى , وكمالكم الذي أدلته بينة لا تخفى , أنكم تأخذون من أحوالنا بالقسم
الأوفر و الحظ الأكبر, بارك الله فيكم من أخ جليل في الأمراء , مساهم لنا في السراء و الضراء ,أصفى
لنا المحبة و أصفيناها له , و طابقت أقوله في الكرم أعماله, و اعتذرتم بمقتضى الفضل الذي طبعتم على
سجيته, و تميزتم بمزيتة عن تأخر كتبتم إلينا, و قد تقرر بيننا و بينكم من خلوص السر و الجهر ما لا
يحتاج معه الى تكلف العذر ,فإننا ننظر الى كل ما يصدر عنكم بعين الرضى , و نقيس مستقبل حالكم
في الوفاء على ما تيقنا فيما مضى ,بجل الله , و هو تعالى يديم سعدكم ,و يحرس مجدكم, و يضاعف
صنائعه الكريمة عندكم ,و السلام.)

أحمد عزاوي المرجع السابق ص: 16

ظهير زياني لفائدة الأندلسيين اللاجئين إلى تلمسان

هذا ظهير عناية مديد الظلال , وكرامة رحيية المجال , وحماية لا يخشى على عقدها المبرم و عهدتها المحكم من الانحلال و الاختلال , امر به فلان أيد الله امره و أبد عصره , لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان - حرسها الله - أحلهم من رعيه الجميل أكناًفأ , و بوأهم من اهتمامه الكريم جنات ألفافأ , و وطأ لهم جناب احترامه تأنيساً لقلوبهم المنحاشة إلى جانبه العلي و استيلاًفأ , وأشاد بما له فيهم من المقاصد الكرام , وأضفى عليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم من الجد و الاجتهاد , و اطلع على أغراضهم السديدة في اختيارهم حضرته السعيدة للسكنى على سائر البلاد , فلحظ لهم هذه البنية و اعتبرها , و أظهر عليهم مزايا م لهم من هذه المناحي الحميدة و اثارها , و أذن - أيده الله لهم و لمن شاء من أهل تلمسان البلديتين في كذا

الملحق رقم: "5"

رسالة من السلطان الغني بالله محمد الخامس، ابن السلطان ابي الحجاج يوسف الأول، إلى السلطان ابي عنان فارس المريني، في شأن الشفاعة للفقير قاضي الجماعة بفاس، الشيخ محمد بن محمد بن ابي بكر لقرشي المقرني.

المقام الذي يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة، وينجز العدة ويتم الفضيلة، ويضفي مجده المن الجزيلة، ويعي حمده الممدوح العريضة الطويلة. مقام محل والدنا الذي قصده، وأعجز الألسنة حمده. السلطان الكذا (أبي عنان فارس) ابن السلطان كذا -أبي الحسن علي-، ابن السلطان الكذا (أبي سعيد المريني) أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها، وشفاعة يكرم مسعاها، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها. معظم سلطانه الكبير، ومجد مقامه الشهير، المشيع لأبوته الرفيعة قولاً باللسان واعتقاداً بالضمير، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى والولي النصير، فلان (السلطان الغني بالله محمد الخامس، بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، ابن الأحمر).

سلام كريم، طيب بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، وأبوتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلاً على عنايته بمن حلاه حلاها، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها، حمداً يكون كفوفاً للنعم التي أولاهها، وأعادها ووالاهها. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترفى درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها. والرضا على آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها، وعسل ذكرهم في الأفواه فما اعذب اوصافهم على الألسن وأحلاها. والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى وعلاها، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلاع الثنايا وابن جلاها، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها، فانا كتبنا إليكم -كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء، وقلدكم من قلائد مكارم الأخلاق ما

يشيد لذاتكم منه وبسابقة الاعتناء- من خمراء غرناطة، حرسها الله والود باهر السنأ، مجدد على الأناء،
والتشيع رحب الدسبعة والفناء.

وإلى هذا، وصل الله تعالى سعدكم، وحرس مجدكم -فأنا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن
الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقري خا اله تعالى لنا وله، وبلغ الجميع من فضله العميم
أمله، جوابا عما صدر عن مثابكم فيه فيه من الإشارة الممتثلة، والمآرب المعملة، والقضايا غير المهملة،
صادركم بالشفاعة التي مثلها بأبويكم لا يرد، وظماها على نهل قبولكم لا تحلاً و لا تصد، حسبما سنة
الأب الكريم والجد، والقبيل الذي وضع منه -في المكارم- الرسم والحد. ولم نصدر الخطاب حتى ظهر
لنا من أحواله صدق المخيلة، وتبلج صبح الزهادة والفصيطة، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى
البخيلة، وظهر تخيله عن هذه الدار، واختلاطه باللئيف والغمار، وإقباله على ما يعني من مثله من صلة
الأوراد ومداومة الاستغفار. وكنا لما تعرفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره، والفضل أبرزه للعيان
وأظهره، أمرنا أن يعنى بأحواله، ويعان على فراغ باله، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشرعية
وصريح ماله، وقلنا أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا
السبب، وقعد بمحضرتنا(غرناطة) مستور المنتقى والمنتسب، وسكن بالمدرسة بعض الاماكن المعدة لسكنى
المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه، ولم
تتحقق زوائده، أصوله لقلة تصريفه ثم تلاحق إرسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة، وعرضت على
سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة. وقررنا ما تحققناه من أمره، وانقباضه عن
زيد الخلق وعمره، واستقباله الوجه التي من ولى وجهه شطرها وقد آثر أثيراً، ومن ابتاعها متاع الدنيا
بسهمه، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه، ويعول
البرئ على فضله ويثق المذنب بحلمه. فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان وهو أرب من أراب، وفائدة
من جراب، ووجه من وجوه عراب، فرأينا أن المطل بعد جفاء، والإعادة ليس يثقلها خفاء، ولجحدكم بما
ضمنا عنه وفاء، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله.
وأن يقتضى له ثمرة المقصد، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق أن قصد، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق

بجانب الله من مثلكم حاصلًا، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً، وطالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصلاً، ولما مدت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها أبدأً يحرص، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض. فكلّموا -أبقاكم الله- ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب، والحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصح حديث في الباب، ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب، وقصد غافر الذنب قابل التوب بإخلاص المتاب، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب، وأظهروا عليه عناية الجناب الذي تعلق به -أعلق الله به يدكم- من جانب، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لديكم غير مكملة الآراب، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بما أحمد المناب، ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، وهما فلان وفلان -أبو القاسم السبتي وأبي البركات البلفيقي- ولولا الاعذار لكان في هذا الغرض أعمال الركاب، يسبق أعلام الكتاب. وأنتم تولون هذا القصد مكن مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل، ويربى على التأمل، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل، وهو سبحانه يبيدكم لتأييد المجد الأثيل، وإنالة الرغد الجزيل، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى، ومثابتمكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته.

كناسة الدكان بعد انتقال السكان ص 199.

الملحق رقم: "6"

رسالة من سلطان الأندلس يوسف الأول الى سلطان المغرب أبي عنان , في مناسبة فتح تلمسان , و قد حملها إلى أبي عنان أحد ممالك أبي الحجاج .

((المقام الذي طيب الأفواه , و طرزت صحف الحمد أنباؤه , و زينت بكواكب المفاخر و المناقب سماؤه , و سما على أساس الملك الأصيل بناءه , و اشتهر اهتمامه بالمكارم و اعتناؤه . مقام محل أحنينا الذي بره محتوم الوجوب , و حبه مرسوم في أسرار القلوب , و سعه كفيل للإسلام بنيل المطلوب , و مآثر تشهد بها صفوف المحارب و مصاف الحروب , السلطان الكذا ابن ابن ابن . أبقاه الله يمهّد قواعد الملك الرفيع و يثبتها , و يرغم كتائب الأعداء و يكتبها , و يفرق جموع الكفر و يشتتها , و يتقبل الأعمال الودية بقبول حسن و يبنتها , و لا زال معصوما بوقاية الله من كل حادث , معصوبا منه حق الدين بأقرب وارث , معزراً منه قمر السماء بثالث معظم مقامه الجاري من التعظيم له على منهاج , الصادع بحجة التشيع فيه يوم تباري الحج , المستند من تأميله إلى المقدمات مجد صادقة الإنتاج , المبتهج بما يسنيه الله من أسباب سعادته كل الابتهاج .

أما بعد حمد الله الذي أطلع في أفق الإسلام من أنوار اياتكم المنصورة الأعلام صباحا , و ملأ بها العيون قرة و الصدور انشراحا , فجياد الآمال تزهى نشاطا و مرحا , و أعطاف المكارم تبدي اهتزازا و ارتياحاً , و الإسلام يستأنف عزا صراحا , و يحمد مغدا في ظل الأمان و مراحا , و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد رسوله الذي أطلع في سماء الهدى بدر لياحا و نورا وضاحا , و كانت رسالته المؤيدة بالحق لأبواب السعادة الأبدية مفتاحا , فبذكره تفرع أبواب الرغبات تيمناً , و استنجاحا , و بجاهه نتوسل استنوالا لرحمة الله و استمناحا , و في مرضاته نصل الوداد سدادا لأمته و صلاحا . و الرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا غيوثا كلما سئلوا سماحا , وليوثا كلما شهدوا كفاحا , الباذلين في نصره اموالا وأرواحا , المعلمين في مظاهر أمره غرائم راضية و مناصل ماضية و رماحا , حتى أدوا إلينا سنته حسنا

أحاديثها و صحاحا. و الدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذي يضى على الدين الحنيف جناحا ، و الصنع الذي يعم البسيطة وهادا و هضابا و بطاحا ، و لا أزال رأيه و علمه منصورا و سيفه سفاحا - فانا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عزا باذخا ، و سعدا ساميا شامخا، و ملكا راسيا راسخا ، من حمراء غرناطة - حرسها الله - و صنع الله باد ، و لطفه جل و علا متماد ، و التشيع في مقامكم العلى لا يحتاج مسلمة إلى استشهاد و لا يفتقر حاصله إلى إعادة و لا ترداد ، و جنابكم - بعد الله - هو المعتمد إذا اضطر إلى إعانة جهاد أو التماس أفراد.

و إلى هذا - عرفكم الله عوارف السعادة جملا و أفذاذاً ، و كما جعلكم في مهمات الدين ملاذا، و من وقع الخطوب عيادا- فقد علم و تقرر، و تأكد و تحرر، و وضح و ضوح الصباح لمن أبصر، ما عندنا من الود الذي تألق نوره، و ثبت في صحف الخلوص سطوره، و خلصت من الشوائب بحوره، و تحلت بجواهر الصفاء نحوره، فهو- على الايام- يخلص خوص الابريز، و تصفو حله موقنة التطريز، و تتحصن مضمراته من معاقل الاعتقاد الجميل بالمحل الحريز، و تنصتصب حقوقه الجملة للعيان مع الاحيان على التمييز. و كيف لا تحل الكرائم صنعائكم من متبواً الشكر بالمحل المغبوط، و تتلازم موجبات الثناء على ملككم الرفيع البناء تلازم المشروطات مع البرود المذهبة و المروط... و أن كنا لا نسوف الإمكان بهذا الغرض الحرى بالتقديم، و لا نغفل صلة الحديث بالتقديم، و لا نبرح عن التكميل له و التتميم- قد جعلنا ذلك شأننا، و استشعرنا سرراً و إعلاناً، و شغلنا به لسانا و جنابا ، فودنا على الاستكثار حريص، و له مع المفهوم تنصيص ، و غرضنا لو تستنفذ الأوقات في فروض بر تقضى، و اغتنام ملاطفة ترضى ، و استحات مراسلة تنفذ و تمضى. و لأجل ذلك رأينا أن أوفدنا على بابكم من يجدد عهدنا بأبناء ذلك المقام السعيد المطالع، الرفيع المصاعد ، و ينتهي إليها عنه إن شاء الله قرّة العيون و سرور المسامع ، و يشافهنا بما يتأكد قبله من نعمة الله سائغة، و منة منه سائغة ، و موهبة بالغة.

فنشاركه في الشكر على فضل الله المترادف ، و سيره البادئ و العاكف، و نسأله له صلة ما عود من اللطائف، و نرى أن ما ينشأ بتلك السماء من غيث فضله عائد على هذه الآفاق، و أن ما يرومه من تمهيد الافطار و تأمين الرفاق، ذريعة إلى الجهاد فيها و تخليد الأثر الباقي. هياً الله له من حلل العز ما

يستأنف لباسه، ومن مصانع الصنع ما يمهد اساسه، وينسى به قومه الكرام وناسه، وأباقه لفخر فاش، وحمد يشى حلته واش، وفضل لا يختلف عليه راكب في الأرض ولا ماش. فبعثنا في هذه مولى نعمتنا ((غالباً)) . وصل الله له -بالوجهة على بابكم- أسباب الوجاهة، وحفظ عليه لباس الحظوة والنباهة. وألقينا إليه في هذا المعنى ما يجري إلى غايته القصوى، وجلالكم الذي مآثره تروى، ومكارمه نردها إليهم فتروى. يعلم أننا جعلنا بين يدي حركتكم السعيدة فالاً، فيوليه قبولاً وأقبالا، وينعم بالإصغاء إليه على عادته التي راقت جمالا وفاقت كمالا، فسح الله في السعد مجالا، وجعل له النصر مثالا، والسلام العطر رياه، والرائق محياه، المعتمدة بالرحمة والبركة أسحاره وعشاياه، يخص مقامه الذي كرمت خصائصه ومزياه، وطابت شمائله الزكية وسجاياه، ورحمة الله وبركاته.

وفي مدرجه: يا مجل أحنينا، وصل الله بقاءكم، ووالى في سماء السعد ارتقاءكم حملنا ادلال ملك الود مقادته، وكفل الخلوص ابداءه وإعادته، أن وجهنا إلى بابكم العلى وصل الله اسعاده، وفسح في العز آماده، وما جرت العادة ان يتفضل بقبوله من الفاكهة المعتادة، اعتمادا على اغضاء تلك المجادة. ولما تعرفنا حركتكم التي تستقبلون بها- ان شاء الله- وجوه السعادة، وجهنا معها ما امكن من الدواب البغلية، مما عسى أن يسعد بخدمة مثابكم العلية، على سبيل السمع وسنة الهدية. ولو وقع في الهدايا الاعتبار، ولوحظت الأقدار، لم يوجد في الوجود ما يتعين لذلك المقام الكريم هدية، ويسلك من مكافأة فصله سبيلا سوية وان قصر العمل فما قصرت النية(السلام).

كناسة الدكان بعد انتقال السكان ص 95.

الملحق رقم 7:

رسالة من يوسف الأول الى أبي عنان فارس المريني يشفع بها لصالح الفقيه ابي عبد الله

بن مرزوق التلمساني:

المقام الذي ظلل فضله ممدودة ، وينايع جوده مورودة وأبواب مثابته مقصودة ، وحركات اقباله مرصودة ، وكتائب نصره مؤيدة معصودة ، وجواهر فخره على ترائب الزمان منسوقة منضودة ، مقام محل أحنينا الذي نصل الثناء على معاليه ، و نقتص نتيجة النصر من مقدمة وعده و تاليه ، و نردد مفصل حمده و نواليه على استمرار الدهر و وتواليه ، و نبتوعد العدو و الكافر به و بمن يواليه ، و نندره بجلول الأثار العلويه عند نسيم بوارق عواليه . السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن علي ، ابن السلطان أبي سعيد المريني . ابقاه الله مقصود الجناب واصلا لمتين الأسباب ، تحي استة كتائبه رسوم ألسنة و الكتاب ، و تتكفل عزائمه للإسلام و أهله بنيل الطلاب و بلوغ الأراب ، ولا زال سعده مقبل الشباب مفتاح الأبواب ، و صنع له الله انيق الأنواب ، و مراقبته لله تعالى كفيلة بالزلفى و حسن الماب . معظم منابعه العالية و درجاته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثنى على مكارمه الواقية و فواصله الكافية ، الداعي لملكه باتصال العز و توالى العافية . الأمير عبد اله يوسف ، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، بن فرج بن نصر .

سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الأعلى ، و منابتكم الفضلى ، و رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله ، و الثناء عليه بمتواتر جوده و مترادف فضله ، الذي نمحض الود الخالص من أجله ، و نصل اليد على دفاع من حاد عن سبله ، و نخلص الضمائر لإعلاء دينه الحق و جمع شمله . و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد نبيه و رسوله خيرة أنبيائه و خاتم رسله ، الذي نعول على جاهه في الامر كله ، و ناوى في الدنيا و الآخرة الى ظله . و نجعل المودة في ابتغاء مرضاته وسيلة الى كريم محله . و الرضا على آله و أصحابه و أنصاره و أحزابه و أهله ، المقتدين به في قوله الكريم و فعله المهتدين بهديه في ظعنه و حله ، و عقده و حله ، المستمسكين بمتين حبله ، و الدعاء لمقامكم الأعلى

بنصر يعضى في الأعداء شبا نصله ، وصنع يتكفل للإسلام ببسوق فرعه و ثبات أصله . فانا كتبناه اليكم - كتب الله لكم سعدا تطلع به في أفق الاسلام كواكبه و نصرا تسطر في صحف الأيام عجائبه ، و صنعا الاهيا يعرف بالحاضر منه غائيه ، و اعتناء تيسر به آمال الدين الحنيف و مطالبه من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، و عندنا من التشيع لمقامكم عقائد بواطنها بالطواهر معضودة ، و أوقاتها بما برضى الله عز و جل مشهود ، و آمالنا بالاعتداد بكم ظلالها ممدود ، و جهاتنا بتأميل مقامكم أبواب المخاوف عنها مسدود . أبقاكم الله بقاء يشرح صدر الإسلام ، و تتهلل له وجوه الأيام ، و حكم ملككم على أعدائه بثبات الأقدام ونصر الأعلام .

و الى هذا ، فاتنا بعد أن نقدم الواجب الأولى ، و المهم الذي لا نؤثر على تقديمه قولا ، من السؤال عن أحوال ذاتكم السنية ، و تقرير التشيع الى تلکم المثابة السلطانية ، و بث ما عندنا من خلوص الضمير و أمحاض النية نعرفكم عرفكم الله أسباب السعادة الأبدية ، و نصر بعزوماتكم طائفة الأمة المحمدية ، و نفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية أن الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبا عبد الله بن مرزوق و صل الله عزته ، و يسر وجهته لما ورد علينا ، و استقر لدينا و هو جملة من جمل الفضل ، و المستولى على أمر الحصل ، و فارس المنابر يروض صعابها ، و يفرع هضابها قمنا جهد امكاننا بحقه ، و عرفنا له مزية سبقه ، و اقتدينا بكم و بباكم الكريم في ترفيع قدره ، و المثابرة على بره ، و سوغنا لمستفيد العلم مورد افادته ، و شددنا عليه يد الاغبتاب في ابدائه و اعادته ، اذا هذا القطر المنقطع يتوفر في الاغبتاب بجملة السيوف و حملة العلوم ، هو لألاء . قامه الجهاد المحتوم ، و هو لألاء قامه للدين من الرسوم ، و مع ذلك فلم يقر له بتفريق شمله قرار ، و لا فارقة اليهم حنين و لا اذكار ، و الأوطان لا تفارقها الأفكار ، و الأولاد ثمرة الفؤاد و أفلاذ الأكباد.

و لما صدر فيما تقدم من التماس و صولهم ما لم يهيئه المقدار و لا صحبه الاختيار ، عزم الآن و الله يسنى توقيفه ، و يسهل طريقه على قصد بابكم الكفيل بالأمل ، الضمين لنجاح العمل ، ليحدد العهد بتعظيم مثابته ، و يبيث ما يعانيه بسبب تشتت شمله من كاتبه ، و يياشر الرعية بنفسه ، واثقا بتلبية المقام الكريم و اجابته . و لم يزل منه هذا العزم معمل الركائب مفتح الأبواب ، لا سيما مع ما

تقدم في شأنه من مخاطبة ذلك الجنب ، و كنا نكل الأمر الى اختياره عند ورود الخطاب ، فيعتذر بما قرر من الأمور الخاصة و الأسباب . و الآن أفصح بتغلب شوقه ووجده ، و ارتفاع عذره و استقامة قصده ، و شرع في اللحاق ببابكم الأعلى بغاية جده ، و طلب منا أن نخاطبكم في شأنه ، و نستمطر له من مقامكم سحائب احسانه . و نرغب منكم في تيسير أمله و رغبته ، و اسعاف قصده و نيل طلبته . و مقامكم غنى عن التنبيه على من أشهر بالخلوص له و لسلفه ، و الدعاء الصالح في دياجي الليل و سدفه ، و الشناء الكريم الذي يخل الزهر حين مقتطفه .

فبادرنا الى اسعاف سؤله ، و تيسير مأموله ، و تسهيل سبيله ، و ترجيح دليله ، اذا هذه الجهات الودية لا يختلف كما ذكرنا حكمها ، و ال يعفو في المودة رسمها . و عرفنا مقامكم بذلك ليكون منه على علم مقرر ، و أصل محرر . و نحن على ما يعلمه مقامكم من التعظيم الذي أسبابه مبرمة ، من التشيع الذي آيته محكمة ، و الود الذي حلله مطرزة معلمة مقامكم العلى سؤال ، و في تسنى آماله بحول الله آمال . و هو سبحانه يصل سعودكم ، و يحرس وجودكم . و السلام الكريم عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .

و كتب في الرابع و عشرين لرجب الفرد من عام أربع و خمسين و سبعمائة عرف الله بركته.

كناسة الدكان ، المرجع السابق ، ص 123 .

رسالة من الغني بالله النصري إلى المنصور أحمد المملوكي من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب رسالة من الغني بالله صاحب الأندلس إلى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من إنشاء الوزير الكبير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من أحوال الأندلس ونصها: " الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، وتستدر من آفاقها سحائب النعماء، وتجلي بأنوار سعدها دياجي الظلماء، وتعرف نكرة البلاد، والعباد بالانتساب إلى محبتها والانتماء، على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء، ويجتزأ من صلوات صلاحها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء، وتحمل لها التحية ذوات الدسر والألواح طاعتنا نحر الصباح على كتد الماء أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد الأسعد، الأصعد الأمجد، الأعلى العادل، العلم الفاضل الكامل، سلطان الإسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر ليالي والأيام، ملك البريين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمن الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار، الملك المنصور ابن الأمير الرفيع الجادة، الكريم الولادة، الطهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم الممجد، الأسمى، الموقر الأعلى، فخر الجلة، سيف الملة، تاج الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام، قمر الميدان، أسد الحرب العواني، المقدس المطهر، الأمير أحمد ابن والد السلاطين، ومالك المسلمين، وسيف خلافة الله على العالمين وولي المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم الرأس العج والثج، محي معالم الدين، قانع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمردين، ناصر السنة، محي الملة، ملك البريين البحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل، العالم العامل، المنصور المؤيد المعاني المرفع المعظم المبجل المأمل، المجاهد المرابط المغازي الممجد المكمل، المطهر الكبير الشهير، المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالح، جعل الله فسطاط دعوته معمودا بمعمود الصبح، وحركات عزمه مبينة على الفتح، ومجمل سعادته غنيا عن الشرح، وجياد أوصافه متباريتا في ميدان المدح، وزناد رأيه وأرية القدح، من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرر

بين السلف رحمهم الله بالأمس، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله الغني بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر. سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه أزاهير الأدواح، ويحاسن طرر الوجوه الملاح، يخص أبوتكم التي رتب العز فضولها، وعضدت نصوص النصر نصولها، ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن، وخاتمة دعاء أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الإنسان، ملكتي القلب واللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذي أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان، وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوي له فكان الخير وقيق العيان، والرضا عمن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والإخوان، صلاة يجدها الجديان، ويمليها الملوان وتتزاحم على تربيته المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الأفنان، والتفتت عيون المعاني ما بين أجفان البيان، والدعاء لأبوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الأذان، واستخدم بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام الأنصار والأعوان، حتى يعلم ما في المدافعة عن حماها مخالف السرحان، وفي الإشادة بعدلها كفتي الميزان، ويهدي لها من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشأن، إلى يوم تعنوا وجوه الملوك إلى الملك الديان وفإننا كتبناه إلى تلك الأبواب، كتب الله لعبتها النصر الداخلة، كما أحجل بمكارمها السحب الباخلة، وجعل مفارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة، وقرن بكل سبب عن أضدادها، من دار ملك الإسلام بالأندلس الحمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها! وشد بأيدي اليقين عرى أملها في الله ورجائه!- حيث المصاف المعقود، وثمان النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعمم، والسيف قد تجرد وتيمم، وغبار الجهاد يقول: أنا الأمان من دخان جهنم حيث الإسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوسق العير، حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها، والأبطال يعلو التكبير مسمع ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم

بدمائها، وإن هذا القطر الذي مهدت لسياستنا أكار مطاياها، وجعلت بيدنا-والمنة لله-عياب عطاياها، قطر مستقل بنفسه، مرب يومه في البر على أمسه، زكي المنابت عذبت المشارب، متم المآمل مكمل المآرب، فاره الحيوان، معتدل السحن والألوان، وسيطة في الأقاليم السبعة، شاهدة لله بأحكام الصنعة، أما خيله ففارهة، وإلى الركض شارهة، وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة، وأما أسله فمتدركة الخطف، وأما عوامله فبينة الحذف، وأما نباله فمحدورة القذف، إلا أن الإسلام به في سفظ مع الحيات، وذريعة للمنيات الوحيات، وهدف للنبال، وأكلة للشبال، تطعمهم الغارات المتعاقبة، وتخيفهم الحدود المصاوبة، وتجوس خلالها العيون المراقبة، وتريب من أشكال مختطهم إلا أن يتفضل الله بحسن العاقبة، فليس إلا الصبر، والضرب الهبر، والهمز والنبر، والمقابلة والجبر، وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم، وأساءة علتهم، يقومون بهذا الفرض، عن أهل الأرض، ويقرضون ملك يوم العرض، أحسن القرض، فلا ولا بعد المدى، وغول الرضى، ولغظ العدى، وما عاد مما بدا، لسمعتهم تكبير الحملات، وزئير تلك القلات، ودوي الخوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر، وصراخ الثكالى، وارتفاع الأدعية إلى الله تعالى، ولولا ارتفع هذا المكان، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتم مقل الأسنة الزرق، حالة من أطراف قصب الرماح ما حال الورق، وأبصرتم القنا الخطار قد عاد اخلت، والسيوف قد صارت فوق بذور الخوذ أهلة، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة المستقلة، وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدقة سور الفتح، وآخر ولاء ذلك المنح, عرض على الفاروق فاحتاط، وأغرى به من بعد فاشتاط، وسرحت خيال ابن أبي سرح، في خبر يدعوا إلى شرح، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت، وقضمو ما أنضجت ورثة الحق وشوت، ويدهم على الأمر احتوت، وفازت منه بما نوة، نفل ولأئده الوليد، وجلب له الطريف والتليد، وطرفة خيل طارق، وضافت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التي منها المائدة، ثم استرسل المهيب، ونصر الرب، ويكثر الطير، حين ينتثر الحب، وصرفت أشرف الشام أعنتها إلى التماس خيره، وطارت بأجنحة الزائم تيمنا بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بين بشر وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح الفال، ووسمت الأغفال، وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة، واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطى وخضد الأرتى وأركب وأمط، واستوثق

واستوسطى، وتشاءب وتمطى، حتى تعددت مراح البريد، وسخنت عين الشيطان المرید، واستوسق للإسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق، رفیع العمدة، بعيد الأمد، تشهد بذلم الثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوداق والأمطار، وهل يخفى النهار؟ ولكل هبوب ركود، والدهر حسود لمن يسود، فراجعت الفرنج كرتها، واستدركت معرفتها، فدوكت جوارحها وحلقت، وأومضت بوارقها وتألقت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعنة وأطلقت، وراجعت العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية، ولا من الليل إلا الناشية، وسقطت الحاشية وأخلدت الفئة المتلاشية، وتقلصت الظلال الفاشية، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا أثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، واخلصوا لله بأسهم وأقدامهم، ووصلوا سيوفهم البراقة بخطاهم، وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز، واشتد بالمدافعة وتميز، وعادت الحروب سجلا، وعلم الروم أن الله رجالا، وقد أوفد جدنا-رضي الله عنه!-على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة، ووجوه به مستبشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت بها في الأعطاف حميا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم في درر النحور، وخفرا في وجوه البذور، فإن ذمام الإسلام موصول، وفروعه تجمعها في الله أصول، وما أقرب الحزن ممن داره صول، والملة-والمنة لله-واحدة، والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحدة، والأقذار معروفة، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، والخواطر فعالة، والكل على الله عالة، والدين غريب والغريب يحن إلى أهله، والمرء كثير بأخيه على بعد محله."

انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

- المقرئ: نفع الطيب-المصدر السابق-ج1, ص321 إلى 32

رسالة من أمير المسلمين أبي عبد الله إلى السلطان الأشرف شعبان من إنشاء لسان

الدين ابن الخطيب

-رسالة من أمير المسلمين السلطان أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن نصر بن الأحمر، صاحب غرناطة -من الأندلس إلى السلطان الأشرف شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من إنشاء الوزير أبي عبد الله بن الخطيب، صاحب ديوان إنشائه، يشير فيه إلى حادثة الفرنج بالإسكندرية، الواقعة في سنة سبع وستين وسبعمائة، وهي:

"الأبواب الشريفة التي تعنوا لعزة قدرها الأبواب وتعتزي إلى نسب عدلها الحكمة والصواب، وتناديها الأقطار البعيدة المفتخرة بولائها، واصله السبب بعلائها، فيصدر بما يشفي الجوى منها الجواب، فإذا حسن مناب عن أمة الهدى، وسباق المدى، كان منها عن عمومة النبوة النواب، وإذا وضفت على العفاة بغيرها أثواب الصلات، ضفت منها على الكعبة المقدسة الأثواب-أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر، الظاهر، الأوحده، الأسعد، الأصعد، الأجمده، الأعلى، العادل، العالم، العامل، الكامل، الفاضل، الكافل، سلطان الإسلام والمسلمين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملكة البريين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمل الأمصار والأقطار، وعاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار، الملك المنصور أبي الفتوح شعبان، ابن الأمير، الرفيع المجاهد، الكريم النبوة والولادة، الطاهر الظاهر، الكبير، الشهير، المعظم، الممجد، الأسمى، الموقر، الأعلى، فخر الملة، سيف الأمة، تاج الإمارة، عز الإسلام، جمال الأيام، قمر الميادين، أسد أجمة الدين، سمام الظغاة والمعتدين، المقدس، المظفر، الأمير أبي علي حسين، ابن السلطان الكبير، الشهير، ملك الإسلام والمسلمين، والد السلاطين، سيف خلافة الله في العالمين، ولي أمير المؤمنين، وظهر الدين، سلطان الحج والجهاد، وكاسي الحرم الأمين، نقيم المعتدين، قاهر الخوارج والمرتدين، ناصر السنة، محي الملة، ملك البريين والبحرين، مقيم رسوم الحرمين الشريفين، العادل، العالم، العامل، الطاهر، الظاهر، الأسعد، الأصعد الأوحده،

الأعلى، المنصور، المؤيد المعان، المرفع، المعظم، المبجل، المؤمل، المجاهد، المرابط، الغازي، أبي عبد الله محمد بن قلاوون، الصالحى أبقاه الله، وقلق الصباح يشهد بكماله، وخدمة الحرمين الشريفين طراز على مذهب على حلة أعماله، .

سلام كريم، بر عميم، كما استودعت الرياض أسرارها، صدر النسيم، وأرسلت مطالع الفجر أنهارها، من بحر الصباح الوسيم يجري، يسري من الطيب، والحمد المطيل المطيب، ، بما استحفظ من الأمانة إلى محل الإمامة، وقوف الحفيظ العليم، يعتمد مشاريع تلك الأبواب الشارعة إلى الفضل العميم، المقابلة لذمام وسائل الإسلام بالصدر المشروح،

أما بعد حمد الله جاعل قلادة الإسلام، على الدوام، أمانة من الانحرام، مفصلة النظام، بجزز المآثر العظام، الآثار. معرف أهلها، في حزن البسيطة وسهلها عوارف الصنع المثار، وإقالة العثار.

القوى العزيز الذي لا يغالب قدره بالاحتشاد و الاستكثار، ولا يبدل غيبه المحجوب، ما عين حكمه الوجوب، في خزائن الاستثثار، حتى تظهر خبيئة عنايته باوليائه، المعترفين بآلائه وبادية للإبصار، فيما قرب وبعد من الاعصار، ورحمته عند الاستغاثة به والانتصار، في مختلف الأقطار والأمصار.

الولي الذي لا تكدر هبات فضله شروط الاعتصار، ولا تشين خطب حمده ضرائر الاقتصار والاختصار.... فأنا كتبناه لثابتهكم السلطانية دار العز لأحمى، و الملك الأشرف الأسمى، والصيت البعيد المرمى، كتب الله لها من عنايته-وقد فعل-أوفر مقاسم النعمى، وجعل غيث نوالها، وحظ جلالها من الله لأنمى، ودامت كواكب سعودها تمزق جلايب الظلما، وأخبار بأسها وجودها، وسعادة وجودها، تهديها على العبد ركائب الدأما، وترفرق بريح ارتياحها أجنحة بنات الماء، من منزلنا المحبور، بسعادة سلطانكم المنصور، وخزى عدوه المدحور، بحمراء غرناطة: دار ملك الجهاد بجزيرة ثغر الأندلس،...وإلى هذا فإننا اتصل بنا ما رامت الروم من المكيدة التي كان دفاع الله من دونها سدا، والملائكة جندا، والعصمة سورا، والروح الأمين مددا منصورا، وأنها استنفذت الوسع في احتشادها، حتى ضاقت اللجج عن أعوادها، وبلغت المجهود في استنفادها، حتى غص كافر البحر بكفارها، يصيح بهم التآليب، ويذمرهم الصليب،

وقد سول لهم الشيطان كيداً ثغر الإسكندرية شجاً صدورهم، ومرمى آمال غرورهم، ومحوم قديمهم، ومتعلل غريمهم، ليهتموا ثغر الإسلام بصدمتها ويقود جنائب الساحل في رمتها، ويرفعوا عن دينهم المعتز، ويتلقفوا في القدس كرة الكرة، ويقلصوا ما امتد من ظلال الإسلام، ويشيموا سيوف التغلب على الشام، ويجولوا بين المسلمين وبين محط أوزارهم، وحجهم ومزارهم، وبيت ربحم الذي يقصدونه من كل فج عميق، ويركبون إليه نهج كل طريق، وقبر نبيهم الذي يطفئون بزيارته من الشرق كل حريق، ويكحلون الجفون بمشاهدة آثاره عن بكاء وشهيق، وشوق بذلك الحبيب خليق، ويقطعوا حبل المسلمين حتى لا يتأتى بلوغ فريق ولا غرض تشريق، والله من ورائهم محبط، وبدمائهم مشيط، وبعبادهم بصير، ولدينه الحق ولي نصير، فما هو إلا أن صمأ جرادهم، وخلص إليها مرادهم، وفاض عليها بجرهم، وظنت أنها الوهبة التي لا ترفع، والمصيبة التي غلتها لا تنفع، واشتعل الباس، وذعر الناس، وأرى الشدة من تدارك بالفرج، وأعاد إلى السعة من الحرج، وأنشأ ريح النصره عاطرة الأرح، ونصر حزب الإسلام من لا غالب لمن ينصره، وحصر العدو من كان العدو يحصره، وظهر الحق على الباطل، والحالي بزينة الله على العاطل، فخرج العدو الخاسر عما حازه والسيوف ترهقه حيث تلفيه، والسهام تثبته وتنفيه، وغرماء كرة الإسلام تستقصي منه دينها وتستوفيه، والحزى قد جلل سباله الصهب، وحناء الدماء قد خضبت مشيخته الشهب، والغلب قد أخضع رقابة الغلب، فكم من غريق أردته دروعه، لما حشي بالروع ورعه، وطعين نظمت بالسهمى ضلوعه، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين، "وكم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين".

ضفت على الإسلام ظلالها، وخطت نعمة اتسع نطاقها ورحب مجالها، ومجلى صنيعه راق عيون المؤمنين جمالها، فاهتزت بها الأرض وربت، وبشكر الله جل جلاله أعربت، واستبشرت النفوس، وذهب البوس، وضفا بمنة الله اللبوس، وظهرت عناية الله بمقامكم، وإقالة عثرة الإسلام في أيامكم فما كان الله سبحانه ليضع لكم خدمة...

المقرئ: صبح الأعشى - المصدر السابق - ج8، ص107 إلى 112.

الملحق رقم: "10"

رسالة الاستغاثة التي أرسلها الأندلسيون على شكل قصيدة شعرية إلى السلطان بايزيد

الثاني سنة 1501 م:

سلام كريم دائم متجدد
أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي دي المجد و العلا
و من ألبس الكفار ثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه
و أيده بالنصر في كل جهة
سلام على مولاي من دار ملكه
قسنطينة أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه
بجند و أتراك من أهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم
و زادكم ملكا على ملة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا
بأندلس بالمغرب في أرض غربة
أحاط بهم بحر من الروم زاجر
و بحر عميق ذو ظلام و لجة
سلام عليك من عبيد أصابهم
مصاب عظيم يا لها من مصيبة
نقبل نحن الكل أرض بساطكم
و ندعو لكم بالخير في كل ساعة
أدام الإله مللكم و حياتكم
و عفاكم من كل سوء و محنة
و أيديكم بالنصر و الظفر بالعدا
و أسكنكم دار الرضا و الكرامة
شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
من الضر و البلوى و عظم الر
غدرنا و نصرنا و بدل ديننا
ظلمنا و عوملنا بكل قبيحة

و كنا على دين النبي محمد
و تلقى أمورا في الجهاد عظيمة
فجاءت علينا الروم من كل جانب
و مالوا علينا كالجراد يجمعهم
فكنا بطول الظهر نلقى جموعهم
و فرسانهم تزداد في كل ساعة
نقاتل عمال الصليب بنية
بقتل و أسر ثم جوع و قلة
بسيل عظيم جملة بعد جملة
بجد و عزم من خيول و عدة
فنقتل فيها فرقة بعد فرقة
و فرساننا في حال نقص و قلة

و انتهت هذه القصيدة بالأبيات الشعرية التالية:

فها نحن يا مولاي نشكو إليكم
عسى ديننا يبقى و صلاتنا
فأنتم بحمد الله خير ملوكنا
فنسأل مولانا دوام حياتكم
و تهدين أوطان و نصر على العبد
و ثم سلام الله تتلوه رحمة
فهذا الذي نلناه من شر فرقة
كما عاهدونا قبل نقص العزيمة
و عزتكم تعلو على كل عزة
بملك و عز في سرور و نعمة
و كثرة أجناد و مال و ثروة
عليكم مدى الأيام في كل ساعة

فتحي زغروت، العثمانيون و محاولات إنقاذ مسلمي الأندلس منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي، دار التوزيع و النشر

القاهرة 2011م، ص 380 .

رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541 م

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على سيدنا محمد النبي الكريم و على اله و صحبه،
يقبل مواطئ الأقدام الشريفة التي ثراها، اذا مر بالعيون المردة أبراهما، ورحاب الأكف الكريمة التي عطاها ،
اذا مر بالأرض المملحة أثرها، أقدام شأها السعي في الخيرات و القربات، و أكف شأها فعل الخيرات و
المكرمات ، أدام الله أيامها ونصر أعلامها ، و أو طاء ركابها أعناق الملحدين و المتمردين ، و أنعشهم في
كل وقت بنصر و فتح مبين ، نسأل الله السلطانية عليه تدور به و تسود، و أن يجعل دائما نسيم الخلافة
العلية في منصب الورثة، و حائز الفضيلة السيئة من خدمة المساجد الثلاثة ، و له ملك مصر و أنهارها ،
و الشام و ديارها ، و الحجاز و شرف مقدارها ، و الى حضرته مجتمع الرفاق من الافاق ، و أليها تحتج
الجسام بالرحلة و الأفئدة بالأشواق ، و على جميع تلك الحضرة العليا لمحاسن الدين و الدنيا ، انعقد
الإجماع و الأصفاق ، مولانا السلطان الملك الأشرف الأضخم الأرفع الأعرف الأعلم الأحلم الأرحم
الأرف ، الأجود الأكرم الأسمح الأعطف، قانع الملحدين و قاطع دابر الطغاة و البغاة و المردة و
المفسدين، ممهّد طريق الحج و العمرة و الزيارة، الفائز بشرف الدين و الدنيا من الجهاد في سبيل الله و
السقاية في المسجد الحرام و العمارة ، مطهر البسيطة من دون فسادها و مظهر آيات الرأفة و الرحمة في
بلادها ، سلطان الإسلام و المسلمين ، عز الدنيا و الدين و ظل الله على الخليقة أجمعين السلطان بن
السلطان بن السلطان، السلطان سليمان بن السلطان سليمان السلطان بايزيد بن محمد خان، مد الله
ظلال النعمة بامتداد ظلاله، و ضاعف لديه مواهب إكرامه وإفضاله، وأدام نجم سعده المنير باهر
الإشراف ، و جعل سهم ضده الحقير لازم الإخفاق، و حفظ بشهب أولياء مجده من مردة النفاق ،
جميع الأقطار و الافاق، فهو الإمام الهمام ، و الأسد الباسل الضرغام ، الذي مهد الله تعالى بدولته
البلاد ، و أمن ببركته إيالته في مسالكها و ممالكها العباد و مزق به ثوب الفساد ، و قطع بسيفه

و أسنانه و بادرتي قلمه الأعلى ولسانه دابر أهل العناد ،فسعد الإسلام بدولته و اعتر دين الله العزيز في مدته، و خمدت نيران البغي بسعادته و امتدت الأماني و شمل الأمان بحسن سياسته ... يا مولانا السلطان البرين و البحرين نصركم الله، المدد لنصرة الجزائر لأنها سياج لأهل الإسلام ، وعذاب و شغل لأهل الكفر و الطغيان ، و هي موسومة باسمكم الشريف ، و تحت إيالة مقامكم المنيف و قد أصبحت القلوب المنكسرة فيها عزيزة، و الرعية المختلفة بها مؤتلفة أليفة ، و طراز رونقها المجاهد في سبيل الله عبدكم الوزير الأجل خير الدين ، الممثل لأوامر مولانا ، و نتاج عز و الدنيا و الدين ، فإنه احيا الوطن ، وجميع النواحي و السكن ، و اربع قلوب الكفار، و خرب ديار المردة و الفجار و أظهر نظام السلطنة العثمانية و احكام مولانا نصره الله حتى تزينت بها الديار والأمصار، فترغب و نطلب من مولانا نصره الله فيمل يراه من إرساله لهذا الوطن ان رءا مولانا صلاح في ذلك فيكون ذلك غاية في الإحسان لجميع أهل لإسلام وقهر و نكاية لحزب الشيطان ، و قد اتفق جمعنا من المسلمين المذكورين على رفع الشكوى إلى مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام لا يزال بالعز موصوف و بالبهاء و النصر محفوف بأن يغيثنا بإرسال المجاهد خير الدين باشا الى الجزائر ، فإنه لهذا الوطن نعم ناصر و جميع أهل الشرك منه خائف و حائر ، و السلام التام على المقام الشريف العالي ورحمة الله. بتاريخ أوائل شهر شعبان أحد شهور سنة ثمان و أربعين و تسعمائة.

فتحي زغروت ،العثمانيون و محاولات إنقاذ مسلمي الأندلس منذ سقوط غرناطة حتى الطرد

النهائي، المرجع السابق ، 367.

رسالة ابن الخطيب إلى ابن مرزوق

ولما أن نأت منكم ديار وحال البعد بينكم وبينى

بعثت لكم سواداً في بياض لأنظركم بشيء مثل عي

(بم أفاتحك يا سيدي، وأجل عددي؟ [كيف أهدي] سلاماً، فلا احذر ملاماً؟ أو أنتخب لك كلاماً، فلا أجد لتبعة التقصير في حقك الكبير إيلاماً؟ إن قلت: تحية كسرى في الثناء وتبع، فكلمة في مرتع العجمة تربع، ولها المصيف فيه والمرع، والجميم والمنيع، فتروى متى شاءت وتشبع، وإن قلت: إذا العارض خطر، ومهما همى أو قطر، سلام الله يا مطر، فهو في الشريعة بطر، وركبة خطر، ولا يرعى به وطن ولا يقضى به وطر، وإنما العرق الأوشج، ولا يستوي البان والبنفسج، والغوسج والعرفج:

سلام وتسليم وروح ورحمة عليك ومدود من الظل سحسج.

(وما كان فضلك ليمعني الكفران أن أشكره، ولا ينسيني الشيطان أن أذكره، فأتحذ في البحر سبباً، أو أسلك غير الوفاء مذهبا، تأبى ذلك - والمنة لله تعالى - طباع، لها في مجال الرعي باع، وتحقيق وإشباع، وسوائم من الإنصاف، ترعى في رياض الاعتراف، فلا يطرقتها ارتياع، ولا تخفيها سباع، وكيف نجحد تلك الحقوق وهي شمس ظهيرة، وأذان عقيرة جهيرة، فوق مئذنة شهيرة، آدت الأكتاد لها ديون تستغرق الدم، وتسترق حتى الرمم، فإن قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرتضيها، ولا نفتنع من عامل الدهر المساعد إلا أن ينفذ مراسمها ويمضيها، وإن قطع الأجل فالغني الحميد - من خزائنه التي لا تبيد - يقضيها، ويرضي من يقتضيها. وحيا الله تعالى أيها العلم السامي الجلال، زمناً بمعرفتك الميرة على الآمال، برّ وأتحف، وأن أساء بفراقك وأجحف، وأعرى بعدما ألحف، وأظفر باليتيمة المدخورة للشذائد والمزايين، ثم أوحش منها أصونة هذه الخزايين، فأب حنين الأمل بخفيه، وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه، ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات، ونستهديه دليلاً في مثل هذه الفلوات، وأي ذنب في الفراق للزمن، أو لغراب الدمن، أو للرواحل

المدجلة ما بين الشام إلى اليمن، وما منها إلا عبد مقهور، وفي رمة القدر مبهور، عقد والحمد لله مشهور، وحنة لها على النفس اللوامة ظهور، جعلنا الله ممن ذكر المسبب في الأسباب، وتذكر ["وما يذكر إلا أولو الألباب"] (البقرة: 269، آل عمران: 8)، قبل غلق الرهن وسد الباب، وبالجملة فالفراق ذاتي، ووعدته مأتي، فإن لم يكن فكأن قد، ما أقرب اليوم من الغد، والمرء في الوجود غريب، وكل آت قريب، وما من مقام إلا لزيال، من غير احتيال، والأعمار مراحل والأيام أميال:

جعل الله تعالى الأدب مع الحق شاننا، وأبعد عنا الفراق الذي شاننا، وإني لأسر لسيدي بأن رعى الله تعالى صالح سلفه، وتداركه بالتلافي في تلفه، وخلص سعادته من كلفه، وأحله من الأمن في كنفه، وعلى قدرها تصاب العلياء، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء.

هذا، والخير والشر في هذه الدار، المؤسسة على الأكدار، ظلان مضمحلان، فقد ارتفع، ما ضر أو نفع، وفارق المكان، فكأنه ما كان، ومن كلمات الملوك، البعيدة عن السلوك، إلا أن يشاء ملك الملوك:

خذ من زمانك ما تيسر واترك بجهدك ما تعسر

وارب مجمل حالة ترضى به ما لم يفسر

والدهر ليس بدائم لا بد أن سيسوء إن سر

وإن الله تعالى في رعيك لسراً، ولطفاً مستمراً مستقراً، إذا ألقاك اليم إلى الساحل، فأخذ بيدك من ورطة الواحل، وحرك منك عزيمة الراحل، إلى الملك الحلال، فأدالك من إبراهيمك سمياً، وعرفك بعد الولي وسيماً، ونقلك من عناية إلى عناية، وهو الذي يقول وقوله الحق: [ما ننسخ من آية] (البقرة-

(-106)

المقري، نفع الطيب، المصدر السابق ج 6 ص 419

رسالة اجازة ابن صفوان لأبن الخطيب و ابنه

(...الى إصراخ الخضراء عام أربعة و أربعين و سبعمائة, و قدمت صدره خطبة , و سمية الجزء بالدرر الفاخرة , و اللهج الزاخرة, , و طلبت منه أن يجيزني , وولدي عبد الله رواية ذلك عنه , فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه :

الحمد لله مستحق الحمد ,أجبت سال الفقيه ,الأجل , الأفضل ,السرى ,الماجد ,الأوحد ,الأحفل ,البارع الطالع في أفق المعرفة و النباهة , و الرفعة المكيئة و الوجاهة ,بأبجى المطالع , المصنف الحافظ العلامة, الحائز في فني النظم و النثر ,و أسلوبى الكتابة و الشعر ,رتبة الرياسة ,الحامل لراية التقدم و الإمامة, محلى جيد العصر بتواليفه الباهرة الرواء ,و مجلى محاسن بنيه , الرائقة على منصة الإشهاد و الأنباء , أبي عبد الله بن الخطيب ,وصل الله سعادته و مجادته, و سني من الخير الأوفر ,و الصنع الجميل الأبر, مقصده و إرادته , و بلغه في نجله الأسعد , و ابنه الراقي بمحتده الفاضل , و منشئه الأظهر ,محل الفرقد ,أفضل ما يؤمل نحلته أياد في المكرمات و إفادته, و أجزت له و لابنه عبد الله المذكور ,أبقاهما الله تعالى , في عزة سنية الجلال ,و عافية ممتدة الأفياء , وارفة الظلال ,رواية جميع ما تقيد في الأوراق ,المكتتب على ظهر أول ورقة منها, من نظمى و نثرى ,و ما توليت إنشاءه و اعتمدت بالارتحال و الرواية ,اختياره و انتقاءه ,أيام عمرى, و جميع مالي من تصنيف و تقييد ,ومقطوعة و قصيدة ,و جميع ما أحمله عن أشياخي رضي الله عنهم ,من العلوم ,و فنون المنشور و المنظوم ,بأي وجه تأتي ذلك ,وصح حملي له, و ثبت إسناده لي, إجازة تامة ,في ذلك كله عامة, على سنن الإجازة الشرعية ,و شرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى ,و الله يرفعني و إياهما بالعلم و حمله , و ينظمنا جميعا في سلك حزه المفلحين وأهله ,ويفيض علينا من أنوار بركته و فضله, قال ذلك و كتبه بخط يديه الفنية ,العبد الفقير إلى الغني به, أحمد بن إبراهيم بن صفوان ,ختم الله له بخير, حامدا الله تعالى ,ومصليا و مسلما

على محمد نبيه المصطفى الكريم, و على اله الماهرين ذوي المنصب العظيم , و صحبه البررة, أولى المنصب
و الأثرة و التقديم , في سادس ربيع الاخر , عام أربعة و أربعين و سبعمائة , و حسبنا الله و نعم الوكيل .

د. جمال يحيىوي , سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين , دار هومة للطباعة و النشر الجزائر

2011 م, ص: 24.

رسالة مفتي وهران إلى المورسكيين سنة 1504م

(الحمد لله , و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و اله و صحبه تسليما .

إخواننا القابضين على دينهم , كالقابض على الحمر , من أجزل الله ثوابهم , فيما لقوا في ذاته , و صبروا النفوس و الأولاد في مرضاته , الغرباء القرباء إن شاء الله , من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته , و ارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق , و إن بلغت النفوس إلى التراق , نسأل الله أن يلفظ بنا , و أن يعيننا و إياكم على حقه , بحسن إيمان و صدق , و أن يجعل لنا و لكم من الأمور فرجا , و من كل ضيق مخرجا بعد السلام عليكم , من كتبه إليكم من عبيد الله أصغر عبيده , و أحوجهم إلى عفوه و مزیده , عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي تم الوهراني , كان الله للجميع بلطفه و ستره و إخلاصه و غربتكم حسن الدعاء , بحسن الخاتمة و النجاة من أهوال هذه الدار , و الحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار , و مؤكد عليكم في ملازمة دين الإسلام امرين به من بلغ من أولادكم , إن لم تخافوا دخول شر عليكم من أعلام عدوكم بطويتكم , فطوي للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس و إن ذكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى , فاعلموا أن الأصنام خشب منشور , و حجر جلمود لا يضر و لا ينفع , و إن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من اله , فاعبدوه و اصطبروا لعبادته فالصلاة و لو بالإيماء , و الزكاة و كأنها هدية لفقيركم أو رياء , لأن الله لا ينظر إلى صورتكم و لكن إلى قلوبكم , و الغسل من الجنابة و لو عوما في البحور , و إن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق نهار , و تسقط في الحكم طهارة الماء و عليكم بالتيمم و لو مسح بالأيدي للحيطان , فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة و قضاؤها لعدم الماء و الصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي و الوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به , فاقصدوا بالإيماء , نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتوا به ما استطعتم . إن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية , و أنووا صلاتكم المشروعة , و أشيروا لما يشيرون إليه من

صنم , و مقصودكم الله , و إن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام , و إن أجبروكم على شرب خمر , فاشربوه لا بنية استعماله , و إن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم , و معتقدين تحريمه , و كذا إن أكرهوكم على محرم , و إن زوجوكم بناتهم , فحائز لكوئهم أهل الكتاب , و إن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم , فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه , و إنكم ناكرين لذلك بقلوبكم , و لو وجدتم قوة لغير تموه , و كذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم , ثم ليس عيلكم إلا رؤوس أموالكم , و تتصدقون بالباقي , إن تبتم الله تعالى و إن أكرهوكم , على كلمة الكفر , فإن أمكنكم التورية و الإلغاز فافعلوا , و إلا كونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك , و إن قالوا اشموا محمدا فإنهم يقولون له ممد , فاشتموا ممد , ناوين أنه الشيطان أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه , و إن قالوا عيسى ابن الله , فقولوها إن أكرهوكم , وانووا إسقاط مضاف أي عبد الاله مريم معبود بحق , و 'ن قالو قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراها , و إن قالو قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء , قال السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن . أو زوجها الله منه بقضائه و قدره , و إن قالوا عيسى توفي بالصلب , فانووا من التوفية و الكمال و التشريف من هذه و إمامته و صلبه و إنشاد ذكره , و إظهار الشاء عليه بين الناس , و أنه استوفاه الله برفعه إلى العلو , و ما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله أن يدل الكره للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله من غير محنة و لا وجلة , بل بصدمة الترك الكرام , و نحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله و رضيتم به . و لا بد من جوابكم . و السلام عليكم جميعا .

بتاريخ غرة رجب عام عشرة و تسع مائة . علاف الله خيره)

" يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى "

د . جمال يحيوي . المرجع السابق . ص : 256

الملحق رقم: "15"

أهم المنشآت الدينية الباقية بمدينة القاهرة

أ-المدارس

الإنشاء		تاريخ	اسم المدرسة
الميلادي	الهجري		
-1262 1263	662-660		مدرسة الظاهر بيبرس بالنجاسين
-1274 1275	674-673		قبة ومدرسة قلاوون "المجموعة" بالنجاسين
1277	678		قبة مدرسة الأشرف خليل بشارع الأشرف
-1295 1304	703-695		مدرسة الناصر محمد بالنجاسين
-1300 1301	700		مدرسة قراسنقر بالجمالية
1309	709		المدرسة الطيرسية بالأزهر
-1315 1321	721-715		مدرسة وقبة سنقر السعدي
1222	722		مدرسة أحمد المهندس بالدرب الأحمر
-1329 1330	830		مدرسة مغلطاي الجمالي بقصر الشوق
1339	740		المدرسة الأقبغاوية (بالأزهر)
-1347	761-748		مدرسة تثار الحجازية بالجمالية

1360		
1356	757	مدرسة صرغتمش بشارع الخضيرى
-1356	764-757	مدرسة السلطان حسن بشارع القلعة
1362		
-1361	762	مدرسة الأمير مئقال بدرى قرمز
1362		
-1366	778-768	مدرسة خشقلم الأحمدي بشارع الصلبة
1377		
-1368	770	مدرسة أم السلطان شعبان بشارع التبانة
1369		
1374	قبل 776	المدرسة البقرية بحارة عطوف
1373	774	مدرسة الجاي اليوسفى بسوق السلاح
1383	785	مدرسة أئتمش البجاسى بباب الوزير
-1384	788-786	مدرسة وخانقاه برقوق بالنحاسين
1386		
1395	798	مدرسة مقبل الداودى الحمزاوى
1408	811	مدرسة جمال الدين الأستاذار بالجمالية
1411	814	مدرسة العينى بشارع الداودارى
-1418	823-821	مدرسة عبد الغنى الفخرى بشارع بور سعيد
1420		
1420	823	مدرسة القاضى عبد الباسط بالخرنفس
-1423	833-827	مدرسة برسباى بالأشرقية
1429		
1430	833	مدرسة جواهر اللاله بدرى اللبان
1430	حوالى 834	مدرسة السويدى بمصر القديمة

1441	844	المدرسة الجوهريية بالأزهر
1441	844	مدرسة ثغري بردي بالصلبية
1446	حوالي 850	مدرسة الجمالي يوسف بالحمزواي
1451	855	مدرسة جقمق بدر ب سعادة
-1451 1456	860-855	مدرسة أينال بالصحراء

ب- المساجد والجموع:

الإنشاء		تاريخ	اسم المسجد أو الجامع
الميلادي	الهجري		
-1266 1296	667-665	جامع الظاهر بيبرس بالظاهر	
1319	719	جامع آل ملك الجوكندار بشارع أم الغلام	
1319	719	جامع الأمير حسين بالمناصرة	
-1329 1330	730	جامع ألماس بالحلمية	
1324	735	جامع الناصر محمد بالقلعة	
-1339 1340	740	جامع الست مسكة بالحنفي	
-1346 1347	748-747	جامع آق سنقر (إبراهيم أغا مستحفظان) بشارع التبانة	
1347	747	جامع أرغون شاه الإسماعيلي بالناصرية	
1349	750	جامع شيخو بالصلبية	
1408	811	مسجد فرج بن برقوق بشارع تحت الربع	

1413	816	مسجد قايتباي المحمدي بشارع الصليبية
-1441 1442	845	جامع قايتباي جركسي بالمنشية
-1441 1442	845	مسجد قراقجا الحسنى بدرج الحماميز
1444	848	جامع القاضي يحيى زين الدين بالأزهر
-1448 1449	853-852	جامع القاضي يحيى ببوقاق
1460	حوالي 865	جامع ابن بردك بأم الغلام

محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق-ص 489/485.

الملحق رقم: "16"

مساجد غرناطة

اسم المسجد	مكانه في غرناطة الإسلامية (الحي أو الرض)	مكانه في غرناطة اليوم
إبراهيم	مقابل باب التوابين "مدينة غرناطة"	وسط المدينةnavasمنزل رقم19 شارع
أبي إياد	القصبة القديمة	Oidores شارع
أحشارش	البيازين	شرق البيازين
ابن سحنون	المرابطين "القصبة القديمة"	مع santa Isabe عند ملتقى شارع San Miguel
ابن سعيد	غرناطة القديمة	بالقرب من ساحة دار الرماية
آصف	حي آصف	S. Ildefonso قرب كنيسة
الأعظم	مدينة غرناطة	Sagrario كاتدرائية
ابن غمارة	غرناطة القديمة "قرب باب الفخارين"	Santa Esco Lastica بداية شارع بجانب دار الرماية
باب الفخارين	باب الفخارين	Aguado شارع
الباسلى	حي زناتة	Cenete شارع
باديس	القصبة القديمة	San Miguel بالقرب من ساحة
البرج	باب التوابين	Bibataubin
البشرى	رحبة الزيادة	قرب شارعAljibe de Polo بجانب Anaderos
البريانى	الشارع (البيازين)	San bartolome بجانب كنيسة
البيازين (الكبير)	الزيادة (البيازين)	San salvador كنيسة
البيير	الشارع (البيازين)	San Cristo bal يقع ضمن أملاك
البيضاء (الأحدب)	البيضاء (البيازين)	بجانب La Harena في ممر

Aljibe en Cuesta del chapizal		
شمال شرق حي Albaicin Cruz de piedra	فج اللوزة	التوابين
كنيسة San Juan de los Reyes Albaincin	القصبه الحديدية	التوابين
كنيسة Santo Domingo Del Monasterio dela Santa Cruz	باب الفخارين	الحجر
مع ساحة Mesones يقع عند التقاء شارع Bibarrambلا باب الرمله	الرمله	الحدادين
San Luis شارع	فج اللوزة"البيازين"	الحفيد
وساحة صناعة San Gil بين ساحة Cuchilleros السكاكين	درب الحوراء	الحوراء
Salamanca حول شارع	الدباغين	الدباغين
يقع بين شارعي Capuchinas و La Silleria	باب المصدع	الرقدة
بالقرب من Cruz de la Rauda في البيازين	الروضه(البيازين)	الروضه
شرق البيازينCastillas ساحة	قرب باب البندير في حي السند(البيازين)	الزيتونه
في بداية العقبة بالبيازين	العقبه (البيازين)	الزينة
بالقرب من باب Azacayas بداية شارع البيره	سقاية البزارين(باب البيره)	سقاية البزارين
Santa Maria كنيسة	الحمراء	السلطان

الشارع	الشارع(أسفل البيازين من ناحية البيرة)	"البيازين"San Cristobalمنتصف شارع
الشافعي	باب التوابين	San Matias في بداية شارع
ششون أو ششونة	الروضة بالبيازين	Aljibe de Santa Isabel يقع في "البيازين"San luis شارع منتصف
الصفاء	فج اللوزة	"البيازين"San Luis في مبتدأ شارع
العقبة	العقبة "البيازين"	Cuesta de Alhacaba في
علي حمزة	سقاية البزارين	يقع في زقاق مغلق يؤدي إلى شارع البيرة
غندير	البيازين	"البيازين"Almona ساحة المنى
القشاشين	القشاشين	San Gil وساحة Zacarin بيت شارع
القطانين	القيصرية	يقع في زاوية القيصرية الغربية
القورجة "العليا"	القصبة الجديدة	Cuesta de las Cabras بداية "البيازين"
القورجة "السفلى"	القصبة الجديدة	يقع غرب المسجد السابق قريبا منه
مخاضة الفقيه	قرب باب الرحي	Encarnacion ساحة
المرابطين	المرابطين "القصبة القديمة"	San Jose كنيسة
المنصورة	المنصورة	Santa Ana كنيسة
المؤذن	القصبة القديمة	Las Toomasas بالقرب من
مورور	مورور	Bermejas يقع أسفل أبراج حصن

صالح محمد السندي: المرجع السابق- ص من 482 إلى 485

الملحق رقم: "17" بعض الكلمات الاسبانية المستعملة في اللهجة المغربية

اللفظ بالهجة المغربية	مقابله بالفصحى	اللفظ الإسباني
بلوزة	لباس	Blusa
كبوط	معطف	Capote
الماريو	خزانة الملابس	Armario
صندلة	نعل	Sandala
سياط	حذاء	Zapato
بطانية	غطاء من القطن	Banitan
بابور	باخرة	Vapor
كارو	عربة	Carro
الرويدة	عجلة	Rueda
كشينة	مطبخ	Cosina
لامبة	مصباح	Lampara
لاطة	علبة من الحديد	Lata
لويزة	نبات يستعمل في الشاي	Luisa
فريشك	طري	Fersto
سوبة	حساء	Sopa
بوقة	نوع من السمك	Buga
بندير	دف	Bendir
كانتينا	حانة	Cantina
كارطة	ورقة اللعب	Carta
كارو	سيجارة	Cigarro
دورو	نقد إسباني	Duro
سولدي	// //	Solde

Marca	نوع	ماركة
Fabrica	مصنع	فابريكة
Guerra	حرب	كيرة
Runa	تخريب (خراب)	الروينة
Barraca	كوخ	براعة
Plaza	ساحة	بلاصة
Sala	قاعة فسيحة	صالة
Facharda	واجهه البناء	فرسطة
Forma	شكل	فورمة
Fal so	زور، باطل	فالصو
Semana	أسبوع	سمانة
Manera	طريقة	مانيرة

مولاي أحمد الكامون ، التأثير الموريسكي في المغرب، ص 122

الملحق رقم 18

أسماء أهم المدن و الأماكن الأندلسية الواردة في البحث و ما يقابلها بالإسبانية

jaen	جيان	Ubeda	آبدة
Ronda	رندة	Avila	آبلة
jerez	شريش	Sevilla	إشبيلية
jativa	شاطبة	Al pujarras	البشرات
Silves	شلب	Alhambra	الحمراء
Tarifa	طريف	Algesiras	الجزيرة الخضراء
Toledo	طليطلة	Azare	الزهراء
Tortosa	طرطوشة	guadalquivir	الواد الكبير
Granada	غرناطة	Almeria	ألمرية
Cartagena	قرطاجنة	Almunecar	المنكب
Comares	قمارش	Berja	برجة
Alcala la Real	قلعة يحصب	Barcelona	برشلونة
Cadiz	قادس	Basa	بسطة

Cordoba	قرطبة	Badajoz	بطلوس
Carmona	قرمونة	Ibiza	يابسة
Loja	لوشة	Valladolid	بلد الوليد
Merida	ماردة	Valencia	بلنسية
Malaga	مالقة	Baeza	بياسة
Murcia	مرسية	Beja	باجة
Menorca	منورقة	Velez malaga	بلش مالقة
Mallorca	ميورقة	Gibraltar	جبل الفتح
Salado	موقعة طريف	Generalife	جنة العريف
Zaragoza	سرقسطة	Marbella	مريلة
Fuengirola	سهيل	Guadix	وادي أش
Albaicin	حي البيازين	Guadalajara	وادي الحجاره
		juliana	جليانة

السيوغرافيا

1-المصادر

1. ابن ابي دينار ، أبو عبد الله ، المؤنس في اخبار إفريقية وتونس ط 2 ،تح ،محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967م.
2. ابن ابي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط 1972م.
3. (————) الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط 1972م.
4. ابن الابار ابو عبد الله القضاعي ، الحلة السراء ج 1 ،تح حسين مؤنس ،دار المعارف القاهرة 1983م.
5. (————) ، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، ط 3 ،دار الكتاب اللبناني، 1989 م.
6. ابن أيبك الصفدي صلاح الدين ، الوافي بالوفيات،، تح: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000 م.
7. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت (دت).
8. ابن أبي ضياف أحمد ،تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وأهل الأمان ، ج 1 تح لجنة وزارة الشؤون الثقافية ،الدار العربية للكتاب تونس 1999 م.
9. ابن الأحمر الغرناطي، مشاهير الشعراء والكتاب في المغرب والمشرق والأندلس، فوائد الجمان ،تح محمد رضوان الداية، عالم الكتب بيروت 1986 م.
10. ابن الأحمر ابو الوليد ،روضة النسرين في دولة بني مرين ،تح عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية الرباط 1962 م.
11. (————) ،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،تح هاني سلامة ،مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد 2001 م.
12. ابن الأثير عز الدين ،الكامل في التاريخ ، ج 5 ، دار الكتاب العربي بيروت (دت).
13. ابن اياس الحنفي ،المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة (دت) .
14. ابن بشكوال، كتاب الصلة ، تح إبراهيم الأبياري ج 1، ط 1 دار الكتاب اللبناني 1989 م.
15. ابن بسام علي الورداني، الرحلة الأندلسية ،تح عبد الجبار شريف ،الدار التنوسية للنشر 1984 م.

16. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد المنعم عريان، ط3 دار إحياء العلوم بيروت 1996 م.
17. ابن البناء المراكشي، المقالات في علم الحساب، تح أحمد سليم سعيداني، دار الفرقان للنشر، الأردن، 1984م.
18. (————) الروض المربع في صناعة البديع، تح رضوان بن شقرون، 1985م (دم).
19. ابن جابر الوادي أشي شمس الدين ،برنامج ابن جابر، تح محمد الحبيب الهيلة، تونس، 1981 م.
20. ابن واصل جمال الدين ،مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1 تح جمال الدين الشيال ،القاهرة 1953 م.
21. ابن الوكيل يوسف الملواني ،تحفة الأحباب بمن ملك مصر من ملوك و نواب ،تح محمد الششتاوي ،دار الأفاق العربية 1999 م.
22. ابن زيدان عبد الرحمن السجلماسي، أتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح علي عمر، ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
23. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4 دار الجبل، بيروت، (دت).
24. (————)، رفع الاصر في قضاة مصر، دون مكان وتاريخ الطبع.
25. ابن حزم الأندلسي ،جمهرة أنساب العرب ،تح ،عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ط5 القاهرة.
26. ابن الحسين أبو بكر الزيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر (دت).
27. أبو الحسن علي بن بسام ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح ،حسان عباس ،دار الثقافة بيروت 1997 م.
28. ابو الحسن النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، المرقية العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، تح لجنة التراث العربي، ط5 دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م.
29. ابن طبطبا محمد بن علي، الفخري في الأداب السلطانية و الدول الإسلامية ،ط1 تح عبد القادر محمد مايو ،دار القلم العربي حلب 1997 م.
30. ابن يعقوب مجد الدين محمد ،البلغة ،تح محمد المصري ،دار سعد الدين للطباعة والنشر دمشق، 2000 م.

31. ابن يوسف أحمد الفهري ، فهرست الليلي، تح: ياسين يوسف عياش، وعود عبد ربه، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م.
32. ابن كثير الدمشقي أبو الفداء، البداية والنهاية، ج13 دار التقوى، 2004 م.
33. ابن مرزوق أبو عبد الله محمد ، المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، طليعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2008 م.
34. (————) ،المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن ،تح ماريا خيسوس بيفيرا ،الطبعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 م.
35. ابن مريم أبو عبد الله ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان تح محمد بن أبي شنب المطبعة الثعلبية الجزائر 1907 م.
36. ابن منظور جمال الدين ،لسان العرب ، تح عامر أحمد حيدر ،دار الكتب العلمية بيروت 2005م.
37. أبو مروان ، الطب العربي في الأندلس، مقدمة لكتاب التيسير في مداواة والتدبير، تقديم أبو عمران، منشورات تالا، الأبيار، الجزائر، 2007 م.
38. بن صاعد الأندلس، طبقات الأمم، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاتوليكية للآباء اليسوعيين بيروت 1912م.
39. ابن عجيبة أحمد بن محمد ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تح فتيحة بلعباس، مطبعة الآمنة، الرباط، المغرب، 2011 م.
40. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب ،تح، ج س كولان و ليفي بروفنسال ، ج 2 ط3 دار الثقافة بيروت 1983م.
41. (————) ،البيان المغرب في اخبار المغرب قسم الموحدين ،تح محمد ابراهيم الكتاني ،محمد بن تاويت و محمد زبير و عبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 1985 م.
42. ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تح عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط دار ابن كثير بيروت1986م.
43. ابن عصفور الإشبيلي، شرح الجمل للزجاجي، تقديم فواز السقا، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،(دت).

44. ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تج زهراء النظام، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، 1997 م.
45. ابن العراقي ولي الدين، الذليل على العبر في خبر من عبر، تج: صالح محمدي عباس، القسم الأول، مؤسسة الرسالة، 1989 م.
46. ابن عسكر أبو عبد الله وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة، تج عبد الله المرابط الترغي، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 م.
47. ابن عقيل عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية الإمام مالك، ج1، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط1 (دت).
48. ابن عسكر محمد الحسين الشفشاوي، دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تج محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، 1977 م.
49. بن عمر أبو عبد الله، المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تج: علال بوربيق، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر 2011 م.
50. أبو العباس الناصري، الاستقصا لدول المغرب الأقصى، دار لكتاب الدار البيضاء، 1954 م.
51. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تج: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة.
52. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج2، ط2 دار الكتاب اللبناني 1989 م.
53. أبو الفداء زين الدين، تاج التراجم، تج: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، 1996 م.
54. ابن سحنون محمد، أداب المعلمين، تج حسن حسين عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972 م.
55. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تج: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف 1993 م.
56. (——) كتاب الجغرافيا، تج: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 م.
57. (——)، الغصون الليانة في محاسن شعراء المائة السابعة، تج: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر 1987 م.

58. ابن سلمان أبو محمد عبد الله ، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة من يعتبر من حوادث الزمان، ج4،
تح: خليل منصور، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.
59. ابن سماك العامل، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح عبد القادر بوباية، ط1 دار الكتب
العلمية بيروت 2010 م.
60. ابن القاضي أحمد المكناسي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة
للطباعة والوراقة، الرباط، 1979 م.
61. (————) ، لفظ الفوائد في لفاظة حقق الفوائد، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت
1996 م.
62. (————) ذرة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تح محمد الأحمد أبو النور، ط1 دار التراث،
القاهرة، 1970 م.
63. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد
التركي، الدار التنوسية للنشر تونس 1968 م.
64. (————) أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي، دولف فور، المركز الجامعي للكتاب العلمي،
الرباط، المغرب (دت).
65. (————) الوفيات، تح عادل نويهفن، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983 م.
66. ابن القوطية أبو بكر ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
1989 م.
67. ابن رشيد محمد بن عمر السبتي، ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة و
طبية ، تح، محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 م.
68. (————) رحلة ابن رشيد السبتي، تح أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
المملكة المغربية، 2003 م.
69. ابن الشماع أبو عبد الله، الأدلة الدينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر ابن محمد العموري،
الدار العربية للكتاب 1984 م.
70. ابن شداد بهاء الدين، النواور السلطانية والحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تح جمال الدين الشيال
مكتبة الغانجي القاهرة 1994 م.

71. بن ثغري بردي جمال الدين ابو العباس ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ،ط1 تح محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت 1992 م.
72. (————) المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ،تح محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز ،دار الكتب القاهرة 1990 م.
73. ابن الخطيب لسان الدين ،أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،او تاريخ الإسلامية ،تح ليفي بروفنصال ،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2006 م.
74. (————) الإحاطة في اخبار غرناطة ،تح محمد عبد الله عنان ، ج 1 مكتبة الغانجي القاهرة ط 1973م.
75. (————) اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تج، محي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية القاهرة 1347 هـ.
76. (————) رقم الحلل في نظم الدول ،المطبعة العمومية تونس 1316 هـ.
77. (————) الكتبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
78. (————) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تح محمد شرف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973 م.
79. ابن خلدون عبد الرحمن ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6 دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 2000م.
80. (————) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا ،تح محمد بن تاويت الطنجي ،الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 م.
81. (————) المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.
82. ابن خلدون ابو زكرياء يحيى ،بغية الواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ج1،تح عبد الحميد حاجيات ،عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م.
83. ابن خلكان أبو العباس ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح احسان عباس، دار صادر بيروت(دت).
84. ابن الخراط و أبو محمد الرشاطي ،الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ،تح اميليو مولينا و خايننتو و بوسك بيلا ،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد 1990 م.

85. ابن غازي العثماني المكناسي، فهرست ابن غازي، تح محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة و النشر تونس 1984 م.
86. (————)، الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952م.
87. الإدريسي أبو عبد الله، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح زينهارت دوزي ودوكوغ، مطبعة بريل لينرن 1866 م.
88. الأزدي جمال الدين، أخبار الدول المنقطعة، ج2 تح عصام مصطفى ومحمد عبد الكريم ومحمد علي يوسف وعلي ابراهيم مصطفى، ط1 دار الكندي للنشر و التوزيع الأردن 1999 م.
89. الأنصاري محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج1 تح محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت(دت).
90. الأنصاري محمد بن القاسم السبتي: انتصار الأخبار كما كان بثغر سبته من سن الآثار، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط 1980 م.
91. الأنصاري أبو عبد الله محمد، فهرست الرصاع، تح محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس(دت).
92. أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تح: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط 1976 م.
93. بيري الدوادار المنصوري، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية و دولة المماليك البحرية حتى سنة 703 هـ، تح عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية 1993 م.
94. (————) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح زبدي محمد عطا، عين للدراسات و البحوث الإسلامية القاهرة 2001 م.
95. البلوي أبو جعفر، ثبت أبو جعفر، تح عبد الله العمراني، ط1 دار الغرب الإسلامي، 1983 م.
96. البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي القاهرة (دت).
97. الباجي الشيخ محمد المسعودي، الخلاصة النقية في إمارة إفريقية، دار بيكار تونس 1323 هـ.
98. (————)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2 دار الفكر 1979 م.
99. الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح، محمد الحبيب الهيلة، ج1 القسم 4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م.

100. الونشريسي أحمد بن يحيى ،وفيات الونشريسي ،تح محمد بن يوسف القاضي ،عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م .
- 101.(————) المعيار الغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تج محمد حجي، در المغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- 102.الوزان حسن بن محمد ، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجة ومحمد الأخضر الشركة المغربية لدور النشر الرباط 1980 م .
- 103.الزركشي ابو عبد الله ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،تح محمد ماضود ،المكتبة العتيقة تونس(دت) .
- 104.الزركشي محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، ج1، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ت).
- 105.الزجاجي، شرح الجمل، تح، فواز السهار، منشورات محمد علي بيضون،ج1 دار الكتب العلمية، بيروت، (دت) .
- 106.الزهري ابو عبد الله ، كتاب الجغرافيا ،تح محمد حاج صادق ،مكتبة الثقافة الدينية بو سعيد ،(دت).
- 107.الزرقاني محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م .
- 108.الزركالي خير الدين ،الأعلام ج 2 ،دار العلم للملايين بيروت 2007 م .
- 109.الحميري ابو عبدالله ،الروض المعطار في اخبار الأقطار ،تح احسان عباس ط1مكتبة لبنان بيروت 1975 م .
- 110.(————) صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار، ط1 دار الجبل، بيروت، 1988م.
- 111.الحميدي أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تح: صلاح الهواري، المكتبة المصرية، بيروت 2004 م .
- 112.حسين بن محمد الديار بكري ،تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ،مؤسسة شعبان للنشر و التوزيع بيروت(دت) .
- 113.حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(دت).
- 114.ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج5 دار صادر بيروت(دت).

115. (————)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 م.
116. الكنتي محمد شاكراً، فوات الوفيات والذيل عليها، ج4، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
117. الكنتاني أبو عبد الله سلوة الأنفاس ومحادثه الكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح الشريف محمد حمزة بن علي الكنتاني (د.ت و د.ط).
118. المجاري أبو عبد الله ، برنامج المجاري، تح: محمد أبو الاجفان، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م.
119. المقرئ تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، ج1 تح محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة 1998 م.
120. (————)، المقفى الكبير، تح محمد العلاوي، ط1 دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991م.
121. (————)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح محمود الجليل، ط1 دار الغرب الإسلامي، 2002م.
122. (————)، السلوك لمعرفة الملوك، ج 1 تح محمد عبد القادر عطا ط1، دار الكتب العلمية 1997 م.
123. المراكشي عبد الواحد ، وثائق المرابطين و الموحدين ، تح ، حسين مؤنس ط1 مكتبة الثقافة الدينية 1997 م.
124. (————)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر(د.ت) .
125. المراكشي عبد المالك ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة، السفر الخامس، القسم1، تح إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت(د.ت).
126. المقديسي أبو شامة ،عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصالحية ،تح أحمد البيسومي منشورات وزارة الثقافة دمشق 1992 م.
127. المقرئ أبو العباس أحمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ج 1، تح مصطفى السقا ابراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي مطبعة لجنة التأليف و الترجمة القاهرة 1939م.
128. (————)، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط1983م.

129. (———)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، احسان عباس، ج1 دار صادر بيروت (دت).
130. المسعودي الحسن بن علي، مروج الذهب و معادن الجواهر، ج4 تح مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية 2003 م.
131. محمود مقيدش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، ج1 ط1، تح علي الزاوي محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1988 م.
132. مؤلف مجهول، آخر أيام غرناطة، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر ديمشق 2002 م.
133. (———)، ذكر أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها و الحروب الواقعة بها، تح اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 م.
134. (———)، تاريخ مصر وفضائلها، تح علي عمر، ط1 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002 م.
135. (———)، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، تقديم محمد بن أحمد باغلي، الأصاله للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م.
136. مقتطف من كتاب ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و كتاب تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر، تح، عبد الحميد حاخيات، دار مدني للطباعة و النشر الجزائر 2012 م.
137. الناصري السلاوي ابو العباس، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 دار الكتاب الدار البيضاء 1954 م.
138. الندوي أبو الحسن علي، أعلام المسلمين و مشاهيرهم اعداد عبد الماجد الغوري ط1، دار ابن كثير بيروت 2002 م.
139. الصيرفي علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسين حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1970 م.
140. العيني بدر الدين، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمدي، تح: فهيم محمد علوي، دار الكتب المصرية، القاهرة 1988 م.
141. العبدري ابو عبد الله، الرحلة المغربية، تح سعيد بوفلاحة، ط1 منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007 م.

142. علي الحزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تج عبد الوهاب بن منصور، ط2 المطبعة الملكية، الرباط، 1991م.
143. عماد الدين ابو الفداء، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، ط1 تح محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1995 م.
144. الفاسي عبد الكبير، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 م.
145. السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة بيروت (دت).
146. (————)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح بشار عواد معروف عصام فارس أحمد الخطيفي ج1، مؤسسة الرسالة بيروت 1995 م.
147. (————) التبر المسبوك في ذيل الملوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (دت).
148. السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، ج2 تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية 1968م.
149. السبكي تاج الدين، معجم الشيوخ، تح: رائد يوسف العنكي، مصطفى اسماعيل، بشار عواد، معروف فارس، أحمد الفطيم، مؤسسة الحباله، بيروت 1995م.
150. السنوسي محمد بن عثمان، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح الشيخ محمد الشاذلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1994 م.
151. القادري محمد بن الطيب، الاكليل و التاج في تذييل كفاية المحتاج، ط1 دار الابحاث للترجمة و النشر و التوزيع الجزائر 2011 م.
152. القرطبي أبو عبد الله بن فرج، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م.
153. القرابي بدر الدين، الديباج المذهب وذيوله، توشيح الديباج و حلية الابتهاج، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الجزائر 2011 م.
154. القلصادي علي أبو الحسن، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع (دت).
155. القلقشندي ابو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5 المطبعة الأميرية القاهرة 1913م.
156. (————)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح ابراهيم الأبياري ط3، دار الكتاب اللبناني 1931 م.

157. الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تج محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.
158. الشرقاوي عبد الله، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك و السلاطين ،تح رحاب عبد الحميد القاري ،مكتبة مدبولي القاهرة 1996 م.
159. الشاطبي إبراهيم بن موسى ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح عبد الرحمن بن سلمان العثيمين، ج1،(دت) .
160. الشوكاني ابن علي، البدر الطالع من بعد القرن السابع ج 1 دار الكتب العلمية بيروت 1998م.
161. التنسي محمد بن عبد الجليل، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان،تح محمود بوعياذ،وزارة الثقافة الجزائر 2007 م.
162. التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرولة،ط1 منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989م.
163. (————)، كفاية المحتاج،لمعرفة من ليس في الديباج ، دار الأبحاث للترجمة و النشر الجزائر 2011 م.
164. الضبي احمد بن يحيى بن عميرة ،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح صلاح الهواري ،المكتبة العصرية بيروت 2005 م .
165. الذهبي شمس الدين ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام،ط1 ،تح عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي بيروت 1999 م.
166. (————)،دول الإسلام ،تح حسن اسماعيل مروة ومحمود الأرنؤوط ،دارصادر بيروت 1999 م.
167. التجاني، رحلة التجاني، ، تح حسن حسين عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، طرابلس، 1981م.
168. (————) سير أعلام النبلاء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت1997م.
169. الذهبي محمد بن أحمد، ذيل العبر في خبر من عبر، ج4، تح: أبو مهاجر محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م.
170. (————)، العبر في خبر من عبر، ج3، تح: أبو مهاجر محمد السعيد، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت1985 م.

171. الغزال أحمد المهدي ،رحلة الغزال وسفارته للأندلس ،تح إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر
1984 م.

172. الغزيرني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح محمد بن أبي
شذب، ط1 دار البصائر، الجزائر، ، 2007 م.

2- المراجع باللغة الغربية .

1. أبو رحاب محمد السيد محمد ،المدارس المغربية في العصر المريني دراسة آثارية معمارية ،الطبعة الاولى ،دار الوفاء الإسكندرية 2011م .
2. إبراهيم أنوار، نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية، مطبعة دار المناهل، 2011 م.
3. ابو مصطفى كمال السيد ،محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحاضراته ،مركز الاسكندرية للكتاب 2007م.
4. (————)، جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب 1979م.
5. (————)،دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ،مركز الإسكندرية للكتاب 1997م.
6. أبو الفضل محمد أحمد ، تاريخ مدينة ألميرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996م،
7. أبو عليان عزمي عبيد ،مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك ،ط 1 دار النفائس الأردن 1995 م.
8. ابن شداد عز الدين، تاريخ الملك الظاهر، دار النشر فرانشتاين، دمشق 1983 م.
9. انجيل باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد (دت).
10. أرسلان شكيب ،خلاصة تاريخ الأندلس ويلييه أخبار العصر في إنقضاء دولة بني نصر لمؤلف مجهول ،مطبعة الميناء مصر 1935 م.
11. (————) خلاصة تاريخ الأندلس، دارمكتبة الحياة بيروت 1883م.
12. (————) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1المطبعة الرحمانية مصر 1936 م.
13. إبلاغ محمد ، الرياضيات في الأندلس، ما بين59و10/هـ15م، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون، ط1 مطبوعات الملك عبد العزيز، الرياض، 1999 م.
14. أباضة فاروق عثمان ، اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط، ط2 دار المعارف،(دت).
15. أحمد علي ، الأندلسيون والمغاربية في بلاد الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة دمشق 1989 م.

16. اسماعيل محمد بكر ، الفقه الواضح، المجلد 1، ط2 دار المنار القاهرة 1997 م.
17. أسامة حسن ،طومان باي آخر سلاطين المماليك ، ط 1 دار الأمل للنشر و التوزيع مصر 2000 م.
18. أمين أحمد ،ضحى الإسلام ، ط 10 دار الكتاب العربي بيروت (دت).
19. (————) ، ظهر الإسلام، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
20. أمير علي سيد ،مختصر تاريخ العرب ،ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت 1961م.
21. الأمير عبد العزيز ، الوجيز في التاريخ الاسلامي والمسلمين، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر بيروت 2003م.
22. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة بيروت 1989 م.
23. الأشقر عمر سليمان ، تاريخ الفقه الإسلامي، دار البحث، قسنطينة، الجزائر،(دت).
24. الأهواني عبد العزيز ، اللقاء الحضاري في الأندلس، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م.
25. الإدريسي علي، المراكز الفكرية والعلمية في تونس الحفصية، سلسلة ندوات ومناظرات مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2008م.
26. باشا عمر موسى ، الأداب في بلاد الشام، ط1 مكتبة العباسية، دمشق، 1972 م.
27. باجي عبد القادر، إدرار الشمس على حياة وأعمال السنوسي، دار كردادة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011 م.
28. بوطران مبارك ،العماير الدينية في المغرب الأوسط ،مؤسسة كنوز الحكمة ،الجزائر 2011 م.
29. بك حليم إبراهيم ، تاريخ لدولة العثمانية العلية، التحفة الحليمية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1988م.
30. بكير محمود أحمد ، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة، بيروت 1990 م.
31. البير شاندور ، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام ،ترجمة سعيد ابو الحسن ، ط2 دار طلاس للدراسات و النشر 1993م.
32. برنشفيك روبر ، تاريخ افريقية في العهد الحفصيين القرن 13م الى القرن 15م،ترجمة حمادي الساحلي ج1 دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1 1988م.

33. بروسار شارل ، كتابات شواهد وقبور سلاطين و أمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان ، ترجمة الرزقي شرقي ، دار موفم للنشر الجزائر 2011 م .
34. بو عزيز يحيى ، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائر 2009م .
35. (————) ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، الجزائر ، 2002 م ..
36. بوعمامة فاطمة ، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر 2011 م .
37. بلغيث محمد الأمين ، دولة المرابطين بالأندلس ، دار الوعي ، الجزائر 2009 م .
38. بلعربي خالد ، تلمسان من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الزيانية ، دار الألفية للنشر و التوزيع الجزائر 2011م .
39. (————) ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن . دراسة تاريخية وحضارية ، دار الإلهية للنشر والتوزيع الجزائر 2011 م .
40. بن عقيل محمد بن حسن ، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية ، دار الأندلس الخضراء ، جدة 1415هـ .
41. بن عاشور محمد الطاهر ، أليس الصبح بقريب ، التعليم العربي الإسلامي ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، 2006م .
42. بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 م .
43. بن قرية صالح ، المئذنة المغربية المرينية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م .
44. بن عبد الله عبد العزيز ، فاس ، منبع الإشعاع في القارة الإفريقية ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2001 م .
45. بنحماوة سعيد ، النظام التعليمي في الغرب والأندلس خلال العصر الوسيط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب .
46. البيتوني محمد لبيب ، رحلة الأندلسيين ، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد 1998 م .
47. جاد الله منال عبد المنعم ، التصوف في مصر والمغرب ، دار المعارف ، الإسكندرية ، (دت) .
48. جبار أحمد ، علماء الحضارة العربية الإسلامية و مساهماتهم (العلوم الرياضية والفلكية و تطبيقاتها) ، ط1 ، دار كليك للنشر والتوزيع الجزائر 2011 م .

49. الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط1، مكتبة الأجلو المصرية القاهرة 1977 م،
50. الجراري عباس ، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي، الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، شفشاون 2000 م.
51. جوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة طاهر أحمد مكي ط 2 دار المعارف 1994م.
52. جعفري بك محمد ، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية ط 4 ، مطبعة الإستقامة القاهرة 1934م.
53. الدنون عبد الحكيم ، آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي و الحضاري ط1، دار المعرفة دمشق 1988 م.
54. داهموس جوزيف ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 م.
55. دينهري دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج2 ، ترجمة حسين حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994 م.
56. دهمان محمد احمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ط 1 ، دار الفكر دمشق 1990 م.
57. الهادي معمر ومحمد القرقوطي ، جهاد الموحدون في الأندلس ، دار هومة للطباعة و النشر الجزائر 2005 م .
58. هلال جودة ومحمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المغربية للكتاب 1988م.
59. واشنطن ايرقغ ، أخبار سقوط غرناطة ، ط1 ، ترجمة هاني يحي نصري ، مؤسسة الإستشار العربي بيروت 2000 م.
60. الوركالي حسن، شيوخ العلم وكتب الدرس بسبته ، منشورات جمعية البحث الإسلامي، تطوان المغرب، 1984 م.
61. زغروت فتحي ، العثمانيون ومحاولة إنقاذ مسلمي الأندلس، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2011م.
62. حاجي حمدان ، حياة وأثار ابن زمرك، ديوان المطبوعات الجامعية 1989م.
63. حاجي حياة ناصر ، صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت 1992 م.
64. حاجيات عبد الحميد ، أبو هو الثاني حياته و أثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 م.

65. (—)، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ج2، عالم المعرفة، الجزائر 2011 م.
66. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ من المرينيين الى نهاية السعديين، ج2، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1978 م.
67. الحفناوي أبو القاسم ا، تعريف الخلف برجال السلف، وزارة الثقافة الجزائر، 2007 م.
68. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985 م.
69. الحماد محمد عبد الله، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية، ندوة الأندلس، القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون، مطبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة 1986 م.
70. الحميدي عبد العزيز بن عبد الله، التاريخ الإسلامي مواقف و عبر، المجلد 8 ج 4 دار الأندلس الخضراء جدة 1998 م.
71. حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية ج1، دار الحضارة للطباعة و النشر الجزائر 2007 م.
72. (—)، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج4 دار الهدى الجزائر، 2011 م.
73. حسن علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، ط3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1963 م.
74. حسين أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج2 مؤسسة دار الشعب القاهرة (دت).
75. حسين أمين، المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطور التعليم، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م.
76. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ج3 مكتبة النهضة المغربية بيروت 1985 م.
77. حمدي عبد المنعم محمد حسن، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية 2000 م.
78. (—)، مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1993 م.
79. حميسي عبد الحق، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م.
80. طقوش سهيل، تاريخ المماليك في مصر و الشام، ط1، دار النفائس بيروت 2002 م.
81. (—)، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس بيروت 2006 م.

82. الطوحي أحمد محمد، مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م .
83. يجاوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، دار هومة للطباعة والنشر الجزائر 2011 م.
84. يوسف عيد يوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، دار الفكر العربي، بيروت، (دت) .
85. الكحلوي محمد ، آثار مصر الإسلامية في كتاب الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1985 م.
86. الكامون مولاي أحمد ، هاشم الصقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المغرب 2010 م.
87. الكتاني علي المنتصر ،إنبعث الإسلام في الأندلس ،ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت 2005م.
88. كاربخال مار مول ،افريقيا ،ج1 ترجمة محمد حجي و اخارون ،مكتبة المعارف الرباط 1984 م.
89. كاشف سيدة اسماعيل وجمال الدين سرور ، عاشور سعيد عبد الفتاح ،موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 م.
90. لوتورنو روجيه ،فاس في عصر بني مرين ،ترجمة نقولا زيادة ،مؤسسة فراكلين للطباعة و النشر بيروت 1967 م.
91. لعرج عبد العزيز ، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دراسة أثرية فنية جمالية، دار الملكية، الجزائر 2006 م.
92. (————) مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة تاريخية أثرية في عمارتها وفنونها، ط1 ،مكتبة زهراء الشرق، 2006 م.
93. ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت،(دت).
94. ماجد عبد المنعم ،الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ،دار الفكر العربي القاهرة ، 1997 م.
95. الماحي علي حامد ،المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ،دار النشر المغربية الدار البيضاء، 1986 م.
96. المازري بن عودة الأغا ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تح يحي عزيز ج1 ، دار البصائر الجزائر 2007 م.
97. المطويلي أحمد ،في الحضارة العربية التونسية ،دار المعارف للطباعة و النشر تونس (دت).

98. المنوني محمد ،ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ،مطابع الأطلس الرباط 1970م.
- 100 . الميللي محمد مبارك ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د ت).
- 101 . محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، 1982م
- 102 . مكّي أحمد ،درسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، ط3 ،دار المعارف القاهرة 1987 م.
- 103 . محمد حسن زكي، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981 م.
- 104 . محمد سلمان حسن ، التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1988م
- 105 .محمد يوسف عواطف ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1996م.
- 106 .مصطفى عليان حاجي ، المكتبات في الحضارة الإسلامية ، ط1دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان 1999 م.
- 107 . مؤنس حسين ،فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر و التوزيع (دت) .
- 108 (————) ،تاريخ المغرب وحضارته ج2 ،العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت 1992 م.
- 109 (————) ،موسوعة تاريخ الأندلس، ج2 ،مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد
- 110 (————) ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، هيئة الكتاب ،القاهرة 2004 م.
- 111 .(————) ، المساجد، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت 1981 م.
- 112 .مخلوف محمد بن محمد ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ج1 المطبعة السلفية القاهرة 1349هـ
- 113 .مونتغمري وات ،في تاريخ إسبانيا الإسلامية ط2،ترجمة محمد رضا المصري شركة المطبوعات للتوزيع و النشر 1998م.
- 114 .مورينو مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة عبد العزيز سالم، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية للنشر 1984 م.
- 115 .موسى عز الدين أحمد ،دارسات في تاريخ المغرب الاسلامي،دار الشروق بيروت 1983 م.
- 116 (————) النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ط1 دار الشروق ، 1403هـ
- 117 .النجار عبد المجيد ،المهدي بن تومرت ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983م.
- 118 .ا. لنشار السيد ، تاريخ المكتبات في مصر المملوكية، ط1 الدار المصرية اللبنانية، 1991م.
- 119 . نعني عبد المجيد ،تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ،دار النهضة العربية بيروت (دت).

- 120 . نويهض عادل ، معجم المفسرين، المجلد الثاني، مؤسسة نويهفن الثقافية، 1984 م.
- 121 . نصر الله سعدون ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1 دار النهضة العربية بيروت 1998 م.
- 122 . صومط أنطوان خليل ،الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ط2،دار الثقافة بيروت 1982 م.
- 123 . الصلابي محمد علي ، التاريخ الإسلامي ج2 ط1 ،مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة 2007م.
- 124 . الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف ، الرحلة في الإسلام، أنواعها وآدابها، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996 م،.
- 125 . صفية ديب ، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين حتى القرن 6 و7هـ، كنوز الحكمة الجزائر 2011م.
- 126 . عاصي حسين ، ابن اياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر ، ط1 دار الكتب العلمية بيروت 1993م.
- 127 . العامري محمد الهادي ، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974م.
- 128 . عاشور سعيد عبد الفتاح ،العصر المملوكي في مصر والشام ط2 دار النهضة العربية القاهرة 1976 م.
- 129 . عبد الغني عبد الله يسرى، معجم المؤرخين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.
- 130 . العبادي أحمد مختار ،صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، دار المعارف الإسكندرية ط1 2000 م.
- 131 (————) ،في التاريخ العباسي والأندلسي دار النهضة العربية بيروت 1973م
- 132 (————) دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية 1976 م ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م.
- 133 (————) ،في التاريخ المملوكي والأيوبي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2000 م.
- 134 (————) وعبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت 1981 م.
- 135 (————) ، مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تج أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1983م.
- 136 . عبد الرزاق أحمد ،تاريخ و آثار مصر الاسلامية دار الفكر العربي القاهرة 1999 م.

137. عبد العزيز محمد عادل: التربية الإسلامية في المغرب، أصولها وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987م.
138. (————)، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006 م.
139. عويس عبد الحليم ، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي، زهرة الإعلام العربي، القاهرة 1988 م.
140. عبد التواب عبد الرحمن محمود ،قايتباي المحمودي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 م.
141. علي حجي عبد الرحمن ، هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، ظروفها وآثارها، هجرة المجتمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات 2003 م.
142. عبد الجليل عبد العزيز ، الموسيقى الأندلسية المغربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978 م.
143. عثمان شوق عبد القوي ،التجارة بين مصر و افريقيا في عصر المماليك ،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2000 ..
144. عز الدين محمد كمال الدين ، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ط1 عالم الكتب، بيروت، 1990 م.
145. عيسى محمد عبد الحميد ، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي ط1 1982 م.
146. عيسى عبد الحميد ، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي ط1 1982 م.
- 147 (————) الدولة الزنكية و نجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ،ط1 دار ابن الجوزي القاهرة 2007 م.
148. عيسى أحمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981 م.
149. عزاوي أحمد، المغرب و الأندلس في الرن 13 م،دراسة وتحقيق لدوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب ،مطبعة ربا نيت الرباط 2008 م.
150. عيادي سعيد ،موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي و الاسلامي ،مطبعة بن مرابط الجزائر 2011 م..
151. العريبي الباز ،المماليك ،دار النهضة العربية بيروت (دت).

152. علال البنحني جمال، الحضور الصوفي في الأندلس إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005 م .
153. عنان عبد الله، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، مكتبة الغانجي القاهرة ط 1 1990 م.
154. (————) دولة الاسلام في الاندلس العصر الأول القسم الاول ، ط1، مكتبة العانجي القاهرة 1997م.
- 155 (————) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال دراسة تاريخية آثارية ، ط 2 مكتبة الغانجي القاهرة 1997 م .
156. علام عبد الله ، الدولة الموحدية في المغرب، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 م.
157. عبدلي لخضر، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان، ط1 دار الأوطان، الجزائر 2011 م..
158. عبد الرؤوف عصام ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989 م.
159. العقبي صلاح مؤيد ، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، (دت).
160. الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط1 المطبعة البوليسية، لبنان، 1990 م.
161. فيلالى عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر 2002م.
162. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ ، ج1 دار النهضة العربية بيروت 1980 م.
163. سالم عبد العزيز ، تاريخ مدينة ألمرية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1984 م .
164. (————) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج1 مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية (دت) .
165. (————)، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية(دت).
166. (————) المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1986م.
167. (————) تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2001 م.
168. سالم صلاح عبد العزيز ، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح، ط1 دار نشر المعرفة، الرباط 2001م.
169. سالم عبد العزيز سحر ، بحوث مغربية ومشرقية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1 مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997 م.
170. السايح احسن، الحضارة المغربية، البداية والاستمرار، منشورات عكاظ، الرباط 2000 م.

171. سيد الأهل عبد العزيز سيد ، الأوزاعي فقيه أهل الشام، دار التحرير، القاهرة 1966م.
172. السيد محمود ،تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية1917م.
173. السير وليم موير ،تاريخ دولة المماليك في مصر ،ترجمة محمود عابدين وسليم حسن،ط1 ،مكتبة مدبولي القاهرة 1995 م.
174. سليم محمود رزق ، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر 1957 م.
175. سليمان أحمد عبد الكريم ،المغول و المماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ،ط1 دار النهضة العربية بيروت 1984 م.
176. السرجاني راغب ،قصة الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي ،ط2 مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة 2009م.
177. ستانلي لين بوول ،صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ،ترجمة فاروق سعد ابو جابر ،ط1 مؤسسة الإسرائ للنشر و التوزيع القاهرة 1995 م.
178. قاسم عبده قاسم ،عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي و الاجتماعي ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية 1998 م.
179. (————) .عصر سلاطين المماليك ط 1،دار الشروق القاهرة1994 م.
180. قاسم عبده وعلي السيد علي ،الأيوبيون و المماليك التاريخ السياسي و العسكري ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية مصر.(دت).
181. القاسمي عبد المنعم الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 2007 م.
182. القادري أبو بكر ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1999م.
183. قبة محمد حسن ، محطات أندلسية، دراسة في التاريخ والأدب والفن ،ط1 الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة 1985م.
184. قربان عبد الجليل ، التعليم في تلمسان في العهد الزياني ،جسور للنشر و التوزيع الجزائر 2011 م.
185. رزوق محمد ، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب، خلال القرنين 16-17، إفريقيا الشرق، 1998 م.
186. (————) .دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء 1991 م.

- 187 . الرفاعي مصطفى صادق ، تاريخ أدب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 م.
- 188 . الشامى أحمد ،صلاح الدين و الصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية ، ط1 مكتبة النهضة العربية القاهرة 1993 م.
- 189 . الشافعي دياب حامد، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار البقاء للطباعة والنشر القاهرة 1998 م.
- 190 . الشطشاط حسن ،نهایة الوجود العربي في الأندلس ،دار قباء للطباعة و النشر القاهرة (دت).
- 191 . شكري فرحات يوسف ،غرناطة في ظل بني الأحمر ،ط1 ،دار الجبل بيروت 1993م.
- 192 . الشريف محمد الهادي ،تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ،تعريب محمد الشاوش ومحمد عجيبة ،دار سراس للنشر تونس 1993 م.
- 193 . التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج4 مطابع فضالة المحمدية، المغرب1986م.
- 194 . توات الطاهر ، ابن خميس شعره ونشره، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 م.
- 195 . (————) شخصيات تلمسانية أندلسية ومظاهر من الثقافة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، 2000 م.
- 196 . خميس حمدي ، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي، وزارة الثقافة الجزائر 2007 م
- 197 . ذنون طه عبد الواحد ، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق،ط1 دار المدار الإسلامي، بيروت 2005 م.
- 198 . ضيف شوقي ،عصر الدول و الإمارات ،الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان ،ط1،دار المعارف القاهرة (دت) .
- 199 . غارودي روجي ، الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العلم والفكر، ترجمة دوقان قرطوط، دار دمشق 1995 م .

4- المجالات والملتقيات

- 1- إبراهيم حركات ، طرق التدريس والتواصل الثقافي في ظل بني الأحمر في الأندلس، مجلة المنهل، العدد 517 ،دار المنهل للطباعة والنشر جدة1994م .
2-البشير الزيتوني، التصوف المغربي وأثره، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، جامعة الملك سعد، تطوان، المغرب، أبريل 1993م.
- 3- بوباية عبد القادر، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع هجري، العدد 2 ،مجلة عصور الجديدة، 2011 م.
- 4- حسن عزوزي، التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمؤب والأندلس ،القرن 8، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للحضارة الإسلامية وهران العدد 1 السنة 1 1993م.
- 5- حسين مؤنس، سنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر لأبي العباس الونشريسي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 1 و2، 1975 م.
- 6- محمد طالبي، المحجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد26، ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975 م.
- 7- محمد مرسي محمد، صلاح الدين و استراتيجية تحرير بيت المقدس ،مجلة الهداية العدد 292 السنة 25، وزارة العدل و الشؤون الإسلامية البحرين.
- 8- محمد الشريف، تطوان بنت غرناطة، الحاضنة للحضارة الأندلسية في المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 58، جمعية المؤرخين المغاربة.
- 9- العبادي أحمد مختار ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد رقم 23.
- 10- عبد الله عنان، ازدهار الثقافة والفكر الاسلامي في الغرب الاسلامي، مجلة الأصالة السنة الخامسة، العدد 26، 1976 م.

- 11- عبد الرحمان زكي، من تراث مصر العلمي في العصر المملوكي ندوة الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 م.
- 12- (————)، العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 15، مدريد 1970 م.
- 13- عبد العزيز بن عبد الله، الآلة الأندلسية، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة العدد 24، 2002 م.
- 14- عبد الجواد السقا، قصيدة المديح في العصر المريني، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، العدد 277، ديسمبر 1989 م.
- 15- عبد السلام شقور، بيوتات سبتة في القرن الثامن الهجري، مجلة دعوة الحق، العدد 286، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب، أكتوبر 1991 م.
- 16 - عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية العدد 1، المعهد الوطني للحضارة الإسلامية وهران 1993 م.
- 17- (————)، تطور العلاقات بين تلمسان و غرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 02، 2011 م.
- 18- سلوى الزاهري، البيوتات الأندلسية الموريسكية بتطوان، الجذور ولامتدادات، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 58.
- 19- ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون ط 1، مكتبة الملك عبد العزيز 1996 م.
- 20- صلاح محمد السندي، المنشآت الدينية في غرناطة الإسلامية، ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية جمعية المؤرخين العرب القاهرة 1995 م.

- 21- محمد المنوني، نماذج من التكامل الثقافي بين المغرب والأندلس عبر عصر غرناطة، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة 1989م.
- 22- سحر عبد العزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبل وبعد سقوطها، أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية حول الذكرى 500 لسقوط غرناطة، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، زغوان، ج2، 1993م.
- 23- محمد الشريف، من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب المريني وغرناطة النصرية، معرض مثلث الأندلس، وزارة الثقافة المغربية والحكومة الإسبانية، الرباط 2002م.
- 24- صفى الدين أبو العز، 800 عام حطين صلاح الدين و العمل العربي الموحد، ندوة اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية و الأسيوية، دار الشروق 1989 م.
- 25 - عبد الوهاب بن منصور ، حول مدفن السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك غرناطة ،الموريسكيون في المغرب ،الندوة الثانية أكاديمية المملكة المغربية،شفشاون 2000م ،مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2001 م .

5- الرسائل الجامعية

- 1- أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر 1999م.
- 2- إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009م.
- 3- بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 9هـ 13 م إلى القرن 10هـ. 16 م ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة وهران 2009 م.
- 4- (———) علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان ،رسالة ماجستير ،جامعة وهران 2002م.

- 5- حوالمف عكاشة، جهود فقهاء المالكية بالأندلس إلى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007 م.
- 6- العربي لقزيم، مدارس السلطان أبي الحسن مدرسة أبي مدين نموذجاً دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2001 م.
- 7- مبحوث بودواية. العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان العربي خلال عهد بني زيان، أطروحة دكتوراه، دولة، قسم التاريخ جامعة تلمسان 2006 م.
- 8- محمد الغوثي بن سنوسي، الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية الإسلامية بالمغرب العربي، أطروحة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 2000 م.
- 9- محمد مكوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها إلى نهاية عهد ابن تاشفين الأول، أطروحة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2008 م.
- 10- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرج، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني دراسة سياسية حضارية، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية التربية، 2004 م.
- 11- صادق الخشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 2001 م.
- 12- عبد لي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه دولة قسم التاريخ جامعة تلمسان 2005 م.
- 13- عبده بن محمد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة السعودية 1998 م.
- 14- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس، مذكرة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة 1991 م.

- 15- عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائج الحضارية خلال القرنين 16 و17، رسالة ماجستير، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
- 16 - عبد الرحمن الأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، رسالة دكتوراه العلوم قسم التاريخ وعلوم الآثار جامعة تلمسان 2013 م .
- 17- سي عبد القادر عمر، العلاقات الثقافية بين الأندلس ومصر المملوكية من القرن 7هـ إلى القرن 9هـ، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010 م.
- 18 - رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2008 م.
- 19 - خليفي الشيخ، الفكر الصوفي عند محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، دراسة في نظرية الجمع بين التوحيد والتصوف، أطروحة الدكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009 م.

- 1 - Ángel Gonzales Palencia, Historia de la España Musulman, trcera editorial Maxtor valludolid,2005.
- 2- Atallah Dhina les etats de l'occident musulman aux xii xiv et xv siècles office des publications universitaires .Alger.
- 3 - Benali El-Hassar, Tlemcen dans les textes, ENAG, Editions 2011, Alger.
- 4 - Claudio San chez Albornoz , l'Espagne musulmane, Traduction Claud Faraggi opu publisnd 1985.
- 5 -Djilali Sari, Tlemcen la Zyanide, casbah, Editions Alger 2011.
- 6 - E'Lévi – provençal .Séville musulman au début du xxi siècle Maisonneuve et la rose.
- 7 – (-----), l'Espagne musulmane au 10 siècle, institutions et la vie sociale Maisonneuve , la rose paris 2002.
- 8 -(-----). Histoire de L' Espagne Musulmane, Tome premier ,La conquête Et L'emirat Hispano –Umayyade (710 -912) Paris E-G ,Maisonneuve 1950.
- 9 - Francisco Codera ,Historia Arabe Española , Imprenta Ibérica E Mestre ,Madrid 1917 Secundo Série .
- 10 – Francisco Javier Sinomat ,Historia de Las Morarabes da Espana ,tome 3 ,Ediciones Turner ,Madrid 1983 .
- 11 -Fatima Zohra Bouzina – Oufriha , Tlemcen Capitale Musulmane Le siècle Dor Du Maghreb Central, Edition Daliman Algérie 2011 .

- 12 - Fatima Tahtah, fuentes y estudios en lengua arabe sobre la literatura en la copa Nazaré, studios Nazaire, editors por cocepion Castillo Castillo, granada,1997.
- 13 - G , Marçais , L'architecture musulmane D'occident, Paris 1955 ,p286 .
- 14- Hicham Djait, La Fondation du Maghreb Islamique ,Amal Editions sfax Tunisie 2004 .
- 15 -Julian Ribira, Literatura historia y cultura do arab la scientifico en la historia, Imprimenta de estansiluo, Tom1, Madrid, 1928.
- 16 - Juan Antonio Llorente, Historia critica de la inquisición Españoles, Barcelona1835.
- Joseph Persez, L'Espagne de la 16 siècle, Paris 1973.
- 17 -Margarita Castels, Médecins Andalous de Maghreb, siècles VII-IX. Actas del colognio Hispano marroquí de ciencias historiecas , Instinito de cooperación con el mundo Arabe , MADRID, 1992.
- 18- M.ROSSEEUW ST HILAIR .Histoire D'Espagne .Les premiers Temps Historique Jusqu'à la mort De FERDINAND VII –tome premier – Furnf. ET C .Libraires Editeurs –paris.
- 19 - M. de Manles , M. Joseph Conde , Histoire de la Domination des arabes et les Maures en Espagne et en Portugal, tome 3 , Alexis Emery libraire ,paris 1825 .
- 20 - Mustapha. A. Khamise, Histoire de la médecine au Maroc des origines au protectorat Imp Iddar el Beida, Casablanca. 1991 .

- 21 –Rachid Bourouiba , l’art religieux musulman en Algérie,
S.N.E.D, Alger 1993 .
- 22 - Rachal -Arie l’Espagne musulmane au temps de nasrides . de
bocard paris 1990.
- 23- (-----), Historia y Cultura de la Granada Nazarí ,Biblioteca
de bolsillo Granada 2004 .
- 24- Roman masats ;Al Andalus culturas de convivenira ;lunweg
;Editoras ;Barcalona 2002 .

فهرس الاعلام

أ

- إبراهيم التازي, 115
- إبراهيم بن محمد المصمودي, 114
- إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى, 141, 264
- إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله موسى, 146
- إبراهيم بن أحمد العبدي الآبلي, 127
- إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي, 261
- إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي, 18
- إبراهيم بن خلف التنسي, 43, 115, 112, 122, 263
- إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن محمد, 285
- إبراهيم بن سهل الاسرائيلي, 96
- إبراهيم بن عبد الله الاخلاطي, 216
- إبراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الغرناطي, 260
- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري, 297
- إبراهيم بن علي الأنصاري, 132, 309
- إبراهيم بن علي الخياط, 125
- إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي, 203
- إبراهيم بن محمد الأموي الإشبيلي, 285
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالطويجن, 286
- ابراهيم بن محمد بن فتوح العقيلي, 90
- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي, 89

ابن الأزرق محمد ابو عبد الله, 90, 239, 244, 257, 313, 315

ابن أبي زرع أبو الحسن, 145

ابن اياس زين الدين الحنفي, 215

ابن البناء المراكشي, 105, 146, 147

ابن دقيق العيد, 143, 152, 200, 203, 204

ابن تغري بردي, أبو العباس, 174, 213

ابن الرومية أبو العباس الإشبيلي, 102

ابن حجر العسقلاني, 86, 90, 97, 99, 101, 101, 127, 203, 213, 273

ابن حزم, 20, 78, 332

ابن خلدون عبد الرحمن, 18, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 28, 33, 34, 36, 37, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 47, 51, 52, 56, 59, 61, 62, 68, 82, 84, 85, 86, 88, 91, 94, 98, 101, 111, 112, 113, 117, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 137, 138, 139, 140, 142, 144, 146, 148, 150, 151, 153, 155, 156, 159, 173, 178, 182, 183, 184, 185, 186, 190, 199, 208, 209, 223, 224, 225, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 234, 235, 236, 237, 238, 240, 257, 258, 259, 262, 266, 267, 270, 278, 280, 281, 282, 283, 289, 297, 301, 305, 306, 321, 322, 323, 332, 339, 343, 344, 345

ابن خلكان شمس الدين, 213

ابن الخطيب لسان الدين, 68, 84, 98, 100, 106, 106, 125, 225, 233, 234, 235, 238, 242, 259, 260, 261, 266, 268, 288, 289, 290, 307, 310, 315, 316, 322, 323

ابن مرزوق الحفيد, 114, 125, 126, 155, 162

ابن مرزوق الخطيب, 33, 70, 113, 114, 123, 262, 289, 292, 293, 315, 316

ابن مسدي أبو بكر الغرناطي,

ابن مرزوق الكفيف, 265

ابن زمرك ابو عبد الله, 69, 94, 261

ابن النفيس علاء الدين, 216

ابن الحاج النميري أبو إسحاق إبراهيم, 260

ابن زكري ابو العباس، 124
ابن عبد الله محمد المغربي، 165
ابن هدية القرشي أبو عبد الله ، 122 , 126
أبو إسحاق الإسفرائيني، 77
أبو البقاء الرندي، 32
أبو بكر بن خطاب، 44
أبو بكر بن جزبي، 76
أبو تاشفين عبد الرحمن، 111 , 117
أبو الحجاج يوسف، 68 , 78 ، 98 , 233 , 242 , 315
أبو الحسن التنسي، 112 , 122 , 127 , 329
أبو الحسن المريني، 38 ، 43 ، 113 ، 130 ، 131 ، 132 ، 134 ، 232 ، 251 ، 329
أبو الحسن الشاذلي، 93 ، 141 ، 204 ، 205 ، 207 ، 335
أبو حمو موسى الأول، 111 ، 113 ، 117 ، 122 ، 129 ، 301 ، 329
أبو حمو موسى الثاني، 45 ، 111 ، 114 ، 115 ، 118 ، 238 ، 263
أبو حمو موسى بن عثمان، 44
أبو حيان الغرناطي، 79 ، 86 ، 99 ، 281
أبوسعيد عثمان المريني، 36 ، 38 ، 40 ، 129 ، 130 ، 237 ، 329
أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، 44 ، 112 ، 301
أبوسعيد فرج بن لب، 78
أبو عمر وعثمان، 168
أبو عنان المريني ، 38 ، 45 ، 39 ، 113 ، 117 ، 131 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 139 ، 142 ، 147 ، 144 ، 235 ، 260 ، 262 ،
301 ، 299
أبوعبد الله الشوذي، 113 ، 117 ، 135 ، 313

أبو عبد الله الغني بالله, 238
أبو عبد الله محمد بن عبد الستار, 167
أبو عبد الله محمد النجار, 128,
أبو عزة زيدان, 42
أبو عمر عثمان, 160
أبو مدين شعيب, 92, 113, 115, 117, 121, 135, 141, 153, 158, 317
أبو زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى أبي الامام, 113, 117, 122
أبو زكرياء الحفصي, 50, 51, 52, 98, 105, 126, 137, 142, 147, 148, 149, 157, 160, 165, 166, 167, 168,
170, 223, 224, 257, 267, 268, 281, 302, 330, 362
أبو زكرياء يحيى بن عصفور العبدري التلمساني, 284
أبو فارس عبد العزيز, 187
أبو يوسف يعقوب, 38, 133, 228, 229, 259
أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى, 74
أبو القاسم بن جزى بن الفخار الخولاني, 78
أحمد الرفاعي, 99, 205
أحمد الغبريني ابو العباس, 158, 292
أحمد المنستيري, 157
أحمد بلافريج, 285
أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان, 106
أحمد بن إبراهيم بن الزبير, 89, 101
أحمد بن أبي الحسن بن أبي العباس, 335
أحمد بن أبي بكر بن عوام, 205
أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر, 207

- أحمد بن إسماعيل بن عبد الله شهاب, 216
- أحمد بن الحسن بن قنفذ ابن الخطيب, 157
- أحمد بن الحسين بن علي الزيات, 99
- أحمد بن الشماع, 158
- أحمد بن العباس الوزير, 80
- أحمد بن الناصر محمد بن فلاوون, 242
- أحمد بن باسة, 327
- أحمد بن حديدي, 75
- أحمد بن طولون, 178, 194
- أحمد بن عبد الله الأنصاري, 312
- أحمد بن عبد الله الطنجالي, 104
- أحمد بن عبد الله القرشي الشريف, 269
- أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنصاري, 273
- أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهاجر, 273
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي, 267, 304
- أحمد بن عروس الهواري, 153
- أحمد بن علي البلوي, 257, 292
- أحمد بن علي التميمي, 161
- أحمد بن علي بن محمد بن حجر, 295
- أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة, 97
- أحمد بن عمر الأندلسي, 93
- أحمد بن عمر بن إبراهيم, 87
- أحمد بن عمر بن عاشير, 141

- أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان الجذامي, 140
- أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن القباب, 261
- أحمد بن محروق, 71
- أحمد بن محمد القرشي الغرناطي, 167
- أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد, 90
- أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز, 152
- أحمد بن محمد بن الحشا, 160
- أحمد بن محمد بن حسن الخزرجي بن الغماز, 304
- أحمد بن محمد بن حسن بن خضر الصديقي, 317
- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرون, 299
- أحمد بن محمد بن يوسف الاصاري, 205
- أحمد بن محمد بن محمد المطوي, 295
- أحمد بن محمد يوسف الجزائلي, 147
- أحمد بن مرزوق ابو العباس, 124
- أحمد بن هشام جمال الدين النحوي, 209
- أحمد بن يحي فضل الله العمري, 214
- أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن مخلد, 298
- أحمد بن يوسف الفهري اللبلي, 318
- أحمد بن يوسف بن يعقوب الكتاني التونسي, 157
- أحمد بن يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني, 162
- أمية بن عبد العزيز الداني, 324
- أمين الدين بن عثمان, 205
- إزيلا, 31

اسماعيل بن الأحمر ابو الوليد, 45, 101, 292
اسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي, 142
إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن هاني, 274
افريم (إبراهيم) بن إسرائيل عنقاوة, 301
أفضل الدين الخونجي, 218
الأشرف أبو نصر قايتباي الجركسي, 174
الأشرف برسباي, 63
الأشرف قايتباي, 181
الأشرف موسى, 60
الأعدر بن العافية بن عسكر, 34
الأميرة عطف, 166, 167
الأوزاعي, 21, 307, 331
أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي, 101, 271, 314
الجدلي المالقي أحمد بن عبد الحق, 101
الحاج يعيش, 327
الحباك أبو عبد الله, 128
الحسن علي الصرصري, 136
الزعل أبو عبد الله, 30
السخاوي شمس الدين, 62, 127, 174, 214
السلطان أحمد العاقل, 118, 283
الصالح حاجي, 62
الصالح عماد الدين إسماعيل, 242

الظاهر بيبرس, 61, 62, 173, 176, 178, 179, 185, 191, 192, 193, 194, 197, 200, 205, 212, 278, 282,
341, 336, 333

الظاهر حقمق, 179, 243, 278

العبدري أبو عبد الله الحاجي, 101

العزیز بالله ابن المعز لدين الله الفاطمي, 179

الغازي بن قيس, 89, 332

ألفونسو الحادي عشر, 29

الفونسو السادس, 23

المستنصر الحفصي, 159, 161, 168, 224, 226, 269, 284, 303, 318

المعتصم بالله, 59

المعز لدين الله الفاطمي, 196

عبد الله بن محمد بن كبير الإشبيلي, 306

المقري، ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر, 123

المقرزي تقي الدين, 173, 212

المهدي بن تومرت, 17

المؤيد شيخ الحمودي, 179, 181, 197

الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون, 180

الناصر قلاوون, 62

الناصر محمد بن قلاوون, 179, 180, 196, 242

الونشريس أحمد بن يحيى بن عبد الواحد, 123

ب

بايزيد الثاني, 246

برسبای الدقماقي الظاهري, 186, 196

برقوق, 62, 185, 190, 192, 204, 205, 206, 213, 216, 336, 345

برهان الدين ابراهيم بن معطاه بن شددا الجعيري, 193

برهان الدين بن زقاعة ابراهيم, 216

بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن, 210

بيبرس الدوادار, 174, 175, 176, 185, 196, 198

بيبرس المنصوري, 56, 60, 61, 62, 214, 278

تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري, 205

تاج الدين محمد بن الصاحب, 191

تقي الدين ابن تيمية, 200

تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسن, 199

تقي الدين السبكي, 190, 201

تقي الدين بن حجة الحموي, 211

توران شاه, 57, 59

تيمورلينك, 63

ج

جابر بن يوسف بن محمد, 41

جعفر بن أحمد الرعيبي البيري, 259

جلال الدين السيوطي, 55, 59, 60, 90, 99, 157, 160, 162, 178, 185, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 207,

209, 210, 211, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 270, 272, 277, 278, 285, 335, 338, 339

جلال الدين بن أحمد بن يوسف التبريزي, 201

جلال الدين نصر الله, 207

جمال الدين بن مالك النحوي, 209

جمال الدين بن نباتة ابو بكر, 210

جمال الدين قراقجا الحسني, 177

جمال الدين محمود, 187, 198

جوهر الصقلّي, 173, 178

ح

حازم بن محمد القرطاجني, 96, 170, 318

حازم بن محمد بن حسين بن محمد, 269

حسن الوزان, 36, 41, 169, 194, 250, 253, 325

حسن بن محمد بن باصة, 104

حسين ناصر الدين البجائي, 152

حمزة بن محمد بن حسين البجائي, 176

خ

خضر بن أبي بكر, 192, 205, 336

ر

ركن الدين بيبرس, 179, 189

ز

زكي الدين أبو إسحاق إبراهيم, 339

زياد بن عبد الرحمن اللخمي, 88

زين الدين بن شهاب الدين أحمد الخنفي, 215

زين الدين عبد الرحمن بن محمد, 211

س

سراج الدين البلقيني, 173, 187, 210

سعد بن عبادة, 25

سعد المستعين بالله بن علي, 244

سعيد العقباني, 90, 121, 132, 264, 283, 293

سهل بن مالك, 317, 321

سيف الدين ألماس, 181

سيف الدين أبنال السيفي, 181

ش

شجرة الدر, 59, 60

شرف الدين البوصيري, 208

شرف الدين عبد المؤمن خلف, 185

شعبان بن حسين بن الناصر, 198

شمس الدين السخاوي, 193, 201, 204, 207

شمس الدين المالكي, 196

شمس الدين عبد الله الوادي آشي, 264

شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن, 217

شهاب الدين أبو الثناء, 209

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج, 339

شهاب الدين أبو الفرج, 209

شهاب الدين أحمد بن رجب بن طبيغا, 217

شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر, 340

شهاب الدين العسقلاني, 217

شهاب الدين بن عقيل, 201

ص

صارم الدين إبراهيم بن محمد, 213

صالح يوسف الرندي, 95

صدر الدين بن حمويه, 189

صدر الدين محمد بن الوكيل, 344

صرغتمش الناصري, 186

صفى الدين الحسين, 191

صلاح الدين الايوبي, 54, 55, 56, 59, 60, 61, 92, 180, 182, 183, 189, 194, 196, 200, 340, 341

صلاح الدين حاجي, 61

صلاح الدين يوسف بن عبد الله, 217

ض

ضياء الدين أبو جعفر محمد بن صابر ، 272

ضياء الدين أبو محمد, 340, 103

ط

طومان باي, 65, 64

ع

عائشة الحرّة, 30

عباد الرندي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم, 93

عباس بن عمرو بن هارون, 80

عبد الباسط بن خليل, 276

عبد الحق الإشبيلي, 106

عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المرسي, 316

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر, 92

عبد الحق بن محيو, 38, 36

عبد الرحمان بن عفان الجزولي, 140

عبد الرحمان بن محمد بن ملاح, 264

عبد الرحمن الأوسط, 345, 74, 73, 68

عبد الرحمن الثالث, 21

عبد الرحمن الداخلة, 332, 89, 79, 76, 73, 68, 21

عبد الرحمن الناصر, 77, 74

عبد الرحمن بن الحكم, 73

عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ, 275

عبد الرحمن بن محمد الجاديري, 147

عبد الرحمن بن محمد بن أفتيس, 80

عبد الرحيم بن علي البيساني, 183

عبد السلام بن عبد المنعم, 294

عبد العزيز بن ابراهيم بن أحمد القرشي التميمي, 152

عبد العزيز بن موسى, 19, 20

عبد القادر الجليلاني, 91, 334

عبد القادر الدشطوطي, 192

عبد القاهر بن محمد عبد الرحمن التونسي, 160

عبد الله الكراكي المغربي, 193

عبد الله المنوفي, 206

عبد الله بن حوط الأنصاري, 298

عبد الله بن سلمون الكنايني, 86

عبد الله بن محمد المرواني, 321

عبد الله بن هارون الطائي, 269

عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري, 260

عبد الله عيو بن أبي محمد بن الشيخ الحفصي, 156

عبد الله محمد بن سلمان المعافري, 272

عبد الله محمد بن يوسف الجزري, 218

عبد الملك ابن أبي العلاء, 102

عبد الملك بن حبيب, 88

عبد الملك بن طفيل, 106

عبد المنعم الجلياني, 340

عبد المؤمن بن علي, 17, 24, 34, 41, 47, 133, 273, 327

- عبيد الله بن المظفر, 362
- عثمان بن ابي العلاء, 29
- عثمان بن سعيد بن عثمان الداني, 138
- عثمان بن عيسى بن منصور, 344
- عروج و خير الدين, 53
- عز الدين أبو إسحاق إبراهيم, 216
- عز الدين أبيك, 59, 60, 61, 193, 184, 200
- عز الدين أيدمر الخطيري, 181
- عز الدين بن جماعة, 202
- عز الدين بن عبد السلام, 154, 199
- علاء الدين أبو الفتوح, 203
- علاء الدين بن أبي حزم, 216
- علاء الدين بن مقاتل الحموي, 345
- علاء الدين طيبرس الخزنداري, 187
- علاء الدين علي بن نجم الدين, 216
- علي بن أحمد الحراني, 335
- علي بن الحمارة ابو الحسن, 324
- علي بن حديدة الأندلسي, 285, 336
- علي بن عبد الله الحنفي المالقي, 100
- علي بن عبد الله النميري الشيشتري, 92
- علي بن علال بن حسن الحضرمي, 311
- علي بن محمد القرشي الشهير بالقلصادي, 101, 104, 250, 265, 271
- علي بن محمد المعروف بسيدي علي, 207

علي بن محمد بن خروف الحضرمي, 309

علي بن محمد بن يوسف الانصاري الأندلسي, 154

علي بن موسى المعروف بابن عصفور الإشبيلي, 99، 157، 318

علي بن موسى بن محمد بن سعيد المغربي, 269، 270، 303

عماد الدين زنكي, 54

عمر بن أبي الفوارس, 209

عمر بن الخطاب, 47

عمر بن داود بن عمر الفارسي, 275

عمر بن عبديس, 74

عمر بن منظور, 97

عمر بن نور الدين أبو الحسن الأندلسي 87

عمر بن يحيى الهنتائي, 47

عمر مودود بن عمر الفارسي, 294

عمران بن موسى بن ميمون الهواري, 263

عمران موسى بن أبي حفص, 222

عمرو بن العاص, 178

عيسى بن علي بن واصل, 263

عيسى بن محمد الكوشي, 103

عيسى بن يحيى بن أحمد السبتي, 145

غ

غالب بن علي بن محمد اللخمي, 319، 340

ف

فارس الدين أفتاي, 60

فتح الدين بن سيد الناس, 285, 338

فرج بن برقوق, 186, 187

ق

قانسوه الغوري, 184, 186, 189, 191, 208, 245

قايبياي, 63, 64, 174, 186, 192, 193, 278, 345

قطز, 61

قلاوون, 62, 177, 178, 179, 180, 181, 184, 185, 187, 189, 190, 194, 195, 203, 208, 209, 212, 214,

216, 241, 252, 336, 363, 364

م

مالك بن المرحل, 96, 143

مالك بن أنس, 89, 140, 332

مالك بن عبد الرحمن بن علي, 96

محمد ابن إبراهيم بن إسحاق الأنصاري, 260

محمد ابن إبراهيم بن عبد الله بن يوسف بن روييل, 103

محمد الأحنف بن عثمان, 243

محمد الأول النصري, 28, 80, 92, 223, 224, 236, 336

محمد الآيسر, 226, 243

محمد الثالث النصري, 28, 68, 76, 80, 225, 231

محمد الثامن النصري, 226, 281

محمد الثاني الفقيه, 27, 28, 68, 227, 253

محمد الخامس, 225, 234, 235, 238, 242, 243

محمد الدهان, 160

محمد الرابع النصري, 29, 231, 232, 235

محمد السابع النصري, 225

- محمد الكراسي الأندلسي, 299
- محمد الكمراني التونسي, 160
- محمد اللؤلؤي المعروف بالزركشي, 158
- محمد الواثق بن يحيى المستنصر, 225
- محمد بن إبراهيم الآبلي, 167, 301
- محمد بن إبراهيم الأوسي, 105
- محمد بن إبراهيم الشهير بابن غصن, 342
- محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي, 139
- محمد بن إبراهيم بن أحمد بن حسين الطائي, 86
- محمد بن ابراهيم بن اسحاق الأنصاري, 138
- محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي, 320
- محمد بن إبراهيم بن محمد السبتي, 143
- محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن جزى الكلبي, 298
- محمد بن ابي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي, 260
- محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي, 265
- محمد بن أبي بكر المقرئ, 290
- محمد بن أبي بكر الوابلي, 273
- محمد بن أحمد الأموي, 284
- محمد بن أحمد الأنصاري, 85, 93, 298
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, 85
- محمد بن أحمد الرغوطي, 104
- محمد بن أحمد الزهري, 89
- محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صاعد, 125

- محمد بن أحمد بن أمين التركي, 275
- محمد بن أحمد بن حرب, 89
- محمد بن أحمد بن حسن بن عامر, 272
- محمد بن أحمد بن رضوان بن أرقم النميري, 261
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري, 267
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري, 93
- محمد بن أحمد بن عبد الله, 96, 165, 338
- محمد بن أحمد بن عبد الله الحسيني, 96
- محمد بن أحمد بن عبد الله يعرف بابن سيد الناس, 268
- محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر الوائلي, 162
- محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم, 202
- محمد بن أحمد بن محمد الأموي, 161, 319
- محمد بن أحمد بن محمد الأموي الأندلسي, 161
- محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سراقه, 272
- محمد بن إسماعيل ابو عبد الله الراعي, 29, 90, 274
- محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي, 313
- محمد بن الشيخ أحمد البطريني, 152
- محمد بن جابر الأندلسي الهواري, 97
- محمد بن جابر الوادي آشي, 295, 298
- محمد بن خميس التلمساني, 97, 126
- محمد بن سعيد الرعيبي, 292
- محمد بن سعيد بن أحمد بن لب, 87
- محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري, 144

- محمد بن سعيد بن عبد الملك المراكشي, 146
- محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي, 307
- محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان, 339
- محمد بن شلبون, 142
- محمد بن صالح بن أحمد الكناني, 86, 87, 317
- محمد بن عبد البر, 201, 319
- محمد بن عبد الحق, 37, 38, 101, 107
- محمد بن عبد الرحمن المومنانبي, 292
- محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم الرندي, 96, 273
- محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجي, 141
- محمد بن عبد الرحمن بن الفخار الجداامي, 89
- محمد بن عبد الرحمن بن المغيلي, 140
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف الهاشمي, 160
- محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سلمان التجيبي, 312
- محمد بن عبد الرزاق الجزولي, 139
- محمد بن عبد الستار, 167
- محمد بن عبد السلام الهواري, 151, 167, 168
- محمد بن عبد الله القلشاني التونسي, 153
- محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار البلنسي, 98, 223, 268, 302
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عريون, 152
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن يوسف اللواتي, 145
- محمد بن عبد الله بن حرزهم, 142
- محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب, 265

- محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي, 126
- محمد بن عبد الله بن قاسم المزوار, 130
- محمد بن عبد الله بن لب, 338
- محمد بن عبد الله بن مالك الطائي, 338
- محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن فرتون, 274
- محمد بن عرفة الورغمي, 293, 151
- محمد بن عقاب, 317
- محمد بن علوان التونسي, 151
- محمد بن علي المعروف باليقال, 138
- محمد بن علي بن الفخار, 86
- محمد بن علي بن عبد الله الإشبيلي, 146
- محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج, 104
- محمد بن علي بن عبد الواحد, 201
- محمد بن علي بن عمر بن يحيى العربي الغساني, 260
- محمد بن علي بن محمد بن القاسم, 98
- محمد بن علي بن محمد بن هشام, 270
- محمد بن علي بن يحيى البياسي, 88
- محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي البلنسي, 272
- محمد بن علي فرج القربلياني, 103
- محمد بن عمر الهواري, 115
- محمد بن عمر بن محمد بن رشيد, 145
- محمد بن غازي العثماني, 144
- محمد بن غالب بن يونس الحياتي, 342

- محمد بن قاسم الأنصاري, 144
- محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي, 311, 147
- محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري, 316
- محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد القيسي الوادي آشي, 316
- محمد بن قاسم بن محمد بن علي الغساني, 86
- محمد بن محمد البدوي الأندلسي, 97
- محمد بن محمد بن حزب الله الوادي آشي, 307
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن خلف, 261, 90
- محمد بن محمد بن أحمد بن يكرون, 313
- محمد بن محمد بن الجنان, 94
- محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل, 99
- محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدي, 145
- محمد بن محمد بن علي بن البقال, 141
- محمد بن محمد بن محارب, 105, 104
- محمد بن محمود القبري, 321
- محمد بن مردنيش, 18
- محمد بن يحيى الأندلسي اللبسي, 340
- محمد بن يحيى السليماني, 168
- محمد بن يحيى العبدي الفاسي, 143
- محمد بن يحيى بن محمد بن إبراهيم الغساني, 299
- محمد بن يحيى بن منظور, 103
- محمد بن يحيى بن عبد السلام, 80
- محمد بن يعقوب المرسي, 304

محمد بن يوسف بن نصر, 25, 26, 27, 28, , 91, 104, 244, 317

محمد بن يوسف ابن مسدي, 87, 342

محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسيني, 124

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين, 86, 99

عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عطية المديوني, 146

محمد بن يوسف وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي, 266

محمد عبد الحق بن برطلة, 269

محمد يوسف بن زمرك أبو عبد الله الغرناطي, 97

محي الدين ابن العربي, 92

محي الدين أحمد بن إبراهيم الدمشقي, 217

محي الدين بن عبد الظاهر, 209

محيو بن أبي بكر, 35

مصباح بن عبد الله الياصولوتي, 131

مفضل بن محمد بن إبراهيم العذري, 299

منصور بن جردان, 164

موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق, 230

موسى بن علي بن عتيق, 319

موسى بن موسى, 75

موسى بن ميمون القرطبي اليهودي, 341

موسى بن نصير, 19, 20, 75, 76

موسى عمران المشدالي, 117, 121

ن

ناصر الدين المشدالي, 121

ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي, 154

نافع بن أبي نعيم, 138, 89

نجم الدين أيوب, 200, 183, 179, 59, 58, 57

نور الدين محمود, 55, 54

و

ولي الدين أبو زرعة, 202, 180

ي

يحيى ابن خلدون, 126, 111, 41

يحيى الخديج المرسي, 324

يحيى بن إبراهيم محمد بن الحاج المعافري, 319

يحيى بن أحمد بن هذيل, 107

يحيى بن رضوان الوادي آشي, 105

يحيى بن غانية, 48

يحيى بن هذيل, 147, 103

يعقوب المنصور, 131, 48, 41, 34, 17

يعقوب بن عبد الحق, 299, 230, 228, 144, 137, 134, 129, 113, 38

يغمراسن, 300, 265, 264, 263, 237, 236, 229, 125, 124, 122, 115, 112, 110, 50, 46, 44, 42, 41

يوسف بن تاشفين, 311, 236, 112, 23

يوسف بن عبد الرحمن الفهري, 20

يوسف بن يعقوب, 329, 231, 230, 136, 135, 134, 133, 44, 38

فهرس المدن والبلدان

أ

- أراغون 229, 54
- أرجونة 26, 25
- استانبول 287
- أسفي 250
- آسيا 252, 86
- آسيا الصغرى 86
- أسيلا 249
- إشبيلية 19, 21, 22, 23, 26, 27, 28, 29, 114, 118, 127, 128, 135, 180, 223, 228, 267, 268, 280, 284, 286, 293, 299, 312, 313, 314, 325, 328, 331, 342, 349
- أغادير 250
- إفريقية 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349
- الإسكندرية 22, 80, 85, 90, 93, 94, 95, 99, 109, 113, 136, 151, 159, 177, 182, 185, 188, 204, 206, 213, 216, 241, 243, 249, 251, 252, 253, 254, 259, 266, 270, 271, 272, 277, 279, 281, 322, 326, 339, 343, 348
- الأندلس 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 28, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 57, 59, 60, 65, 70, 72, 73, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 123, 124, 126, 127, 128, 129, 130, 137, 148, 149, 151, 152, 153, 157, 158, 159, 163, 165, 167, 172, 174, 186, 187, 199, 222, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 232, 233, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 258, 261, 262, 263, 266, 267, 269, 270, 271, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 292, 293, 294, 296, 297, 298, 299

, 322, 320, 319, 318, 317, 316, 314, 313, 312, 311, 309, 308, 307, 306, 305, 303, 302, 301, 299
, 346, 345, 344, 341, 339, 338, 337, 336, 335, 334, 333, 332, 330, 329, 328, 326, 325, 324, 323
349, 348, 347

ب

187 باجة
55 بلاد الزاب
, 268, 267, 181, 180, 177, 176, 175, 147, 144, 143, 114, 111, 109, 74, 71, 68, 66, 17 بجاية
337, 326, 321, 320, 319, 318, 317, 305, 304, 298, 284, 274, 269
273, 119 بلش
319, 317, 312, 284, 280, 271, 268, 267, 223, 222, 176, 120, 111, 98, 72, 70, 53, 26 بلنسية
285 بنزرت
228, 48 يياسة
316, 307, 270, 203, 185, 164, 78 بيت المقدس
341 برسا
144, 135 برشك
337, 286 بيت المقدس
346, 339, 304, 270, 241, 199 بغداد
52 البشترات
270, 76 البصرة
63 البطحاء

ت

134, 132 تاجرارت
324, 57 تازا
55 تاهرت

تركيا 314, 287

2تكرت 270

تلمسان 135, 134, 133, 132, 119, 118, 105, 104, 93, 92, 74, 72, 67, 66, 65, 64, 63, 62, 56, 55
 , 223, 175, 189, 157, 152, 150, 149, 148, 147, 146, 145, 144, 143, 141, 140, 139, 138, 137, 136
 , 293, 287, 284, 283 ,276, 266, 265, 264, 263, 257, 253, 251, 250, 247, 239, 238, 237, 232, 229
 348, 331, 330, 326 ,325 ,324, 321, 316, 315, 314, 313, 311, 302

تازة , 163

تمبكتو 287

توزر 187

تونس 173, 172, 171, 169, 162, 150, 144, 120, 118, 104, 75, 74, 73, 72, 71, 70, 69, 65, 21, 18
 , 253, 250, 226, 223, 193, 192, 191, 189, 188, 187, 184, 183, 180, 179, 178, 177, 176, 175, 174
 , 319, 318, 315, 306, 305, 304, 303, 302, 298, 293, 287, 286, 285, 284, 269, 267, 266, 258, 257
 331, 326, 320

تيطلة 97

ج

جبل طارق 309, 251, 250, 233, 232 ,163, 51, 50, 48, 23

جزيرة الروضة 80

جيان 299, 242, 228, 222, 53, 26, 24

الجريد 55

الجزائر , 109, 108, 107, 105, 96, 94, 90, 81, 70, 67, 66, 65, 64, 62, 55, 53, 26, 21, 20, 18, 17
 , 146, 145, 144, 140, 139, 138, 137, 136, 135, 134, 133, 126, 124, 123, 116, 115, 114, 113, 110
 329, 326, 325, 323, 305, 303, 273, 271, 266, 265, 253, 250, 247, 156, 148, 147

الجزيرة 324, 322, 288, 249, 238, 231, 230, 228, 98, 77, 54, 53, 49, 48, 23, 19

الجزيرة الخضراء 249, 238, 230, 228, 98, 48, 23, 19

الحجاز 344, 343, 333, 295, 286, 277, 274, 271, 204, 168, 123, 83

ح

حلب 339, 276, 76

الحسمة 285

د

دانية 312, 307, 223

دمشق 275, 272, 214, 211, 203, 201, 199, 193, 173, 125, 121, 109, 106, 95, 82, 78, 52, 25, 20

347, 345, 340, 339, 333, 304, 277

دمياط 252

دولة الممالك 282, 245, 243, 199, 194, 191, 184, 176, 137, 86, 85, 83, 82, 81, 79, 78, 76

الدولة الحفصية 225, 223, 186, 185, 184, 182, 181, 180, 172, 171, 170, 138, 74, 73, 70, 69, 68

304, 303, 301, 267, 266, 258, 250, 227

الدولة الزيانية 149, 148, 147, 146, 142, 140, 139, 138, 137, 132, 68, 67, 66, 64, 63, 62, 18

316, 302, 301, 263, 250, 237, 236, 150

الدولة السعدية 62

الدولة السلجوقية 99

الدولة الفاطمية 334, 77, 76

الدولة المرينية 235, 234, 229, 227, 168, 167, 159, 157, 156, 155, 67, 62, 61, 60, 58, 57, 56, 54

306, 301, 298, 297, 290, 285, 262, 261, 259, 236

الدولة الموحدية 334, 297, 282, 280, 222, 171, 105, 73, 71, 70, 63, 56, 26

الدولة النصرية 261, 254, 252, 236, 227, 222, 134, 128, 122, 118, 117, 116, 111, 90, 25, 24

301, 275

ر

رباط الفتح 339, 330, 328, 58

رندة 285, 273, 268, 265, 231

الريمانية 86

ز

الزلاقة 23

الزهراء 96, 22

س

سنة 19, 60, 72, 111, 138, 147, 154, 160, 165, 231, 235, 249, 260, 261, 267, 298, 299, 301,

311, 313, 314

سجلماسة 55, 72, 250

سلا 127, 154, 159, 164, 263, 267, 285, 312, 328

سلفات 58

سوسة 285

السودان الغربي 174, 250, 252

ش

شاطبة 53, 107, 109, 280, 304, 318

شرشال 135, 266, 284

شريش 111, 223, 229, 299, 273

شيفشاون 285

الشام 76, 77, 80, 81, 82, 83, 86, 115, 125, 162, 177, 186, 194, 202, 211, 212, 213, 250,

254, 270, 274, 277, 282, 286, 295, 333, 337, 339, 340, 341, 343, 345, 347

ص

صفاقس 285

ط

طريف 23, 48, 108, 223, 231, 232, 249, 281

333, 326, 101, 97, 23, 19 طليظة

253, 250, 249, 235, 72 طنجة

ع

68 عنابة

277, 252 عيذاب

83 عين جالوت

330, 163, 260, 157, 155, 144, 139, 137, 136 العباد

199, 99 العراق

غ

, 101, 100, 99, 98, 94, 91, 75, 72, 68, 54, 53, 52, 51, 50, 49, 48, 26, 25, 24, 23, 22, 18 غرناطة
 , 223, 174, 169, 153, 128, 127, 126, 124, 122, 118, 117, 116, 114, 112, 111, 108, 106, 103, 102
 , 249, 248, 246, 245, 244, 243, 242, 241, 240, 239, 238, 235, 233, 232, 229, 227, 226, 225, 224
 , 298, 288, 287, 285, 283, 281, 279, 276, 274, 271, 266, 265, 263, 259, 257, 255, 254, 251, 250
 341, 330, 329, 325, 323, 321, 320, 317, 316, 315, 314, 313, 310, 309, 308, 301, 300, 299

287 غلطة

ف

, 163, 160, 158, 154, 153, 152, 151, 147, 146, 145, 137, 132, 120, 60, 59, 57, 53, 17 فاس
 , 300, 299, 298, 294, 292, 289, 285, 261, 260, 259, 258, 250, 240, 235, 230, 174, 170, 165, 164
 328, 324, 316, 313, 312, 311, 309, 308, 307

55 فكيك

ق

268 قابس

343, 253, 243, 85 قبرص

313 قرليان

, 129, 128, 122, 110, 109, 102, 101, 99, 97, 96, 95, 94, 91, 70, 54, 25, 24, 22, 21, 19 قرطبة
 , 345, 339, 334, 331, 330, 329, 328, 327, 326, 325, 323, 322, 318, 307, 302, 299, 280, 264, 228
 349, 348, 346

327, 326, 318, 306, 264, 189, 178, 177, 113, 110, 74, 71, 66 قسنطينة

- قشتالة 23, 24, 26, 50, 51, 54, 61, 159, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 241, 242, 244, 245, 251, 259
- قفصة 187, 252
- الفسطاط 173, 179, 282
- القاهرة 18, 19, 20, 21, 24, 49, 52, 54, 61, 62, 64, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 82, 83, 84, 86, 87, 91, 96, 98, 100, 107, 110, 111, 112, 116, 117, 122, 129, 132, 143, 145, 153, 162, 173, 175, 177, 178, 179, 181, 182, 186, 188, 189, 190, 192, 195, 201, 203, 209, 211, 213, 217, 241, 244, 246, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 266, 270, 273, 274, 275, 277, 282, 307, 333, 334, 339, 341, 342
- القرويين 115, 152, 156, 162, 169, 310, 312, 329
- القسطنطينية، 247
- القصر الصغير 249
- القيروان 67, 157, 162, 181, 184, 188, 250, 258
- ك
- الكوفة 270
- م
- ماردة 19, 280
- مالقة 22, 23, 26, 48, 51, 103, 106, 112, 121, 122, 126, 127, 128, 227, 228, 229, 230, 249, 254, 260, 274, 276, 308, 314, 341
- مرسية 26, 48, 53, 114, 126, 269, 298, 302, 305, 313, 315, 317, 320, 321, 325, 337
- مستغانم 284
- مصر 17, 53, 55, 73, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 86, 97, 108, 113, 125, 144, 149, 150, 177, 178, 182, 185, 173, 174, 176, 177, 178, 179, 180, 182, 183, 184, 185, 187, 188, 189, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 204, 205, 207, 208, 211, 212, 213, 215, 216, 217, 218, 219, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 252, 253, 254, 255, 257, 267, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 279, 282, 283, 285, 286, 294, 295, 307, 316, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 340, 342, 343, 345, 346, 348
- مكة 73, 91, 147, 168, 202, 185, 240, 269, 270, 275, 277, 278, 281, 286, 343
- مكناسة 59, 136, 151, 155, 158, 160, 162, 167

ملوية	58, 55
ميورقة	250
المدينة	19, 23, 26, 51, 52, 91, 93, 94, 97, 98, 99, 102, 106, 132, 147, 157, 162, 168, 189, 173,
	207, 223, 256, 286, 329, 343
المدينة المنورة	274, 276, 277, 286, 343
المرسى الكبير	68, 250
المرية	26, 48, 99, 102, 111, 160, 222, 249, 250, 251, 260, 261, 269, 274, 300, 317, 339, 347
المطمر	139
المغرب الأدنى	18, 61, 65, 186, 190, 266
المغرب الإسلامي	17, 24, 61, 72, 73, 74, 93, 94, 114, 132, 134, 136, 137, 138, 149, 155, 157, 166,
	171, 172, 176, 181, 185, 189, 192, 240, 241, 247, 248, 250, 252, 256, 258, 262, 264, 270, 283,
	297, 301, 303, 321, 327, 338
المغرب الأقصى	18, 20, 23, 49, 54, 55, 57, 74, 137, 138, 150, 151, 152, 157, 158, 168, 170, 227,
	249, 250, 259, 260, 261, 262, 266, 285, 297, 302, 304, 306, 310, 312, 320, 326, 328, 329
المغرب الأوسط	18, 55, 61, 62, 63, 67, 68, 75, 92, 132, 133, 135, 137, 138, 143, 148, 250, 258,
	263, 264, 266, 268, 301, 302, 305, 313, 317, 327, 330, 331
المنستير	285
المنصورة	22, 66, 98, 120, 136, 157, 331
المنكب	249, 251
المهدية	17, 19, 70, 250
الموصل	76, 82, 155, 270
ن	
ندرومة	64, 136, 266
نيسابور	99
هـ	
هنين	64, 136, 250, 266, 284
الهند	211, 252, 254, 255

و

الوادي الكبير 48

وادي آش 26، 114، 225، 128، 261، 276، 287، 338

وادي تلاغ 56

وادي سبو 57

وادي عفو 202

وهران 63، 68، 92، 110، 132، 137، 139، 145، 250، 252، 264، 333

ي

اليمن 203، 333، 343

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
	دراسة المصادر
17	الفصل التمهيدي .الواقع السياسي بالأندلس في عهد بني نصر وبلاد المغرب و المشرق الاسلاميين
18	1 - الواقع السياسي في المغرب الاسلامي
19	1-1 الاوضاع السياسية في الاندلس
33	1-2 الدولة المرينية في المغرب الأقصى
41	1-3 الدولة الزيانية في المغرب الأوسط
47	1-4 الدولة الحفصية في المغرب الأدنى
54	2- الواقع السياسي في المشرق الاسلامي
57	2-1 دولة المماليك
66	الباب الأول ، الحياة الثقافية في بلاد المغرب و المشرق
68	الفصل الأول ،الخصائص الثقافية للأندلس في عهد بني نصر
69	1 - المراكز العلمية والدينية
69	1 - 1 الكتاتيب والزوايا
71	1 - 2 المساجد
77	1 - 3 المدارس
79	1 - 4 المكتبات

82	2 - التعليم و أصناف العلوم
82	2 - 1 التعليم
84	2 - 2 أصناف العلوم
84	2 - 2 - 1 العلوم النقلية
84	2 - 2 - 1 - 1 العلوم الشرعية
93	2 - 2 - 1 - 2 علوم اللغة و الأدب
101	2 - 2 - 2 العلوم العقلية
108	الفصل الثاني ، الحياة الثقافية لبلاد المغرب الإسلامي
109	1 - الدولة الزيانية
111	1 - 1 المراكز الثقافية والعلمية
111	1 - 1 - 1 المساجد
113	1 - 1 - 2 الزوايا والكتاتيب
115	1 - 1 - 3 المدارس
117	1 - 1 - 4 المكتبات
118	2 - 1 التعليم
118	2 - 1 - 1 المرحلة الابتدائية
119	2 - 2 - 1 مرحلة التعليم العالي
119	3 - 1 أصناف العلوم
120	3 - 1 - 1 العلوم النقلية
126	3 - 1 - 2 العلوم العقلية

128	2 الدولة المرينية
128	1.2 المراكز الثقافية والعلمية
128	1.1.2 المدارس
132	2.1.2 المساجد والزوايا
136	2.1.3 المكتبات
137	2.2 أصناف العلوم
137	2.2.1 العلوم النقلية
146	2.2.2 العلوم العقلية
148	3 دولة بن أبي حفص
150	3.1 أصناف العلوم
151	3.1.1 العلوم النقلية
160	3.1.2 العلوم العقلية
164	3.2 المراكز العلمية و الدينية
164	3.2.1 الكتاتيب و الزوايا
166	3.2.2 المساجد
168	3.2.3 المدارس
173	الفصل الثالث، الحياة الثقافية في بلاد المشرق
174	تمهيد
176	1. المراكز الثقافية والدينية
176	1.1 الكتاتيب

178	2-1 المساجد والجوامع
183	1-3 المدارس
189	1-4 الخوانق والربط والزوايا
195	1-5 المؤسسات الأخرى
200	2 أصناف العلوم
200	2- العلوم النقلية.
218	2-2 العلوم العقلية
223	الباب الثاني، عوامل ومظاهر العلاقات الثقافية
224	الفصل الأول، العلاقات السياسية و التجارية
225	1 العلاقات السياسية
225	1-1 العلاقات السياسية مع بلاد المغرب
225	1-1-1 العلاقات الأندلسية الحفصية
229	2.1.1 العلاقات الأندلسية المرينية
238	3.1.1 العلاقات مع الدولة الزيانية
242	2.1 العلاقات مع بلاد المشرق
242	2.1-1 العلاقات مع المماليك
247	2.1-2 العلاقات مع الدولة العثمانية
249	2 العلاقات التجارية
249	2-1 مع بلاد المغرب
254	2-2 مع بلاد المشرق

258	الفصل الثاني، الرحلة العلمية وتبادل الرسائل
261	1 الرحلة العلمية الى بلاد المغرب الإسلامي
264	1- 1 الرحلة الى المغرب الأقصى
268	1- 2 الرحلة الى المغرب الأوسط
271	1- 3 الرحلة الى المغرب الأدنى
275	2 الرحلة بين الأندلس وبلاد المشرق الإسلامي
275	2- 1 الرحلة العلمية
282	2- 2 رحلة الحج
284	3 الهجرة الأندلسية
285	3- 1 دوافعها
288	3- 2 مراحلها
293	4 مراسلات العلمية وتبادل الإجازات
293	4- 1 بين الأندلس وبلاد المغرب
298	4- 2 بين الأندلس وبلاد المشرق الإسلامي
300	الفصل الثالث، مظاهر العلاقات الثقافي
301	1 التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب الإسلامي
301	1- 1 في المجال السياسي و الإداري
309	1- 2 في المجال العلمي
325	1- 3 في المجال الفني والمعماري
325	1- 3- 1 في المجال الفني

331	1 - 3 - 2 في المجال المعماري
336	2 التأثيرات الأندلسية في بلاد المشرق الإسلامي
336	2 - 1 في المجال الديني
342	2 - 2 التأثيرات العلمية
342	2 - 2 - 1 في مجال التدريس
344	2 - 2 - 2 في مجال القضاء
345	2 - 2 - 3 في مجال الطب
347	3 - 2 التأثيرات الفنية و المعمارية
347	2 - 3 - 1 التأثيرات الفنية
352	2 - 3 - 2 التأثيرات المعمارية
353	الخاتمة
358	الملاحق
415	البيبلوغرافيا
456	الفهارس

ملخص

تناولت هذه الدراسة البحث في العلاقات الثقافية بين الاندلس في عهد بني نصر ودول المشرق والمغرب ابتداء من سنة 636 الى 898 هـ / 1238 الى 1492 م وهو تاريخ سقوط غرناطة، وتركز هذه الدراسة على الخصائص الثقافية لهذه البلدان مع إبراز عوامل التقارب الثقافي ودور المراسلات وحركة العلماء في توثيق الصلات الثقافية مع الإشارة الى التأثيرات الاندلسية المختلفة التي تركها هؤلاء الاندلسيين في المناطق التي استقروا بها .

الكلمات المفتاحية

غرناطة النصرية - المغرب الاسلامي - المشرق الاسلامي - التبادل العلمي - الممالك - العلاقات الثقافية - الرحلة .

Résumé,

Le sujet de cette étude traite les relations culturelle entre L 'Andalousie à l'époque des Nasrides et les pays des Maghreb et des Orient ,l'étude en question est axée sur les caractéristique culturellés et la propagation des établissements culturellés et éducatifs ,et les correspondance scientifique et les voyages des savants , Et de cette façon ils ont participés a créé de bonnes relations dans les différents domaine, Religion ,science et l'art, Elle avait beaucoup d'impact dans la vie scientifique .

Les mots clés :

Grenade Nasride, Le Maghreb Islamique, L'orient Islamique, Les relations culturellés, Les Mamelouk, L'émigration Andalousie , L'échange scientifique .

Summary :

The theme of this study deals with the cultural relations between Andalusia at the era of Nasr ides and the other Countries Islamic of the Maghreb and the Orient, This research focuses on the cultural characteristics and the propagation of cultural and educational Establishment ,And the scientific correspondence and transmigration of many scientists ,This contributes to the strengthening of these relations in all the fields ,Religion ,scientific ,artistic , what helped the development of the scientific .

Keys words

Granada Of Nearside , The Islamic Maghreb , The Islamic Orient , The cultural Relations , Mamluk

Andalusia migration, scientific exchange.

